

المعهد الخيفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

أزهار الناضج في جنات عريك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

الجزء الثاني

ضبطه وحققه وعلّق عليه

عبد الحفيظ شاذلي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

مطبعة فضالة

الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا في مقدمة الجزء الأول من أزهار الرياض بعض الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ، ونذكرها في مفتتح هذا الجزء تذكيراً للقراء مع ما وقع إلينا من أصول جديدة ؛ وقد استعملنا في الدلالة على هذه الأصول الحروف الآتية :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب في تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت باتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهي بخط مغربي واضح ، في ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

من كتاب

أزهار الرياض، في أخبار عياض

[القاضي النباهي]

أما القاضي النباهي فهو عليُّ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن^(١) التعريف به
الجُدَامِي المَالَقِي النَّبَاهِي ، أبو الحسن الشهير بابن الحسن ، قاضي الجماعة بقرنطة ،
الإمام العالم العلامة . كان رحمه الله من أكابر المشهورين بها ، ممن له الفصاحة
والبلاغة والجلالة ، إلى الاتصاف بالعلم والمعرفة ، والتفنن في العلوم معقولها ومنقولها .
ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وأثنى عليه ، وذكر أن ولادته عام ثلاثة
عشرَ وسبع مئة ، على ما ذكره بعضهم ، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب ،
بحيث إنه كان حيًا عام اثنين وتسعين وسبع مئة .

من كلام لابن
الخطيب عنه

وقال ابن الخطيب في ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه^(٢) :

ثم قدّم للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن ، وهو عين الأعيان بمالقة ، الخصوص
برسم التجلّة ، والقيام بالعقد والحل ، فسدد وقارب ، وحمل السكّال ، وأحسن [٢٣٣]

(١) في نفع الطب طبعة الأزهرية والمخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية
(برقمي ٣٥٩ و ٣٦٠ تاريخ) : « علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن
الحسن بن محمد بن الحسن » .

(٢) انظر كتاب الإحاطة (ج ٢ صفحة ١٩ ، ٢٠ طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩) .

مصاحبة الخطبة والخطبة^(١)، وأكرم المشيخة، مع النزاهة، ولم يقف في حسن التأتى عند^(٢) غاية؛ فاتفق على رجاحته، ولم يقف في النصح عند غاية؛ أعانه الله. انتهى ملخصاً.

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما في «الكتيبة الكامنة» من تلقيبه بـجَعْسُوس^(٣)، ووَضَمِه بما لا يليق سماعه. وعلى كل حال فقد انتصف كل واحد منهما من صاحبه بلسانه، وعفو الله وراء الجميع.

وقال في حقه الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج في فهرسته:

من كلام السراج
عنه

الشيخ الفقيه الراوية، قاضى الجماعة بالأندلس وخطيبها، أبو الحسن؛ أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد التَّجِيبِي المَوْطَّأ والشَّافِئ وأكثَر الصَّحِيحَيْنِ؛ وعن الخطيب أبي جعفر الطَّنْجَالِي، والقاضى العارف أبي القاسم بن سعيد الحُمَيْدِي، والوزير أبي بكر بن الحكيم، والقاضى أبي جعفر أحمد بن عبد الحق، والحاج الراوية أبي القاسم بن المهني^(٤)؛ وقرأ على الفقيه الحاج أبي القاسم بن أحمد^(٥) بن محمد بن عمران الحضرمي بعض مختصر ابن الحاجب، والتسهيل البديع في اختصار التفریع؛ والحاج أبي عبد الله محمد بن علي السَّكُونِي، والخطيب أبي عبد الله الساحلي، والقاضى أبي الحجاج المُنْتَشَاوَرِي. قَدِمَ رسولاً لقاس عام سبعة وستين، ثم عام ثمانية وثمانين. انتهى.

(١) يريد أنه تولى الخطابة وخطبة القضاء، وأحسن العمل فيهما.

(٢) كذا في الإحاطة. وفي الأصول «على». وهو تحريف.

(٣) الجعسوس (كصفور): اللثيم الخلقة والخلق؛ ويقال: اللثيم القبيح؛ ويقال: رجل جعسوس، إذا كان قصيراً دميماً. (عن لسان العرب).

(٤) ورد هذا الاسم مضطرباً في الأصول ونفع الطيب بين «المهني» و«الهنا» و«البناء». وقد أورد لسان الدين بن الخطيب في جملة مشيخته ذكر الحاج أبي القاسم ابن المهني المالقي، فلهذا المراد هنا.

(٥) في (س): «أبي القاسم بن محمد بن أحمد... الخ».

قلت : تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولا في شأن ابن الخطيب^(١) ، وذلك خلاف هذين التاريخين معاً ، فتأمله .

من تأليفه

وله رحمه الله بحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة ، رام فيه الرد على الشيخ الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، حسبا نقله صاحب المعيار . ومن تأليفه رحمه الله : « كتاب المرقبة^(٢) العليا ، في مسائل القضا والفُتيا » في جزأين ، وهو كتاب ممتع إلى الغاية ، وقفت على الجزء الأول منه ، وقد ذكر في أثنائه أخبار سلفه رحمه الله ، ولم أقف من أمره على غير ما ذكرته في هذا الموضوع . وقد قدّمنا أنه كان مع السلطان أبي عبد الله بن الأحمر المخلوع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب ؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفه بالقاضي الأجل ذى الوزارتين . والله أعلم .

[٢٣٤]

[ابن زمرك]

نسبه

وأما ابن زمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى ، أبو عبد الله ، ويعرف بابن زمرك . هكذا ذكر غير واحد من المحققين ، وسيأتى في كلام ابن الأحمر حذف « محمد » فيما بين « أحمد » و « يوسف » ، ولعله من باب النسبة إلى الجد ، والله أعلم .

بعض ما كتبه
ابن الخطيب عنه
في الإحاطة

قال ابن الخطيب في الإحاطة^(٣) : « ولد هذا الفاضل بقرناطه ، ونشأ بها ،

(١) قدم لسان الدين بن الخطيب على السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٣ ، وتوفى السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ فيكون قدوم القاضي النباهى على السلطان عبد العزيز في شأن ابن الخطيب فيما بين سنتي ٧٧٣ و ٧٧٤ (انظر أزهار الرياض ج ١ ص ٢١١ والاستقصا للسلاوى ص ١٣٢ ج ٢) .

(٢) كذا في الأصول . وفي بعض الفهارس : « المرتبة » .

(٣) ترجمة ابن زمرك في الإحاطة في الصفحات (٢٢١ — ٢٤٠) من الجزء الثانى . وقد عارضنا ما نقله المقرئ هنا على ترجمة الإحاطة ، فوجدناه قد تصرف في النقل بعض التصرف .

وهو من مفاخرها ، وكان صدرًا من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد نُجَبائها ،
مختصًا مقبولا ، هَشًا خلوبا ، عذب الفكاهة ، حُلوا المجالسة ، حسن التوقيع ،
خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شَرِه المذاكرة ، فطنًا بالمعارض ، حاضرَ
الجواب ، شُعلة من شعل الذكاء ، تكاد تحتدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكها
غَزلا ، مع حياء وحشمة ، جوادًا بما في يده ، مشاركًا لإخوانه ؛ نشأ عفا
طاهرا ، كلفًا بالقراءة ، عظيم الذُؤوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر
النبل ، بعيد مدى الإدراك ، جيّد الفهم ؛ اشتهر فضله ، وذاع أَرْجه ، وفشا
خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك في جملة من الفنون ، فأصبح
متلقّف كُرة البحث ، وصارِخَ العَلقة ، وسابقَ الحَلبة ، ومُظنّة الكمال ؛ ثم
ترقّى في درج المعرفة والاطلاع^(١) ، وخاض لُجّة الحفظ ، وركضَ قَلَم^(٢) التسيّد
والتقييد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلمًا فوق الكرمي [المنصوب]^(٣) ،
وبين الحَصَل المجموع ، مستظهرًا بالفنون التي بعُد فيها شأوه ، من عربيّة وبيان ،
وما تقذف به لُجّة النقل من أخبار وتفسير ، مُتَشَوِّفا مع ذلك^(٤) إلى السلوك ، مصاحبًا
للصوفية ، آخذًا نفسه بارتياض ومجاهدة ؛ ثم عانى الأدب ، فكان أملك به .
ورحل في طلب العلم والازدياد ، فترقّى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين
بالمغرب أبي سالم بن أبي الحسن ، وعُرف في بابهِ بالإجادة . ثم رجع مع السلطان
ابن الأحرار في طلب ملكه ، فلطُفَ محلّه منه ، وخَصّه بكتابة سرّه ، [وثابت

(١) كذا في الإحاطة . وفي الأصلين ونفع الطيب : « الاضطلاع » . وما أنبتناه
أولى بالسباق .

(٢) في الأصلين : « ركض في التسيّد » . وما أنبتناه عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٣) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب والإحاطة . وفي الأصلين : « معها » .

الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة ، فأقرّه على رسمه ^(١) ، معروف الانقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مضطماً بالخطّة : خطأ ، وإنشاء ، ولَسَنًا ، ونقدًا ؛ فحسّن منابّه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسّنت وِسْاطته ، ووسّع الناس تحلقه ، وامتد في ميدان النظم والنثر باعّه ، فصدر عنه من المنظوم قصائد ^(٢) بعيدة الشأو في مدى الإجابة ، من الأغراض المتعدّدة ، من ميلاديات وغيرها ، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن ، أعانه الله وسدّده .

وأخذ العربية عن رُحَلَة الوقت ^(٣) في قتها ، أبي عبد الله [بن الفَخَّار ؛ ثم على إمامها القاضي الشريف ، إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحَسَنِي ؛ والفقه والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن لُب ؛ واختص بالفقيه المحدث الصدر أبي عبد الله] ^(٤) بن مرزوق ، روى عنه كثيراً ؛ ولقي الحافظ القاضي أبا عبد الله المقرئ لما قدّم الأندلس رسولا ، وذاكره ؛ وقرأ الأصول على أبي علي منصور الزّواوي ؛ وروى عن القاضي أبي البركات بن الحاج ، والمحدث أبي الحسين بن التَّمَسَّانِي ، والخطيب ابن اللّوْثِي ، والمقرئ أبي عبد الله بن بيش ؛ وقرأ بعضَ الفنون العقلية بفاس على الشريف الرُّحَلَة أبي عبد الله العلوي التَّمَسَّانِي ، واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من استفادة ، وحُنْكَة في الصناعة . وأما شعره فترام إلى نَمَط ^(٥) الإجابة ، خَفَاجِي ^(٦) النَّزَّعة ، كلف بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصَّقيلة ، غزير المادة

[٢٣٦]

- (١) ما بين القوسين زيادة عن نفع الطيب والإحاطة .
- (٢) في الأصلين : (قصيدة) . وما أثبتناه عن نفع الطيب والإحاطة .
- (٣) في الإحاطة ونفع الطيب : « المغرب » .
- (٤) ما بين القوسين ساقط في (ط) .
- (٥) في الإحاطة ونفع الطيب : « هدف »
- (٦) نسبة إلى شاعر شرقي الأندلس أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة أشهر وصفاء الطبيعة في الأدب العربي (٤٥٠ — ٥٣٣) هـ .

مولده في رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة .

انتهى كلام ابن الخطيب .

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى الفخر قوله — قال ابن الخطيب :

شعره أورده
ابن الخطيب

ولقد صدق — :

ولا تَمْتِ في الجُود والجودُ شِمْتِي^(١) جُبِلْتُ على إِيثارها^(٢) يومَ مَوْلِي
ذَرِنِي فلو أَنِي أَخَلَّدَ بالغِنَى لَكنتَ ضَنِينًا بالذِي ملكَت يَدِي
وأورد له أيضًا قوله :

لقد عَلِمَ اللهُ أَنِي أُمِرُوا أَجْرَرُ ثوبَ^(٣) العَفافِ القَشِيبِ
فكم غَمَضَ الدهرُ أَجفَانَه وفازت قِداحِي بوصل الحبيب
وقيل رَقِيبُكَ في غَفلة فقلت أَخاف الإِلهَ الرَّقِيب
وله أيضًا رحمه الله :

مَالِي بِحَمْلِ الهَوَى يَدَانِ من بعد ما أعوزَ التَدَانِي
أصبعتُ أَشْكُو إلى^(٤) زَمَانٍ ما بَثُّ مِنْهُ على أَمَانِ
ما بال عَيْنِيكَ تَسْجُنَانِ والدمعُ يرفضُ كالجُمَانِ
ما ذاك والإِلفُ عنكَ وَإِنْ والبعْدُ من بعده كَوَانِي ؟
يا شِقْوَةَ النفسِ ، مِنْ هَوَانٍ لَجَجْتُ^(٥) في أَبْحُرِ الهَوَانِ

(١) في نفع الطيب : « الأئمة » ... « شيمة » .

(٢) في ط والإحاطة : « آثارها » .

(٣) في الإحاطة ونفع الطيب : « ذيل » .

(٤) في رواية : « أشكوك من زمان » .

(٥) في الأصلين : « ليج » ، والتصويب عن « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » لأحمد بابا التنبكتي .

لم يَثْنِي عن هواك ثانٍ يا بُغِيَةَ القلب قد كَفَانِي

انتهى .

ثم أظلم الجو بينه وبين ابن الخطيب ، وتولى مكانه بعد فراره كما قدمناه ، وحظي عند ابن الأحمر جدا ، وبقي على ذلك مدة .

قلت : وقد رأيت بتلسان كتاباً ملوكياً^(١) من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر الخلوع ، سلطان الأندلس ، الذي كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب ، أورد فيه كلام ابن زمرك ، وسماه : « البَقِيَّة والمَذْرَك ، من كلام ابن زمرك » ، وهو سفر ضخمة ، ليس فيه إلا نظم فقط ؛ وذكر فيه أن ابن زمرك مات قتيلاً بعد التسعين وسبع مئة ، فكان ذلك الواقع له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخه ، حسبما قدمناه . [٢٣٧]

ونص ما قَيَّدت من ذلك الكتاب من أوله :

« أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما أوَّلَى ويسر من صلاح الأحوال ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء ، وسيد الأرسال^(٢) ، والرضا عمن له من حُجب وأنصار وآل ؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ؛ ولا خفاء أن أيام مولانا الجدل المقدس ، الغنى بالله ، تولاه الله برضوانه ، كانت غُرُراً في وجوه الأيام ، ومواسم تجمع الطمَّ والرَّمَّ^(٣)

(١) النسبة إلى الملوك : « ملكي » بفتح الميم واللام ، وشاع على أقلام بعض الفصحاء كالخامخ « ملوكي » ، ولعله للفرق بين النسبة إلى الملك (بكسر اللام) والملك (بفتحها) .

(٢) نبهنا في الجزء الأول في أكثر من موضع على أن المضاربة يستعملون « الأرسال » جمعاً لرسول ، ولم يرد السماع بذلك .

(٣) الطم والرَّم : كناية عن العدد الكثير .

من الرؤساء الأعلام ؛ الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة النثار والنظام ؛ وأن الفقيه الرئيس المدرك ، الناظم النائر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرّك ؛ عفا الله عنه — وحسبك بمن ارتضاه مولانا [الجلد] ^(١) رحمه الله لكتابته ، وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه ؛ فكان بذلك خليقاً ، لما جُمع فيه من أدوات الكمال علماً وتحقيقاً ؛ وإدراكاً ونُبلاً ، وفقها ^(٢) وأصولاً ، وفروعاً وأدباً وتحصيلاً ، وبياناً وتفسيراً ونظاماً وترسيلاً — لَمَّا ^(٣) كان قد أخفت الأيام سنّ صبحه ^(٤) ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بُدُونُها بعد فوز قدحه ؛ وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أىّ دُخْرٍ فقدوا ، ولا أىّ مُطلَقٍ من تصرفاته الجميلة قيّدوا ؛ مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم ، مُعْجَبِينَ بما ارتكبوه من جِيَادٍ بغيهم ؛ جميعهم يلحظه بمقلّ داميهِ ، وألغاز حاميهِ ؛ يُصَاحِبُونَهُ بأوجه خلّت عن الوجاهة ، سيّأها الحسد ، وضميرها السَّخَطُ بما قدّره الواحد الصمد .

[^(٥) فخرٌ على الألاء لم يُوسدْ كأنّ جبينه سيفٌ صَقِيلٌ ^(٦)]
 فيأله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مصونة . ووسائل مخفورة ؛ وأذمة قطعت أرحامها ، ولم يُرْعَ ذِمّامها ؛ وعانت الأيدي الفاتكة حينئذ على بنيهِ ، وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه ^(٥)

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٢) كذا في (س ، م) ، ونفح الطيب . والذي في (ط) : « وفهما »

(٣) خبر لقوله : « وأن الفقيه الرئيس المدرك ... الخ » .

(٤) كذا في س ونفح الطيب . وفي ت : « من » .

(٥) ما بين الفوسين زيادة عن نفح الطيب و (س) .

(٦) البيت لابن عنمة الضبي ، من مقطوعة له في رثاء بسطام بن قيس . قال التبريزي في

شرح الحماسة : « خر : سقط . والألاء : شجرة . لم يوسد ، يستعملونه كثيراً

في القتيل ، وليس بجيد ، لأن القتلى بعضهم يوسد . وشبه جبينه ، لصفائه وانحسار

الشعر عنه ، سيف مصقول ، أى لم يكن أغم ؛ والغم عندهم مذموم » .

هل كان إلا حَيًّا تحيا العبادُ به هل كان إلا قَدَى في عين ذى عَوْرٍ
إن قال قولا ترَ الأبصارَ خاشعةً لِمَا يُخَبِّرُ من وَخِي ومن أثرِ
يألَهفُ نفسى لو قد كنتُ حاضره غداةَ جُرْعَه أدهى مِنَ الصَّبرِ
لَمَّا تركتُ لَهُ شِـلْوًا بِمَضِيعَةٍ ولا تولى صريعَ النسابِ والظُّفرِ
« وكان ما كان مما لست أذكره فظُنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبرِ »^(١)

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألعنا بذكره، وَضَمَّنَا هذا البيتَ ذَرَوًا^(٢) من فطيم أمره ؛ فذلك عند ما نَسَبَ صاحب الأمر إليه ما راب ، وتَلَّه [وابنيه]^(٣) للجبين مُعَفِّرِينَ بالتراب ؛ وَصَدَمَهُ فى جُنْحِ اللَّيْلِ والمصحف بين يديه يتوسَّلَ بآياته ، ويتشفع بعظيم بركانه ؛ فأخذته السيوف ، وتعاورته الحُتُوف ؛ وأذهب سَلِيمًا قَتِيلًا ، مُصِيرًا مِصرَاعَ منزله كَثِيبًا مَهِيلًا ، وكنا على بُعْدٍ من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شَجَنًا طويلا ؛ وَذَكَرْنَا بعناية مولانا [الجَدَّ]^(٤) الغنى بالله بجانبه أعظم ذكرى ، فَأَغْرَيْنَا برثائه خَلْدًا وفكرا ؛ وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الأبيات إشارة مُقْنَعَةٍ ، وكناية فى السُّلُوانِ مُطْمَئِنِّةٍ ؛ وأرضينا بالشفقة أوداءه ، وأرغمنا بتأبينه أعداءه . ولما تبلَّج الصبحُ لذى عينين ، وتلقينا راية الفرج بالراحتين ؛ عَطَفْتَنَا على أبنائه عواطف الشفقة ، وأطلقنا لهم ما عانت الأيدي عليه^(٥) صلَّةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمة ، وأخفر عهود تَخْدَمُهُ^(٦) لمن سلف من الأئمة ؛ وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا ، وجعلنا ضمَّ مانثرته الحوادث

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن المعتز .

(٢) ذروا : طرفا من القول . وفى الأصلين ونفع الطيب : « درا » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٣) هذه الكلمة عن (ص) ونفع الطيب .

(٤) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٥) المسوع : عات به .

(٦) يريد بتخدمه : خدمته . والمسوع من هذا : تخدمت خادماً : إذا اتخذته .

من منظوماته من أكيد أعمالنا ؛ وكان تعلقَ بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ،
 مشتملة على مآراق وحسن من نثاره ونظامه ؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه
 اجتهادنا من رقابه ، الحائلة المنتهية بأيدي النوايب ، الدائرة المستلبة بتعدّي
 النواهب ؛ فخلص من الجملة قلاند عقيان ، وعُقود دُرٍّ ومرجان ؛ تراتح النفوس [٢٣٩]
 النفيسة لإنشادها ، وتحسّد الأبصارُ الأسماعَ عند إيرادها ؛ إلى ما يتخلّلها من تخليد
 ما ترسّلنا ، والإشادة بعظيم مُلكنا ؛ فشرعنا في تقييد أوابدها الشاردة ، وإحياء
 رسومها البائدة ؛ كلّفنا بالأدب ؛ لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله .
 ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبّه عليه ، ونُظهر ما كنّا نُضمره من
 الليل إليه ، في كل ما له أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذّ الأوحد ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد
 ابن أحمد بن يوسف الصّريحيّ ، ويعرف بابن زمرك ؛ أصله من شرق الأندلس ،
 وسكن سلفه بالبيّازين من غرناطة ، وبها ولد ؛ فنشأ ضئيلاً كالشّهاب يتوقّد ،
 مختصر الجِرم والأعين بإطالة فواضله تشهد ، ومُكْتَبٌ^(١) الفئة القرآنية يؤثّره
 بالجناب الممّهّد ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم ، والدُّبّوب على القراءة ، وأخذ
 نفسه بملازمة حلقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب المفترضات إلا وهو متحمل
 الرواية ، وملتزم لفوائد الدراية ؛ مُصَابِحٌ كل يوم أعلام العلوم ، ومستهدٍ بمصاييح
 الحدود العلمية والرُسوم . فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله
 ابن الفخّار ، الآية الكبرى في فن العربية ، وتردّد الأعوام العديدة إلى قاضي
 الجماعة أبي القاسم الشريف ؛ فأحسن الإصفاء ، وبذّ الثّحاة البُلغاء ؛ بما أوجب
 رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة ، التي أولها :

(١) المِكتَب الذي يعلم الصبيان الكتابة . قال الحسن البصري : وكان الحجاج مكتباً
 بالطائف ، أي معلماً . (عن تاج العروس) .

« أغرى سَراة الحى بالإطراق »

حسبنا تأتى مستوفاة إن شاء الله تعالى . واهتدى فى طريق الخطبة ومناهج الصوفية ، بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق ، الوافد على مولانا الجد أبى الحاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة ، وإليه جنح ، وإياه قصد ، عند تغربه إلى المغرب ، فى دولة السلطان أبى سالم ، فتوجّه بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها :

تَوَجَّتى بعمامة تَوَجَّتَ تاجَ الكرامة
فَرَوْضَ حمدك يَرْهَى منى بسجع الحمامة

وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبى على منصور الزاوى ، وبرع فى الأدب ، أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبى عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يُحمد بينهما المآل . واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلعسانى ، قدوة الزمان ؛ وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة ، وشيخ الجملة ، أبى البركات بن الحاج ، وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللوشى ، وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدرى ، رضى الله عن جميعهم . وبواجب محافظتنا على عهدهم ، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عذب وردهم ، وحصل سببنا بهم الكثير من شيوخنا ، مثل الإمام المعظم أبى محمد عبد الله بن جُزى ، ومعلمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله الشريشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق ، وغيرهم رحمة الله عليهم . لذلك صار صدرأ فى نوادى طلبة الأندلس ، وأفراد نجباؤها ؛ فما شاء المحاضِر يجده فى خَصله ^(١) ، ويتلقاه من باهر فضله ؛ فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة ، ومحادثة أريضة مزهره ، وجوابا مُطبّقاً للمفصل ^(٢) ، وذهنا

(١) الحُصل : الدر واللؤلؤ ، يشبه بهما كلامه .

(٢) فى نفع الطيب : « شافياً للمعضل » .

سابقاً للإيضاح المشكل ؛ مع انقياد الطبع ، وإرسال الدّعة ، في سبيل الخشوع [٢٤٩] والرقّة ، ورشح الجبين عند تلقى الموعظة ، وصوّن الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ، والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة ، وبذل وُسْع ، وكرم نفس ، لم يُعهد أجل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة في الهسّة والمبرّة والإيثار بما مُنح ، وجُنوح إلى حبّ الصالحين ، ذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية ، الوليّ أبي جعفر بن الزيّات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبي مهدى ، قدّس الله مغناه ، وسواهما من أهل الأندلس والعُدوة ، وحمله أشدّ الحمل على كل مُتلبّس^(١) كأبي زكرياء البرغواطى وسواه .

ومن تنديداته — زعموا — على أبي الحسن المحروق لَمِثْلِه عنه :
وَلَدُ الْفَقْرِ^(٢) وَالرِّبَاطِ وَلَكِنْ نَفْسُهُ لِلسُّلُوكِ ذَاتُ افْتِقَارٍ
وَحَطَبَ الْأَدَبُ يَافِعاً وَكُهْلاً ، وَحَازَ عِلْمَهُ إِدْرَاكاً وَنُبْلاً .

ولما كانت الحادثة على مولانا الجذ رحمة الله ، واجتاز إلى المغرب ، كما تقرر في غير هذا ، كَلَفَ به ، وأنس إليه ، الحلاوة منطلق ، ورفّعُ استيحاءش ، ومُراوضة خُلُق ؛ ثم كَرَّرَ في صحبة رِكابه ، فغلت منزلة ، ولُطف محله .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدى فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سبعا وثلاثين سنة ، ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة ، في ستة وستين عيداً ، وكل ما في منازل السعيدة ، من القصور والرياض والدّشّار^(٣) والسبيكة ، من نظم رائق ، ومدح فائق ، في القباب والطّاقات والطُرُز^(٤) وغير

(١) المتلبّس : الذى يظهر النّسك والعبادة ، ويبطن النّفس والفساد (عن نفع الطيب ج ٣ ص ٣٨٧ — أزهرية) .

(٢) في المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠) : « ولد الفقر » .

(٣) الدشّار : يريد به الدسكرة ، وهى فى معنى الضيعة .

(٤) الطرز : جمع طراز ، وهى الثياب تنسج للسلطان ، أو هى الدور تصنع فيها الثياب .

[٢٤٢] ذلك [فهولى] ^(١) ، وكنت أوأكله وأوأكلي ابنه مولاي أبا الحجاج وهما كبير
ملوك أهل الأرض ، وهناته بكذا وكذا قصيدة ، وفوض لى فى عقد الصلح بين
الملوك بالمعدوتين ، وصلح النصارى عقده تسع مرات ، ألحسة ^(٢) فوض إلى ذلك ؟
قلنا : صدق فى جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له .
وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه
وبين ملوك عصره ؛ فحمد منابه ، ونمت أحواله ، ورغد جنابه . وكان هنالك
بعض تقولات تشين وجه اجتهاده ، وتسمى بما احتقبه من سوء مقاصده ، وما صرفه
من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أسبابها . وعند
الأشد من عمره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قذاح السياسة آفات
مختلفات ، وأشعرته حدة ذهنه أنه متخبط فى أشراك وقعات ^(٣) ؛ فقعده بجامع مائة ،
ثم بمسجد الحمراء ، ملقياً على الكرسي فنونا جملة ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن
أولياء التعظيم والتجلة ؛ فأنحاز إلى مادة أمم بمالقة طامهم البحر ، وتراعى لأبصارهم
وبصائرهم الفخر ؛ وكان التفسير أغلب عليه لقرط ذكره ، وما [كان] قيده
وحصله أيام قراءته [وإقرانه] ؛ فاشتت من بيان ، وإعجاز قرآن ؛ وآيات توحيد
وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص ، يوم الأخذ بالنواص . ومراراً
عدة سمع ما يلقى عليه ولئى الأمر ، وياشدة البلوى التى أذاقه مرها ، وأمطاه إلى
طية الهلاك ظهرها ؛ ويا قرب ما كان القوت ، والحسام الصلت ، من تباعد
هذه القرب التى ألفت ^(٤) .

(١) هذه التكملة عن نفع الطيب .

(٢) فى الأصلين : « ألحسة » والتصويب عن نفع الطيب .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « توقعات » ، ومؤدى العبارتين مختلف .

(٤) فى ص ، و نفع الطيب : « من متباعد هذه القرب التى ألفت » . وفى العبارة غموض .

قلنا: لقد جمَّح جواد القلم، فأطلقنا^(١) ونحن نشير إلى هذا الرئيس وتبدل طباعه، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطراله؛ وإحراز شيم أدت إلى علو مقداره، واستقامة مداره؛ قال عمر مولانا جَدُّنا إلى النقاد، ورمت رئيس كتابه هذا أسهم^[٢٤٣] الحساد؛ فظهر الخفي، وسقط به الليل على سرحان^(٢) قد طالما جرب الوقي والصفى. وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حُجَّاب الدولة، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجليلة^(٣) مع الاستغراق في غمار الفتن أندلساً وغرباً، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغضباً؛ أما الجراءة فانتضى سيوفها، وأما إكفاء السماء على الأرض فةقواصم نوع صنوفها^(٤)، وأما المجاهدة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها، وأما الجمالة فنكَّر معروفها. أذاه هذا النبا العظيم إلى سكتى المعتقل بقصبة المرية، وعلى الأثر كان الفرج قريباً، وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريباً. ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله — وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة^(٥) — لأسباب يطول شرحها، أظهرها شراسة^(٦) في لسانه، واعتزاز^(٧) بمكانه، وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه، فكبا^(٨)

(١) كذا في الأصول ونفع الطيب المطبوع والمخطوط، ولعله يريد: «أطلقنا»، أو: «فأطلقنا له العنان».

(٢) هذا مثل، قال الميداني: «سقط به العشاء على سرحان» قال أبو عبيد: وأصله أن رجلاً خرج يتلمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله — يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف.

(٣) كذا في م ونفع الطيب. والذي في ط: «الجليلة». وهو تحريف.

(٤) كذا في ط، ونفع الطيب. وفي م: «فرع حنوفها».

(٥) إلى هنا ينتهي ما أورده نسخة (م) من الروضة الأولى، وسقطت منها بقيتها.

(٦) في ط: «شواهة». وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة من نفع الطيب المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠ تاريخ).

(٧) في نفع الطيب: «واغترار».

(٨) في ط: «فكبا». وما أثبتناه عن نفع الطيب.

للبيدين وللعم ، إلى أن من الله بسراحه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وسبع مئة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله ، وقيام^(١) أخينا [محمد] مقلده بالأمر . فاستمر الحال أياماً قلائل ، وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خطته ، وقد دُميت^(٢) بعض أخلاقه ، وخذت شراسته^(٣) . وحلا بعض مذاقه ، فإكان إلا كلاً ولئت^(٤) ، وإذابه قدسائه مشهداً وغيباً ، وأوسع الضمائر شكاً وريباً ؛ وغلبت الإحن عليه ، وغلت مراجعها لديه^(٥) ؛ وصار يتقلب على^(٦) جمر الغصى ، ويتبرم بالقضا ؛ ويظهر النصح وفي طيه التشفى^(٧) ، ويسم نفسه بالصلاح ، ويعلم بالخشوع ، ويشير بأنه الناصح الأمين ، ويتلو قول الله سبحانه : « ولكن لا تحبون الناصحين » . ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوباً لم يقترفوها ، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها ؛ وأنهم احتججوا الأموال ، وأساءوا الأعمال^(٨) والأقوال ؛ فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل — على تفاوت أعداده — على حاصل ؛ هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطلاع^(٩) بالأُمور [الجبائية]^(١٠) ؛ فمن نفس يروّع سربها ، ويكدر^(١١) بالامتحان والامتحان سربها ؛ ومن ضارعة

[٢٤٤]

- (١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « مقام » .
- (٢) في ط : « صمت » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .
- (٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « شراسته » .
- (٤) كذا في الأصل . ويقال : ما كان إلا كلاً ولا : كناية عن الزمن القليل .
(انظر لسان العرب)
- (٥) في ط : « وغلبت من أجلها عليه » . والتصويب عن نفع الطيب .
- (٦) في ط : « إلى » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .
- (٧) في ط : « في طية الشفتين » . والتصويب عن نفع الطيب .
- (٨) في ط : « الأجمال » . والتصويب عن نفع الطيب .
- (٩) في ط : « اطلاعه » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .
- (١٠) التكملة عن نفع الطيب .
- (١١) في ط : « ولا يكدر » . والتصويب عن نفع الطيب .

خاشعة لله سُلِّيتْ ، وطُولِبَتْ بغير ما اكتسبتْ ، وتعدَّتْ الأيدي إلى أقوام جِلَّةٍ
سَعِدُوا بِشِقَائِهِ ، وَاُمْتُحِنُوا وَهَمُ الْمُبْرِّءُونَ مِنْ تَرْوِيرِهِ وَاعْتِدَائِهِ ، وَسَيَسْأَلُونَ ، يَوْمَ
لَا يَغْنَى مَالٌ وَلَا بَنُونَ ؛ وَصَارَ يَصْرِفُ أَغْرَاضَهُ ، وَيُظْهِرُ أَحْقَادَهُ ، بَيْنَ إِفْصَاحِ بَمَا
كَانَ الْإِعْجَامُ خَيْرًا مِنْ إِلْقَائِهِ ، وَأَنْ عُمُرُ الْمَسْكِينِ الْمُسْتَضْعَفِ لَا حَاجَةَ فِي طَوْلِ
بِقَائِهِ ؛ إِلَى مَجَاهِرَةِ عَهْدٍ مِنْهُ أَيَّامَ شَبَابِهِ تَقِيضُهَا ، وَانْعَكَسَ فِي شَاخَتِهِ ^(١) تَصْرِيحُهَا
الْمُنْغَصِّ وَتَعْرِيفُهَا ؛ لَا يَرِيحُ نَفْسَهُ مِنْ جَهْدٍ ، وَلَا يَقِفُ مِنَ اللَّجَاجَةِ عِنْدَ حَدٍ .
وَقَدْ كَانَ ثَقُلَ سَمْعُهُ ، فَسَاءَتْ إِبَابَتُهُ ^(٢) ، وَطُفَتْ أَخْلَاقُهُ ، فَسُمَّ النَّاسُ وَسَاطِطُهُ ،
وَرَبَّمَا اسْتُخْلِفَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِلَازِمَةِ وَالْإِلَازِمَةِ ^(٣) إِلَّا الْحِنْثُ عَنْ قَصْدٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ ،
وَدَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَبْنَائِهِ بِإِنْجَازِ وَعْدٍ ، وَأَنْ يُقَيِّضَ ^(٤) اللَّهُ لَهُ وَلَمْ قَاتِلُ عَمْدٍ . فَسُبْحَانَ
الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ ، الرَّحِيمِ بِهَذَا الشَّخْصِ وَبِالْأَمْوَاتِ مِنْ شِيعَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .

فَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى إِحْدَى اللَّيَالِي ، فَهَلَكَ [فِي جُنْحِ اللَّيْلِ] ^(٥) فِي جَوْفِ
دَارِهِ ، عَلَى يَدَيِ مَخْدُومِهِ ؛ تَلْقَاهُ — زَعَمُوا — عِنْدَ الدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ بِالمَصْحَفِ
رَافِعٍ بِهِ يَدَيْهِ ؛ فَجَدَلَتْهُ ^(٦) السِّیُوفُ ، وَتَنَاوَلَتْهُ الْحُتُوفُ ؛ فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَعَلَى مَنْ
وُجِدَ مِنْ خِدَامِهِ وَابْنِيهِ : كُلُّ ذَلِكَ بِمَرَأَى عَيْنٍ مِنْ أَهْلِهِ وَبَنَاتِهِ ، وَلَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ
حَقَّ نُتَاتِهِ ؛ فَكَانَتْ أَنْكِي الْفَجَائِعِ ، وَأَفْظَعُ الْوَقَائِعِ ؛ وَسَاءَتْ الْقَالَةُ ، وَعَظُمَ
الْمَصَابُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى أَجَلٍ نَافِذٍ وَكِتَابٍ ^(٧) .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَنَفَعَ الطِّيبُ ، وَلَا مَعْنَى لَهَا . وَلَمَّا يَرِيدُ شَيْخُوخَتَهُ .

(٢) أَخَذَهُ مِنَ الْمَثَلِ الْعَرَبِيِّ : « أَسَاءَ سَمَاءَ فَأَسَاءَ جَابَةٌ » . وَالْجَابَةُ : اسْمٌ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ .

(٣) الْإِلَازِمَةُ : الْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْيَمِينَ الَّتِي يَمْتَنِعُ انْفِكَارُهَا عَمَّا عَقَدَتْ عَلَيْهِ . وَفِي ط : « الْمِلَازِمَةُ » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ نَفْعِ الطِّيبِ .

(٤) فِي ط : « يَكْفِي » ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ نَفْعِ الطِّيبِ .

(٥) التَّكْمَلَةُ عَنْ نَفْعِ الطِّيبِ .

(٦) فِي ط : « جَدَلَتْهُ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ نَفْعِ الطِّيبِ وَكُتِبَ الْفَاءُ .

(٧) قَالَ الْمُؤَلِّفُ فِي النَّفْعِ : « وَقَدْ فَهِمَ مِنْ مَضْمُونِ مَا سَبَقَ أَنْ قُتِلَ ابْنُ زَمْرَكٍ بَعْدَ

خَامَةِ خَمْسَةٍ وَتَسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ » .

ولما تلخّصت هذه المقدمة بين يدي نظامه ، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من خير كلامه ؛ اخترنا له اسماً يوافق ، ويوضح مشاركة ، وهو « البقية والمُدرك » ، من شعر ابن زمرك^(١) . أما البقية فلما بقي بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشحّ الدهر بامساكه ؛ والمُدرك : لأجل ما ترك في مُبَيّضاته ، ولم يخرج منه في حياته . وهما نحنُ ننظّم^(٢) درره الرائقة ، ونطوع في مراتب التأليف كل شارقة . فمن ذلك قوله في ذكر الحضرة^(٣) العلية ، وتهنئة مولاه الجدرحة الله عليه

ببعض المواسم العيديه ؛ ووصف كرائم من جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يَحْنُ إلى نجد وناديهَا	غَرَنَاطَةٌ قَدْ ثَوَتْ نَجْدٌ بِوَادِيهَا
قَفْ بالسَّيْبِكَةِ وانظُرْ ما بساحتها	عَقِيلَةٌ وَالكَثِيبُ الْفَرْدُ جَالِيهَا
تَقَلَّدَتْ بِوِشَاحِ النَّهْرِ وابْتَسَمَتْ	أَزْهَارُهَا وَفِي حَلًى فِي تَرَاقِيهَا
وَأَعْيَنَ النَّرْجِسُ الْمَطْلُولُ يَانِعَةً	تَرْقُوقَ الطَّلِّ دَمْعاً فِي مَاقِيهَا
وافتَرَّ نَفْرُ أَقْلَحٍ مِنْ أَزْهَارِهَا	مُقَبَّلًا خَدَّ وَرْدٍ مِنْ نَوَاحِيهَا
[كَأَنَّمَا الزَّهْرُ فِي حَافَاتِهَا سَجَرًا	دِرَاهِمٌ وَالنَّسِيمُ اللَّذْنُ يَجْبِيهَا] ^(٤)
وانظر إلى الدُّوْحِ وَالْأَنْهَارُ تَكْنُفُهَا	[مِثْلُ النَّدَايِ سَوَاقِيهَا] ^(٥) سَوَاقِيهَا
كَمْ حَوْلَهَا مِنْ بُدُورٍ تَجْتَنِي زَهْرًا ^(٦)	فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ قَدْ قَبَّلَنَ أَيْدِيهَا
حَصَاوُهَا لَوْ لَوْ قَدْ شَفَّ جَوْهَرُهُ	وَالنَّهْرُ قَدْ سَالَ ذَوْبًا مِنْ لَآبِهَا

(١) في بعض مواضع من ط : « البقية والمُدرك الظاهر من شعر ابن زمرك » . ولعل

كلمة : « الظاهر » زيادة من الناسخ .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « سأتحف بنظم »

(٣) يريد غرناطة .

(٤) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٥) التكهلة عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « وحولها من زهور تجتنى نهراً » والتصويب عن نفع الطيب .

[نهر النجم] ^(١) والزهر المطيف به
يزيد حسناً على نهر ^(٢) المجرة قد
يدعى المنجم رائيه وناظره ^(٣)
إن الحجاز معانيه ^(٤) باندلس
فتلك نجد سقاها كل منسجم
إو بارق وعذيب كل مبتسم ^(٥)
وإن أردت ترى وادي العقيق فرد
وللسبيكة تاج فوق مفرقها
كان حمراءها والله يكلوها
إن البدر لتيجان مكالمة
لكنها حسدت تاج السبيكة إذ
بروجها لبروج الأفق مخجلة
تلك القصور [التي] راقظ مظاهرها
لله عيناً من رأى سحراً
والصبح في الشرق قد لاحت بشاره
تهوى إلى الغرب لما هالها ^(٧) سحر

زهر النجوم إذا ماشئت تشبها
أغناه دُر حباب عن دراريها
مسميات أبانتها أسامها
ألفاظها طابقت منها معانيها
[من الغمام يحياها فيحيها] ^(١)
من الثغور يحليها مجليها
دموع عشاقها حمراً جوارها
تود دُر الدارارى لو تحليها
ياقوتة فوق ذاك التاج بعليها
جواهر الشهب في أبهى مجاليها ^(٥) [٢٤٦]
رأت أزاهره زهراً يجليها
فشهبها في جبال لا تضاهيها
تهوى النجوم قصوراً عن معاليها
تلك المنارة قد رقت حواشيها
والشهب تستن ^(٦) سبقا في تجاريها
وغمض الفجر من أجفان واشيها

(١) التكملة عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « زهر » . والتصويب عن نفع الطيب

(٣) في ط : « فنظر » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « معاليه » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « جواهر الشيب تحلى من مجاليها » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « يستر » والتصويب عن نفع الطيب . و « تستن » : تعدو .

(٧) في نفع الطيب : « غالها » .

وساجعُ العودِ في كفِ النديمِ إذا
يُبْدِي أفانينَ^(٢) سِحرٍ في ترنمه
يَحْشُهُ ناعمُ الأطرافِ تحسبها
مُقاتِلٌ يلحاضُ قوسُ حاجبها
فباكرَ الروضِ والأغصانِ مائلة
لم يَرْقُصِ الدَّوْحُ بالألحانِ من طرب
وأسمعتها فنوتَ السحرِ مُبدعة
غُرناطة آنسَ الرحمنِ ساكنها
أعدى نسيئهمُ لطفًا نفوسهمُ
نخلدُ الله أيامَ السرورِ بها
ورَوْضَ المحلِّ منها كلُّ منبجسٍ
يَحْكِي^(٥) الخليفةَ كفاً كلما وكفت
تُغْنِي العفافةَ وقد أمت مكارمه
لها بَنانٌ فما غيث يساجلها
فإن تَصَبَّ سَحْبُهُ بالماء حين همت
بأيها القَيْثُ أنتِ القوثُ في زمن
إن الرعايا جَزَاكَ اللهُ صالحة

ما استوقفت^(١) ساجعاتُ الطيرِ يُغْرِبها
يُضِيّ العقولَ بها حسناً ويسببها
لآلئاً وهي نُورٌ في تلالها^(٣)
ترمي القلوبَ بها عمدًا فتصمبها
يثنى النفوسَ لها شوقاً تثنّيها
حتى شدا من قيان الطيرِ شاديها
وَرُقُ الحمامِ وغناها مغنّيها
باحث بسرَ معانيها أغانيها
فرقة الطبع طبع منه يعديها
صُفراً عشباتها بيضاً لياليها
إذا اشتكت بغليل الجذب^(٤) يروها
بالجود فوق مَوَاتِ الأرض يحميها
عن السؤال وبالإحسان تُغنيها
جوداً ولا سَحْبُهُ يوما تدانيها
بعسجد ولجِينِ صاب هامها
ملوكه تَلِفَتْ لولا تلافها
مَلَكَتَ شرقاً وغرباً مَنْ يُراعها

(١) في نفح الطيب : « ما استوقفت الطير يدنها ويغريها »

(٢) في ط : « بين الأفانين » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٣) في ط : « يحسبها » ... « في تجليها » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٤) في ط : « بقليل الجرى » . والتصويب عن نفح الطيب .

(٥) في ط : « على » . والتصويب عن نفح الطيب .

إن الخلائق في الأقطار أجمعها سوائهم أنت في التحقيق راعيها^(١)
 فكل مصلحة للخلق تحكّمها وكل صالحة في الدين تنويها
 إذا تيممت أرضاً وهي مُجْدبة فرحمة الله بالشّقى تحيها
 يارحمة بثّت الرُّحى باندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها [٢٤٧]
 في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمنك قد نامت ذراريها
 في طول عمرك يرجو الله أملها بنصر ملكك يدعو الله داعيها
 عوائد الله قد عوّدت أفضلها لتبلغ الخلق ما شاءت أمانها
 سلّ السعود وخلّ البيض مُغلّدة واضرب بها فرية^(٢) التلّيث تُفريها
 لله أيامك الغرّ التي اطردت فيها السعود بما ترضى ويرضيها
 لله دولتك الغراء إن لها لكافلاً من إله العرش يكفيها
 هيات أن تبلغ الأعداء مأربةً في جزئها وجنود الله تحميها
 هذى سيوفك في الأجفان نائمة^(٣) والمشركون سيوف الله تُقنيها
 سريرة لك في الإخلاص قد عرفت حُسن عواقبها حتى أعادها
 لم تحتجب شهبُ الآفاق عن بصر^(٤) إلا وهديك للأبصار يهديها
 يابن الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو الملوك إلى طوع تلبيها
 أبناء نصرٍ ملوكُ عزٍّ نصرهم وأوسعوا الخلق تنويها^(٥) وترفيها

(١) في ط : « نعام ... واعيها » والتصويب عن نفع الطيب المطبوع والمخطوط .

(٢) في ط : « فرقة » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « قائمة » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٤) في نفع الطيب : « لم يحجب الصبح شهب الآفاق عن بصر »

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

هُمُ المصاييح نور الله مُوقِدُها
 هُمُ النجومُ وأفق الهدى مَطْلَعُها
 هُمُ البدور كاللّ ما يفارقها
 قَضَتْ قواضِبُها أن لا انفضاء لها
 وخَلَدَتْ في صِفاح الهندسِ يَرتَها
 وأورثتكَ جهاداً أنت ناصره
 كَمَ موقفٍ تَرَهَّبُ الأعداءُ موقِفَه^(١)
 ثارتْ نِجَاجَتُه واليومُ مُحْتَجِب
 وللأسِنَّةِ شُهْبٌ كَلما غَرِبَتْ
 وللسيوفِ بَرُوقٌ كَلما لَمَعَتْ
 أطلعت وجهاً تريك الشمسَ غُرَّتُه
 من أين للشمسِ نَطَقَ كلُّه حِكْمُه
 لك الجياد إذا تجرى سوابقها
 إذا انبرت يومَ مَسْبِقٍ في أعنتها
 من أَشْهَبٍ قد بدا صُبْحاً تُراعُ لَهُ
 إلّا التي في لِحْجائِ منه قَيِّدُها
 أو أشقرٌ مُرْعِبٌ شَقَرُ^(٢) البروق وقد
 أو أحمَرُ جَمْرُه في الحربِ مَتَقَدُ

تضىء للدين والدنيا مَشاكِبها
 فوزاً لَمُهْدِيَّها عِزّاً لها دِيها
 هُمُ الشُّموسُ ظِلَامٌ لا يوارِيها
 وأمضت الحُكْمُ في الأعداءِ مَواضِيها
 وأسندت عن عواليها مَعاليها
 والأجر منك يُرْضِيها ويُحْطِيها
 والخيل تَرْدِي ووقع السَّمَرُ^(٣) يُرْدِيها
 والنَّعَمُ يُوْثِرُ غِيماً من دِياجِها
 في الدَّارِعين تَجَلَّتْ من عواليها
 تُزْجِي الدِّماءَ وريح النصر يُزْجِيها
 تبارك الله ما شمسُ تسامِيها
 يُعِيدُها كلَّ حينٍ منك مُبْدِيها
 فللرياح جِيادٌ ما تَجاريها
 ترى البروق طِلَاحاً لا تُبارِيها
 شُهْبُ السماءِ فَإِنَّ الصُّبْحَ يَخْفِيها
 فَإِنَّه سَامِها عِزّاً وتَنْوِيها
 أَبْقَى لها شَفَقاً في الجوّ تَنْبِيها
 يعلو لها شَرَرٌ من بأسٍ مُذْكِها

[٢٤٨]

(١) في نفح الطيب : « موقفه » .

(٢) في نفح الطيب : « السيف » .

(٣) كذا في النسخة المطبوعة من نفح الطيب . وفي المخطوطة المحفوظة بدار الكتب

(برقم ٣٥٩ تاريخ) : « أو أشقر مر عن شقر البروق وقد » . والذي في (ط) :

« أو أشقر ضامر سبق البروق وقد » .

لَوْ الْعَقِيقُ وَقَدْ سَالَ الْعَقِيقُ دَمًا
 أَوْ أَدَمَ مِثْلُ^(٢) صَدْرِ اللَّيْلِ تَنَعَّلُهُ
 إِنْ حَارَتْ الشُّهُبُ لَيْلًا فِي مُقَلَّدِهِ
 أَوْ أَصْفَرَ بِالْعَشِيَّاتِ ارْتَدَى مَرَحًا
 مُمَوِّجٌ بِنُضَارِ تَاةٍ مِنْ عَجَبٍ
 وَرَبِّ نَهْرِ حُسَامٍ رَاقٍ^(٣) رَائِقُهُ
 تَجْرِي الرُّيُوسُ حَبَابًا فَوْقَ صَفْحَتِهِ
 وَذَابِلٍ مِنْ دَمِ الْكَفَارِ مَشْرَبُهُ
 وَكَمْ هَلَالٍ لِقَوْسٍ كَلَّمَا نَبَضَتْ
 أَمَّةَ الْكُفْرِ مَا يَمُتُّ سَاحَتَهَا
 يَادُولَةُ النَّصْرِ هَلْ مِنْ مُبْلَغٍ دَوْلًا
 [أَوْ مُبْلَغٍ سَالَفِ الْأَنْصَارِ مَأْلَكَةً
 أَنْ الْخِلَافَةَ — أَعْلَى اللَّهِ مَظْهَرَهَا —
 يَابْنَ الَّذِينَ لَمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ
 أَنْصَارُ^(٥) خَيْرِ الْوَرَى مَخْتَارِ هِجْرَتِهِ
 أَسْمَتَهُمُ الْمَلَّةُ السَّمْعَاءُ^(٦) تَكْرِمَةً

بِعِطْفِهِ مِنْ كَهْمَا كَرَّ يُدْمِيهَا^(١)
 أَهْلَةً فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ يُبْدِيهَا
 فَضْجَ غُرَّتِهِ بِالنُّورِ يَهْدِيهَا
 وَعُرْفُهُ بِتَمَادِي اللَّيْلِ يُنْبِيهَا
 فَلَيْسَ يَعْذَمُ تَعْوِيهَا وَلَا تَيْهَا
 مَتَى تَرَدُّهُ نَفُوسُ الْكُفْرِ يُرْدِيهَا
 وَمَا جَرَى غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ يُجْرِيهَا
 يُجْنِي الْفَتْوحَ وَكَفَّ النَّصْرَ تَجْنِيهَا
 تَرَى النُّجُومَ رُجُومًا فِي مَرَامِيهَا
 إِلَّا وَقَدْ زُلْزَلَتْ قَسْرًا صَيَاصِيهَا
 مَضَيْنَ أَنْكَ تُحْيِيهَا وَتُنْسِيهَا
 وَاللَّهُ بِالْخُلْدِ فِي الْفَرْدُوسِ يَجْزِيهَا^(٤)
 أَبَقْتُ لَنَا شَرْفًا وَاللَّهُ يُبْقِيهَا
 مَفَاخِرُ وَلِسَانُ الدَّهْرِ يُمْلِيهَا
 جِيرَانِ رَوْضَتِهِ أَكْرَمُ بِأَهْلِيهَا
 أَنْصَارَهَا وَبِهِمْ عَزَّتْ أَوَالِيهَا^(٧)

(١) في ط : « كي يربها » وما أثبتناه عن نفع الطيب المخطوط (رقم ٣٠٩ تاريخ) .

وفي المطبوع : « كاد يدميها » .

(٢) في نفع الطيب : « مل » .

(٣) في نفع الطيب : « رق » .

(٤) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « أصحاب » وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٦) السموع : « السمعة » .

(٧) أوالها : أوائلها ، جمع أول . قدم اللام على العين ، ثم سهل الهذرة .

ففي حُنين وفي بذر وفي أُحد
ولتسأل السَّيرَ المرفوعَ مُسندُها
مَا تَرَى خَلَدَ الرحمنِ أَثَرَهَا
مَآذَا يُجِيدُ بليغٍ أَوْ يُنَمِّقَه
له الجهاد به تَسْرَى الرِّيحُ إلى
تُحْدَى الرِّكَابُ إلى البيتِ العتيق به
بشائر تُسَمِعُ الدُّنْيَا وساكِنَهَا
كُفَى خِلافَتِكَ الْفَرَاءَ مَنْقِبَةً
وقد أَفَادَ بَنِيهِ الدَّهْرُ تَجْرِبَةً
إِذَا رَمَيْتَ سِهَامَ الْعِزِّ (١) صَائِبَةً
شُكْرًا لِمَنْ عَظُمَتْ مِنَّا مَوَاهِبُهُ
عَمَّا قَرِيبَ تَرَى الْأَعْيَادَ مُقْبِلَةً
وتبلغُ الْعَايَةَ الْقُصْوَى بِشَائِرُهَا
فَاهْنَأْ بِمَا شَتَّتَ مِنْ صُنْعٍ تُسَرِّبُهُ
مَوْلَايَ خُذْهَا كَمَا شَاءَتْ بِلَاغَتِهَا
أَرْسَلْتُهَا حَيْثُمَا الْأَرْوَاحُ مُرْسَلَةٌ (٢)
جَاءَتْ تَهْنِئَتُكَ عِيدَ الْفَطْرِ (٣) مُعْجَبَةً
الْبَشَرِ فِي وَجْهِهَا وَالْيُمْنِ فِي يَدِهَا
تُلْفِي مَفَاخِرَهُمْ مَشْهُورَةً فِيهَا
فَمَنْ مَوَاقِفَهُمْ تَرَوَى مَغَازِيهَا
[يُنْصُطُّهَا (٤)] مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَارِيهَا
مِنْ الْكَلَامِ وَوَحْيِ اللَّهِ تَالِيهَا
مِمَّا لَكَ الْأَرْضُ مِنْ شَقَى أَقَاصِيهَا
فَمَكَّةُ عَمَرَتْ مِنْهُ نَوَادِيهَا
إِذَا دَعَا بِاسْمِكَ الْأَعْلَى مُنَادِيهَا
أَنَّ الْإِلَهَ يُؤَالِي مِنْ يُؤَالِيهَا
أَنْ الشُّعُودَ تَعَادَى مِنْ يَعَادِيهَا
فَمَا رَمَيْتَ بَلِ التَّوْفِيقُ رَامِيهَا
وَإِنْ تَعَدَّ فَلَيْسَ الْعَدُّ يُحْصِيهَا
مِنْ الْفُتُوحِ وَوَفَدَ النَّصْرُ حَادِيهَا
فَقَدْ أَظَلَّتْ بِمَا تَرْضَى مَبَادِيهَا
وَأَتَوْا الْأَمَانِيَّ فَلَا أَقْدَارَ تُدْنِيهَا
وَلَوْ تَبَاعَ لَكَانَ الْحَسَنُ يَشْرِيهَا
نَوَادِرًا تَنْشُرُ الْبُشْرَى أَمَالِيهَا
بِحَسَنِهَا وَلِسَانُ الصَّدَقِ يُطْرِيقُهَا (٥)
وَالسَّخَرُ فِي لَفْظِهَا وَاللَّذَرُ (٦) فِي فِيهَا

[٢٤٩]

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب وعن م .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين ط ، م : « العز » .

(٣) الأرواح : الرياح ؛ يريد أنه أطلقها مع الرياح تسير بها في كل ناحية .

(٤) في نفح الطيب : « النعر » .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي الأصل : « يقرئها » .

(٦) كذا في نفح الطيب . وفي الأصل : « القهد » .

لو رَصَّعَ البدرُ منها تاجَ مفرِّقه لم يَرْضَ دُرُّ الدَّراري أنْ تحلِّيها
فإن تكن بنتُ فكري وهو أوجدَها نَمَّاكَ في حِجره كانت تُرَبِّيها
في روضِ جُودِكَ قد طَوَّقَتْنِي مِننًا طوقَ الحمامَ فما سَجَمِي مُوفِّيها
ولو أُعِرْتُ لسانَ الدهرِ يشكرُها لكان يقصُرُ عن شكرِ بُوفِّيها
بَقِيَتْ للدينِ والدنيا إمامَ هُدًى مُبْلَغَ النفسِ ما ترجو أمانِها
والسعدَ يجرى لغاياتٍ ^(١) تَوَمَّلُها مادامت الشمسُ ^(٢) تجري في مجاريها

ومن ذلك أيضاً قوله هَناءَ لَمَوْلانا الجَدِّ رحمه الله بالفتح المغربي للسلطان ^(٣)
أبي العباس بن السلطان أبي سالم المريني :

هِيَ نَفْحَةٌ هَبَّتْ مِنَ الْأَنْصارِ أَهَدَتْكَ فَتَحَ ممالكِ الْأَمْصارِ
فِي بِشْرِها وَبِشارَةِ الدُّنيا بِها مُسْتَمْتَعُ الْأَسْماعِ وَالْأَبْصارِ
هَبَّتْ عَلَى قُطْرِ الْجِهادِ فَرَوَّحَتْ ^(٥) أَرْجاءُهُ بِالنَّفْحَةِ الْعِطارِ
وَسَرَتْ وَأَمَرَ اللهُ طَيَّ بُرودِها يَهْدِي الْبرِيَّةَ صُنْعَ لُطْفِ الْبارِي
مَرَّتْ بِأَذْواحِ الْمَنابرِ فَانْبَرَتْ خُطْبَها [مُفْتَنَةً] ^(٦) الْأَطْيَارِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي (ط) : « لآيات » .

(٢) في نفع الطيب : « مادامت الشهب ... الخ » .

(٣) يريد أن فتح المغرب كان على يد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني ، وكان السلطان ابن الأحمر يشد أزره في ذلك .

(٤) في ط : « الجهات » . وفي نفع الطيب : « الجياد » . والمعنى غير واضح على الروايتين ، وفي م : « الجهاد » . ويريد بـ « قطر الجهاد » الأندلس ، لما كان عليه أهله من استمرار الجهاد مع أعدائهم .

(٥) رَوَّحَتْ أَرْجاءَهُ ، أى جعلتها ممطرة بالرائحة الطيبة . وفي الأصول : « رَوَّحَتْ » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٦) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

حَنَنْتَ مَعَارِجُهَا^(١) إِلَى أَعْشَارِهَا^(٢) لَمَّا سَمِعْتَ بِهَا حَنِينَ عِشَارِ^(٣)
 لو أنصفتك لَكَلَّتْ أَدْوَحَهَا فَتَحَ الْفُتُوحَ أَتَاكَ فِي حُلِّ الرِّضَا
 تلك البشائرُ يانَعُ الأزهار بعجائب الأزمان والأعصار
 فَتَحَ الْفُتُوحَ جَنَيْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارٍ
 كَمْ آيَةٍ لَكَ فِي السُّعُودِ جَلِيلَةٍ خَلَّاتِ مِنْهَا عِبْرَةٌ اسْتَبْصَارٍ
 كَمْ حِكْمَةٍ لَكَ فِي النُّفُوسِ جَلِيلَةٍ خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَنِ الْأَفْكَارِ
 كَمْ مِنْ أَمِيرٍ أَمَّ بِابِكَ فَانْتَهَى يَدْعَى الْخَلِيفَةَ دَعْوَةَ الْإِكْبَارِ
 أَعْطَيْتَ أَحْمَدَ رَايَةً^(٤) مَنْصُورَةً بَرَكَاتُهَا تَسْرَى^(٥) مِنَ الْأَنْصَارِ
 أَرْكَبْتَهُ فِي الْمُنْشَأَتِ كَأَنَّمَا جَهَّزْتَهُ فِي وَجْهِ لِمَزَارِ
 مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الشَّرَاعِ مُصَفَّقٍ مِنْهَا الْجَنَاحُ تَطِيرُ كُلُّ مَطَارٍ
 أَلْقَتْ بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضَلَ عِنَانِهَا فَتَكَادُ تَسْبِقُ لَمْحَةَ الْأَبْصَارِ
 مِثْلَ الْجِيَادِ تَدَافَعَتْ وَتَسَابَقَتْ مِنْ طَافِحِ الْأَمْوَاجِ فِي مِضْمَارِ
 اللَّهُ مِنْهَا فِي الْمَجَازِ سَوَاجِحَ وَقَفْتَ عَلَيْكَ الْفَخْرَ وَهِيَ جَوَارِي
 لَمَّا قَصَدَتْ بِهَا مَرَامِي سَيْبَتَةٍ عَطَفَتْ عَلَى الْأَسْوَارِ عَطْفَ سِوَارِ
 لَمَّا رَأَتْ مِنْ صُبْحِ عَزْمِكَ غُرَّةً مُحْفُوفَةً بِأَشْعَةِ الْأَنْوَارِ
 وَرَأَتْ جَبِينًا دُونَهُ شَمْسُ^(٦) الضُّحَى لَبَّتْكَ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ

[٢٥٠]

- (١) كذا في نفح الطيب . والمعارج : جمع معراج ، وهو الدرج والمصعد ؛ يريد أن الأغصان في تفرعها وركوب بعضها بعضاً كالدرج . وفي الأصول : « معاشرها » .
 (٢) الأعشار : جمع عشر ، ولعله يريد به هنا أجزاء الألحان التي ترددها الأطيار .
 (٣) العشار : جمع عشار ، وهي الناقة الحديثة العهد بالنتاج .
 (٤) المراد بأحمد : السلطان أحمد بن أبي سالم المربني الذي فتح المغرب بنصرة ابن الأحمر له ، وأزال منه دولة أبي زيان بن عبد العزيز بن أبي الحسن المربني .
 (٥) في نفح الطيب : « تروى عن » مكان : « تسرى من » .
 (٦) في الأصول : « صبح » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

فَأَفْضَتْ فِيهَا مِنْ نَدَاكَ مُوَاهِبًا ^(١) حَسُنَتْ مُوَاقِعُهَا عَلَى التَّكَرَّارِ
وَأَرَيْتَ أَهْلَ الْغَرْبِ ^(٢) عِزِّمْ مُغَرَّبٌ قَدْ سَاعَدَتْهُ غَرَائِبُ الْأَقْدَارِ
وَحَطَبْتَ مِنْ فَاَسَ الْجَدِيدِ عَقِيلَةً لَبَّتْكَ طَوْنَعٌ تَسْبِرُوعٌ وَبِدَارِ
مَا صَدَّقُوا مَتْنِ الْحَدِيثِ بَفَتْحِهَا حَتَّى رَأَوْهُ فِي مُتَوْنِ شِفَارِ
وَتَسَمَّعُوا الْأَخْبَارَ بِاسْتِفْتَا حَا وَالْخُبْرُ قَدْ يَفْنَى عَنِ الْأَخْبَارِ
قُولُوا لِقِرْدٍ ^(٣) فِي الْوِزَارَةِ غَرْهٌ حِلْمٌ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
أَسَكَنْتَهُ مِنْ فَاَسَ جَنَّةٍ مُلْكُهَا مُتَنَعَمًا مِنْهَا بِدَارِ قَرَارِ
حَتَّى إِذَا كَفَرَ الصَّنِيعَةَ وَازْدَرَى بِحَقُوقِهَا أَلْحَقْتَهُ بِالنَّارِ
جَرَّعْتَ نَجْلَ الْكَاسِ كَأْسًا مُرَّةً ^(٤) دَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَتَفَ فِي الْإِسْكَارِ
كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ لَا تَأْنَسُ النَّعْمَاءُ بِالْكَفَّارِ
فَطَرَحْتَهُ طَرْحَ النُّوَاةِ فَلَمْ يَفْزُ مِنْ عِزِّ مُغَرِّبِهِ بِغَيْرِ فِرَارِ
لَمْ يَتَفَقْ خَلِيفَةُ مِثْلُ الَّذِي أَعْطَى الْإِلَٰهَ خَلِيفَةَ الْأَنْصَارِ

(١) في الأصول : « مواسما » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين ط ، م : « الشرق » .

(٣) يريد به الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان ابن الأحمر « الفتي بالله » قد سمح له بسكنى فاس بقية حياته ، إلا أنه لما بلغه عنه أنه يفرى سلطان بني مرين بتملك غرناطة أرسل في طلبه ، إلى أن كان ما كان من محبة ابن الخطيب التي سررت في الجزء الأول من هذا الكتاب ، في حديث مفصل . (انظر صفحة ٢٢٥ وما بعدها ، من الجزء الأول) .

(٤) نجل السكاس : هو أبو بكر بن غازي بن السكاس ، وزير السلطان عبد العزيز ابن أبي الحسن المريني والقائم بدولة ابنه أبي زيان من بعده ، وقد كان ابن الأحمر الفتي بالله طلب من السلطان ووزيره أن يسلموا إليه لسان الدين بن الخطيب ، لما بلغه أنه يجرى السلطان عبد العزيز على تملك غرناطة ، فامتنع السلطان ، وامتنع وزيره من تسليم ابن الخطيب ، فكان ذلك سبباً في مساعدة ابن الأحمر أبا العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن المريني على إقامة دولة بالمغرب الأقصى ، وانتزاع الملك من ابن عمه أبي زيان بن عبد العزيز الذي تولى بعد أبيه وكان طفلاً ، نكابة في وزيره أبي بكر ابن السكاس . (اقرأ تفصيل الموضوع في تاريخ ابن خلدون وفي الاستقصا للسلاوي) .

لم أذِرِ والأَيَّامُ ذاتُ عجائب تردادها يحلو على التذكّار
ألواء صُبْحٍ في ثَنِيَّةٍ مَشْرِقٍ أم راية في جَحْفَلٍ جَرَّارٍ
وشهابُ أَفْقٍ أَمْ سِنَانٌ لَامِعٍ ينقضُ نَجْمًا^(١) في سماءِ غُبَارٍ
ومناقبُ المولى الإمامِ مُحَمَّدٍ قد أشرقت أم هُنَّ زُهرِ دَرَارِي
فاق الملوكة بهمة غُلُوبَةٍ مِنْ دُونِهَا نَجْمُ السماءِ السَّارِي
لوصافح الكفِّ الخَضِيبِ^(٢) بكفه فَخَرَّتْ بنهرِ المعجزة جَارِي
والشَّهْبُ تطمع في مطالع أَفْقِهَا لو أحرزت مِنْهُ مَنِيْعُ جَوَارٍ
سَلَّ بالمشارقِ صُبْحُهَا عن وجهه يفتُرُ مِنْهُ عن جبين نَهَارٍ
سَلَّ بالغمامِ صَوْبَهَا عن كَفِّهِ [تُنْبِيكَ عن بَخْرِهَا زَخَارٍ]^(٣)
[سَلَّ بالبُرُوقِ صِفَاحَهَا عن عِزِّهِ]^(٤) تُخْبِرُكَ عن أَمْضَى شَبَابٍ وَغَرَارٍ
قد أحرز الشَّيْمُ الخَطِيئَةَ عند ما أَمْطَى العِزَّائِمَ صَهْوَةَ الأَخْطَارِ^(٥)
إِنْ يَلْقَ ذُو الإِجْرَامِ صَفْحَةَ صَفْحِهِ فَسَحَ القَبُولُ لَهُ خُطَا الأَعْمَارِ
يَا مَنْ إِذَا هَبَّتْ وَاسِمٌ حَمْدِهِ أَزْرَتْ بِعَرَفِ الرُّوضَةِ المِعْطَارِ
[يَا مَنْ إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمُ بَشْرِهِ وَهَبَ النُّفُوسَ وَعَاشَ فِي الإِقْتَارِ]^(٥)
يَا مَنْ إِذَا طَلَعَتْ شُمُوسُ سُعُودِهِ تُعْشِي أَشْعَتُهَا قَوَى الأَبْصَارِ
قَسَمًا بِوَجْهِكَ فِي الضِيَاءِ وَإِنِّهِ شَمْسٌ تُمِدُّ الشَّمْسَ بِالأَنْوَارِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصول : « نارا » .

(٢) الكف الخَضِيبُ : الخضوية ، ويطلق الكف الخَضِيبُ على نجم في السماء ، تشبيها له بالكف .

(٣) هذا الشطر عن نفع الطيب .

(٤) يريد بالشرط الثاني من هذا البيت أنه جعل ظهر الأخطار مطية لعزائم . وروايته في الأصول ونفع الطيب : « أَمْضَى ... الخ . وما أثبتنا أشبه بالمعنى .

(٥) هذا البيت عن نفع الطيب وم . وروايته : « عاش في الإقتار » وفيها غموض ، وفي م : « عاش في الإقتار » . يريد أنه إذا سئل بوجود بأمن ما يملك ويميش مضيقا على نفسه .

قَسَمًا بَعَزَمَكَ فِي الْمَضَاءِ وَإِنَّهُ (١)
 لَسَمَاحُ كَفَكَ. كُلَّمَا اسْتَوْهَبْتُهُ
 لَلَّهِ حَضْرَتِكَ الْعَلِيَّةُ لَمْ تَزَلْ
 كَمْ مِنْ طَرِيدٍ نَازِحٍ قَذَفْتَ بِهِ
 بَلَّغْتَهُ مَا شَاءَ مِنْ أَمَالِهِ
 صَيَّرْتَ بِالْإِحْسَانِ دَارَكَ دَارَهُ
 وَالْخَلْقُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْعَوْتَ الَّذِي
 كَمْ دَعْوَةٍ لَكَ فِي الْمُحَوَّلِ مُجَابَةً
 جَارَتْ بِحَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطَرِ النَّدَى
 فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا
 يَا مَنِ مَآثِرُهُ وَفَضْلُ جِهَادِهِ
 حُطَّتِ الْبِلَادُ وَمِنْ حَوْتِهِ تُعَوَّرُهَا
 فَلَرَبِّ بِكَرٍّ لِفَتْحِ خَطْبَتِهَا
 وَعَقِيلَةٍ لِلْكَفْرِ لَمَّا رُغَّتْهَا
 أَذْهَبَتْ مِنْ صَفْحِ الْوُجُودِ كَيْانَهَا
 عَمَرُوا بِهَا جَنَاتٍ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ
 صَبَّحَتْ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَطْلُوءَةٌ
 وَأَسْوَدَ وَجْهَ الْكَفْرِ مِنْ خِرْيٍ مَتَى
 سَيْفٌ تُجَرِّدُهُ يَدُ الْأَقْدَارِ
 يُزْرِي بَغِيثَ الدِّمَةِ الْمِدْرَارِ
 يُلْقِي الْغَرِيبُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ
 أَيْدِي النُّوَى فِي الْقَفَرِ رَهْنُ سِفَارِ
 فَسَلَا عَنْ الْأَوْطَانِ بِالْأَوْطَارِ
 مُتَّعَتْ بِالْحُسْنَى وَعُقْبَى الدَّارِ
 يُضْفِي عَلَيْهَا وَاقِيَ الْأَسْتَارِ
 أَغْرَتْ جُفُونَهُ الْمُزْنَ بِاسْتِعَارِ
 فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا [حُقُوقَ الْجَارِ] (٢)
 مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النَّوَارِ
 تُحْدَى الْقِطَارُ بِهَا إِلَى الْأَقْطَارِ
 وَكَفَى بِسَمْعِكَ حَامِيًا لِلِدِمَارِ (٣)
 بِالْمَشْرِيقَةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
 أَخْرَسَتْ مِنْ نَاقُوسِهَا الْمِهْدَارِ
 وَمَحْوَتْهَا إِلَّا مِنْ التَّنْذَارِ
 نِمِ انْتَنَوْا عَنْهَا دِيَارَ بَوَارِ
 فَأَعْدَتْهَا لِلْحَيْنِ مَوْقَدَ نَارِ
 مَا أَحْمَرَّ وَجْهَ الْأَبْيَضِ (٤) الْبَتَّارِ

(١) في الأصول : « قسما بوجهك في اللقاء وإنه » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٢) التكملة عن نفع الطيب .

(٣) جاء هذا البيت في الأصول متقدما على موضعه هنا بعد قوله : « صيرت بالإحسان » .

وقد راعينا الترتيب الذي ورد في نفع الطيب .

(٤) في الأصول : « المرهف » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

ولربّ رَوْضٍ لِلْفَنَاءِ^(١) متأوِّدٍ
 مِهَا حَكَتْ زَهْرُ الْأَسْنَةِ زَهْرَهُ
 تَصَلَّى بِهِ الْأَعْدَاءُ لَفْحَ أَوَارٍ
 قَدَّاحٍ زَنْدٌ لِلْحَفِيفَةِ وَارِي
 مُتَمَوِّجِ الْأَعْطَافِ فِي الْإِخْضَارِ
 مُحِلِّ السِّلَاحِ بِهِ عَلَى طَيَّارٍ
 فِي مُسْتَهْلٍ الْعُسْكَرِ الْجَرَّارِ
 لَمْ يَرْضَ بِالْجَوَازِ حَتَّى عِذَارٍ
 وَقَدْ ارْتَمَى مِنْ بَأْسِهِ بِشَرَارٍ
 وَكَسَاهُ مِنْ زَهْوٍ جَلَالٍ نُضَارٍ
 غَلَسُ يَخَالِطُ سُذْفَةً بِنَهَارٍ
 رَوْضٍ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقٍ بِبَهَارٍ
 حَتَّى يُخَالِطَ [بِالْدَمِ الْمَوَّارِ]^(٢)
 غُرَّرَ تَلُوحُ بِأَوَجِهِ الْأَعْصَارِ
 بِلَوَاءِ خَيْرِ الْخَلْقِ لِلْكَفَّارِ^(٣)
 إِذْ كَانَ جَدَّكَ سَيِّدَ الْأَنْصَارِ
 وَالْمُضْطَقُّونَ لِنُصْرَةِ الْمُخْتَارِ
 السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ إِلَى الْهُدَى

(١) الفناء ، أى الدناء (بالمد) فقصره للشعر .

(٢) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصل « بعده » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) الأشعل : من الشعلة (بالضم) ، وهى البياض فى ذيل الفرس والناصية والغدال .

(٤) التكلمة عن نفع الطيب .

(٥) يريد سعد بن عبادة الأنصارى سيد الخرج ، وبنو الأحمر من سلالة . ويشير إلى حل سعد لرأية الرسول يوم فتح مكة .

مُهْلَلُونَ إِذَا النَّزِيلُ عَرَاهُمْ
 مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ إِذَا اخْتَبَى
 قَدْ لَاثَ صُبْحًا فَوْقَ بَذَرٍ بَعْدَ مَا
 فَاسَأَلَ بِبَذَرٍ عَنْ مَوَاقِفِ بَأْسِهِمْ
 لَهُمُ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالَى فَخْرِهَا
 وَإِذَا كَتَابَ اللَّهُ يَتْلُو حَمْدَهُمْ
 يَا بَنَ الَّذِينَ إِذَا تَذَوَّكَرَ نَفْرُهُمْ
 حَقًّا لَقَدْ أَوْضَحْتَ مِنْ آثَارِهِمْ^(١)
 أَصْبَحْتَ وَارِثَ مَجْدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ
 يَا صَادِرًا فِي الْفَتْحِ عَنْ وَرْدِ الْمُنَى
 وَاهْنًا بِفَتْحِ جَاءِ يَسْتَمِلُ الرِّضَا
 وَإِلَيْكُمَا مِلءُ الْعِيُونِ وَسَامَةٌ
 تُجْرِي خُدَاةُ الْعَيْسِ طَيْبَ حَدِيثِهَا
 إِنْ مَسَّهِمْ لَفَتْحُ الْهَجِيرِ أَبْلَهُمْ
 وَتُمِيلُ مَنْ أَصْفَى لَهَا فَكَأَنِّي
 قَذَفْتُ بِمَجُورِ الْفَكْرِ مِنْهَا جَوْهَرًا
 لَا زَلَّ لِلْإِسْلَامِ سِتْرًا كَلَّمَا
 وَبَقِيَتْ يَابِذَرُ الْهُدَى تَجْرِي بِمَا

سَفَرُوا لَهُ عَنْ أَوْجِهِ الْأَقْفَارِ
 تَلْقَاهُ مَعْصُوبًا بِتَاجِ فَخَارِ^(١)
 لَبَسَ الْمَكَارِمَ وَارْتَدَى بَوَقَارِ
 فَهُمْ تَلَاقَوْا أَمْرَهُ بِبِدَارِ
 تَقَلُّ الرِّوَاةِ عَوَالِي الْأَخْبَارِ
 [أَوْ دَى الْقُصُورُ بِمَنَّةِ الْأَشْعَارِ
 فَخَرُوا بِطَيْبِ أَرْوَمَةِ وَنِجَارِ
 لَمَّا أَخَذَتْ لَدِينِهِمُ بِالْثَّارِ
 وَمُشْرِفِ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ
 رَدَّ نَاجِحَ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ
 جَذْلَانَ يَرْفُلُ فِي حِلَى اسْتِبْشَارِ
 حَيْثُكَ بِالْأَبْكَارِ مِنْ أَفْكَارِ
 يَتَعَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الْأَكْوَارِ
 مِنْهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ الْمِغْطَارِ
 عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كُثُوسُ عُقَارِ
 لَمَّا وَصَفَتْ أَنْامِلًا بِبِحَارِ
 أُمَّ الْحَجَجِيجِ الْبَيْتِ ذَا الْأُسْتَارِ
 شَاءَتْ عُلَاكَ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ

انتهى ما تعلق به الغرض من هذا التأليف الملوكي ، وقد أتيت به بحروفه

(١) يريد إذا جلس في ندى قومه محتبياً على عادة العرب ، كان على رأسه تاج المخار والرياسة والعرف .

(٢) التكملة عن نفع الطيب .

شعر اختاره
 المؤلف أيضاً من
 كتاب ابن الأحرر

من أوله إلى هذا الموضع ، وتتبعه يطول ، ولكنى أنتقى منه نبذة زائدة على ما سبق ، من مواضع شتى ، فنقول :

في مدح الغنى بالله
وتجديد الدولة
الأحمدية

قال المؤلف رحمه الله : ومن ذلك ^(١) أنشاء وجهه مولانا الجد رحمه الله لتجديد الدولة الأحمدية ^(٢) ، صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة :

هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ مَعَ السَّحَرِ فَاسْتَيْقَظَتْ فِي الدَّوْحِ أَجْفَانُ الزَّهَرِ
وَرَمَى الْقَضِيبُ دَرَاهِمًا مِنْ نَوْرِهِ فَاعْتَاظَ مِنْ طَلِّ الْغَامِ بِهَا دُرَرُ
نَثَرَ الْأَزْهَارَ بَعْدَ مَا نَظَّمَ النَّدى يَا حُسْنَ مَا نَظَّمَ النَّسِيمُ وَمَا نَثَرَ
قُمْ هَاتِيهَا وَالْجَوْوُ أَزْهَرُ بِاسْمِ شَمْسًا تَحُلُّ مِنَ الزَّجَاجَةِ فِي قَمَرِ
إِنْ شَجَّهَا بِالمَاءِ كَفَتْ مُدِيرَهَا تَرَمِيهِ مِنْ شُهْبِ الْحَبَابِ بِهَا شَرَرُ
نَارِيَّةٍ نُورِيَّةٍ مِنْ ضُوءِهَا يَقْدُ ^(٣) السَّرَاجُ لَنَا إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ
لَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ إِلَّا صِبْغَةً قَدِ ارْعِشَتْ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفِ الْكِبَرِ
[٢٥٤] مِنْ عَهْدِ كِسْرَى لَمْ يُفَضَّ خِتَامُهَا إِذْ كَانَ يَذْخَرُ كَنْزَهَا فِيمَا ذَخِرَ
كَانَتْ مُذَابِ التَّبَرُّ فِيمَا قَدْ مَضَى فَأَحَالَهَا ذَوْبَ اللَّجَيْنِ لِمَنْ نَظَرَ
جَدَّدَ بِهَا عُرْسَ الصَّبُوحِ ^(٤) فَإِنَّهَا بِكَرْ تَحْيِيهَا الْكِرَامُ مَعَ الْبُكْرِ
وَابْلُلْ بِهَا رِيْقَ ^(٥) الْأَصِيلِ عَشِيَّةٍ وَالشَّمْسُ مِنْ وَعْدِ الْغُرُوبِ عَلَى خَطَرِ

(١) يريد : من شعر ابن زمرك في سلطانه الغنى بالله .
(٢) تولى أبو العباس أحمد بن أبي سالم المربني سلطنة المغرب الأقصى مرتين ، بمساعدة الغنى بالله بن الأحرر ملك غرناطة ، الأولى من سنة ٧٧٦ إلى سنة ٧٨٦ ؛ والثانية من سنة ٧٨٩ إلى سنة ٧٩٦ وهذه هي المشار إليها هنا . (انظر الاستقصا للسلوى) .

(٣) في نفح الطيب : « قدح » .
(٤) كذا في نفح الطيب . وفي الأصل : « العروس » .
(٥) في نفح الطيب : « رتي » . وهو تحريف .

مُحَرَّمَةٌ مُصْفَرَّةٌ قَدْ أَظْهَرْتُ
 مِنْ كَفِّ شَفَافٍ تَجَسَّدَ نَوْرُهُ
 تَهَوَّى الْبُذُورُ كَالَهُ وَتَوَدَّ أَنْ
 قَدْ حَظَّ نُونٌ عِذارِهِ فِي حَذِّهِ
 وَآلَى عَلَيْكَ بِهَا الْكَثُوسَ وَرَبَّمَا
 سُكْرُ النَّدَامَى مِنْ يَدَيْهِ وَلِحْظِهِ
 حَيْثُ الْهَدِيلُ مَعَ الْهَدِيرِ تَنَاعِيًا
 وَالْقُضْبُ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ كَأَنَّهَا
 مُتَلَاعِبَاتٍ فِي الْحُلِيِّ يَنْوُبُ فِي
 وَالزَّجْسِ الْمَطْلُولُ يَرْنُو نَحْوَهَا
 وَالنَّهْرُ مَصْقُولُ الْحُسَامِ مَتَى يَرِدُ
 يَجْرَى عَلَى الْحَضْبَاءِ وَهِيَ جَوَاهِرُ
 هَلْ هَذِهِ أَمْ رَوْضَةُ الْبُشْرَى الَّتِي
 لَمْ أُدْرِ مِنْ شَغَفٍ بِهَا وَبِهَذِهِ
 جَاءَتْ بِهَا الْأَجْفَانُ^(١) مِلءٌ ضُلُوعُهَا
 وَمُسَافِرٍ فِي الْبَحْرِ مِلءٌ عِثَانُهُ
 قَادَتُهُ نَحْوُكَ بِالْخِطَامِ كَأَنَّهُ
 وَأَرَاهُ دِينَ اللَّهِ عِزَّةً أَهْلَهُ

حَجَلُ الْمُرِيبِ يَشُوبُهُ وَجَلُّ الْعَذْرِ
 مِنْ جَوْهَرٍ لَأَلَاءِ بَهْجَتِهِ^(٢) بَهَرُ
 لَوْ أُوتِيتَ مِنْهُ الْحَاسِنَ وَالْقُرَرَ
 قَلَمَانٍ مِنْ آسٍ هُنَاكَ وَمِنْ شَعَرٍ
 يَسْقِيكَ مِنْ كَأْسِ الْفُتُورِ إِذَا فَتَرَ
 مُتَعَاقِبٌ مَهْمَا سَقَى وَإِذَا نَظَرَ
 فَالطَّيْرُ تَشْدُو فِي الْغُصُونِ بِلَا وَتَرٍ
 وَفَدَّ الْأَحْبَةَ قَادِمِينَ مِنَ السَّفَرِ
 وَجَنَاتِهِنَّ الْوَرْدُ حُسْنًا عَنْ خَرِّ
 بِلَوَاحِظٍ دَمْعُ النَّدَى مِنْهَا انْهَمَرُ
 دِرْعُ الْفَدِيرِ مُصَفَّقًا فِيهِ [صَدَرَ]^(٣)
 مُتَكَسِّرًا مِنْ فَوْقِهَا. مَهْمَا عَثَرَ
 فِيهَا لِأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ مُعْتَبِرُ
 مَنْ مِنْهَا فَتَنَ الْقُلُوبَ وَمِنْ سَحَرِ
 مِلءِ الْخَوَاطِرِ وَالْمَسَامِعِ وَالْبَصَرِ
 وَافَى مَعَ الْفَتْحِ الثُّبِينِ عَلَى قَدَرِ
 حَجَلٍ يُسَاقُ إِلَى الْقِيَادِ وَقَدْ نَفَرَ
 بِكَ يَا أَعْفَى الْقَادِرِينَ إِذَا قَدَّرَ

(١) في نفع الطيب : « مبهجته » .

(٢) التكلية عن نفع الطيب .

(٣) يريد بالأجفان : المراكب ؛ الواحد : جفن . وهي كلمة أندلسية ، ذكرها دوزي .

بهذا المعنى في تكلية المعاجم العربية .

يا غفرَ أندلسٍ وعِصمةَ أهلها لله سرٌّ في اختصاصك قد ظهر
كم مُفضِّلٍ من دائها عالجته فشفيت منه بالبدار والبدَر
ماذا عسى يصف البليغُ خليفةً والله ما أياؤه إلا غرر
ورُئتَ هذا الفخرَ يا ملكَ الهدى عن كل من آوى النبيّ ومن نصر
من شاء يعرفُ فخرهم وكلامهم فليتلُ وحيَ الله فيهم والسير
أبناءؤهم أبناء نصرٍ بعدُهم بسيوفهم دينُ الإله قد انتصر
مولايَ سعدك والصباحُ تشابها وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الغرب عبْدُ آبق لم يُلَفِ غيرك في الشدائد من وَزَر^(١)
كفر الذي أوليته من نعمة والله قد حتم العذاب لمن كفر
إن لم يمت بالسيف مات بغيظه وصلى سعيراً للتأسف والفكر^(٢)
ركب الفرار مطيّة ينجو بها فجرت به حتى استقر على سقر
وكذا أبو تحو وكان حمامه قد حُمَ وهو من الحياة على غرر^(٣)
بلّغته - والله أكبرُ شاهدٍ - ماشاء من وطن يعزّ ومن وطّر
حتى إذا جحد الذي أوليته لم تُبقِ منه الحادثات ولم تذر
في حاله والله أعظمُ عِبرة لله عبْد في القضاء قد اعتبر
فاضبر تنكلاً أمثالها في مثله إن العواقب في الأمور لمن صبر
ردحيث شئت مسوّغاً وردّ المني فالله حسبك في الورود وفي الصّدَر

[٢٠٠]

(١) يريد : الوزير لسان الدين بن الخطيب .

(٢) يشير إلى ما جرى على الوزير ابن الخطيب من الخنق ثم الحرق .

(٣) هو : أبو حمو موسى بن يوسف الزياني سلطان المغرب الأوسط ، من بني عبد

الواد ، وكان بينه وبين ملوك المغرب الأقصى من المرينيين مجاذبات وحروب

كثيرة فصلها ابن خلدون في تاريخه ، واللاوى في الاستقصا .

لَا زِلْتَ محروساً بعين كَلَاةٍ مادام عينُ الشمس تُعْشِي مَنْ نَظَرُ
ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التغزل طَوْعَ بداره، وَحُجَّةَ اقتداره، فقال :
والعودُ في كفِّ النديمِ بِسْرٍ ما تُلْقِي لَنَا مِنْهُ الْأَنَامِلُ قَدْ جَهَرَ
غَنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ بِدَوْحِهِ وَالْآنَ غَنَى فَوْقَهُ ظَلْمِي أَغْرَ
عودِ ثَوَى حِجْرِ الْقَضِيبِ رَعَى لَهُ أَيَّامَ كَانَا فِي الرِّيَاضِ مَعَ الشَّجَرِ
لَا سِيَّامَا لَمَّا رَأَى مِنْ ثَغْرِهِ زَهْرًا وَأَيْنَ الزَّهْرِ مِنْ تِلْكَ الدَّرَرِ !
وَيَظُنُّ أَنَّ عِذَارَهُ مِنْ آسِهِ وَيَظُنُّ تَفَاحَ الْخُدُودِ مِنَ الثَّمَرِ
يَسْنِي الْقُلُوبَ بِلَفْظِهِ وَبِلَحْظِهِ [وَأَفْتِنِي] ^(١) بَيْنَ التَّكَلُّمِ وَالنَّظَرِ
قَدْ قَيْدَتْهُ لَأَنَسْنَا أَوْتَارَهُ كَالظَّبْيِ قَيْدٌ فِي الْكِنَاسِ إِذَا نَفَرَ
لَمْ يُبَلِّ قَلْبِي قَبْلَ سَمْعِ غِنَائِهِ بِمُعْذَرٍ سَلَبَ الْعُقُولَ وَمَا اعْتَذَرَ
جَسَّ الْقُلُوبَ بِجَسَّهِ أَوْتَارَهُ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَنَا بَيْنَ الْوَتَرِ
نَمَتْ لَنَا الْحُيَّانُ بِجَمِيعِ مَا قَدْ أَوْدَعَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْفِكْرِ ^(٢)
يَا صَامِتًا وَالْعُودَ تَحْتَ بَنَانِهِ يُغْنِيكَ نُطْقُ الْخُبْرِ فِيهِ عَنِ الْخَبَرِ
أَغْنَى غِنَاؤُكَ عَنْ مُدَامِكَ يَاتُرَى هَلْ مِنْ لِحَاطِكَ أَمْ بَنَانِكَ ذَا السَّكَرِ
بَاحَتْ أَنْامِلُكَ اللَّدَانُ بِكُلِّ مَا كَانَ الْمُتَمِّمُ فِي هَوَاهُ قَدْ سَتَرَ
وَمُقَاتِلٍ مَا سَلَّ غَيْرَ لِحَاطِهِ وَالرَّمَحَ هَزَّ مِنَ الْقَوَامِ إِذَا خَطَرَ
دَانَتْ لَهُ مِنَّا الْقُلُوبُ بِطَاعَةٍ وَالسَّيْفَ يَمْلِكُ رَبَّهُ فِيمَنْ قَهَرَ ^(٣)

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه :

وقال شاكرًا لنعمة وصلته من مولانا رحمة الله عليه في عاشوراء :

في شكر السلطان
لنعمته وصلته في
عاشوراء

(١) تكملة عن نفع الطيب .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل محرفاً ومحدوف بمض الكلمات . وقد أثبتناه عن نفع الطيب .

(٣) في نفع الطيب : « مها قهر » .

مولائى يابن السابقين إلى العلا
إن لوحقوا^(١) في المغلوات^(٢) فإنهم
أو فوخروا في المكرومات فإنهم
أبناء أنصار النبي وصبيه
والمؤثرين وربنا أننى بها
فاضت علينا من نذاك غمام
من كف شفاف الضياء تحاله
نعم منوعة تعدد وفرها
في موسم للدين قد جدته
أضعاف ما أهديتنا^(٣) من منة
وعلى الطريق بشائر محمودة
والرافعين لواءها المنشـورا
طلعوا بأفاق العلاء بدورا
نظموا بأسلاك الفخار شذورا
في الذكر أصبح نخرهم مذكورا
في الحشر خلد وصفهم مسطورا^(٤)
وتفجرت من راحتك بحورا
لصفاء جوهره تجسد نورا
أعجزت عنها شكرى الموفورا
وأقت فينا عيده المشهورا
تهدى إليك ثوابها عاشورا
ألقاك جذلانا بها مسرورا

في وصف قرنفل
بجبل الفتح

ثم قال : ومن لفظه في وصف القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد
وقع له مولانا الغنى بالله بذلك ، فارتجل قطعة ، منها :

أتونى بنوار يروق نصارة
تخد الذى أهوى وطيب تنفسه
وجاءوا به من شاق ممتنع
تمنع ذاك الطلبي في ظل مكنسه
رعى الله منى عاشقا متفتحا
بزهر حكى في الحسن خد مؤنسه

[٢٥٧]

(١) كذا في (ط) وفي نفع الطيب : « لوحظوا » .

(٢) المغلوات : جمع معلوة (ككرمة) . يريد بها العالي ، ولم نجد المعلوة (بوزن
مكرمة) في المعاجم التى بين أيدينا .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الحشر في مدح أنصار النبي : (والذين نبؤوا الفار
والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما
أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(٤) في النسخة المخطوطة من نفع الطيب المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٦٠) : « حملتنا »

وإن هبَّ خَفَّاقُ النسيمِ بِنَفْحَةٍ حَكَتْ عَرَفَهُ طَيْبًا قَضَى بِتَأْنُسِهِ

ومنها :

رَعَى اللهُ زَهْرًا يَنْتَمِي لِقَرْنَفُلٍ حَكَى عَرَفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ خَدِّهِ
وَمَنْبَتُهُ فِي شَاهِقٍ مُتَمَنِّعٍ كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْبُوبُ فِي تَيْهِ صَدِّهِ
أَمِيلُ إِذَا الْأَغْصَانُ مَالَتْ بِرَوْضَةٍ أَعَانِقُ مِنْهَا الْقُضْبَ شَوْقًا لِقَدِّهِ
وَأَهْوَى لِخَفَّاقِ النسيمِ إِذَا سَرَى وَأَهْوَى أَرْجِيحَ الطَّيِّبِ مَنْ عَرَفَ بَدِّهِ

ومنها :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى الزَّهْرَ يَانِعًا وَقَدْ نَازَعَ الْمَحْبُوبَ فِي الْحُسْنِ وَصْفُهُ
وَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي كَزَهْرِ قَرْنَفُلٍ حَكَى خَدَّ مَنْ يَسْنِي الْفَوَادَ وَعَرَفَهُ
تَمْنَعُ فِي أَعْلَى الْمِضَابِ لِمُجْتَنٍ تَمْنَعُهُ مِنِّي إِذَا رُمْتُ إِلَيْهِ
وَفِي جَبَلٍ الْفَتْحَ اجْتَنَوْهُ تَقَاوُلًا بَفَتْحِ لِابَابِ الْوَصْلِ يَمْنَحُ عَطْفَهُ
[وَمَا ضَرَّ ذَاكَ الْغُضْنَ وَهُوَ مُرَنَّحٌ إِذَا مَا ثَنَى نَحْوَ الْمُتَمَيِّمِ عِطْفَهُ] ^(١)

ثم قال : ومن قصائده التي يؤدِّ الصَّباحُ سناها ، والنسيم اللِّدن رقة معناها ،
يُهْنِي مولانا الجِدَ رضى الله عنه ، عند وصول خالصة مقامه ، وكبير خُدَّامه ،
القائد خالد ، رحمه الله تعالى ، من تلمسان بالهدية ، وتجديد المقاصد الودية ، ووافق
استئناف راحة من الذات العلية ، ومن بعض فروع دوحها الزكيته :

أَدْرِهَا ثَلَاثًا مِنْ لِحَاظِكَ وَاحِبِسِ فَقَدْ غَالَتْ مِنْهَا الشُّكْرُ أَبْنَاءَ مَجْلِسِ
إِذَا مَا نَهَانِي الشَّيْبُ عَنْ أَكْوَسِ الطَّلَا تُدِيرُ عَلَيَّ الْخَمَرَ مِنْهَا بَأَكْوَسِ
عَذِيرِي مِنْ لِحَظٍ ضَعِيفٍ وَقَدْ غَدَا يُحَكِّمُ مِنَّا فِي جُسُومٍ وَأَنْفُسِ

وروض شبابٍ ماسٍ غُصْنُ قَوامِهِ
وما زال وَزْدَ الخَدِّ وهو مُضعِفٌ
وكم جالِ طِرفِ الطرفِ في روضِ حُسْنِهِ
أما وليا لي الوَصْلِ في رَوْضَةِ الصَّبَا
لئن نَسِيتُ تلكَ العهودَ أَحَبَّتِي
وحاشا لِنَفْسِي بعد ما افترَّ فَوْدُها [٢٠٨]
وَأَلْبَسَهَا ثوبَ الوَقَارِ خَلِيفَةُ
وَجَدَدٍ لِلْفَتْحِ المُبِينِ مَواسِمًا
وَأَوْرَثَهُ العُلَيَاءَ كُلَّ خَلِيفَةٍ
فيا زاجِرَ الأظْغانِ وهى ضَوائرُ
إذا جِثَّتْ من دارِ الغَنيِّ رَبِّه
فإن شئتَ من بحرِ السَّماحَةِ فاغترفِ
أُمُولايَ وَالْيَ السَّعْدُ مِنْكَ وَلايَةَ^(٣)
إذا شئتَ أَنْ تَرِمِي القَصِيَّ مِنَ المَنَى
فَتَرِمِي بِسَهْمٍ مِنْ سُمُودِكَ صَائِبِ
أَهْنِيكَ بِالْإِبْلالِ مِمَّنْ شِفاؤُهُ
وَدَعْنِي أُرِدِّ يُمْنَاكَ فَهِيَ غَمَامَةٌ

وَفَتَحَ فِيهِ اللَّحْظُ أَزْهَارَ نَرَجِسٍ
يُعِيرُ أَفَاحَ الثَّغْرِ طِيبَ تَنْفَسٍ
يُقَيِّدُهُ فِيهِ الْعِذارُ بِسُنْدُسٍ
وَمَا لَفِ أَحْبَابِي وَعَهْدِ تَأَنُّسِي
فَقَلْبِي عهودَ العَامِرِيَّةِ ما نَسِي
من الشَّيْبِ عَنْ صُبْحٍ بِهِ مُتَنَفِّسٍ
[بِهِ لَبَسَ الْإِسْلَامُ أَشْرَفَ مَلْبَسٍ]^(١)
أَقَامَ بِهَا الْإِيْمَانُ أَفْراحَ مُغْرَسٍ
نَمَّاءُ إِلَى الْأَنْصارِ كُلِّ مُقَدَّسٍ
بَغِيرِ الْفَلا وَالْوَحْشِ لَمْ تَتَأَنَّسِ
مُنَاخَ الْعُلا وَالْعَزَّ فَاَنْزِلَ^(٢) وَعَرَّسِ
وَإِنْ شِئْتَ مِنْ نُورِ الْهُدَايَةِ فَاقْبِسِ
أَنَارَتْ بِهَا الْأَكْوانُ جَذْوَةَ مُقْبِسِ
تَدَوَّرُ لَكَ الْأَفْلاكُ مَرْفُوعَةِ الْقِسِي
سَدِيدٍ لِأَغْراضِ الْأُمَانِي مُقَرَّطِسِ^(٤)
شِفاؤُكَ فَاسْكُرْ مِنْ تُلَاقِي وَقَدَّسِ
تُبَحِّلْ صَوْبَ الْعَارِضِ الْمُتَبَجِّسِ^(٥)

(١) التَّكَلُّفَةُ عَنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

(٢) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « فاعقل » .

(٣) رِوَايَةُ هَذَا الشَّطْرِ فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « أُمُولايَ إِنْ السَّعْدُ مِنْكَ لآيَةٌ » .

(٤) يُقَالُ : رَمَى فُقْرَطِسَ ، إِذَا أَصَابَ الْفَرَسُ .

(٥) الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ . وَالتَّبَجُّسُ : السَّحَابُ الْمُنْهَمِرُ .

أَقْبَلُ مِنْهَا رَاحَةً إِنْ رَاحَةً
وَمَنْ نَسَبَ الْفَتْحَ الْمُبِينَ وَلَادَةً
فِي أَيِّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بِكَالِهِ
[لَا مَنَّةَ (٢)] مُوسَى (٣) مِنْ عَوَادِي سَمِيَّةٍ
بَعَثَ بِمَيْمُونِ النَّقِيبَةِ ، فِي اسْمِهِ
جَاءَكَ بِالْمَالِ الْعَرِيبُ هَدِيَّةً
وَشَفَعَهَا بِالصَّافِنَاتِ كَأَنَّهَا
تَنْصُصُ مِنَ الْإِشْرَافِ جِيدَ غُرَالَةٍ
لَكَ الْخَيْرُ ، مُوسَى مِثْلُ مُوسَى كَلَاهَا
فَلَا زِلْتُ فِي ظِلِّ النِّعَمِ وَكُلُّ مَنْ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلَ حَمْدِكَ عَاطِرٌ

أَتَتْكَ بِهَا الرُّكْبَانُ مِنْ بَيْتٍ مُقَدَّسٍ
إِلَيْهِ بِغَيْرِ الْفَخْرِ لَمْ يَتَأَسَّسْ (١)
خِلَافُ هَذَا الْعَصْرِ فِي الْفَخْرِ تَأْتِي
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَبْرَحْ بِخِيفَةِ مُوجِسٍ
خُلُودٌ لِعَزٍّ ثَابِتٍ مَتَأَسَّسٍ
بِهَا الدِّينُ أَثْوَابَ الْمَسْرَةِ يَكْتَسِي
وَقَدْ رَاقَ مَرَّأَاهَا جَاذِرَ مَكْنَسٍ
وَتَرَنُومِ الْإِيْجَاسِ عَنْ لِحْظِ أَشْوَسٍ
بَغِيرِ شِعَارِ الْوُدِّ لَمْ يَتَبَلَّسْ
يَعَادِيكَ لَا يَنْفَكُ يَشْقَى بِأَبْوَسٍ
نَفْسُ وَجْهِ الصَّبْحِ عَنْهُ بِمَقْطَسٍ

ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه وبعض ميلادياته :

وأنشد في مولد عام خمسة وستين :

لَعَلَّ الصَّبَا إِنْ صَاحَتْ رَوْضَ نَعْمَانٍ
وَمَاذَا عَلَى الْأَرْوَاحِ وَهِيَ طَلِيقَةٌ
وَمَا حَالُ مَنْ يَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ سِرَّهُ
وَكَالطَّيْفِ اسْتَقْرِيهِ فِي سِنَةِ الْكَرَى

تُوَدِّي أَمَانَ الْقَلْبِ عَنْ ظَبْيَةِ الْبَانِ
لَوْ احْتَمَلَتْ أَنْفَاسُهَا حَاجَةَ الْعَانِي
وَيَطْلُبُهَا وَهِيَ لِلنَّمُومِ بِكَيْمَانٍ
وَهَلْ تَنْقَعُ الْأَحْلَامُ غُلَّةَ ظَمْآنٍ

[٢٠٩]

(١) أى لم يقيم دعواه على أساس .

(٢) التكملة عن نفع الطيب .

(٣) موسى : هو موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن المربني ، قامت له دولة بالمغرب الأقصى بمساعدة ابن الأحمر من سنة ٧٨٦ إلى سنة ٧٨٨ هـ . أما سميته فلمله يقصد به أبا حمو موسى بن يوسف الزياني من بني عبد الواد ، سلطان المغرب الأوسط ، وكان كثير الشغب على ملوك المغرب الأقصى .

في مولد عام
خمس وستين

أَسْأَلُ عَنْ نَجْدٍ وَمَرْمَى صَبَابِي
وَأُبْدِي إِذَا زِيحَ الشَّمَالِ تَنَفَّسَتْ
عُرِفْتُ بِهَذَا الْحَبِّ لَمْ أَدْرِ سَلَوَةَ
فِيَا صَاحِبِي نَجْوَايَ وَالْحَبُّ غَايَةُ
وَرَاءَكَ مَا اللُّومُ يَثْنِي مَقَادَتِي
وَأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَبْيَّ قِيَادُهُ
وَلَا زِلْتُ أَرْعَى الْعَهْدَ فِيمَنْ يُضِيعُهُ
فَلَا تُنْكِرَا مَا سَمَنِي مَضَضَ الْهُوَى
لِي اللَّهِ إِمَّا أَوْمِضَ الْبَرْقُ فِي الدُّجَى
وَإِنْ سُلِّ مِنْ غَمْدِ الْغَمَامِ حُسَامُهُ
تَرَأَى بِأَعْلَامِ الثَّنِيَّةِ بِاسْمَا
أَسَامِرُ نَجْمِ الْأَفْقِ حَتَّى كَأَنَّنَا
وَمِمَّا أَنَا فِي الْأَفْقِ أَعْدِيهِ بِالْجَوَى
وَيُرْسِلُ صَوْبَ الْقَطْرِ مَنْ فَيْضُ أَدْمُعِي
وَضَاعِفُ وَجْدِي رَسْمُ دَارِ عَهْدَتِهَا
عَلَى حِينَ شَرِبْتُ الْوَصْلَ غَيْرُ مُصَرَّدٍ
لَنْ كَدَّرْتُ عَيْنِي الطَّلُوفُ فَانْهَا
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الدَّمْعِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ مَرَى الرِّكْبُ مَوْهِنًا
غَوَارِبُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ تَخَالُهَا

مَلَاعِبَ غَزْلَانِ الصَّرِيمِ بَنَعَانِ
شِمَائِلَ مُرْتَاحِ الْمَعَاطِفِ نَشْوَانِ
وَأَنِّي لِمُسْلُوبِ الْقَوَادِ بَسْلَوَانِ
فَمِنْ سَابِقٍ جَلَّى مَدَاهُ وَمِنْ وَاوِي
فَأَنِّي عَنْ شَانَ الْعَلَامَةِ فِي شَانَ
لِيَا مُرْنِي حُبِّ الْحِسَانِ وَيَنْهَانِي
وَأَذْكَرُ إِلْفِي مَا حَيِّتُ وَيَنْسَانِي
فَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَوْدَى بَقِيسَ وَغِيلَانَ^(١)
أَقْلَبْتُ تَحْتَ اللَّيْلِ مُقَلَّةً وَسَنَانِ
بَرَى كَبْدِي الشُّوقُ الْمِلْمَ وَأَضْنَانِي
فَأَذْكَرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَأَبْكَانِي
وَقَدْ سَدَّلَ اللَّيْلُ الرِّوَاقَ حَلِيفَانِ
فَأَرْعَى لَهُ سَرَّحَ النُّجُومِ وَيَرْعَانِي
وَيَقْدَحُ زَنْدَ الْبَرْقِ مِنْ نَارِ أَشْجَانِي
مَطَالَعِ شُهْبٍ أَوْ مَرَاتِعَ غَزْلَانِ
وَصَفْوِ اللَّيَالِي لَمْ يُكْذَرِ بِهِجْرَانِ
تَمَّتْ إِلَى قَلْبِي بِذِكْرِ وَعِرْفَانِ
سَقَى تَرْبَهَا حِينَ اسْتَهْلَ وَأُظْهَانِي
تُقَادُ بِهِ هُوجُ الرِّيَّاحِ أَبَارِسَانِ
وَقَدْ سَبَّحَتْ فِيهِ مَوَاحِرَ غَرْبَانِ

(١) قيس : المراد به قيس بن الملوح مجنون بن عامر . وغيلان : ذو الرمة الشاعر .

على كل نضو مثله فكأنما
 ومن زاجر كؤماء مُحطَفَة الحشى
 نَشَاوَى غَرَامٍ يَسْتَمِيل رءوسهم
 أجابوا نداء البين طَوْعَ غرامهم
 يَوْمُونُ مِنْ قَبْرِ الشَفِيعِ مَثَابَةً
 إذا نزلوا من طَبِيبَةِ بجواره
 [بِحَيْثُ عَلَا الْإِيمَانُ وَامْتَدَّ ظِلُّهُ
 مَطَالَعُ آيَاتٍ مَثَابَةً رَحْمَةٍ
 هنالك تصفو للقبول موارد
 هناك تُؤَدَّى لِلْسَّلَامِ أمانة
 يُنَاجُونَ عَنْ قُرْبٍ شَفِيعَهُمُ الَّذِي
 لئن بَلَغُوا دُونِي وَخُلِقْتُ إِنْهُ
 وَكَمْ عَزَمَةٍ مَنَيْتُ نَفْسِي صَرَفَهَا
 إِلَى اللَّهِ نَشْكُوها نَفْساً أَيْبَةً^(١)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُسَاعِدُنِي الْمُنَى
 وَأَقْضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ بَأَن أُرَى
 إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةَ نَازِحٍ
 غَرِيبٍ بِأَقْصَى الْغَرْبِ قَيْدَ خَطْوِهِ

رَمَى مِنْهُمَا صَدْرَ الْمَفَازَةِ سَهْمَانِ
 تَوَسَّدَ مِنْهَا فَوْقَ عَوَجَاءِ مِرْنَانِ
 مِنَ النُّومِ وَالشُّوقِ الْمَبْرُحِ سُكْرَانِ
 وَقَدْ تُبْلِغُ الْأَوْطَارَ فُرْقَةً أَوْطَانِ
 تَطْلُعُ مِنْهَا جَنَّةٌ ذَاتُ أَفْنَانِ
 فَأَكْرَمُ مَوْلَى ضَمٍّ أَكْرَمَ ضَيْفَانِ [٢٦٠]

وَزَانَ حِلَى التَّوْحِيدِ تَعْطِيلُ أَوْثَانِ^(٢)
 مَعَاهِدُ أَمْلَاكٍ مَظَاهِرُ إِيْمَانِ
 يُسْقَوْنَ مِنْهَا فَضْلَ عَفْوٍ وَغُفْرَانِ
 يُحْيِيهِمْ عَنْهَا بَرْوَحٌ وَرِيحَانِ
 يُؤْمِلُهُ الْقَاصِي مِنَ الْخَلْقِ وَالذَّانِي
 قَضَاءُ جَرَى مِنْ مَالِكِ الْأَمْرِ دِيَّانِ
 وَقَدْ عَرَفْتُ مَنَى مَوَاعِدَ لِيَّانِ^(٣)
 تَحْيِيدُ عَنْ الْبَاقِي وَتَعَتُّرُ بِالْفَانِي
 فَأَتْرَكَ أَهْلِي فِي رِضَاهِ وَجِيرَانِي
 أَعْفَرُ خَدِّي فِي ثَرَاهِ وَأَجْفَانِي
 خَفَوِ الْحَشَى رَهْنِ الْمَطَامِعِ هَيَّانِ
 شَبَابُ تَقْصَى فِي سَرَاخٍ وَخُسْرَانِ

(١) هذا البيت عن نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٥ طبعة الأزهرية) .

(٢) الليان (بكسر اللام وفتحها) : المثل .

(٣) كذا في نفع الطيب . يصف النفوس بالجوح والامتناع . والذي في الأصل :

« أَيْعَة » . ولا معنى لها .

يُجِدُّ اشْتِيَاقًا لِلْعَمِيقِ وَبَانِهِ
وإنَّ أَوْمَضَ الْبَرْقِ الْحِجَازِيَّ مَوْهِنًا^(١)
فِيَا مُؤَلَّى الرَّغْمَى وَيَا مُذْهَبَ الْعَمَى
بَسَطْتَ يَدَ الْمَحْتَاجِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ
وَسَيَّلْتَ الْعُظْمَى شِفَاعَتَكَ الَّتِي
فَأَنْتَ حَبِيبُ اللَّهِ خَاتَمَ رُسُلِهِ
وَحَسْبُكَ أَنْ سَمَّاكَ أَسْمَاءَهُ الْعُلَا
وَأَنْتَ لِهَذَا الْكَوْنِ عِلَّةُ كَوْنِهِ
وَلَوْلَاكَ لِلْأَفْلَاكِ لَمْ تَجَلُ نَيْرًا
خُلَاصَةُ صَفْوِ الْمَجْدِ^(٢) مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَسَيِّدُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ نَسْلِ آدَمِ
وَكَمْ آيَةٍ أَطْلَعْتَ فِي أَفْقِ الْهُدَى
وَمَا الشَّمْسُ يَجْلُوها النَّهَارُ لُبْصِيرٍ
وَأَكْرَمَ بَايَاتٍ تَحْدِثُنَا بِهَا
وَمَاذَا عَسَى يُثْنِي الْبَلِیْغُ وَقَدْ أَتَى
فَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا انْكَسَبَ^(٣) الْحَيَا

وَيَصْبُو إِلَيْهَا مَا اسْتَجَدَّ الْجَدِيدَانِ
يُرَدُّ فِي الظَّلَامِ أَنَّهُ لَهْفَانِ
وَيَا مُنْجِدَ الْغَرَقَى وَيَا مُنْقِذَ الْعَانِي
وَذَنْبِي أَلْجَانِي^(٤) إِلَى مَوْقِفِ الْجَانِي
يَلُودُ بِهَا عَيْسَى وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ
وَأَكْرَمُ مَخْصُوصِ بَرْقَتِي وَرِضْوَانِ
وَذَاكَ كَمَالٍ لَا يُشَابُ بِنُقْصَانِ
وَلَوْلَاكَ مَا امْتَاَزَ الْوُجُودُ بِأَكْوَانِ
وَلَا قُلْدَتْ [لَبَّائِهِنَّ بِشُهْبَانِ]^(٥)
وَنُكْتَةُ سِرِّ الْفَخْرِ مِنْ آلِ عَدْنَانَ
وَأَكْرَمَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِ
يَبِينُ صَبَاحَ الرُّشْدِ فِيهَا لَيَقْفُظَانِ
بِأَجَلِي ظَهُورًا أَوْ بِأَوْضَحِ بَرَهَانِ
وَلَا مِثْلَ آيَاتٍ لِحُكْمِ فُرْقَانِ
ثَنَّاؤُكَ فِي وَحْيٍ قَدِيمٍ^(٦) وَقُرْآنِ
وَمَا سَجَعَتْ وَرَقَاهُ فِي غُصْنِ الْبَانِ

[٢٦١]

(١) الموهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .

(٢) أَلْجَانِي : يريد : « أَلْجَانِي » بالهمز ، فسهل للشعر .

(٣) التَّكْسِبَةُ عَنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

(٤) كَذَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخَلْقِ » ، وَيُسْتَقِيمُ الْمَعْنَى بِهَذَا أَيْضًا ، غَيْرَ

أَنْ مَا أُمْتِنَاهُ يَلَاثِمُ الشَّطْرَ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ .

(٥) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « كَرِيمٌ » .

(٦) كَذَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « انْسَبَكَ » ، وَلَعَلَّهُ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

وأيد مولانا ابن نصر فإنه
 أقام - كما يرضيك - مولدك الذي
 سمي رسول الله ناصر دينه
 ووارث سير المجد من آل خزرج
 ومُرسلها ملء الفضاء كتائباً
 حداثق خضر والذرّوع^(١) غدائر
 تجاوب فيها الصاهلات وترتمي
 فن كل خوار العنان قد ارتمى
 وموردِها ظمأى الكعوب ذوابلاً
 والله منها والربوع مواحل
 إذا أخلف الناس الغمام وأمحلوا
 إمام أعاد الملك بعد ذهابه
 فغادر أطلال الضلال دوارساً
 وشيّد لها والمجد يشهد دولة
 وراق من الثغر الغريب ابتسامه
 لك الخير ما أسنى شمائلك التي
 ذكاه إياس في سماحة حاتم
 أمولاي ما أسنى مناقبك التي
 فلازلت يا غوث البلاد وأهلها

لأشرف من يئسى لملك وسلطان
 به سفر الإسلام عن وجه جذلان
 معظّمه في حال سرّ وإعلان
 وأكرم من تنمى قبائل قحطان
 تدين لها غلب الملوك بإذعان
 وما أنبت إلا ذوابل مُرّان
 جوانبها بالأشد من فوق عِقبان
 به كل مطعم العشيات مطعان
 ومصدرها من كل أملد ريان
 غمام ندى كفت به المخل كفّان
 فاب نداء والغمام آسيان
 إعادة لانا بي الحُسام ولا واني
 وجدد للإسلام أرفع بُنيان
 محافلها تُزهي بيمين وإيمان
 وهزّ له الإسلام أعطاف مُزدان
 يقصّر عن إدراكها كل إنسان
 وإقدام عمرو في بلاغة سحبان
 هي الشهب لا تخفى بعد وحُسبان
 مُبلّغ أوطار ممهد أوطان

ثم قال بعد سرّد ميلاديه ، وأنشد ذلك في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة
 وألم في أخرياتها بوصف المشور الأسنى ، الرفيع المبني :

في مولد سنة
 سبع وستين
 وسبع مئة

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصل : « والدموع » . وهو تحريف .

زار الخيال [بأينم الزَّوراء] ^(١)
وسرى مع النسمات يسحب ذيله
هذا وما شئ إلا الذ من المنى
بتنا خيالين البتحننا بالضنى
حتى أفاق الصبح من غمراته
ياسائل عن سر من أحييته
تالله ما أشكو الحبة والهوى
يا زين ^(٢) قلبي لست أبرح عانيا
أبكي وما غير النجيع مدامي
أهفو إذا تهفو البروق وأنثي
بالله يا نفس الحمي ^(٣) رفقا بمن
عجبا له يندى على كبدي وقد
ياساكني البطحاء أي لبانة
أترى النوى يوما تخب قداحا
في حيكم قر فؤادي أفقه
لم تنسى الأيام يوم وداعه
أبكي وينسم والحاسن تجتلي
يا نظرة جادت بها أيدي النوى

فجلا سناه غياهب الظلماء
فأتت تيم بمنبر وكتباء ^(٤)
إلا زيارته مع الإغفاء
والشقم ما نخشى من الرقباء
وتجاذبت أيدي النسيم ردائي
السر عندي ميت الأحياء
لسوى الأحبة أو أموت بدائي
أرضى بسقى في الهوى وعنائي
أذكي ولا ضرر سوى أحشائي
لسرى النواسم من ربا تيماء
أغريته بتنفس الصعداء
أذكي بقلبي جمرة البرحاء
لى عندكم ياساكني البطحاء
ويفوز قدح منكم بقاء
تفديه نفسي من قريب نائي
والركب قد أوفى على الزوراء
فعلقت بين تبسم وبكاء
حتى استهلكت أدعى بدماء

[٢٦٢]

(١) التكلمة عن نفع الطيب .

(٢) الكباء (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .

(٣) في النسختين المخطوطتين من نفع الطيب : « يادين » .

(٤) كذا في نفع الطيب . طبعة الأزهرية ، أي ياربج الحمى . وفي ط : « يا ناسمانسم الحمى » .

مَنْ لِي بِثَانِيَةٍ تُنَادِي بِالْأَسَى : « قَدْكَ اتَّيَدَ أُسْرِفَتْ فِي الْغُلَواءِ »^(١)
وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْوِصَالِ قَطَعْتُهُ
أُنْسَيْتُ فِيهِ الْقَلْبَ عَادَةً حِلْمِهِ
وَجَرَيْتُ فِي طَلَقِ التَّصَابِي جَاخًا
أَطْوَى شَبَابِي لِلْمَشِيبِ مَرَّاحِلًا
يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَرَى أَطْوَى إِلَى
فَتَطِيبَ فِي تِلْكَ الرَّبُوعِ مَدَامَحِي
حَيْثُ النُّبُوءَةُ نَوْرُهَا مَتَالِقُ
حَيْثُ الرِّسَالَةُ فِي ثَنِيَّةٍ قُدْسُهَا
حَيْثُ الضَّرِيحُ ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلِ
الْمُضْطَقِّ وَالْمُرْتَضَى وَالْمَجْتَبَى
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مُجْتَبَاهَا ذُخْرُهَا
تَاجِ الرِّسَالَةِ خَتَمُهَا وَقَوَامُهَا
لَوْلَا لِلْأَفْلَاكِ مَا لَاحَتْ بِهَا
ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْغُرَى وَالْآيِ اللَّيْ
وَكِفَاكَ رَدُّ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا
وَالْبَدْرِ شُقُّهُ لَهْ وَكَمْ مِنْ آيَةٍ
وَبَلِيلَةِ الْمِيلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ
قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بَيْعَتُهُ

« قَدْكَ اتَّيَدَ أُسْرِفَتْ فِي الْغُلَواءِ »^(١)
أَجَلُو دُجَاهَ بِأَوْجِهِ النُّدْمَاءُ
وَحَثَّتْ فِيهِ أَكْوَسَ السَّرَّاءِ
لَا أَتْنِي لِمَقَادَةِ النَّصَحَاءِ
بِرِّ وَاحِلِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ
قَبْرِ الرُّسُولِ صَحَائِفَ الْبِيدَاءِ
وَيَطُولُ فِي ذَلِكَ الْقِمَامِ تَوَائِي
كَالشَّمْسِ تَزْهَى فِي سَنَى وَسَنَاءِ
رَفَعَتْ لِهْدَى الْخَلْقِ خَيْرَ لَوَاءِ
فَخَرَّ الْوُجُودِ وَشَافِعِ الشُّفَعَاءِ
وَالْمُنْتَقَى مِنْ عُصْرِ الْعُلِيَاءِ
ظِلُّ الْإِلَهِ الْوَارِفِ الْأَفْيَاءِ
وَعِمَادِهَا السَّامِي عَلَى النَّظَرَاءِ
شُهْبُ تَنْسِيرِ دِيَاغِي الظُّلُمَاءِ
أَكْبَرَنَ عَنْ عَدَى وَعَنْ إِحْصَاءِ
وَكِفَاكَ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْرَاءِ
كَأَنَامِلٍ جَادَتْ^(٢) بِنَيْعِ الْمَاءِ
نَشَرَ الْإِلَهِ بِهَا وَمِنْ نَعَاءِ
وَتَقَدَّمَ الْكُهَّانُ بِالْأَنْبَاءِ

(١) هذا صدر بيت لأبي تمام ، وقامه : « كم تغفلون وأنتم سجرائي » . وفي الديوان

« اتنبأ أربيت » مكان : « اتند أسرفت » . وهو بمعناه .

(٢) في نفع الطيب : « جاءت » .

أَكْرِمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَرِ سَرَتْ فِي الْكَوْنِ كَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَعْضَاءِ
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نُورُهُ وَالْكَفَرُ أَصْبَحَ فَاحِمَ الْأَرْجَاءِ
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا تَجْلُو ظِلَامَ الشُّكِّ أَيْ جِلَاءِ
 وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَزِيَّةُ فَضْلِهَا إِلَّا عَلَى ذِي الْمُقْلَةِ الْعُمِيَاءِ
 يَا مُصْطَفَى وَالْكَوْنُ لَمْ تَغْلُقْ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَيْدِي الْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ
 يَا مَظْهَرَ الْحَقِّ الْجَلِيِّ وَمَطْلَعِ النُّورِ السَّيِّئِ السَّافِرِ ^(١) الْأَضْوَاءِ
 يَا مَلْجَأَ الْخَلْقِ الْمَشْتَعِ فِيهِمْ يَا رَحِمَةَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
 يَا آسَى الْمَرْضَى وَمُنْتَجِعَ الرِّضَا وَمُؤَاْسَى الْأَيْتَامِ وَالضُّفَّاءِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ دَاءِ الذُّنُوبِ وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي
 إِنِّي مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ تَضَرُّعًا حَاشَى وَكَلَّا أَنْ يَخِيبَ رَجَائِي
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ فَإِنَّمَا خَلَصْتُ إِلَيْكَ مَحَبَّتِي وَنِدَائِي
 وَبِسُفْدِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ [تَعِدُ] الْأَمَانِي أَنْ يُتَاحَ لِقَائِي
 ظِلُّ الْإِلَهِ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا غَفِرَ الْمُلُوكِ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ
 غَوَتْ ^(٢) الْعِبَادُ وَلَيْثُ مُشْتَجِرِ الْقَنَا يَوْمَ الطَّعَانِ وَفَارِجِ الْقَنَاءِ
 كَالْدَهْرِ فِي سَطَوَاتِهِ وَسَمَاحِهِ تَجْرَى صَبَاحَ بَرْغَزَعٍ وَرُخَاءِ
 رَقَّتْ سَجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلَى كَالنَّهْرِ وَسَطِ الرِّوَضَةِ الْفَيْحَاءِ ^(٣)
 كَالزَّهْرِ فِي إِيرَاقِهِ وَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ وَالزُّهْرِ فِي اللَّأْلَاءِ
 يَا بَنَ الْأَلَى إِجْهَالِهِ ^(٤) وَجْهَالِهِ فَلَقَى الصَّبَاحَ وَوَاكَفَ الْأَنْوَاءِ

[٢٦٤]

(١) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « السَّاطِعِ » .

(٢) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « غَيْثِ » .

(٣) فِي مِ وَنَفْعِ الطَّيِّبِ : « الْفَنَاءِ » .

(٤) لِإِجْهَالِهِمْ ، أَيْ تَوْسِعُهُمْ فِي الْمَعْرُوفِ وَالْإِنْفَاقِ . وَفِي الْبَيْتِ لَفٌ وَنَشْرٌ غَيْرُ مَرْتَبِينَ .

أنصار دين الله حِزْبَ رسوله
 يا بن الخلائف من بنى نصرٍ ومن
 من كل من تقف الملوك ببابه
 قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى
 والعزُّ معجُوب بكل كتيبة
 يا وارثا عنها مناقبها التي
 يا نغر أندلسٍ وعِصمة أهلها
 كم خُضتْ طُوعَ صلاحها من مهمّةٍ
 تهدي بها حادى الشرى بعزائم
 فادفع لواء الفخر غير مدافع
 واهنا بمبناك السعيد فإنه
 لله منه هالة قد أصبحت
 تتنابها طيرُ الرجاء فتجتنى
 لله منه قبة مرفوعة
 راقّت بدائع وشيها فكانها
 عَظُمَت ميلادَ النبيِّ محمدٍ
 أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا
 يا أيها الملك الهامُّ المُجْتَبَى
 من لى بأن أحصى مناقبك التي ^(٣)

والسابقين بحلبة العلياء
 حاطوا ذمار المسلة السّمحاء
 يستنطرون سحائب النّماء
 فالرُعب رائدٌهم إلى الأعداء
 والنّصر معقود بكل لواء
 تسمو مراقبها على الجوّزاء
 يحزبك عنها الله خير جزاء
 لا تهتدى فيه القطا للماء
 تهدي نجوم الأفق فضل ضياء
 واستحب ذبول العزة القفساء
 كهف ليوم مشورة وعطاء
 حرّم العفاة ومصرع الأعداء
 تمرّ المنى من دوحة الآلاء
 دون السماء تقوت لحظ الرائي
 وشئ الربيع بمنسقط الأنداء ^(١)
 وشفعته بالليلة الغراء
 قوت القلوب بذلك الإحياء ^(٢)
 فانت غلاك مدارك العقلاء
 ضاقت بهن مذهب النصحاء ^(٤)

(١) في م : « الأنواء » .

(٢) في هذا البيت تورية بكتابي : « قوت القلوب لأبي طالب المكي » و « الإحياء للقرالى » ، وكلاهما في النصف .

(٣) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « ... أحصى مدائحك التي » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « ظرفت بهن مدائح الفضلاء » .

وَإِلَيْكَ مَنَى رَوْضَةً مَطْلُولَةً أَرْجَتْ أَزَاهِرُهَا بِطِيبِ ثَنَاءٍ
فَانْفَسَحَ لَهَا أَكْنَافَ صَفْحِكَ إِنِّهَا بِكَرُّ أُنْتِ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ

ما أنشده في مولد
عام ثمانية وستين

قال : وأنشد من ذلك في مولد عام ثمانية وستين ، وقد كان مولانا رضى الله
عنه أبى أن يرسل العنان في مدح مقامه ، مبالغة في توقيير جانب المصطفى صلى
الله عليه وسلم وإعظامه ؛ فلهذا القصد الأدبي الكريم أتى من المدح ^(١) السلطاني
في آخرها للتمتع القريب ، واكتفى من القلادة بما أحاط بالترتيب ^(٢) ؛ ومدد
القول في ذكر الرسول وعجائب مجده ، حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافا الله
جميل قصده ، آمين :

هَذَا الصَّبَاحُ صَبَاحُ الشَّيْبِ قَدْ وَضَحَا سَرَّعَانَ مَا كَانَ لَيْلًا فَاسْتَنَارَ ضُحَى
لِلدَّهْرِ لَوْ هَانِ مِنْ نُورٍ وَمِنْ غَسَقٍ هَذَا يُعَاقِبُ هَذَا كُلُّمَا بَرَحَا
وَتِلْكَ صَبَغَتْهُ أَغْدَى ^(٣) بَنِيهِ بِهَا إِذَا تَرَاخَى بِجَالِ الْعُمَرِ وَانْفَسَحَا
مَا يَنْكِرُ الْمَرَّةَ مِنْ نُورٍ جَلَّاءَ غَسَقًا ^(٤) مَا لَمْ يَكُنْ لِأَمَانِي النَّفْسُ مُطَرِّحَا
إِذَا رَأَيْتَ بَرُوقَ الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ ^(٥) بِمَفْرِقٍ فَمُحْيَا الْعَيْشِ قَدْ كَلَّحَا
يَلْقَى الشَّيْبُ بِإِجْلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ مَنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا صَلَحَا
أَمَّا وَمِثْلِي لَمْ يَبْرَحْ يُعَلِّمُهُ مِنَ النَّسِيمِ عَلِيلٌ كُلُّمَا نَفَحَا
وَالْبَرْقُ مَا لَاحَ فِي الظُّلُمَاءِ مُبْتَسِمًا مِنْ جَانِبِ السَّفْحِ إِلَّا دَمَعَهُ سَفَحَا
فَمَا لَهُ بِرَقِيبِ الشَّيْبِ مِنْ قَبَلٍ مِنْ بَعْدِ مَا لَمْ فِي شَأْنِ الْهَوَى وَلَاحَا

(١) كذا في م . وفي ط : « بالمدح » .

(٢) الترتيب واحد الترائب . وهي ما يلي الترفوتين من عظام الصدر ؛ يشير إلى المثل المعروف :
« يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق » . والذي في الأصلين : « بالترتيب » وهو تحريف .

(٣) كذا في م . وفي ط : « أهدي » .

(٤) الفسق : ظلمة أول الليل .

(٥) كذا في م . وفي ط : « لمعت » .

يَأْتِي وَفَائِي أَنْ أَضْعِي لِلْأَمَةِ
يَا هَلْ نَجِدُ سَقَى الْوَسْمِيِّ رَبِّكُمْ
مَا لِلْفَوَادِ إِذَا هَبَّتْ يَمَانِيَّةُ
يَا حَبْدًا نَسَمَةً مِنْ أَرْضِكُمْ تَفَحَّتْ
يَا جِيرَةً تَعْرِفُ الْأَحْيَاءَ جُودَهُمْ
مَا شِمْتُ بَارِقَةً مِنْ جَوْ كَاظِمَةٍ (٢)
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ قَلْبِي مَا أَعْلَلَهُ
كَمْ لَيْلَةٍ وَالذُّجَى رَاعَتْ جَوَانِبَهَا
سَرَيْتُهَا وَنَجُومُ الْأُفُقِ فِيهِ طَفَّتْ
بَسَاجِحُ أَهْتَدَى لَيْلًا بَغْرَتِهِ
وَالشَّحْبُ تَنْثَرُ دُرُّ الدَّمْعِ مِنْ فَرَقِ
مَا طَالَتْ هَمَّتِي دَهْرِي بِمَعْلُوءَةٍ (٣)
وَلَا أَدْرْتُ كُثُوسَ الْعِزِّ مُغْتَبِقًا
هَذَا وَكُلَّ الَّذِي قَدْ نَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
كَمْ يَكْدَحُ الْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَنِئْتَهُ
وَارْحَمَتَا لِسَابِي ضَاعَ أَطْيَبُهُ
أَلَيْسَ أَيَّامُنَا الْأَلَايُ سَلَفُنْ لَنَا

وَأَنْ أَطِيعَ عَذُولِي غَشٍّ أَوْ نَصَحَا
غَيْثًا يُنْبِلُ غَلِيلَ الثُّرْبِ مَا اقْتَرَحَا (١)
تُهْدِيهِ أَنْفَاسُهَا الْأَشْجَانَ وَالْبُرْحَا
وَحَبْدًا رَبِّ رَبِّ مِنْ جَوْ كَمْ سَمَحَا
مَا ضَرَّ مِنْ ضَنٍّْ بِالْإِحْسَانِ لَوْ سَمَحَا
إِلَّا وَبَتْ لِرُزْدِ الشُّوقِ مُقْتَدِحَا
بِالْقُرْبِ إِلَّا وَعَادَ الْقُرْبُ مُنْتَزِحَا
قَلْبَ الْجَبَانِ فَمَا يَنْفَكَ مُطَّرَحَا
جَوَاهِرًا وَعُيُوبَ اللَّيْلِ قَدْ طَفَحَا
وَالْبَدْرُ فِي لُجَّةِ الظُّلُمَاءِ قَدْ سَبَحَا
وَالْجَوْ يَحْلَعُ مِنْ بَرَقِ الدُّجَى وَشُجَا
إِلَّا بَلَّغْتُ مِنَ الْأَيَّامِ مُقْتَرَحَا
إِلَّا أَدْرْتُ كُثُوسَ الْعِزِّ مُصْطَبِحَا
مِثْلَ الْخِيَالِ تَرَاهِي ثُمْتَ انْتَزَحَا (٤) [٢٦٦]
أَلَيْسَ كُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَدَحَا
فَمَا فَرَحْتُ بِهِ قَدْ عَادَ لِي تَرَحَا
مَنَازِلًا أَعْمَلْتُ فِيهَا الْخُطَا مَرَحَا

(١) كذا في م . وفي ط : « عيشا يمل غليل الثوب ما اقترحا » وهو تحريف .

(٢) كاظمة : موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة

مرحلتان ، وفيها ركابا كثيرة وماؤها شروب . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٣٩) من هذا الجزء .

(٤) كذا في م . وفي ط :

هذا وكل الذي أملت من أمل مثل الخيال تراهي ثمت انتزعا

إِنَّا إِلَى اللَّهِ ، مَا أَوْلَى الْمَتَابِ بِنَا^(١)
 الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْمَنْجَاةُ عَنْ كَثْبِ
 يَا وَبِحَ نَفْسٍ تَوَانَتْ عَنْ مَرَّاشِدِهَا
 نَرْجُو الْخَلَاصَ وَلَمْ تَنْهَجْ مَسَالِكَهَا
 يَا رَبِّ صَفْحَكَ بَرِّجْ كُلُّ مُقْتَرِفٍ
 يَا رَبِّ لَا سَبَبَ أَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ
 فَمَا لَجَأْتُ لَهُ فِي دَفْعِ مُعْضِلَةٍ
 وَلَا تَضَاقِقَ أَسْرُ فَاَسْتَجَرْتُ بِهِ
 يَا هَلْ تَبْلُغُنِي مَتَوَاهِ نَاجِيَةٍ
 حَيْثُ الرُّبُوعُ بِنُورِ الْوَحْيِ آهَلَةٌ
 حَيْثُ الرِّسَالَةُ تَجْلُو مِنْ عَجَائِبِهَا
 حَيْثُ النُّبُوَّةُ تَقْلُو مِنْ غَرَائِبِهَا
 حَيْثُ الضَّرِيحُ بِمَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ
 يَا حَبْدًا بِلَدَّةٍ كَانَ النَّبِيُّ بِهَا
 يَا دَارَ هِجْرَتِهِ يَا أَفْقَ مَطْلَعِهِ
 مِنْ هَاشِمٍ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ مَطْلَعُهُ
 مِنْ آلِ عَدْنَانَ فِي الْأَشْرَافِ مِنْ مُضَرَ
 مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا زَالَتْ أَوَاسِرُهُ^(٢)

لَوْ أَنَّ قَلْبًا إِلَى التَّوْفِيقِ قَدْ جَنَحَا
 وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَالْعُقْبَى لِمَنْ صَلَحَا
 وَطَرَفُهَا فِي عِنَانِ الْغَى قَدْ جَمَحَا
 مِنْ بَاعِ رُشْدًا بَغَى قَلَمًا رَجَحَا
 فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَعْفُو وَمَنْ صَفَحَا
 إِلَّا الرُّسُولَ وَلَطْفًا مِنْكَ إِنْ نَفَحَا
 إِلَّا وَجَدْتُ جَنَابَ اللَّطْفِ مُنْفَسِحَا
 إِلَّا تَفَرَّجَ بَابَ الضِّيقِ وَانْفَتَحَا
 تَطَوَّى بَيْنَ الْقَفَرِ مَهْمَا امْتَدَّ وَانْفَسَحَا
 مِنْ حَلَّهَا احْتَسَبَ الْأَمَالَ مُقْتَرَحَا
 مِنَ الْعَجَالِ بِنُورِ اللَّهِ مُتَضَحَا^(٣)
 ذِكْرًا يَغَادِرُ صَدْرَ الدِّينِ مُنْشَرَحَا
 قَدْ بَدَّ^(٤) فِي الْفَخْرِ مَنْ سَادَ وَمَنْ فَجَحَا
 يَلْقَى الْمَلَائِكَةَ فِيهَا آيَةٌ سَرَحَا
 لِي فِيكَ بَدْرٌ بَغِيرِ الْفِكْرِ مَا لَمَحَا
 أَكْرَمَ بِهِ نَسَبًا بِالْعِزِّ مُتَشَحَا
 مِنْ مَحْتَدٍ تَطْمَحُ الْعُلَمَاءُ إِنْ طَمَحَا
 نَسَامَ بِالْجِدِّ^(٥) مِنْ آبَائِهِ الصَّرَحَا

(١) في ط : « بما » وفي م : « لنا » . والظاهر أن كلاما محرف عما أثبتناه .
 (٢) كذا في م . وفي ط : « ترين لإجمال نور الله متضحا » . ولعل « ترين » محرفة
 عن : « تربك » أو كلمة بهذا المعنى .
 (٣) كذا في م . وفي ط : « مر » وهو تحريف .
 (٤) كذا في الأصلين . ولعلها محرفة عن : « أواصره » أو كلمة بهذا المعنى .
 (٥) نسام بالجد : تعرف واشتهر . من السومة وهي العلامة .

عنايةً سبقت قبل الوجود له
 يا مصطفىٰ وركام الكون ما فتئت
 لولاك ما أشرق شمس ولا قمر
 صدعت بالنور تجلو كل داجية
 يا فاتح الرسل أو يا ختمها شرقاً
 دنوت للخلق^(١) بالأطاف تمنحها
 كالشمس في الأفق الأعلى مجرتها
 كهم آية لرسول الله معجزة
 إن ردت الشمس من بعد الغروب له
 يا نعمة عظمت في الخلق مننتها
 الله أعطاك ما لم يؤت أحدًا
 حبيبُه مصطفاه محبته وفي
 أثني عليك كتاب الله ممتدحًا
 قد أبعدتني ذنوبي عنك يا أملِي
 لعل رُحماك والأقدار سابقة
 نفس شعاع وقلب خان أضلعه
 إذا البروق أضاءت والتمام همت
 لم لا أحن وهذا الخدع حن له
 كم ذا التعلل والأيام تمطلني
 ما أقدر الله أن يُدني على شحط

والله لو ووزنت بالكون مرجحًا
 يا مجتبي وزناد النور ما قدحًا
 لولاك ما راقى الأفلاك ملتمحًا
 حتى تبين نهج الحق واتضحًا
 بوركك مختتمًا قدست مفتتحًا
 والقلب في العالم العلوي ما برحًا
 والنور منها إلى الأبصار قد وصحًا
 تكل عن منتهها السن الفصحًا
 قد ظلمته غمام الجوّ حيث نحا
 ورحمة تشمل الغادين والروحا^(٢)
 والله أكرم من أعطى ومن منحا
 هذا بلاغ لمن حلاك ممتدحًا
 فأين يبلغ في عليك من مدحًا
 فجهدى اليوم أن أهدي لك المدحًا
 تُدني محبًا بأقصى الغرب منتزحًا
 مما يعانى من الأشواق قد برحًا
 فزفرتي أذ كيت أو مذمعي سفعًا
 لما تباعد عن لقياء واتزحًا
 كأنها لم تجد عن ذاك مُنتدحًا
 وأن يُقرب بعد البين من نزحًا

(١) في م : « للحق » .

(٢) الروح (بتعريك الواو) : الراحون . الواحد : راح .

يا سيّد الرُّسل يا نِعَمَ الشَّفيعِ إذا طال الوقوفُ وحرَّ الشمس قد لَفَحَا
أنت المُشَفِّعُ والأبصارُ شاخِصَة أنت الفياث وهولُ الخطب قد فدَحَا
حاشي المُلا-وجميلُ الظنِّ يشفعُ لي- أَنْ يُخَفِّقَ السَّعْيُ مِنِّي بعد ما نَجَحَا
عَسَاكَ يا خيرَ مَنْ تُرْجَى وسائلُه تُنَجِّي غريقاً يبحرُ الذنب قد سَبَحَا
ما زال معترفاً بالذنب مُعْتَذِرا لعلَّ حُبَّكَ يَمْحُو كل ما اجْتَرَحَا
عسى البشيرُ غداةَ الرُّوعِ يُسْمِعُنِي بُشْرِي تَعُودُ لِي البُوءُ مِنِّي بها فَرَحَا
لا تَيَأَسَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ وَحُبُّكَ العاقِبَ المالحى ^(١) الذنوبِ مَحَا
صَلَّى الإلهُ على المختارِ صفوتهِ ما العارضُ انْهَلَّ أو ما البارِقُ التَّمَحَا
وأيَّدَ اللهُ مولانا بِعِصْمَتِهِ بَأَى باب إلى العلياء قد فَتَحَا
وهناً الدِّينَ والدنيا على مَلِكٍ لَسَعَدِهِ الطائرُ الميمونُ قد سَنَحَا
أنا الضَّمينُ لمُكْحُولٍ بَغْرَتِهِ أَلَّا تَرَى عَيْنُهُ بؤساً ولا تَرَحَا
مَوْلَايَ خُذْهَا كما شِئْتَ بِلاغَتُهَا غِرَاءَ لم تَقْدَمِ الأَحْجَالُ والقَزَحَا
كَأَنَّ سِرْبَ قَوافِها إذا سَنَحَتْ طَيْرُهُ على فَتَنِ الإحسان قد صَدَحَا

[٢٦٨]

قال : ومن إعدارياته المُحكمة نسفاً ورضفاً ، المتناهية في كل فنٍّ حُسْنٍ ومن إعدارياته
تخلية غريبة ووضفاً — حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة لصنائع مولانا راحة
الله عليه ، واحتفاله المناسب لعزِّ ملكه ، من تعميم الخلق بالجفلى في دَعَواهم ،
واستدعاء أشرف الأُم من أهل المغرب وسواهم ؛ تَفَنُّناً في مكارم مُتَعَدِّدَة ، آياها
عن أصالة الجِد مُعْرِبه ، وإغراء لِهَمِّ المُلْك بما يُتَمُّ الأمن من أوضاع مُعْرِبه ؛
ومباهاة بقرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر ، ومكاثراً من ممالك دولته

ومن إعدارياته
سنة أربع
وستين وسبع
مئة

(١) العاقب والمالحى : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمى عاقباً لحجبه آخر الرسل ؛
وما حياً لأن الله يحويه الكفر .

بالعدد الوافر ؛ مما أَلِمَّ اللَّسِنَ الذَّكِيَّ عِيَا ، وغادر الإِعْذارَ الذَّنُونِيَّ ^(١) مَنَسِيًّا ؛
 كافاً اللهُ أُبُوته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتَلَقَّى بالقبول السَّكْفِيلَ بتجديد الرِّضْوَانِ
 ما نَصَلَ إليه من خالص دعائنا ؛ إنه مُنْعِمٌ جَوَادٌ — قوله في الصَّنِيعِ المختص من
 ذلك بمولانا الوالدِ قدس الله روحه ، وذلك سنة أربع وستين وسميع مئة :

مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا	وَأَنْ يَشْغَلَ اللَّوْأُمُ بِالْعَذْلِ بَالِيَا
دَعَانِي أُعْطِيَ الْحُبَّ فَضْلَ مَقَادِي	وَيَقْضِي عَلَيَّ الْوَجْدُ مَا كَانَ قَاضِيَا
وَدُونِ الذِّي رَامَ الْعَوَازِلُ صَبُوءَ	رَمَتْ بِي فِي شَعْبِ الْغَرَامِ الْعَرَامِيَا
وَقَلْبُ إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْهِنَا	قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنْ الشُّوقِ وَارِيَا
خَلِيلِي إِنِّي يَوْمَ طَارِقَةِ النَّوَى	شَقِيتُ بَيْنَ لَوْ شَاءَ أَنْتَمَ بَالِيَا
وَبِالْخَيْفِ يَوْمَ النَّفَرِ يَا أُمَّ مَالِك	تَخَلَّفْتُ قَلْبِي فِي حِبَالِكِ عَانِيَا
وَذِي أَشْرٍ عَذَبَ الثَّنَايَا مُحْضَرٍ	يُسْقَى بِهِ مَاءُ النِّعَمِ الْأَقَاحِيَا
أَحُومٌ عَلَيْهِ مَادَجَا اللَّيْلُ سَاهِرَا	وَأَصْبَحُ دُونَ الْوَرْدِ ظَمَانٌ صَادِيَا
يُضِيءُ ظِلَامُ اللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي	إِذَا الْبَارِقُ النَّجْدِيُّ وَهَنَا بَدَا لِيَا
أَجِيرَتَنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلُ مَنَزَلٌ	مَضَى الْعَيْشُ فِيهِ بِالشَّيْبَةِ حَالِيَا
وَلَمْ أَرِ رَبْعًا مِنْهُ أَقْضَى لُبَانَةً	وَأَشْجَى حَمَامَاتٍ وَأَخْلَى مَجَانِيَا
سَقَّتْ ظِلَّهُ الْغُرُ الْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ	مِنْ الْقَطْرِ فِي جِيدِ الْفُصُونِ لَالِيَا
أَبُشِّكُمْ أَنِّي عَلَى النَّأْيِ حَافِظُ	ذِمَامِ الْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذِمَامِيَا
أَنَاشِدُكُمْ وَالْحُرُّ أَوْفَى بَعْدَهُ	وَلَنْ يَعْدَمَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ جَازِيَا

(١) الذَّنُونِي : نسبة إلى ابن ذنون (ابن دنون) وهو اللأمون أحد ملوك الطوائف في
 طليطلة من بني ذى النون، وقد بلغوا في البَذَخِ والترَفِ الغاية ، ولهم الإِعْذارُ
 المشهور الذي يقال له الإِعْذارُ الذَّنُونِي ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو
 عندهم بمثابة حرس بوران عند أهل المشرق .

هَلِ الْوُدَّ إِلَّا مَا تَحَامَاهُ كَلَشِحْ
 تَأَوَّبَنِي وَاللَّيْلُ يُذَكِّي عُيُونَهُ
 وَقَدْ مَثَلْتُ زُهْرُ النُّجُومِ بِأُفْقِهِ
 خِيَالٌ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ أَلَمْ يَ
 عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اهْتَدَى نَحْوَ مُضْجَعِي
 رَفَعْتُ لَهُ نَارَ الصَّبَابَةِ فَاهْتَدَى
 وَمِمَّا أَجَدَّ الْوَجْدَ سِرْبٌ عَلَى النَّقَى
 نَزَعَنَ عَنِ الْأَحَاطِ كُلِّ مُسَدَّدٍ
 وَلَمَّا تَرَأَى السَّرْبَ قَلْتُ لِمَا حَبَى
 حَذَارِكَ مِنْ سُقْمِ الْجُمُودِ فَإِنَّهُ
 وَإِنْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
 تَضَى النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ خِلَالَهُ
 مَعَالٍ إِذَا مَا النُّجُومُ صَوَّبَ طَالِبًا
 يَسَابِقُ غُلُوبَ الرِّيَّاحِ إِلَى النَّدَى
 وَيُغْضِي عَنِ الْعَوْرَاءِ إِبْغَاءً قَادِرٍ
 هُمَاهُ يَرُوعُ الْأُسْدُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 مَنَاقِبُ تَسْمُو لِلْفَخَارِ كَأَنَّمَا
 إِذَا اسْتَبَقَ الْأَمْلَاقُ يَوْمًا لَغَايَةً
 بَهَرَتْ فَأَخْفِيَتْ الْمُلُوكَ وَذِكْرَهَا
 جَلَوَتْ ظِلَامَ الظُّلَمِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدٍ

وَأَخْفَى فِي مَسْعَاهُ مَنْ جَاءَ وَاشْيَا
 وَيَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِ الدُّجْنَةِ ضَافِيَا
 حَبَابًا عَلَى نَهْرِ الْمَجَرَّةِ طَافِيَا
 فَاذْكُرْنِي مَنْ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ سَالِيَا
 وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي السُّقْمُ وَالشُّوقُ بَاقِيَا
 وَخَاضَ لَهَا عَرْضَ الدُّجْنَةِ سَارِيَا
 سَوَانِحُ يَصْقُلُنَ الطَّلَى وَالتَّرَاقِيَا
 فَغَادَرْنَ أَفْلَاحَ الْقُلُوبِ دَوَامِيَا
 وَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْحُبَّ مَا عِشْتُ دَائِيَا
 سَمِعْتُهُ بِمَا يُعْنِي الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
 لِيُعْدِيَ نَدَاهُ السَّارِيَاتِ الْهَوَامِيَا
 وَيَنْفُثُ فِي رُوعِ الزَّمَانِ الْمَعَالِيَا
 مِبَالِغَهَا فِي الْعِزِّ خَلْفَ^(١) وَأِنِّيَا
 وَتَفَضَّحَ جَدْوَى رَاحَتِيهِ الْقَوَادِيَا
 وَبَرَّجُحُ فِي الْحِلْمِ الْجِبَالِ الرُّوَاسِيَا
 كَمَا رَاعَتْ الْأُسْدُ الظُّبَاءَ الْجَوَازِيَا^(٢)
 تُجَارِي إِلَى الْمَجْدِ النُّجُومَ الْجَوَازِيَا
 أَيْبَتْ وَذَلِكَ الْمَجْدُ إِلَّا التَّنَاهِيَا
 وَلَا عَجَبٌ فَالْشَّمْسُ تُخْفِي الدَّرَارِيَا
 وَلَا غَرَوْ أَنْ تَجْلُو الْبَدُورُ الدِّيَاجِيَا

(١) فِي تَفْحِ الطَّبِيبِ : « حَقَى » .

(٢) الْجَوَازِي أَمْلَهُ : الْجَوَازِي (بِالْهَمْز) ، وَسَهْلٌ لِلشَّعْرِ ؛ وَالْجَوَازِي مِنْ الظُّبَاءِ الَّتِي تَجْزَأُ بِالرُّطْبِ عَنِ الْمَاءِ .

هَدَيْتَ سَبِيلَ اللَّهِ مَنْ ضَلَّ رُشْدَهُ
أَفْذَتْ وَحَتَّى الْمَلِكُ مِمَّا أَفْذَتْهُ
وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْهَا مَرَيْنٌ^(١) سَوَابِقًا
وَكَانَ أَبُو زَيْنَانَ جِيدًا مُعْطَلًا
لَكَ الْخَيْرُ لَمْ تَقْصِدْ بِمَا قَدْ أَفْذَتْهُ
فَمَا تُكْبِرُ الْأَمْلَاقُ غَيْرَكَ آمِرًا
وَلَا تَشْتَكِي الْأَيَّامُ مِنْ دَاءِ فِتْنَةٍ
وَأَنْدُلُسًا أُولِيَتْ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
تَلَفَيْتَ هَذَا الثَّغَرَ وَهُوَ عَلَى شَفَى
وَمِنْ بَعْدِ مَاسَاءٍ ظُنُونٌ بِأَهْلِهَا
فَمَا يَأْمُلُونَ الْعَيْشَ إِلَّا تَعَلُّلًا
عَظَفْتَ عَلَى الْأَيَّامِ عِطْفَةً رَاحِمَ
فَأَنْسَ مِنْ تَلَقَائِكَ الْمَلِكُ رُشْدَهُ
وَقَفْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ نَفْسًا كَرِيمَةً
فَرَأَى كَمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ وَعَزَمَةً
وَكَانَتْ رِيحُ الْخَطِّ مُخَصَّصًا ذَوَابِلًا
وَأُورِدَتْ صَفْحُ السِّيفِ أَيْضًا نَاصِعًا
لَكَ الْعَزْمُ تُسْتَجَلَى الْخُطُوبُ بِهِدْيِهِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَفْخَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَيَهْنِكَ دُونَ الْعِيدِ عَيْدُ شَرَعَتِهِ
فَلَا زِلَّ مَهْدِيًا إِلَيْهَا وَهَادِيًا
وَطَوَّاتِ أَشْرَافَ الْمُلُوكِ الْيَادِيَا
تُقَرُّ لَهَا بِالْفَضْلِ أُخْرَى اللَّيَالِيَا
فَزِينَتُهُ حَتَّى اغْتَدَى بِكَ حَالِيَا
جَزَاءً وَلَكِنْ هُمَّةٌ هِيَ مَا هِيََا
وَلَا تَرْهَبُ الْأَشْرَافُ غَيْرَكَ نَاهِيَا
فَقَدْ عَرَفْتَ مِنْكَ الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا
وَأُورِدَتْهَا وَرَدًّا مِنَ الْأَمْنِ صَافِيَا
وَأَصْبَحْتَ مِنْ دَاءِ الْحَوَادِثِ شَافِيَا
وَحَامُوا عَلَى وَرْدِ الْأَمَانِ صَوَادِيَا
وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْنَ إِلَّا أَمَانِيَا
وَأَلْبَسَتْهَا ثَوْبَ امْتِنَانِكَ ضَافِيَا
وَنَالَ بِكَ الْإِسْلَامُ مَا كَانَ رَاجِيَا
تَصَدَّ عَدُوًّا عَنْ حِمَاهُ وَعَادِيَا
كَمَا صَقَلَ الْقَيْنُ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
فَأَنْهَكَ مِنْهَا فِي الدَّمَاءِ صَوَادِيَا
فَأَصْدَرْتَهُ فِي الرَّوْعِ أَحْمَرَ قَانِيَا
وُيْلَنِي إِذَا تَنَبَّوُا الصَّوَارِمُ مَاضِيَا
فَمَا الصُّبْحُ وَضَاحُ الْمَشَارِقِ عَالِيَا
تَبْتُ بِهِ فِي الْخَافِقَيْنِ التَّهَانِيَا

(١) مَرَيْن : قبيلة معروفة ، وهي فرع زناتة من قبائل البربر .

أَقَمْتَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ ^(١) سُنَّةً
صَنِيعٌ تَوَلَّى اللَّهُ تَشْيِيدَ نَخْرِهِ
تَوَدُّ النُّجُومُ الزَّهْرَ لَوْ مَثَلَتْ بِهِ
وَمَا زَالَ وَجْهَ الْيَوْمِ بِالشَّمْسِ مُشْرِقًا
عَلَى مِثْلِهِ فَلْيَعْقِدِ الْفَخْرُ تَاجَهُ
بِهِ يَغْمُرُ الْأَنْدَاءُ ^(٢) كُلُّ مُقَوِّهِ
وَيُوسِفُ ^(٣) فِيهِ بِالْجَمَالِ مُقَنِّعٌ
وَأَقْبَلَ قَدْ شَابَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً
وَأَقْدَمَ لَاهِيَابَةَ الْحَفْلِ وَاجِبًا
شَمَائِلُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ
فِيَا عَلَقًا ^(٤) أَشْجَى الْقُلُوبِ لَوَأْنَا
جَرَبَتْ فَأَجْرِبْتَ الدُّمُوعَ تَغَطُّفًا
وَكَمْ مِنْ وَلِيٍّ دُونَ بَابِكَ مُخْلَصٍ
وَصِيدٍ مِنَ الْحَيَّيْنِ أَبْنَاءَ قَيْلَةٍ
بِهَالِيلُ غُرٌّ إِنْ أَعْدَدُوا لَغَارَةَ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَوَخَّيْتَ سُنَّةً
لَكَانَتْ بِهَا لِلْأَعُوجِيَّاتِ ^(٥) جَوَالَةٌ

[٢٧١]

- (١) ق م : « حظوة الدين » .
(٢) الأنداء (هنا) : الأندية . والذي في نفع الطيب : « تفر الأنداء » . وفيها تحريف ظاهر .
(٣) يوسف : هو ابن الفتي بالله ملك غرناطة الممدوح بهذه القصيدة .
(٤) العلق (بالتحريك) : الذي تتعلق به القلوب .
(٥) في الأصلين وكل نسخ نفع الطيب : « تكف الأعادى » ولعله محرف عما أثبتناه .
(٦) الأعوجيات : نسبة إلى أعوج ، فرس كان لبني هلال .

وتترك أوصالَ الوشيج مُقَصِّدًا ويبضّ الظبي مُحَرَّ الْمُتُونِ دَوَامِيَا
ولما قَضَى من سَنَةِ اللَّهِ مَا قَضَى وقد حَسَدَتْ مِنْهُ النُّجُومُ الْمَسَاعِيَا
أَفْضُنَا نَهْنَى مِنْكَ أَكْرَمَ مُنْعِمٍ أُنْبِي لَعْمِيمِ الْجُودِ إِلَّا تَوَالِيَا
فِيهِنِّي صِفَاحَ الْهِنْدِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى وَتُحْمَرُ الْعَوَالِي وَالْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا
وَيَهْنِي الْبُنُودَ الْخَافِقَاتِ فَإِنَّهَا [سَيَعْقِدُهَا فِي ذِمَّةِ النَّصْرِ غَازِيَا
كَأَنِّي بِهِ يَشْنِي الصَّوَارِمَ وَالظُّبَى وَيَحْطِمُ فِي لَأَمِ الضَّلَالِ الْعَوَالِيَا
كَأَنِّي بِهِ قَدْ تَوَجَّعَ الْمَلِكُ يَافِعًا] ^(١) وَجَمَعَ أَشْتَاتَ الْمَكَارِمِ نَاشِيَا
وَقَضَى حُقُوقَ الْفَخْرِ فِي مَيْمَةِ الصَّبَا وَأَحْسَنَ مِنْ دَيْنِ الْكَمَالِ التَّقَاضِيَا
وَمَا هُوَ إِلَّا السَّعْدُ، إِنْ رُمْتَ مَطْلَعَا وَسَدَّدْتَ سَهْمًا كَانَ رَبُّكَ رَامِيَا
فَلَا زِلْتَ يَا غَفْرَ ^(٢) الْخِلَافَةِ كَافِلَا وَلَا زِلْتَ يَا خَيْرَ الْأُئِمَّةِ كَافِيَا
وَدُمْتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ مِنْهُ بِغِيْظَةٍ وَكَانَ لَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ وَاقِيَا
نَظَمْتُ لَهُ حُرَّ الْكَلَامِ تَمَائِمَا جَعَلْتُ مَكَانَ الدُّرِّ فِيهَا الْقَوَافِيَا
لَالِ بِهَا بَاهَى الْمُلُوكِ نَفَاسَةً وَجَلَّتْ لَعْمَرِي أَنْ تَكُونَ لَآلِيَا
أَرَى الْمَالَ يَرْمِيهِ الْجَدِيدَانِ بِالْبَلَى وَمَا إِنْ أَرَى إِلَّا الْمَحَامِدَ بَاقِيَا

ثم قال : ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني المختص بعمينا السيدين
الأميرين سعد ونصر ، رحمة الله عليهما ، وأجاد في وصف الجند والجزد
والطلبة ^(٣) وغرائب الأوضاع .

ومن شعره في
الصنيع المختص
بالأميرين سعد
ونصر

أَلِ لَمَحَةٍ ^(٤) مِنْ بَارِقِ مُتَبَسِّمٍ أَرْسَلَتْهُ دَمْعًا تَضَرَّجَ بِالْدَمِ ^(٥)

(١) ما بين القوسين عن م .

(٢) كذا في م ونفع الطيب وفي ط : « يا كهف » .

(٣) الطلبة : يعني بها بعض آلات الحرب . (راجع معجم دوزي) .

(٤) في نفع الطيب : « وللمحة » .

(٥) في ط : « أمن الوميض البارق المتبسم * أرسلت دمعاً قد تضرع بالدم »

وما أثبتناه عن نفع الطيب .

ولِنَفْحَةٍ تَهْفُو بِيَانَاتِ اللَّوَى
 هِيَ عَادَةُ عُذْرِيَّةٍ مِنْ يَوْمٍ أَنْ
 قَدْ كُنْتُ أَعْدِلُ ذَا الْهَوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ
 كَمْ زَفَرَةٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَا اِزْتَقَتْ
 إِنْ كَانَ وَاشِي الدَّمْعِ قَدْ كَتَمَ الْهَوَى
 وَلَقَدْ أَجَدَّ هَوَايَ رَسْمٌ دَارِسُ [٢٧٢]
 وَذَكَرْتُ عَهْدًا فِي حِمَاهِ قَدْ انْقَضَى
 وَلِرُبَّمَا أَشْجَى فَوَادِي عِنْدَهُ
 لَا أَخْرَبَ اللَّهُ الطَّلُولَ فَطَالَمَا
 يَازَاجِرَ الْأَطْعَامِ يَحْفَظُهَا الشَّرَى
 لَتَرَى دُمُوعَ الْعَاشِقِينَ بِرُسُمِهَا
 دِمْنٌ عَهْدَتْ بِهَا السَّبَبِيَّةُ وَالْهَوَى
 وَكَتَبِيَّةٍ لِلشَّوْقِ قَدْ جَهَّزَتْهَا
 وَرَفَعْتُ فِيهَا الْقَلْبَ بِنَدَا خَافِقَا
 فَأَنَا الَّذِي شَابَ الْحَمَاسَةَ بِالْهَوَى
 فَطُمُنْتُ مِنْ قَدِّ الْقَوَامِ بِأَسْمَرِ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُفُونَ فَإِنِهَا
 ظَلَمْتُ قَتِيلَ الْحُبِّ ثُمَّ تَبَيَّنْتُ
 يَا ظَلِيمَةً سَنَحْتُ بِأَكْنَافِ الْحَمَى
 يَهْفُو فَوَادُكَ عَنْ جَوَانِحِ مُفْرَمٍ
 خُلِقَ الْهَوَى تَعْتَادُ كُلَّ مَتَمٍّ (١)
 أَدْرَى الْهَوَى وَالْيَوْمَ أَعْدِلُ لَوْحِي
 حَذَرَ الرَّقِيبِ وَمَذْمَعٍ لَمْ يَسْجُمْ
 هِيَهَاتَ وَاشِي السَّقَمِ لَمَّا يَكْتُمُ (٢)
 قَدْ كَادَ يَخْفَى عَنْ خَفِي نَوَّهْمِ
 فَأَطْلُتُ فِيهِ تَرْدَدِي وَتَلَوُّي
 وَرَقَاهُ تَنَفُّتُ شَجْوَهَا بِتَرْنَمِ
 أَشْجَى الْفَصِيحِ بِهَا بُكَاءُ الْأَبْكَمِ
 قَفَّ بِي عَلَيْهَا وَقْفَةُ الْمُتَلَوِّمِ
 حُمْرًا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُعْلَمِ
 سَقِيَا لَهَا وَلَعَهْدَهَا الْمُتَقَدِّمِ
 أَغْرَوُ بِهَا السُّلُوفَ غَزَوْ مُصَمِّمِ
 وَأَرَيْتُ لِلْعُشَّاقِ فَضْلَ تَهْمِ
 لَكِنَّ مَنْ أَهْوَى مُضَاقٍ مُقَدِّمِ
 وَرُمِيْتُ مِنْ غَنَجِ اللَّاحَظِ بِأَسْهَمِ
 مَهْمَا رَمَتْ لَمْ تُخْطِ شَاكِلَةَ (٣) الرَّعْيِ
 لِلشَّقَمِ فِيهَا فَتْرَةُ الْمُتَظَلِّمِ
 سَقَى الْحَمَى صَوْبَ النَّهَامِ الْمُسْجَمِ (٤)

(١) في ط : « في قلب » مكان قوله : « تعناد » ، وما أئبتهاه عن نفع الطيب .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « هيهات واشي السقم لا يتكتم » .

(٣) الشاكلة : الناحية .

(٤) المسجم : المصبوب .

ما ضرَّ إذ أرسلتِ نظرةَ فانكِ
فرايتِ جدنا قد أُصيبَ فؤاده
ولقد خشيتُ بأن يُقادَ بجرحه
كمْ خُضْتُ دونكِ من غمارِ مفازة
والنجمُ يسرى من دُجَاهِ أَدَمِ^(١)
والبدْرُ في صَفْحِ السَّما كَأَنَّهُ
والزُّهْرُ زَهْرُ السَّما حديقة
والليلُ مُرَبَّدُ الجَوانحِ قد بدا
فكأنما فلقُ الصَّباحِ وقد بدا
مَلِكٌ أَفاضَ على البسيطةِ عدْلَهُ
هو مُنتَهَى آمالِ كلِّ مُوقِفٍ
لاحَتْ مَنابِقُهُ كَوَاكِبِ أَعْدَدِ
ولقد تراءى بأُسِهِ وَسَماعِهِ
مِغْشَلُ النِّعَامِ وَقَدْ تَضاحَكَ بَرْقُهُ
أَنسى سَماعَةَ حاتِمٍ وَكَفَّكَ في
مِصْرَةٍ تَسِيرُ النِّسِيراتُ بِهَدْيِها
فالبدْرُ دُونَكِ في عِلًّا وإِنارةٍ
ولك القِبابُ الحُمْرُ تُرْفَعُ لِلنَّدى

أَنْ لَوْ عَطَفْتَ بِنَظَرَةِ الْمُتَرَحِّمِ
مِنْ مَقْلَتَيْكَ وَأَنْتِ لَمْ تَتَأَنَّى^(٢)
فَوَهَبْتُ لِحَظِّكَ ما أَحْلَكَ مِنْ دَمِي^(٣)
لا تَهْتَدِي فِيها الأَيُّوثُ لِمَجْنَمِ
رَحْبِ المَقْلَدِ بالثريا مُلْجَمِ
مِرْآةِ هِنْدٍ وَسَطِ لُجْجِ تَرْنَمِي^(٤)
فَتَقَتْ كَأَنَّمْ جُنْحُها عَنِ النِّجَمِ
فِيهِ الصِّباحُ كَفَرَقَ في أَدَمِ
مَرَأَى ابنِ نَصْرِ لَاحِ لِلْمُتَوَسِّمِ
فَالشَّاةُ لا تَخْشَى اعتداءَ الضَّيِّمِ
هو مَوْرِدُ الصَّادِي وَكَنْزُ المَعْدَمِ
فَرَأَتْ مَلامَحَ نورهِ عَيْنِ العَمِي
فَأَتَى الجِلالُ مِنَ الجِمالِ بِثَوْنِهِ
فَأَفادَ بَيْنَ تَجَبُّهِمْ وَتَبَشُّمِ
يَوْمَ اللِّقاءِ رَبيعةَ بَنِ مُكْدَمِ^(٥)
وَتُغَيِّرُ عَرَفَ الرِّوضِ طِيبَ نَنَسَمِ
والبِعرُ دُونَكِ في نَدَمِي وَتَكْرَمِ
فَتُرَى العِمامُ تَحْتِها كَالْأَنْجَمِ

(١) في بعض نسخ نفع الطيب : « لم تتألى » .

(٢) يقاد : من القود ، وهو الفصص . وأحلك : جعلك في حل .

(٣) الأدم : الأسود ، وهو من أوصاف الحيل ، كأن النجم ركب آدم الليل .

(٤) شبه البدر بمرآة هند في الصفاء . والعرب تضرب المثل في الصفاء بمرآة الغريبة .

(٥) ربيعة بن مكدم : فارس جاهلي معروف .

يُذْ كَى الْكِبَاءِ بِهَا كَأَنَّ دُخَانَهُ قَطَعَ السَّحَابَ بِجَوِّهَا الْمُتَغَيِّمِ^(١)
 وَلَكِ الْعَوَالِي السُّمُرُ تُشْرَعُ^(٢) لِلْعِدَا فَتَخِرُّ صِرْعَى لِلْيَدَيْنِ وَالْفِمْ
 وَلَكِ الْإِيَادَى الْبَيْضُ قَدْ طَوَّقَتْهَا صَيْدَ الْمُلُوكِ ذَوِي الْقَلَادِ الْأَقْدَمِ
 شَيْمٌ يُقَرُّ الْحَاسِدُونَ بِفَضْلِهَا وَالضُّبْحُ لَيْسَ ضِيَاؤُهُ بِمُكْتَمِ
 وَرِثَ السَّمَاحَةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ فَلَا كَرَمُ ابْنِ الْأَكْرَمِ ابْنِ الْأَكْرَمِ
 تَقَلُّوا الْمَعَالِيَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ مُطَرِّدِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمِ
 وَتَسْتَمُوا رَبَّ الْعَلَاءِ بِحَقِّهَا بِأَبٍ وَجَدَ فِي الْخِلَافَةِ وَابْنِ^(٣)
 يَا آلَ نَصْرٍ أَنْتُمْ سُرُجُ الْهُدَى فِي كُلِّ خُطْبٍ قَدْ تَجَهَّمُ مُظْلِمِ
 الْفَاعُونَ لِكُلِّ صَنْبٍ مُقْفَلٍ وَالْفَارِجُونَ لِكُلِّ خُطْبٍ مُبْهِمِ
 وَالْبَاسِمُونَ إِذَا الْكُمَاةَ عَوَابِسُ وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَحِزْبِهِ وَذَوِي السَّوَابِقِ وَالْجَوَارِ الْأَعْصَمِ^(٤)
 سَلَّ عَنْهُمْ أَحَدًا وَبَذَرَا تَلْفِهِمْ أَهْلَ الْغَنَاءِ بِهَا وَأَهْلَ الْمَغْنَمِ
 وَبَفَتْحِ مَكَّةَ كَرَّمُ لَهُمْ فِي يَوْمِهِ بِلَوَاءِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ مُتَقَدِّمِ
 أَقْسَمْتُ بِالْحَرَمِ الْأَمِينِ وَمَكَّةَ وَالرُّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَّزِمِ
 لَوْلَا مَا ثَرَّوْهُمْ وَفَضْلُ غُلَامِهِمْ مَا كَانَ يُعْزَى الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
 مَاذَا عَسَى أَتْنِي وَقَدْ أَتْنَتْ عَلَى عَلَيْهِمُ آيُ الْكِتَابِ الْحَكَمِ
 يَاوَارِثًا عَنْهَا مَا ثَرَّهَا الَّتِي قَدْ شَيَّدَتْ لِلْفَخْرِ أَشْرَفَ مَعْلَمِ
 يَا فَاخِرَ أُنْدُلُسٍ لَقَدْ مَدَّتْ إِلَى عَلَيْكَ كَفَّ اللَّانِذِ الْمُسْتَعْصَمِ

(١) الكباء (كساء) : عود البخور أو ضرب منه .

(٢) كذا في م ونجح الطيب . وفي ط : « ترفع » .

(٣) في فتح الطيب : « ما بين جد في الخلافة وابن » .

(٤) الجوار الأعصم ، أى الممتنع على من يريده بأذى .

أما سُعودُكَ في الوَعَى فتكفَلْتُ
وافيتَ هذا النُّفَرَ وهو على شَفَى
ورَعِيَّتُهُ بِسِياسةٍ دارَتْ على
كم لَيْلَةٍ قد بَتَّ فيها ساهراً
بأَظْهَرِ الأَلفاظِ وهى خَفِيَّةٌ
ثُمَّ دَوَّلْتُكَ الَّتِي آثَارُها
ما بَعْدَ يَوْمِكَ في المَواصِمِ بعد ما
وافتكِ أَشْرافُ البِلادِ بيومِهِ
صَرَفُوا إِلَيْكَ رِكابَهُمْ وتَيَمَّمُوا
وتَبَوَّأُوا مِنْهُ بدارِ كِرامَةٍ
وَدَّتْ نُجُومُ الأفقِ لو مَثَلَتْ بِهِ
والرَّوضُ مُخْتالٌ بِحُلَّةِ سُنْدُسٍ
ورِياحُهُ نَسَمَتْ بِنَشْرِ لَطِيمةٍ^(٢)
وَأَرَيْتُنَا فِيهِ عِجَابَ جَمَّةٍ
أَرْسَلَتْ سَرَعاَ الجِيادِ كَأَنَّها
مِنْ كُلِّ مُنْحَنٍ بِمُخْطَفَةٍ بارِقِ
بسلامَةِ الإسلامِ^(١) فأخَذَ واسِطَ
فَشَفَّيْتَ مُعْضِلَ دائِرَةِ المُسْتَحْكِمِ
مُخْتَطَّةَ دَوَرِ السَّوارِ بِمِغْصَمِ
تَهْدِي الأَمَانَ إلى العِيونِ النُّومِ
ومَهَبَ رِيحِ النَّصْرِ المُتَنَسِّمِ
سَيَرُ الرِّكابِ لِمُنْجِدٍ أَوْ مُنْهِمِ
أَتَبَعْتَ عِيدَ الفِطْرِ أَكْرَمَ مَوسِمِ
مِنْ كُلِّ نَذْبٍ لِلْعُلا مُتَسِّمِ
مِنْ بابِكَ المُنْتابِ خَيْرَ مُيَمِّمِ
فَالْكُلُّ بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُنْعَمِ
لَتَفُوزَ فِيهِ بِرُتْبَةِ المُسْتَخْدَمِ
مِنْ كُلِّ مَوْشَى الرُّقُومِ مُنْعَمِ
وَأَقاحُهُ بَسَمَتْ بِشَفْرِ مُثْلِمِ^(٣)
لَمْ تَجْرِ فِي خَالِدٍ وَلَمْ تُتَوِّمِ
أَسْرابُ طَيْرٍ فِي التَّنَوُّفَةِ حُومِ^(٤)
قَدْ كَادَ يَسْبِقُ لَمَحَّةَ المُتَوِّمِ^(٥)

(١) في م : « بسلامة الأملاك » .

(٢) اللطيمة : الطيب ، أو وعاء المسك ؛ وتطلق اللطيمة أيضاً على سوق المسك والمير التي تحملها .

(٣) في الأصلين وبعض نسخ نفع الطيب « مسلم » . وفي النسخة الخطية (رقم ٣٦٠) من نفع الطيب : « ملثم » . ويظهر أن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه . والثلثم : المفلج الأسنان .

(٤) سرعان الجياد : أوائلها . والتنوفاة : المفازة ، وهي الأرض البعيدة الواسعة الأطراف .

(٥) في ط : « منحرف » . ولا معنى له هنا وما أثبتناه عن النسخة المطبوعة من نفع الطيب .

طَرَفٍ يَشْكُ الطَّرْفُ فِي اسْتِثْبَاتِهِ فَكَأَنَّهُ ظَنٌّ بَصْدَرٍ مُرْجَمٍ
وَمُسَافِرٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُ أَنَّهُ يَرَقِي إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ
رَامَ اسْتِزْاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْعَعٌ فَأَصِيبُ مِنْ قُضْبِ الْعِصَى بِأَنْهَمٍ
رَجَمَتْهُ مِنْ شُهْبِ النَّصَالِ حَوَاصِبٍ^(١) لَوْلَا تَعَرُّضُهُ لَهَا لَمْ يُرْجَمِ
وَمُدَارَةُ الْأَفْلَاكِ أَعْجَزَ كُنْهَهَا إِبْدَاعَ كُلِّ مَهْنَدِسٍ وَمُهَنْدِمٍ
يَمْشِي الرِّجَالُ بِجَوْفِهَا وَجَمِيعُهُمْ عَنْ مُسْتَوَى قَدَمَيْهِ لَمْ يَتَقَدَّمِ
وَمُنَوَّعَ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا يَمْشِي عَلَى خَطِّ بِهِ مُتَوَهِّمٍ
فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوْهٍ ثُمَّ اسْتَوَى أَبْصَرَتْ طَيْرًا حَلَّ^(٢) صُورَةَ آدَمِ
يَمْشِي عَلَى فَنَنِ الرَّشَاءِ كَأَنَّهُ فِيهِ مُسَاوِرُ ذَابِلٍ أَوْ أَرْقَمِ
وَإِلَيْكَ مِنْ صَوْبِ الْعُقُولِ عَقِيلَةٌ وَقَفَتْ بِيَابِكَ وَقْفَةَ الْمُسْتَرْحِمِ
تَرْجُو قَبُولَكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَنَحَةٍ فَاسْمَحْ بِهِ خَلَّتْ مِنْ مُتَكَرِّمٍ
طَارَدَتْ فِيهَا وَصَفَ كُلِّ غَرِيبَةٍ فَنَظَمْتُ شَارِدَهُ الَّذِي لَمْ يُنْظَمْ
وَدَعَوْتُ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أَرْيَهُمْ « كَمْ غَادَرَ الشَّعْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّمٍ »^(٣)
مَا ذَاكَ إِلَّا بَعْضُ أَنْعَمِكَ الَّتِي قَدْ عَلَّمْتَنَا كَيْفَ شُكْرِ النُّعْمِ

ومنه
في صنيع الأمير
أبي عبد الله

نم قال : وأنشد من ذلك في الصنيع الخصوص بعمنا الأمير أبي عبد الله
رحمة الله تعالى عليه ، وأطنب في وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثار
مولانا الجدل رضي الله عنه :

سَلِ الْأَفْقَ بِالزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ حَالِيَا فَإِنِّي قَدْ أَوْدَعْتُهُ إِشْرَحَ حَالِيَا

(١) كذا في النسخة الخطية (رقم ٣٥٩) من فتح الطيب . وفي الأصلين وسائر نسخ فتح

الطيب : « قواضب » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٢) في فتح الطيب : « حول » .

(٣) هذا صدر مطولة عنتره المشهورة .

وَحَمَلْتُ مُعْتَلَّ النَّسِيمِ أَمَانَةً
فِيَا مَنْ رَأَى الْأَرْوَاحَ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
وَسَاوِسُكُمْ جَدَّتْ وَجَدَّتْ بِي الْهَوَى
وَمَنْ يُطِيعِ الْأَلْحَاطَ فِي شِرْعَةِ الْهَوَى
عَدَلْتُ بِقَلْبِي عَنْ وِلَايَةِ حُكْمِهِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَظَرَةٌ تَبْعَتْ الْهَوَى
فِيَا عَجَبًا لِلْعَيْنِ تَمْشِي طَلِيقَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفْسٌ نَفِيسَةٌ
وَيَارُبَّ عَهْدٍ لِلشَّبَابِ قَضَيْتُهُ
خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ رِقْبَةٍ
وَيَوْمَ بُمُسْتَنِّ الطُّبَاءِ شَهِدْتُهُ
وَلَمْ أَضْحُ مِنْ خَمْرِ اللَّحَاطِ وَقَدْ غَدَا
وَجَرَّدَ مِنْ غَمْدِ الْعَامَةِ صَارِمًا
تَبَسُّمٌ فَاسْتَبَسَّكَ جُنُونِي عَبْرَةً (١)
وَأَذْكَرَنِي ثَغْرًا ظَمِئْتُ لَوْرِدِهِ
وَرَاحَ [خَفُوقٍ] (٢) الْقَلْبِ مِثْلِي كَأَنَّمَا
وَلِيلَةَ بَاتَ الْبَدْرُ فِيهَا مُضَاجِعِي
كَرَعَتْ بِهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ

قَطَعْتُ بِهَا عُمَرَ الزَّمَانِ أَمَانِيَا
أُجَلِّهَا مَا يَسْتَخِفُّ الرُّوَاسِيَا
فَعَدَّ بِهَا الْقَلْبُ الْمَقْلَبُ هَازِيَا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْضِيَ نَصِيحًا وَلَا حِيَا
غَدَاةَ ارْتَقَى مِنْ جَاوِزِ اللَّحْظِ وَالِيَا
وَتُعْقِبُ مَا يُعْفِي الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
وَيُضْبِحُ مِنْ جَرَّائِهَا الْقَلْبُ غَانِيَا
يُرَخِّصُ مِنْهَا الْحُبَّ مَا كَانَ غَالِيَا
وَأَحْسَنْتُ مِنْ دَيْنِ الْوَصَالِ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ عَفَافِي لَمْ أَكُنْ عَنْهُ خَالِيَا
أَجَدَّ وَصَالًا بَالِيَا فِيهِ بَالِيَا (١)
بِهِ الْجَوَّ وَضَاحَ الْأَسْرَةِ ضَاحِيَا
مِنَ الْبَرْقِ مَصْقُولِ الصَّفِيحِ يَمَانِيَا (٢)
مَلَأْتُ مَذْرُؤَ السَّمْعِ مِنْهَا رِدَائِيَا
وَلَا وَالْهَوَى الْعُذْرَى مَا كُنْتُ نَاسِيَا
يَبْرِقُ الْحِمَى مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مَايَا
وَبَاتَ عُيُونُ الشَّهْبِ نَحْوِي رَوَانِيَا
بِمَوْرِدِ ثَغْرِ بَاتٍ بِالنَّارِ حَالِيَا

(١) مستن الطباء : مكان عدوها . وأجد : أحدث ووجد .

(٢) في نفح الطيب : « مصقول الصفيحة صافيا » . وفي م . « مصقول الصفاح » .

(٣) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب : « غمرة » .

(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

رَشِفْتُ بِهَا شَهْدَ الرُّضَابِ سُلَافَةً
فِيهَا بَرْدُ ذَاكَ الثَّغْرِ رَوَيْتَ غُلَّتِي
وَرَوْضَةَ حُسْنٍ لِلشَّبَابِ نَضِيرَةً
وَقَدَبْتُ أَسْقَى وَرْدَةَ الْخَدِّ أَدْمُعِي
وَمَالَتُ بِقَلْبِي مَائِلَاتُ قُدُودِهَا
حِزَى اللَّهِ ذَاكَ الْعَهْدَ عَوْدًا فَطَلَمَا
وَقُلْتُ لِلَّيَالِ فِي الشَّبَابِ نَعْمَتُهَا
وَيَا وَادِيَا رَفَّتْ عَلَيَّ ظِلَالُهُ
رَبَّتْنِي عُيُونُ السَّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا
فَلَوْلَا اعْتَصَامِي بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ^(١)
فَقُلْتُ لِلَّذِي يَنْبِي عَلَيَّ الْحُسْنَ شِعْرُهُ
فَكَمْ مِنْ شِكَاةٍ فِي الْهَوَى قَدَرَفَاتُهَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ مَهَرَتْهَا
وَلَا حَ عَمُودُ الصَّنِيعِ مِثْلَ انْتِسَائِهِ
إِيمَامُ أَفَادَ الْمَكْرُمَاتِ زَمَانُهُ
وَجَاوَزَ قَدْرَ الْبَدْرِ نُورًا وَرِفْعَةً
هُوَ الشَّمْسُ بَثَّتْ فِي الْبَسِيطَةِ نَفْعُهَا
هُوَ الْبَحْرُ بِالْإِحْسَانِ يَرْخُرُ مَوْجُهُ
وَقَبَّلْتُ فِي مَاءِ النَّعِيمِ الْأَفَاحِيَا
وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَدَبْتُ فَوَادِيَا
هَصَرْتُ بَغْضَنَ الْيَانِ فِيهَا الْمَجَانِيَا
فَأَصْبَحَ فِيهَا تَرْجِسُ اللَّحْظِ ذَاوِيَا
فَمَا لِلْقُدُودِ الْمَائِلَاتِ وَمَالِيَا
أَعَادَ عَلَيَّ رَبْعَ الظُّبَاءِ الْجَوَازِيَا^(٢)
وَقَضَيْتُهَا أَنْسَا سُقَيْتِ لَيْالِيَا
وَنَحْنُ نُذِيرُ الْوَصَلَ قُدَيْتِ وَادِيَا
رَمَيْنَ بِقَلْبِي فِي الْغِرَامِ الْغَرَامِيَا^(٣)
لَمَّا كُنْتُ مِنْ فَتْكَ الْوَاظِحِ نَاجِيَا
عَلَيْهِ مَعَ الْإِحْسَانِ لَا زِلْتُ بَانِيَا
وَرَقَعْتُهَا بِالْمَدْحِ إِذَا جَاءَ تَالِيَا
أُبَاهِي بِدُرِّ النِّظَمِ فِيهِ الدَّرَارِيَا
رَفَعْتُ عَلَيْهِ لِلْمَدْحِ الْمُبَانِيَا
وَشَادَ لَهُ فَوْقَ النُّجُومِ الْعَالِيَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالْكَامِلِ مُوَالِيَا
وَأَنَوَارُهَا أَبَدَتْ^(٤) قَرِيبَا وَقَاصِيَا
وَلَكِنَّهُ عَذَبُ إِمْنٍ جَاءَ عَافِيَا

(١) الجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، يريد بها النعمة والسيقا ونحوها .

(٢) فى م : « المراسيا » .

(٣) فى م : « الإمام محمد » .

(٤) كذا فى م . وفى ط : « أهدت » . وفى نفح الطيب : « أهدت » . وكلاما تحريف .

هو الغيث مهاب^(١) يُمْسِكُ الْغَيْثُ سُخْبَهُ
 شمائلُ لو أَنَّ الرِّياضَ بِحُسْنِهَا
 فَيَا بَنَ الْمُلُوكِ الصِّيدَ مِنْ آلِ خَزَرْجٍ
 أَلَسْتَ الَّذِي تَرْجُو الْعُقَاةُ نَوَّالَهُ
 أَلَسْتَ الَّذِي تَحْشَى الْبُعَاةُ صِيَالَهُ
 وَهَذِيكَ مَهْمًا ضَلَّتِ الشُّهُبُ قَصْدَهَا
 [وَعَزَمْتُكَ أَمْضَى مِنْ حُسَامِكَ فِي الْوَعَى
 فَكَمْ قَادِحٍ فِي الدِّينِ يَكْفُرُ رَبَّهُ
 وَمَا رَاعَاهُ إِلَّا حُسَامٌ وَعَزْمَةٌ
 فَلَوْلَاكَ يَا شَمْسَ الْخِلَافَةِ لَمْ يَبْنِ
 وَلَوْلَاكَ لَمْ تُرْفَعْ سَمَاءُ مَعْجَاجَةٍ
 وَلَوْلَاكَ لَمْ تُتَهْلَكْ غُصُونٌ مِنَ الْقَنَا
 فَأَتَمَّرَ فِيهَا النَّصْلُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٢)
 وَمَهْمًا غَدَا سَفَّاحُ سَيْفِكَ غَارِيَا
 قَضَى اللَّهُ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ أَنَّهُ
 فَكَمْ مَقْعَلٍ لِلْكَفْرِ^(٣) صَبَّحَتْ أَهْلَهُ
 رَقِيتَ إِلَيْهِ وَالشُّيُوفُ مُشِيحَةٌ
 يُرَوِّى بِسُخْبِ الْجُودِ مَنْ كَانَ صَادِيَا
 لَمَّا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا الْغَضُّ ذَاوِيَا
 وَذَا نَسَبٍ كَالصُّبْحِ عَزَّ مُسَامِيَا
 فَتُخْجَلْ جَدَوَاهُ السَّحَابُ الْغَوَادِيَا
 فَتُنْزَلَ عَلَيْهِ الصَّعَابُ الْغَوَادِيَا^(٤)
 تَوَلَّاهُ فِي جُنْحِ الدُّجْنَةِ هَادِيَا
 وَإِنْ كَانَ مَقْصُولُ الْغَرَارِينَ مَاضِيَا^(٥)
 قَدَحَتْ لَهُ زَنْدُ الْحَفِيطَةِ وَارِيَا
 مُضِيئَانِ فِي لَيْلِ الْخَطُوبِ الدَّوَاجِيَا
 سَبِيلُ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ خَافِيَا
 تَلَوَّحَ بِهَا بَيْضُ النُّصُولِ دَرَارِيَا
 وَكَانَتْ إِلَى وَزْدِ الدِّمَاءِ صَوَادِيَا
 فَأَجْنَى قِطَافَ الْفَتْحِ غَضًّا وَدَانِيَا
 يُغَادِرُ وَجْهَهُ الْأَرْضَ بِالْدَّمِ كَاسِيَا
 عَلَى مَنْ أَبَى الْإِسْلَامَ فِي الْأَرْضِ قَاضِيَا
 بِجَيْشٍ أَعَادَ الصُّبْحَ أَظْلَمَ دَاجِيَا
 وَقَدْ بَلَغَتْ فِيهِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَا

(١) في ط ونفع الطيب : « يهيم » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في نفع الطيب : « فتوجل عليه الصعاب »

(٣) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٤) في م : « موردا » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « فكم معقل في الأرض » .

فَفَتَحَتْ مَرْقَاةَ الْمَنْعِ عَنَوَةً وَبَاتَ بِهِ التَّوْحِيدُ يَغْلُو مُنَادِيَا
 وَأَنَا قَوْسُهُ بِالْقَسْرِ^(١) أَمْسَى مُعْطَلَا وَمِنْ بَرِّهِ بِالذِّكْرِ أَصْبَحَ حَالِيَا
 عَجَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَإِنَّمَا ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ هِمَّةٍ هِيَ مَا هِيََا
 فَمِنْكَ اسْتِفَادَ الدَّهْرُ كُلُّ عَجَبِيَّةٍ يَبَاهِي بِهَا الْأُمْلَاكُ أُخْرَى لَيَالِيَا
 وَعَنْكَ يُرَوَّى النَّاسُ كُلُّ غَرِيبَةٍ تَخُطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ أُمَالِيَا
 وَلِلَّهِ مَبْنَاكَ الْجَمِيلُ فَإِنَّهُ يَفُوقُ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ الْمَبَانِيَا
 فَكَمْ فِيهِ لِلْأَبْصَارِ مِنْ مُتَنَزِّهِ تَجِدُّ بِهِ نَفْسُ الْحَلِيمِ الْأَمَانِيَا
 وَتَهْوَى النُّجُومُ الزُّهْرُ لَوْ ثَبَتَتْ بِهِ وَلَمْ تَكُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ جَوَارِيَا
 وَلَوْ مَثَلَتْ فِي سَاحَتِهِ^(٢) لَسَابَقَتْ إِلَى خِدْمَةِ تَرْضِيكَ مِنْهَا الْجَوَارِيَا
 بِهِ الْبَهْوُ قَدْ حَازَ الْبَهَاءُ وَقَدْ غَدَا بِهِ الْقَصْرُ آفَاقَ السَّمَاءِ مُبَاهِيَا
 وَكَمْ حُلَّةٌ جَلَّلَتْهُ بِحُلِيِّهَا مِنْ الْوَشْيِ تُنْسَى السَّابِرِيُّ^(٣) الْإِيمَانِيَا
 وَكَمْ مِنْ قِسِيٍّ فِي ذَرَاهِ تَرَفَّعَتْ عَلَى عَمَدٍ بِالنُّورِ بَاتَ حَوَالِيَا
 فَتَحَسِبُهَا الْأَفْلَاكُ دَارَتْ قِسِيَّهَا تُظِلُّ عُمُودَ الصُّبْحِ إِذْ لَاحَ^(٤) بَادِيَا
 سَوَارِيَّ قَدْ جَاءَتْ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ فَطَارَتْ بِهَا الْأُمَثَالُ تَجْرَى سَوَارِيَا
 بِهِ الْمَرْمَرُ الْمَجْلُودُ قَدْ شَفَّ نُورُهُ فَيَجْلُو مِنَ الظُّلُمَاءِ مَا كَانَ دَاجِيَا
 إِذَا مَا أَضَاءَتْ بِالشُّعَاعِ تَخَالُهَا عَلَى عِظَمِ الْأَجْرَامِ مِنْهَا لَآلِيَا
 بِهِ الْبَحْرُ دَفَّاعَ الْعُبَابِ تَخَالُهُ إِذَا مَا انْبَرَى وَفَدَ النَّسِيمُ مُبَارِيَا

[٢٧٧]

(١) في م ، ط : « بالقس » وهو تحريف من الناسخ . وما أثبتناه عن نفع الطيب

المخطوط (رقم ٣٥٩) .

(٢) في نفع الطيب : « في سابقه » .

(٣) السابري : ثوب رقيق جيد .

(٤) في نفع الطيب : « بات » .

إذا ماجلت أيدى الصبا صفح مثنه
أرتنا دروعاً أكتسبتنا الأياوي^(١)
وراقصة في البحر طوع عنائها
تراجع الحان القيان العوايا^(٢)
إذا ما علت في الجوّ ثم تحدّرت
تحلّى بمرفض الجمّان النوايا
يذوب لجين سأل بين جواهر
غداً مثلها في الحُسن أبيض صافيا
نشاه جارٍ للعـيون بجامد
فلم أدر أياً منهما كان جاريا
فإن شئت تشبهاً له عن حقيقة
تصيب بها المرمى وبوركت راميا
فقل أرقت منها البعيرة بنتها^(٣)
كما يرقص المولود من كان لاهيا
أرتنا طباع الجود وهي وليدة
سقت نغز زهر الرّوض عذب برودها
كان قد رأت نهر المجرّة ناضباً
فرامت بأن تجزى إليه السّواقيا
وقامت بنات الدّوح فيه موائلا
فرادى ويثلو بعضهن مثائيا [٢٧٨]
رواضع في حجب الغمام ترعرعت
وشبت فشبت^(٥) حبّها في فؤاديا
بها كل ملثف الغدائر مستقبل
تجلى به أيدى النسيم مداريا^(٦)
وأشرف جيد الغضن فيها معطلاً
فقلدت النّوار منه التراقيا
إذا ما تحلّت درّ زهر غروسه^(٧)
يبيت لها النعام بالطيب واشيا

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « أرتنا الدراي واكتسبتنا ... » الخ .

(٢) في نفع الطيب المطبوع : « الأغانيا » . وفي المخطوطتين منه : « المغانيا » .

(٣) في نفع الطيب المطبوع والمخطوطتين : « منها » .

(٤) في نفع الطيب المطبوع : « الدهر » . وهو تحريف .

(٥) شبت : أشعلت وأوقدت .

(٦) الداري : جمع مدرى ، وهو المشط .

(٧) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « إذا ما أقلت در نغر بروده »

مُصَارَفَةُ النَّقْدَيْنِ فِيهَا بِمَثَلِهَا
فَإِنْ مَلَأَتْ كَفَّ النَّسِيمَ مَعَ الضَّحَى^(٢)
فَمِثْلًا حِجَرَ الرُّوضِ حَوْلَ غُصُونِهَا
تُفَرِّدُ^(٣) فِي أَفْنَانِهَا الطَّيْرُ كُلَّمَا
تُرَاجِعُهَا سَجْمًا فَتَحْسِبُ أَنَّهَا
فَلَمْ تَذَرِ^(٤) رَوْضًا مِنْهُ أَنْفَ نَضْرَةِ
وَلَمْ نَرَ قَصْرًا مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِرِهَا
مَعَانِي مِنْ نَفْسِ الْكَمَالِ انْتَقِيَتْهَا
وَقَاتَحَتْ مَبْنَاهُ بَعِيدٍ شَرَعَتْهُ
وَلَمَّا دَعَوْتَ النَّاسَ نَحْوَ صَنِيعِهَا
وَأَمَّوهُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ تَقَرَّبَا
وَأَذْكَرْتَ يَوْمَ الْعَرْضِ جُودًا وَمَنْعَةً
جَزَيْتَ بِهِ كُلًّا عَلَى حَالِ سَعْنِهِ
وَأَطْلَعْتَ مِنْ جَزَلِ الْوُقُودِ هَوَادِجًا
وَحِينَ غَدَا يُذَكِّي بِيَابِكَ^(٨) لِلْقَرَى

أَجَازَ بِهَا قَاضِيَ الْجَمَالِ التَّقَاضِيَا^(١)
دَرَاهِمَ نَوْرِ ظَلٍّ عَنْهَا مَكَافِيَا
دَنَانِيرَ شَمْسٍ تَتْرُكُ الرُّوضَ حَالِيَا
تَجَسُّ بِهَ أَيْدِي الْقِيَانِ الْمَلَاهِيَا
بِأَصْوَاتِهَا تُعْمَلِي عَلَيْهَا الْأَغَانِيَا
وَأَغْطَرِ أَرْجَاءَ وَأَحْلَى مَجَانِيَا
وَأَرْفَعِ آفَاقًا^(٥) وَأُفْسِحِ نَادِيَا
وَزَيَّنْتَ مِنْهَا بِالْجَمَالِ الْمَغَانِيَا
تَبَثُّ بِهِ فِي الْخَافِقَيْنِ التَّهَانِيَا^(٦)
أَجَابُوا لَهُ مِنْ جَانِبِ الْفُورِ^(٧) دَاعِيَا
وَمَا زَالَ مِنْكَ السَّعْدُ يُذْنِي الْأَقَاصِيَا
بِمَوْقِفِ عَرْضٍ كُنْتَ فِيهِ الْمَجَازِيَا
لَمَّا غَرَسْتَ يُمْنَاهُ أَصْبَحَ جَانِيَا
تَذَكَّرُ يَوْمَ النَّفْرِ مَنْ كَانَ سَاهِيَا
فَلَا غُرُو أَنْ أُجْرِيَتْ فِيهِ الْمَذَاكِيَا^(٩)

- (١) في نفح الطيب : « أجاز بها النقاد منها كما هيا » .
- (٢) في نفح الطيب : « بمثلها » مكان قوله : « مع الضحى » .
- (٣) في نفح الطيب : « تعود » .
- (٤) في ط : « فلم تر » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
- (٥) في ط : « وأوضح إباناً » مكان قوله : « وأرفع آفاقاً » ولا معنى له ، والتصويب عن نفح الطيب .
- (٦) في الأصلين : « التهانيا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
- (٧) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « الفوز » .
- (٨) كذا في م . وفي ط : « يذكي المنائر » . وفي نفح الطيب : « يذكي منائر » .
- (٩) المذاكي من الخيل : التي أقي عليها بعد اكتمال قوتها سنة أو سنتين .

وطاححة في الجوِّ غير مُطالعة
تدُّ لها الجوزاء كفَّ مُصافح^(١)
ولا عجب أن فاتت الشَّهب بالعلَّاء
فبين يديَّ متوَّالك قامت لخدمة
وشاهدُ ذا أنى ببابك واقفُ
وقد أُرِضتْ ندى الغمام^(٢) قبلها
فلما أُبينتْ عن قرارة أضلِّها
وعَدَّت لقاء السُّحب عيداً وموسماً
فأضحكت البرق الطُّروب خلالها
رأت نفسها طالت فظنت بأنها
نخفت إليها الذَّابلات^(٣) كأنها
حكَّت شهباً للنخل والنخل حوله
فمن مُنبت منها الرَّمِيَّة مدرك
وحِصْن منيع في ذراه قد ارتقى
كان بُروج الأفق غارت وقدرات
فأنشأت بُرجاً صاعداً متمزلاً
تطوَّر حالات أنى في ضروبها

يَرُدُّ مَدَّها الطَّرْفَ أَحْسَرَ عانياً
ويَدنو لها بدرُ السماء مُناجياً
وَأَنْ جَاوَزَتْ مِنْهَا المَدَى الْمُتَمَاهِيا
وَمَنْ خَدَمَ الأَعْلَى اسْتِفَادَ المَعَالِيا
وقد حَسَدَتْ زُهرُ النُّجوم مَكَانِيا
بِحَجَرِ رِياضٍ كُنَّ فِيهِ نَوَاشِيا
أَرَادَتْ إِلَى مَرْقَى الغمامِ تَعَالِيا
لِذَلِكَ اغْتَدَّت بِالزَّمْرِ تُلْهِى النُّوَادِيا
وبات لا كواس^(٤) الدَّرَارِى مُعَاطِيا
تَقُوتُ عَلَى رَغَمِ اللِّحَاقِ المَرَامِيا
طُيُورٌ إِلَى وَكْرِ أَطْلَنَ تَهَاوِيا
عَصَى إِلَى مَنَوَاهُ تَهْوِى عَوَالِيا
وَمِنْ طَائِفٍ فِي الجَوِّ حَلَقَ وَإِنِيا
فَأَبْعَدَ فِي الجَوِّ الفُضَاءَ المَرَاقِيا
بُرُوجٌ قُصُورٌ شِدْتُهُنَّ سَوَامِيا
يَكُونُ رَسولاً بَيْنَهُنَّ مُدَارِيا
بأنواع حَلَى تَسْتَفِزُّ النُّوَانِيا

(١) في نفع الطيب : « مسارع » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « الفاخر » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . والذي في ط : « بات » . ولم يسمع :

« أ كواس » جمعا لكأس . وإنما السموع : « أ كؤس وكؤوس وكئاس » .

(٤) يريد بالذابلات « النيازك » وهى الرماح . والذي في نفع الطيب : « الزائلات » .

فَجِجْلُ بَرَجْلِيهَا ، وَشَاحُ بَخَصْرِهَا
وَمَا هُوَ إِلَّا طَيْرٌ سَعْدٍ بِذِرْوَةٍ
أَمْوَلَايَ يَا غَرَّ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِهِ
بَنُوكَ عَلَى حَكْمِ السَّعَادَةِ خَمْسَةٌ
نَبَيْتُ لَهُمْ كَفْتُ الثَّرِيَّا مُعِيذَةٌ
أَسَامِ عَلَيْهَا لِلْسَّعَادَةِ مَيْسَمٌ
جَعَلْتَ أَبَا الْحَجَّاجِ فَاتِحَ طَرَسِهِمْ
وَحَسْبُكَ سَعْدٌ ثُمَّ نَصَرَ يَلِيهِمْ
أَقَمْتَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ سُنَّةً
وَجَاءُوا بِهِ بِمِلْءِ الْعُمُودِ وَسَامَةً
فِيَا عَادِلًا مَا كَانَ أَجْرًا مِثْلَهُ
وَجَاءَتْكَ مِنْ مِصْرَ التَّحَايَا كَرَامًا
وَوَافَتْكَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تَمِيمَةٌ
وَنَادَاكَ بِالتَّهْوِيلِ سُلْطَانُ طَيْبَةٍ
وَقَامَ وَقَدْ وَافَى ضَرْيَحَ مُحَمَّدٍ
مَرِيرَتِكَ الرَّحْمَى جَزَاكَ بِسُفْهِاءِهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا سُنَّةُ نَبَوِيَّةٍ
وَعُذْرٌ مِنَ الْإِعْذَارِ قَرَّرَ حُكْمَهُ

وَتَاجُ إِذَا (١) مَا حَلَّ مِنْهَا الْأَعَالِيَا
غَدَا زَاجِرًا مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ بَازِيَا
سَيَبْلُغُ دِينَ اللَّهِ مَا كَانَ رَاجِيَا
وَذَا عَدَدٌ لِلْعَيْنِ مَا زَالَ وَاقِيَا
وَيَصْبَحُ مُعْتَلُّ النَّسِيمِ رَوَاقِيَا (٢)
تَرَى الْعِزَّ فِيهَا مُسْتَكِنًا وَبَادِيَا
وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْكَ الْفُتُوحُ التَّوَالِيَا
مُحَمَّدُ الْأَرْضَى فَمَا زِلْتَ رَاضِيَا
وَجَدَدْتَ مِنْ رَسْمِ الْهِدَايَةِ عَافِيَا
يُقَلِّبُ وَجْهَ الْبَسْدِرِ أَزْهَرَ بَاهِيَا
فَيْثُكَ لَا يُدْمِي الْأَسْوَدَ الضَّوَارِيَا (٣)
كَمَا فَتَقَمْتُ أَيْدِي التَّجَارِ الْعَوَالِيَا
تَتَعَمُّ صُنْعَ اللَّهِ لَا زَالَ بَادِيَا
فِيَا طَيْبَ مَا أَهْدَى إِلَيْكَ مُنَادِيَا
لِسُلْطَانِكَ الْأَعْلَى هُنَالِكَ دَاعِيَا
إِلَهُ يُؤَفِّي فِي الْجَزَاءِ الْمَسَاعِيَا
عَهْدَنَاهُ مَهْدِيًا إِلَيْهَا وَهَادِيَا
مِنَ الشَّرْعِ أَخْبَارُ رُفِعْنَ عَوَالِيَا

(١) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « إل » .

(٢) في م : « ويصبح معتل النواسم راقيا » .

(٣) في ط : « فيا عادرا . . . * فثلك لا يرمى . . . الخ . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

لَزَعَتْ بِهَا لِحْزَبٌ^(١) أَهْوَالُ مَوْقِفٍ تَسْبُبُ بِمُبْيَضِ النُّصُولِ الْعَوَالِيَا [٢٨٠]
لَكَ الْحَمْدُ فِيهِ مِنْ صَنِيعِ تَعْدِهِ قَتَالُهُ فِي الْفَخْرِ غَزَزَ ثَانِيَا
تَشَدُّ لَهُ الْجَوَازُ عَقْدَ نِطَاقِهَا لَتَخْدُمَ فِيهِ كَيْ تَنَالَ الْمَعَالِيَا
وَهْنَيْتَ بِالْأَمْدَاحِ فِيهِ وَقَدْ غَدَا وَجُودُكَ^(٢) فِيهِ بِالْإِجَادَةِ وَاقِيَا
وَدُونَكَ مِنْ بَحْرِ الْبَيَانِ جَوَاهِرَا كَرُمَنْ فَا يُشْرَيْنِ إِلَّا غَوَالِيَا
وِظَارَدَتْ فِيهَا وَصَفَ كُلِّ غَرِيبَةٍ فَأَعْجَزَتْ مَنْ يَأْتِي وَمَنْ كَانَ مَاضِيَا
فَيَا وَارِثَ الْأَنْصَارِ لَا عَنْ كِلَالَةٍ تَرَاثَ جَلَالِ يَسْتَحِقُّ الرِّوَاثِيَا
بِأَمْدَاحِهِ جَاءَ الْكِتَابُ مَقْضَلَا يُرْتَلُّ فِي الذِّكْرِ مَنْ كَانَ تَالِيَا
لَقَدْ عَرَفْتَ الْإِسْلَامَ مِمَّا أَفَدْتَهُ^(٣) مَكَارِمَ أَنْصَارِيَّةٍ وَأَيَادِيَا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فَاسْلَمْ مُحَمَّدَا تَجَدَّدَ أَعْيَادَا وَتَبَلَّى أَعَادِيَا

ثم قال : وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا فِيمَا اعْتَمَدْنَا بِهِ نَحْنُ وَأَخُونَا الْمُتَوَلَّى بِالْأَمْرِ بَعْدَ
مَوْلَانَا الْوَالِدِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْجَمِيعِ مِنْ تِلْكَ الصَّنَائِعِ ، وَهِيَ جَامِعَةُ الْجَمِّ
الْأَوْصَافِ وَالْبِدَائِعِ :

في صنيع الغنى
بالله لإعذار
بعض حقيقته

نُجُومٌ أَمَدَّتْهَا بُدُورُهُ كَوَامِلُ لَهَا النُّورُ مِنْ شَمْسِ الْخِلَافَةِ شَامِلُ
وَفِي الشُّهْبِ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ مَشَابِهُ وَفِي الْبَدْرِ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ مَخَابِلُ
وَتَعَرَّفُ فِيهَا مِنْ أَيْبِهَا شَمَائِلُ كَمَا فِي أَيْبِهَا مِنْ أَيْبِهِ شَمَائِلُ
مَرَاتِبُ فِي عَدِّ الْحِسَابِ ثَلَاثَةٌ وَهُنَّ لِأَقْيَارِ الْعَلَاءِ مَنَازِلُ
طَلَعْنَ عَلَى حُكْمِ السَّعُودِ أَهْلَةٌ وَسَرْعَانَ مَا تَبَدُّوْهُنَّ كَوَامِلُ

(١) في نفع الطيب : « للجزر » .

(٢) في الأصل : « وفودك » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوطتين وفي الأصلين : « أجده » .

تَجَلَّتْ إِلَى الْأَبْصَارِ مِنْ أَفْقِ الْهُدَى
فِي أَيَّهَا الْمَوْلَى الَّذِي شَادَ آخِرًا
بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَنْامِلِ عِدَّةٌ
غُصُونُ بَرُوضِ الْجُودِ مِنْكَ تَرَعَرَعَتْ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى إِذَا مَا تُدَوِّكَرَتْ
غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالْعَفَاةُ مَسَائِلُ
سُيُوفُ مُحَلَّاهُ عَلَى عَاتِقِ الْهُدَى
تَخَافُ عُدَاةُ الدِّينِ مِنْهُمْ وَتَتَّقِي
وَإِنَّ أَبَا الْحَجَّاجِ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ
إِذَا اسْتُمِطِرَتْ فِي الْحَلِّ سُحُبُ بَنَانِهِ
وَإِنْ سَالَ مَاءُ الْبَشْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمَلِكِ صَارِمًا
وَأَبْنَاؤُهُ دُرٌّ تَنَاسَقَ عِقْدُهُ
أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ أَيْبَعَتْ
زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَلَاءِ تَطَلَّعَتْ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلٌ
أَقَمَتْ لَهَا الْإِعْدَارُ مَوْسِمَ رَحْمَةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا مُورِدٌ لِسَعَادَةٍ

وُبُتَّتْ إِلَى الْأَنْصَارِ مِنْهَا وَسَائِلُ
مِنْ الْفَخْرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
فَزَانَتْ يَدَ الْإِسْلَامِ تِلْكَ الْأَنْامِلُ
وَقَدْ جَادَهَا مِنْ صَوْبِ نِعْمَاكَ وَابِلُ
أَخْلَاقِهَا^(١) تَجَلَّى لَنَا أَمْ حَمَائِلُ
لُيُوثُ كِفَاحٍ وَالْكُمَاةُ تُنَازِلُ
إِذَا تُنْتَضَى تَمْضِي وَتَنْبُو الْمَنَاصِلُ^(٢)
كَأَنَّ تَنْقِي الْأُسْدَ الطَّبَاءَ الْجَوَائِلُ^(٣)
مَحَلُّ كَثِيرٍ دُونَهُ مُتَضَائِلُ
تَخَيَّلَتْ أَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا تُقَابِلُ
قَهْنَ لِمُسْتَجِدِّ هَوَامٍ هَوَامِلُ
فَلَيْسَ بِمَذْفُوعٍ عَنِ الْوَرْدِ سَائِلُ
لَهُ الْعَزْمُ نَضْلُ وَالسُّعُودُ حَمَائِلُ
يُحَلِّي بِهِمْ مِنْ كِبَرِ الْفَخْرِ عَاطِلُ
فَلَا رَوْضُهَا ذَاوُ وَلَا الزَّهْرُ ذَابِلُ
يُشَابِهُ بَعْضُ بَعْضَهَا وَيُشَاكِلُ
بِوَرْدِ الْمَعَالِي فِي الشَّبِيبَةِ نَاهِلُ
تَسَنَّتْ بِهِ لِلْمَتِّينِ الْمَآمِلُ
تَفِيضُ لَهَا مِنْهُ الْمَنَى وَالْفَوَاضِلُ

[٢٨١]

(١) في الأصلين : « لأخلاقها » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، ليستقيم الكلام .

(٢) كذا في م . وفي ط : « المفاصل » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « الجوازل » جمع جوزل ، وهو الفئ من الطباء .

وَأَجْرَيْنَتَ سِرْعَانَ الْجِيَادِ بِمَلْعَبٍ تَذَكَّرَ فِيهِ مَوْقِفَ الْجِدِّ هَازِلُ
نَجُومٍ وَأَفَاقُ الطَّرَادِ مَشَارِقُ عَلَيْهَا بُدُورٌ مِنْ وَجْهِهِ كَوَامِلُ
مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْفُتُوحِ فَطَالَمَا أُبَيِّحَتْ بِهَا لِلْكَافِرِينَ الْمَعَاقِلُ
فَأَشْهَبُ كَالِإِصْبَاحِ رَاقٍ أَدِيمُهُ وَغَالَتْ بِهِ شُهْبَ السَّمَاءِ الْغَوَائِلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشُّهْبَ فِي الْأَفْقِ كَلِمَا تَجَلَّى لَهُ الْإِصْبَاحُ فَهِيَ أَوَائِلُ
وَأَحْمَرُ زَانَ الْوَرْدِ مِنْهُ خَمِيلَةٌ يَحْفُ بِهِ نَهْرٌ مِنَ السَّيْفِ سَائِلُ
جَرَتْ لَوْنُهُ مِنْ فَوْقِهِ مُهْجُ الْعِدَا فَلَّاهُ مِنْهُ الْجَمَادُ الْمُتَسَائِلُ^(١)
تَلَاقَى بِهِ أُمَثَالُهُ فَكَانَهَا جَمَارٌ وَقَدْ أَذْكَى بِهَا الْبَأْسَ بَاسِلُ
إِذَا قُبِسَتْ بِالرُّكُضِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى^(٢) تُنِيرُ بِهَا لَيْسَلَ الْقَتَامِ مَشَاعِلُ
وَأَشْقَرُ مَهْمَا جَاوَزَ^(٣) الْبَرْقَ فِي مَدَى يَفُوتُ جُودَادَ الْبَرْقِ مِنْهُ الْمُجَاوِلُ
تَحَلَّى بِمَحْلُولِ^(٤) النَّضَارِ أَدِيمُهُ فَكَلَّ مُحَلَّى دُونَهُ فَهَوَّ عَاطِلُ
وَأَذْهَمُ فِي مِسْحِ الدُّجَى مُتَلَفِّعُ وَقَدْ خَاضَ مِنْهُ فِي الصَّبَاحِ الْأَسَافِلُ
يُكَلِّلُ بِالْجَوَزَاءِ حَلَى لُجَامِهِ فَدُرُّ الدَّرَارِي مِنْ حِلَاةِ عَوَاطِلُ
وَلَمْ يُرْضِهِ سَرَجُ الْهَلَالِ مُفَضَّضًا فَأَعْرَضَ عَنْهَا لِلْأَهْلَةِ نَاعِلُ
وَأَصْفَرُ فِي ثَوْبِ الْأَصِيلِ قَدَارِ تَدَى وَرَبَّتَمَا وَدَّتْ حِلَاةَ الْأَصَائِلِ
وَقَدْ قُدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيِّ جِلَالُهُ وَفِي ذَيْلِهِ صَبِغٌ مِنَ اللَّيْلِ حَائِلُ

(١) هذا البيت ساقط في ط .

(٢) كذا في م . وفي ط : « إذا اقتبست بالركن » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « جاوز » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بمجوال » .

وصَاعِدَةٌ فِي الْجَوِّ مِلءُ عِنَانِهَا تُسَامِتُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ وَتُطَوِّلُ
طَلَعَتْ تُحَيِّي الْبَدْرَ مِنْهَا بِصُعْدَةٍ عَلَيْهَا لَوَاهُ الصُّبْحِ فِي الْأَفْقِ مَائِلُ
وَقَدْ أَعْرَبَتْ بِالرَّفْعِ عَنْ طَيْبِ فَخْرِهَا مَتَى نَصَبَتْهَا فِي الْفَضَاءِ الْعَوَامِلُ
يَمُدُّ لَهَا الْكَفُّ الْخَضِيبُ بِسَاعِدِ وَيَشْكِي النِّمَاطُ الْأَعْزَلُ الرُّمَحَ عَامِلُ
وَبَتَّنَاتُهَا هَيْفُ الْعِصَى كَأَنَّهَا سِهَامٌ وَعَاها لِلرَّمِيَةِ نَابِلُ
تُرَاوِعُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تُضِيفُهَا فَسَامٌ ^(٣) لِأَعْلَى مُرْتَقَاهَا وَنَازِلُ
وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ بَعْضُ أَغْصَانِ دَوْحِهَا فَتَقْلَمُهَا عَنْهَا عَلَى الرَّغْمِ نَاقِلُ
فَخَنَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا وَتَسَابَقَتْ تُعَارِدُ مَسْرَاهَا بِهَا وَتُوَاصِلُ
وَبُرْجُ مُنِيفٍ فِي ذُرَاهَا قَدْ ارْتَقَى لَتَرْفَعَ مِنْهُ لِلْبُرُوجِ الرِّسَائِلُ
تَطْوُرُ حَالَاتٍ أُنَى فِي جَمِيعِهَا بِأَوْضَاعٍ ^(٤) حَلِيٍّ وَضْفُهُ مُتَغَافِلُ
فَتَنَاجٍ بِأَعْلَاهَا، وَشَاحٌ بِخَصْرِهَا وَفِي السَّاقِ مِنْهُ قَدْ أُدِيرَتْ خَلَائِلُ
وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدًّا مُلْكُهُ إِلَى اللَّهِ فِي الْبُقْيَا لِمَا صَدَّ سَائِلُ
وَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى الْقَصَرَ حَوْلَهُ مَنَازِلُ فِيهَا لِلشُّعُودِ مَنَازِلُ
تَرْوِقُكَ فِيهِ لِلْبُدُورِ مَطَالَعُ إِذَا مَثَلَتْ فِي سَاحَتَيْهِ الْأُمَائِلُ
مَظَاهِرُ أَقْمَارٍ مَرَاتِبُ أَنْجُمِ مَنَازِلُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ أَوَاهِلُ
وَقَدْ كَانَ هَوْلُ الْحَفْلِ رَوْعُ أَهْلَةٍ وَأُشْعِرَتْ الْإِشْفَاقُ تِلْكَ الْحَفَائِلُ

[٢٨٢]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « بِالْفَخْرِ » .

(٢) فِي م : « جُغْرَاهَا » .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « حِسَامٌ » وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا .

(٤) فِي م : « بِأَنْوَاعٍ » .

فأبدت به أبنائه نَجَلَكْ أَوْجُهَا
فلا الحفل مَرْهُوبٌ ولا الخطو قَاصِرٌ
ولا القلب مَنخوبٌ ولا الحلم طَائِشٌ
أولئك أبنائه الخلافة بُوكِرُوا
هَنِيئًا بها مِنْ سُنَّةِ نَبَوِيَّةٍ
ورُئِيَ له مِنْ عَازِرِ بَاتٍ عُدْرُهُ
فَنَقَصُ هِلَالِ الْأَفْقِ مَا زَالَ مُؤْذِنًا
وَمِنْ نَقْصِ ظِلِّ الشَّمْسِ زَادُ رِفْعَةٍ
وإن تَابَعَ النِّقْصُ الشُّهُورَ فَإِنَّهَا
وَنَقْصُ صَلَاةِ الظُّهْرِ يَوْمَ عَرُوبَةٍ
وإن نَقَصَ البَازِي رِيَاشَ جَنَاحِهِ
وَتَسْتَفْرِغُ الْأَنْعَامُ مَا فِي ضُرُوعِهَا
وَنَقْصُ زَكَاةِ الْمَالِ فِيهِ وَفُورُهُ
لَكَ الْخَيْرُ مِنْ صُنْعِ جَلُوتَ مُحَاسِنَا
أَلَا هَكَذَا. فَلْيَعْقِدِ الْقُخْرُ تَاجَهُ
بِأَبْلَجِ غَارِ الصُّبْحِ مِنْهُ بَطْلَمَةُ
إِذَا حَطَبَ الْعَالِيَا تَخَطَّتْ بِرَكْبِهِ
وَلَوْ رَامَ إِدْرَاكَ النُّجُومِ بِحِيلَةٍ
وإن طَلَبَتْ زُهْرُ النُّجُومِ لِحَاقَهُ
وَتَخَفُّقُ بِالنَّصْرِ الْقَزِيزِ بِنُودُهُ
وَلَيْلِ جِهَادِ بَاتٍ يَرعى نُجُومَهُ

تَبَيَّنُ إِلَى السَّارِينَ مِنْهَا الْمَجَاهِلُ
وَلَا السَّرْبُ مُرْتَاعٌ وَلَا الرَّوْعُ هَائِلُ
وَلَا الْعَقْلُ مَعْقُولٌ وَلَا الْفِكْرُ ذَاهِلُ
وَتَجْرَى عَلَى أَعْدَائِهِنَّ الصَّوَاهِلُ
زَهَا الْفَخْرَ مَحْصُولٌ لَدَيْهَا وَحَاصِلُ
وَأَوْهَمَ نَقْصًا فَضْلُهُ مُتَطَاوِلُ
لَمَرَّ آهٌ أَنْ يَبْدُو لَنَا وَهُوَ كَامِلُ
إِلَى أَنْ تُرَى وَالظِّلُّ فِي الشَّرْقِ مَائِلُ
عَلَى إِثْرِهِ تَأْتِي وَهْنٌ كَوَامِلُ
لِمَعْنَى كَمَالٍ أَوْضَحَتْهُ الدَّلَائِلُ
يَزِيدُ اسْتِبَاقًا وَهُوَ لِلصَّيْدِ خَائِلُ
عَشِيًّا لِنَغْدُو وَالضُّرُوعُ حَوَافِلُ
وَمَشَقُّ ذُبَابِ السَّيْفِ يَحْشَاهُ صَاقِلُ
يُحْدِثِي بِهَا حَادِي الشَّرَى وَيُنَاقِلُ
وَيَسْمُو إِلَى أَوْجِ الْعُلَا وَيَطَاوِلُ
لَهَا الْبَدْرُ تَاجٌ وَالنُّجُومُ قَبَائِلُ
عَلَى خَطَرِ الْمَسْعَى الْقَنَّا وَالْقَنَابِلُ
لَأَحْرَزَ مِنْ إِدْرَاكِهَا مَا يُحَاوِلُ
فَمِنْ دُونِ مَا تَبْغِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ
إِذَا خَفَقَتْ فِيهَا الصَّيَا وَالشَّمَائِلُ
فَلَا اللَّيْلُ مُنْجَابٌ وَلَا النَّجْمُ آفِلُ

يُرَاعَى حُجَاة الدِّينِ فِيهِ بِمُقَلَّةٍ يُرَاعَى بِهَا الإِسْلَامَ كَافٍ وَكَافِلُ
إِذَا اشْتَقَّ هَزَّ الرِّيحُ خَافِقُ بَنْدِهِ وَإِنْ حَنَّ غَنَّتُهُ الْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ
وَفِي اللّٰهِ عَنْ وَضَلِ الْأَحِبَّةَ مَرْغَبُ وَفِي الْغَزْوِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنَازِلِ ^(١) شَاغِلُ
مِنَ الْخَزَرَجِيِّينَ الَّذِينَ نَمَتَهُمْ عَشَائِرُ مِنْ قَحْطَانِهَا وَفَصَائِلُ
نَسَامَى إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ ^(٢) فَجُودُهُ بِمَاءِ سَمَاءٍ فِي الْبَسِيطَةِ حَائِلُ ^(٣)
أَقُولُ لِمُسْتَامِ الرِّبْعِ وَقَدْ غَدَا يَرُودُ مَصَابِ ^(٤) الْغَيْثِ وَالْعَامِ مَاجِلُ
أَمَامَكَ دَارُ الْغَنِيِّ رَبِّهِ بِأَرْجَائِهَا لِلْمُعْتَفِينَ مَنَاهِلُ
تَفَجَّرَ مِنْ كَفْيِهِ عَشْرَةُ أَجْحُرٍ يَغْصُ بِهِنَّ الْبَحْرُ ^(٥) وَهِيَ أَنَامِلُ
فَتَجَرَّى بِهَا سَفْنُ الرَّجَاءِ إِلَى مَدَى وَلَيْسَ إِلَى الْجُودَى مِنَ الْجُودِ سَاحِلُ ^(٦)
فَرَاغِيهِ تَسْتَجِدِّي الْعَفَاةُ نَوَالَهُ وَسَائِلُهُ تُرْجَى إِلَيْهِ الْوَسَائِلُ
أَحَادِيثُ عَنْهُ فِي السَّمَاحِ غَرِيبَةٌ يَرْوَى عَوَالِيهَا عَطَاءُ وَوَاصِلُ
لَكَ اللَّهُ مَنْ تُولَّى عَمَامُ بَنَانِهِ أَقَامَتْ فَرُوضَ الْبَرِّ مِنْهَا النِّوَافِلُ
طَلَعَتْ بِأَفْقِ الْقَرْبِ نَبِيرَ رَحْمَةٍ وَقَدْ شَرُفَتْ مِنْكَ الْعَمَلَا وَالْفَضَائِلُ
فَحَمْدُكَ أُخْرَى مَا أَفَادَتْ حَقَائِبُ وَذِكْرُكَ أَسْنَى مَا أَقَلَّتْ رَوَاحِلُ

(١) في م : « المعاهد » .

(٢) ماء السماء : لقب عامر بن حارثة الأزدي ، وهو أبو عمرو مزنيقا ، ويقال لولده :
بنو ماء السماء ، وهم ملوك الفساسنة الذين منهم الأنصار ، قبيلة المدوح . قال
بعض الأنصار :

أنا ابن مزنيقا عمرو وجدى أبوه عامر ماء السماء

(٣) في م : « جائل » بالحيم المعجمة .

(٤) كذا في م . ويرود مصاب الغيث ، أى يتطلب مساقط المطر . والذى في ط :
« يروم خصاب » .

(٥) في ط : « النهر » .

(٦) في م : « سوى » مكان قوله : « إلى » .

تَرُومُ جَوَارِي الشَّهْبِ شَاوِكَ فِي الْعُلَا
وَفِي الصُّبْحِ مِنْ ذَاكَ الْجَبِينِ أَشْعَةُ
وَفِي الرُّوضِ مِنْ رِيَاكِ عَرَفٌ وَنَفْحَةٌ ^(١)
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُجِ الْجُنُودَ إِلَى الْعُلَا
وَأِنْ لَمْ تَقُومْهَا سِهَامًا مَرِيضَةً
تَرِيشُ لَكَ الْأَقْدَارُ أَشْهُمَ أَسْعُدُ
لَكَ الْعِزُّ تَسْتَجْلِي الْخُطُوبَ بِنُورِهِ
إِذَا الْعِزُّ لَمْ يَصْقُلْ حُسَامَ كَمِيَّةٍ
فَقَبْلَ مِضَاءِ السَّيْفِ تُمْضِي عِزَّائِهِمْ
وَمَا يَسْتَوِي - وَالْعَلَمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ -
تُظَلِّلُ سَحْبُ الطَّيْرِ جَيْشَكَ حَيْثُمَا
فَلَاقَى بِهَا عِقْبَانَ طَيْرٍ وَرَابِعٍ
فَقُلْ أَعْمِيدِ الرُّومِ دُونَكَ فَارْتَقِبْ
وَشِمِّ بَارِقَ السَّيْفِ اللَّوْعَ جُفُونُهُ
وَلَا تَزُجِرِ الْغُرَبَانَ فِي الْبَحْرِ إِنَّهَا
وَلَكِنَّهَا وَاللَّهُ يُنَجِّزُ وَعْدَهُ
وَمُخَضَّرَةُ الْأَرْجَاءِ فِي جَنَابَاتِهَا
تَرَى الدُّوْحَ مِنْهَا بِالْأَسْنَةِ مَزْهَرًا
تَبْلُغُ غَلِيلَ الرُّمَحِ مِنْ مِهْجِ الْعِدَا

وَمِنْ دُونِهِ لِلنَّيِّرَاتِ مَرَاحِلُ
وَفِي الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ الْمُحَيَّا دَلَائِلُ
وَفِي الْغَيْثِ مِنْ يُمْنِكَ جُودٌ وَنَائِلُ
فَإِنْ جُنُودَ اللَّهِ عَنْكَ تُقَاتِلُ
فَإِنْ سِهَامَ اللَّهِ عَنْكَ تُنَاضِلُ
تُصَابُ بِهَا لِلدَّارِعِينَ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الصَّصْبَاحُ مِمَائِلُ
فَمَا نَافِعٌ مَا قَدْ جَلَّتْهُ الصَّيَاقِلُ
وَبَعْدَ بِنَاءِ الرَّأْيِ تُبْنَى الْمَعَاقِلُ
عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ وَجَاهِلُ
تَمِيلُ بِهِ الرَّايَاتُ وَهِيَ حَوَائِلُ
تُبِيدُ الْأَعَادَى وَالرِّمَاحُ حَبَائِلُ
طَلَانِعَ فِيهَا لِلْمَنَايَا رَسَائِلُ
سَحَابٌ ^(٢) قَتَامٌ تَحْتَهُ الدَّمُ سَائِلُ
سَفَائِنُ وَالْبَحْرُ الْمَذَلُّ حَامِلُ
جَوَارٍ بِأَسَادِ الرِّجَالِ حَوَائِلُ
مَسَارِحَ تَحْمِيهَا الرِّمَاحُ الذَّوَالِلُ
إِذَا مَا سَقَّتْهُ لِّلشُّيُوفِ الْجَدَاوِلُ
إِذَا مَا كَسَتْ مِنْهَا الرِّمَاحُ غَلَائِلُ

(١) في ط : « نعمة » ولا يستقيم بها الكلام هنا ، وما أثبتناه عن م .

(٢) في ط : « حسام » . وفي م : « سجام » ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

فِيَا عَجَبًا لِلرُّمَحِ رَوَيْتَهُ دَمًا وَقَدْ رَاقَ مِنْهُ الْعَيْنَ رِيَّانُ ذَابِلُ
لَقَدْ كَلَّمْتُ فِيكَ الْحَاسِنُ كُلُّهَا وَمَا كُلُّ مَنْ يُعْطَى الْخِلَافَةَ كَامِلُ
فَعِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ شُكْرُكَ عَاجِلُ وَعِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقُّ أَجْرُكَ آجِلُ
وَدُونِكَ مِنْ نَظْمِي جَوَاهِرُ حِكْمَةٍ يُفَاخِرُ مِنْهَا السَّخَرُ بِالشَّعْرِ بَابِلُ^(١)
وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكَرُ أَوْصَافِكَ الْعُلَا فَتَفَعَّلُ^(٢) يَا مَوْلَايَ وَالْعَبْدُ قَائِلُ
فَتَتَلَّى عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْهَا بَدَائِعُ وَتُجَلِّي عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْهَا عَقَائِلُ
وَلَوْ أَنَّنِي أَدْرَكْتُ أَعْصَارَ مَنْ مَغَى لَمَا قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمُتَخَايِلُ
«وَابْنِي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ» لَأَتَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ^(٣)
وَلَا افْتَخَرْتُ قَدَمًا إِيَادًا بِقُسَمَا وَلَا اسْتَضْحَيْتُ سَحَابَانِ فِي الْفَخْرِ وَائِلُ
فَلَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ مَوْزِدَ رَحْمَةٍ عِطَاشُ الْأَمَانِي فِي رِضَاكَ^(٤) نَوَاهِلُ
تُقِيمُ رُسُومَ الْعُلُواتِ^(٥) بِمَغْرِبِ وَذَكَرُكَ فِي أَقْصَى الْبَسِيطَةِ جَائِلُ
وَأَدْرَكْتُ فِي الْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ طَالِبُ وَبُلَّغْتَ فِي الْأَبْنَاءِ مَا أَنْتَ آمِلُ

في صنيع
لبعض أمراء
بنى الأحرار

ثم قال : ومن ذلك في الصنيع المختص بالأمراء الحلة ، أخصينا المعز لدولتنا
أبي الحسن ، وأخصينا أبي العباس ، وابن عمنا أبي عبد الله ، وصل الله سعودهم ،
ولقد أبدع في تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براءة تخميسه ، وذلك
عام عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبته لما عادت إلى ملكه ، قال :

(١) كذا في م . وفي ط « نائل » والمعنى لا يستقيم على هذه الرواية .

(٢) كذا في م . وفي ط : « فتفعل » .

(٣) البيت من قصيدة في الفخر لأبي العلاء المعري .

(٤) في م : « الأمانى في نوال نواهل » .

(٥) المطلوات : جمع معاودة (كسكرمة) من العاود ، يريد معالي الأمور ، ومكاسب
المعرف . وقد عثرنا عليها في اللسان نقلا عن ابن بري ، فليصح ما جاء
بالحاشية الثانية صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

أَرَقْتُ لِبَرْقِي مِثْلَ جَفْنِي سَاهِرًا يُنْظَمُ مِنْ قَطَرٍ^(١) الْغَامِ جَوَاهِرًا
فَأَضْحَكَ زَهْرُ الرُّوضِ مِنْهُ أَزَاهِرًا وَصَبَحَ حَكِي وَجْهَ الْخَلِيفَةِ بَاهِرًا
نَجَّيْتُ مِنْ نُورِ الْهُدَى وَتَجَسَّدَا

شِفَائِي مُعْتَلِّ النَّسِيمِ إِذَا انْتَبَرَى وَأَسْنَدَ عَنْ دَمْعِي الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَى
وَقَدْ فَتَقَ الْأَرْجَاءَ^(٢) مَسْكَاً وَعَنْبَرًا كَأَنَّ الْغَنَى بِاللَّهِ فِي الرُّوضِ قَدْ سَرَى
فَهَبْتُ بِهِ الْأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّدَا

عَذِيرِي مِنْ قَلْبٍ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا تَهَيَّجُهُ الدَّكْرَى وَيَصُبُّو إِلَى الصَّبَا
وَيَجْرِي جِيَادَ اللَّهِ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا وَلَوْلَا ابْنُ نَصْرِ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا^(٣)
رَأَى وَجْهَهُ صُبْحَ الْهِدَايَةِ فَاهْتَدَى

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شِكَايَةَ جَنَى الْحُسْنِ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جِنَايَةَ
وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْمُيُونِ نِكَايَةَ وَأُطْلِعَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ آيَةَ
مُحْيَا جَمِيلاً بِالصَّبَاحِ قَدْ ارْتَدَى

بِهَدْيِكَ تَهْدِي النُّيُورَاتُ وَتَهْتَدِي وَأَنْوَاءُهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدِي
وَعَدْلُكَ لِلْأَمْلَاقِ^(٤) أَوْضَحَ مُرْشِدٍ بَأَثَارِهِ فِي مُشْكِ الْأَمْرِ تَقْتَدِي
فَمَا بَالُ سُلْطَانِ الْجَمَالِ قَدْ اغْتَدَى

تَحْكُمُ مِنَّا فِي نُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ وَسَلَّ سَيُوفًا مِنْ جُفُونٍ نَحِيفَةٍ
أَلَمْ يَذِرْ أَنَا فِي ظِلَالِ خَلِيفَةٍ وَدَوْلَةٍ أَمْنٍ لَا تَرَاغُ مُنِيفَةٍ
بِهَا قَدْ رَسَا دِينُ الْهُدَى وَتَمَهَّدَا

(١) في ط : « نظم » . وما أنبتناه عن م والمحطوطتين من نفع الطيب : وهو أولى بالسياق .

(٢) فتق الأرجاء : طيبها واخلطها بمسك وعنبر .

(٣) كذا في نفع الطيب . وأعتب (هنا) : رضى . وفي (ط) : « ما أفاق ولا اجتبي » . وفي م : « وما احتبي » .

(٤) كذا في ط . والأملاك : جمع ملك (بكسر اللام) . وفي م : « للأفلاك » .

خُذُوا بِدَمِ الْمُشْتَاكِ لَحْظًا أَرَاقَهُ وَبَرَقًا بِأَعْلَامِ الثَّيْبَةِ شَاقَهُ
وإن كلفوه فَوْقَ مَا قَدْ أَطَاقَهُ يَبُثُّ حَدِيثًا مَا أَلَدَّ مَسَاقَهُ (١)
خَلِيفَتَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامَ مُحَمَّدًا

تَقَلَّدَ حُكْمَ الْقَدَلِ دِينًا وَمَذْهَبًا وَجَوَّزَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا
فَيَا عَجَبًا لِلشَّوْقِ أَذْكَى وَأَلْهَبَا وَسَلَّ صَبَاحًا صَارِمَ الْبَرْقِ مَذْهَبَا
وَقَدْ بَاتَ فِي جَفْنِ الْعَامَةِ مُغْمَدًا

[٢٨٦]

يَذْكُرُنِي ثَمْرًا لِأَسْمَاءَ أَشْنَبَا إِذَا ابْتَسَمْتَ تَجْلُو مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبَا
كَفَزِمَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا احْتَبَى وَأَجْرَى بِهِ طِرْفًا مِنَ الصُّبْحِ أَشْهَبَا
وَأَصْدَرَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَوْرَدَا

فَسُبْحَانَ مَنْ أَجْرَى الرِّيحَ بِنَصْرِهِ وَعَطَّرَ أَنْفَاسَ الرِّيَاضِ بِشُكْرِهِ
فَبَرْدُ الصَّبَا يُطَوِّى عَلَى طِيبِ نَشْرِهِ وَمِنْهَا تَجَلَّى وَجْهُهُ وَسَطَ قَصْرِهِ
تَرَى هَالَةً بَدْرُ السَّمَاءِ بِهَا بَدَا

إِمَامُ أَفَادِ الْعُلُوفَاتِ (٢) زَمَانَهُ فَمَا لَحِقَتْ زُهُرُ النُّجُومِ مَكَانَهُ
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَمَانَهُ وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ بَنَانَهُ
تُفَرِّقُ مُسْتَجِدِّهِ فِي أَبْحَرِ النَّدَى

هُوَ الْبَحْرُ مَدَّ الْعَارِضَ الْمُتَهَلَّلَا هُوَ الْبَدْرُ لَكِنْ لَا يَزَالُ مُكَمَّلَا
هُوَ الدَّهْرُ لَا يَخْشَى الْخُطُوبَ وَلَا وَلَا (٣) هُوَ الْعَالَمُ الْخَفَاقُ فِي هَضْبَةِ الْعَلَا
هُوَ الصَّارِمُ الْمَشْهُورُ فِي نَصْرَةِ الْهُدَى

(١) في م : « مذاقة » .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٨١ من هذا الجزء .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « ولا الولا » .

أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَى الْوُجُودَ وَجُودَهُ وَأَوْسَعَ مِنْ فَوْقِ الْبَسِيطَةِ جُودَهُ
لَقَدْ أَضْحَبَ النَّصْرَ الْعَزِيزَ بِنُودِهِ وَمَدَّ بِأَمْلَاكِ السَّمَاءِ جُنُودَهُ
وَأَنْجَزَ لِلْإِسْلَامِ بِالنَّصْرِ مَوْعِدًا

أَمَوَّلَايَ قَدْ أَنْجَحْتَ رَأْيَا وَرَأْيَةً وَلَمْ تُبْقِ فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ غَايَةً
فَتَهْدِي سَجَايَاكَ ابْنَ رُشْدٍ^(١) نِهَابَةً وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّعْدُ مِنْكَ بَدَايَةً
سَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُحَلَّدًا

سُعُودُكَ تُغْنِي عَنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ وَجُودُكَ يُزِرِّي بِالْغَنَامِ السَّوَاكِبِ
وَإِنْ زَاخَمَتْهَا شُهَبُهَا بِالنَّاكِبِ وَوَجَّهَكَ بِدَرْ الْمُتَنَدِّي وَالْمَوَاكِبِ
وَقَدْ فَسَحَتْ^(٢) فِي الْفَخْرِ أَبْنَاؤُكَ الْمَدَى

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَنْامِلِ عِدَّةً أَعَدَّتْ لِمَا يُخْشَى مِنَ الدَّهْرِ عِدَّةً
وَزَيْدَ بِهِمْ بَرْدُ الْخِلَافَةِ جِدَّةً أَطَالَ لَهُمْ فِي ظِلِّ مُلْكِكَ مِدَّةً
إِلَهُ يُطِيلُ الْعُمَرَ مِنْكَ مَوْبِدًا^(٣)

مُدُورٌ بِأَوْصَافِ السَّكَمَالِ اسْتَقَلَّتْ غَمَامٌ بِفِيَاضِ النُّوَالِ اسْتَهْلَتْ
سُيُوفٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالنَّصْرِ سُلَّتْ نُجُومٌ بِآفَاقِ الْعَلَاءِ تَجَلَّتْ
وَلَا حَتَّ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعَدَا

وَإِنْ أَبَا الْحَجَّاجِ سَيَفُكُ مُنْتَضَى وَبَدَّرُ بِآفَاقِ الْجَبَالِ تَعَرَّضَا
بَنُورِكَ يَا شَمْسُ الْخِلَافَةِ قَدْ أَضَا وَرَاقَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ حُلُلُ الرِّضَا
فَحَلَّ مُحَلًّا مِنْ رِضَاكَ^(٤) مُمَهَّدَا

(١) يريد : إذا كان ابن رشد قد جاء بـ « بداية المجتهد » ، فقد جاءت مهملة

وسجايك بالنهاية التي لا مطلب وراءها لمجتهد .

(٢) في الأصلين : « سبحت » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما أئتمناه عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « موبدا » . بالثناة النعتية .

(٤) في نفع الطيب : « علاك » .

مَلِيكَ لَهُ تَعْنُو الْمُلُوكُ جَلَالَةً يُجَرَّرُ أَذْيَالُ الْفَخَارِ مُطَالَةً
 وَتَفَرِّقُ أَسَدُ الْغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً وَتَرْضَاهُ أَنْصَارُ الرُّسُولِ سُلَالَةً
 فَأَبْنَاؤُهُ طَابُوا فَرُوعَا وَمَحْتَدَا
 أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْخِلَافَةِ أَيْبَعَتْ زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَلَاءِ تَطَلَّمَتْ
 جَوَاهِرُ أَعْيَتْ فِي الْجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ وَعَنْ قِيَمَةِ الْأَعْلَاقِ قَدْرًا تَرْفَعَتْ
 يُسَرُّ بِهَا الْإِسْلَامُ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
 بَعْدُ^(١) وَلِيَّ الْعَهْدِ - كُرِّمَ عَهْدُهُ وَأُنْجِزَ فِي تَخْلِيدِ مُلْكِكَ وَعْدُهُ -
 تَنْظُمُ مِنْهُمْ تَحْتَ شَمْلِكَ^(٢) عِقْدُهُ وَأَوْرَثَهُمْ فَخْرًا أَبْوَهُ وَجْدُهُ
 فَأَعْلَى عَلِيًّا حِينَ أَحْمَدَ أَحْمَدًا
 تَحُوطُ بِهِمْ مُلْكًا عَزِيزًا وَمِلَّةً وَتَلَحُّظُ عَيْنُ السَّعْدِ مِنْهُمْ أَهْلَةً
 سَبْدُو عَلَى أَفْقِ الْمَلَا مُسْتَقِلَّةً وَسُخْبًا بِفِيَاضِ النَّدَى مُسْتَهْلَةً
 تَجَرُّ بَحْرًا لِلسَّمَاحَةِ مَرْبَدًا
 وَنَجَلَّ نَصْرُهُ يَفْتَنِي نَجَلُ^(٣) رَسْمِهِ أَمِيرُ يَزِينُ الْعَقْلَ رَاجِحُ حِلْمِهِ
 أَنْتَاكَ بِنَجَلٍ يُسْتَضَاءُ بِنَجْمِهِ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ سَمَاءُ بِاسْمِهِ
 وَبِاسْمِكَ فِي هَذِي الْمَوَاقِفَةِ اقْتَدَى
 أَقَمْتَ بِإِعْذَارِ الْإِمَارَةِ سُنَّةً وَطَوَّقْتَهَا مِنْ حَلِي فَخْرِكَ مَنَّةً
 وَأَسْكَنْتَهَا فِي ظِلِّ بَرِّكَ جَنَّةً وَالْحَقَّتْهَا بَرْدَ اغْتِنَانِكَ جُنَّةً
 وَعَمَّرْتَ مِنْهَا بِالتَّلَاوَةِ مَسْجِدًا

(١) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « أبوهم » . وهو أبو الحجاج يوسف

ابن الغني بالله ..

(٢) في م : « ظلك » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « تفتني نحل » .

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَاهُمْ تَطَلَّعُوا غُصُونًا بِرَوْضِ الْجُودِ مِنْكَ تَرَعَّرَعُوا
وَفِي دَوْحَةِ الْعَلَمَاءِ مِنْكَ تَفَرَّعُوا مُلُوكُ بَجَلْبَابِ الْحَيَاءِ تَقَنَّعُوا
أَضَاءَ بِهِمْ مِنْ أَفْقِ قَصْرِكَ مُنْتَدَى

وَقَدْ أَشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نَفْسَهُمْ وَقَدْ أَفْرَعُوا^(١) فَوْقَ الْحُلِيِّ لَبُوسَهُمْ
وَقَدْ زَيْنُوا بِالْبَشْرِ فِيهِ شُمُوسَهُمْ وَعَاطَوْا كُثُوسَ الْأَنْسِ فِيهِ جَلِيلَهُمْ^(٢)
وَأَبْدَوْا عَلَى هَوْلِ الْمَقَامِ تَجَلَّدَا

شَمَائِلُ فِيهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ وَجَدَّهُمْ تَفَصَّلُ أَيْ الْفَخْرِ فِيهَا بِحَمْدِهِمْ
وَتَنَسَّبُهَا الْأَنْصَارُ قَدَمًا لِسَعْدِهِمْ نُضِيءُ بِهَا نُورًا مَصَابِيحُ سَعْدِهِمْ
وَلَمْ يَلَمْ لَا وَمِنْ حُجُبِ الرَّسُولِ تَوَقَّدَا

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا سُنَّةٌ قَدْ أَقَمْتَهَا وَسِيرَةٌ هَدَى لِلنَّبِيِّ عَلِمَتَهَا
وَأَحْكَامَ عَدْلِ لِلْجُنُودِ رَسَمَتَهَا لَجَّالَتْ بِهَا الْأَبْطَالُ تَقْصِدُ سَمَتَهَا
وَتَتَرَكُ أَوْصَالَ الْوَشِيحِ مُقْصِدًا^(٣)

وَيَا عَازِرًا أَبْدَى لَنَا الشَّرْعُ عُذْرَهُ طَرَقَتْ حِمَى قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَأَجْرِيَتْ طَيْبًا يَحْسُدُ الطَّيْبُ نَشْرَهُ لَقَدْ جُنْتُ مَا تَسْتَغْفِرُ الصَّيْدُ أَمْرَهُ
وَنَفْدِيهِ إِنْ يَقْبَلُ خَلِيقَتَهَا فِدَا

رَعَى اللَّهُ مِنْهَا دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةً أَفَادَتْ نَفُوسَ الْمُخْلِصِينَ إِنَابَةً
وَلَمْ تُلَفْ مِنْ دُونِ الْقَبُولِ حِجَابَةً وَعَازِرُهَا لَمْ يُبْدِ عُذْرًا مَهَابَةً
فَأَوْجَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَالًا تَرِيدًا

(١) في نفع الطيب : « وأضفوا به » مكان قوله : « وقد أفرغوا » .

(٢) في م : « الأمن » .

(٣) الوشيح : شجر الرماح ، ويريد به هنا الرماح نفسها . والمقصد : المكسر .

فَنَقِصْ زَكَاةَ^(١) الْمَالِ وَفِرْ نِصَابِهِ وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَعْدَ مَشْقٍ ذُبَابِهِ
وَمَا الزَّهْرُ إِلَّا بَعْدَ شَقٍّ إِهَابِهِ بِقَطْعِ يَرَاعِ الْخَطَّ حُسْنُ كِتَابِهِ
وَبِالْقَصِّ يَزْدَادُ الذُّبَالُ تَوْقَدًا

وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ سُنَّةِ الشَّرْعِ وَاجِبًا وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الْخِلَافَةِ حَاجِبًا
أَفْضَا نُهْنَى مِنْكَ جَذْلَانِ وَاهِبًا أَفَاضَ عَلَيْنَا أَنْعَمًا وَمَوَاهِبًا
تَعَوَّدَ بَذْلَ الْجُودِ فِيمَا تَعَوَّدَا

هَنِيئًا^(٢) هَذَا قَدْ بَلَغْتَ مَوْمَلًا وَأَطْلَعْتَ نُورًا يَبْهَرُ الْمُتَامِلًا
وَأَحْرَزْتَ أَجْرَ الْمُتَنَمِّينِ مُكْمَلًا تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى جَزِيلًا وَأَجْمَلًا
وَبَلَغَ فِيكَ الدِّينَ وَالْمُلْكَ مَقْصِدًا

أَلَا فِي سَبِيلِ الْعِزِّ وَالْفَخْرِ مَوْسِمٌ يَظَلُّ بِهِ تَفْرُ الْمَسْرَةَ يَنْتَسِمُ
وَعَرَفَ الرِّضَا مِنْ جَوْهٍ يَتَنَسَّمُ وَأَرْزَاقُ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ تُنْقَسَمُ
فَفِي وَصْفِهِ ذِهْنُ الدَّكِيِّ تَبَلَّدَا

وَجَلَّتْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ مَصَانِعَا تَعْنَى بُدُورُ التَّمِّ مِنْهَا مَطَالِعَا
وَأَبْدَيْتَ فِيهَا لِلْجَمَالِ بَدَائِعَا وَأَجْرَيْتَ^(٣) لِلْإِحْسَانِ فِيهَا مَشَارِعَا
يَوَدُّ بِهَا نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرِدَا

وَأَجْرَيْتَ فِيهَا الْخَلِيلَ وَهِيَ سَوَابِقُ وَإِنْ طَلَبْتَ فِي الرَّوْعِ فَهِيَ لَوَاحِقُ
نُجُومٌ وَأَفَاقُ الطَّرَادِ مَشَارِقُ يَفُوتُ التِّمَاحَ الطَّرْفُ مِنْهَا يَوَارِقُ
إِذَا مَا تَجَارَى الشُّهْبُ تَسْتَبِقُ الْمَدَى

(١) في نفع الطيب : « كمال » .

(٢) في نفع الطيب : « هنيئًا » مكان قوله : « بهذا » .

(٣) في م : « وأعذبت » .

وَتَطْلُعُ فِي لَيْلِ الْقِتَامِ كَوَاكِبًا وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ النَّهَارِ مَشَارِبًا
تَقُودُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهَا كَتَائِبًا فَتَرْسُمُ مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ مَحَارِبًا
تَحْرِثُ رُءُوسُ الرُّومِ فِيهِمْ سُجَّدًا

سَوَاحِجُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ سَوَاحِجُ وَهْنٌ لِأَبْوَابِ الْفَتْوحِ فَوَاحِجُ
تَقُودُ إِلَيْكَ النَّصْرَ وَاللَّهُ مَانِحُ فَمَا زِلْتَ بَابَ الْخَيْرِ وَاللَّهُ فَاتِحُ
وَمَا نَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَ مَا بَدَأَ

رِيَّاحٌ لَهَا مِثْنَى الْبُرُوقِ أَعْنَةً ظِلَاءٌ فَإِنْ جَنَّ الظَّلَامُ فَجِنَّةٌ
تَقِيهَا مِنَ الْبَدْرِ الْمُتَمِّمِ جِنَّةٌ وَتُشْرِعُ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ أَسْنَةٌ
فَتَقْدِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ فِي ثَغْرِ الْعِدَا

فَأَشْهَبُ مِنْ نَسْلِ الْوَجِيهِ إِذَا انْتَمَى جَرَى فَشَأَى شُهْبَ الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ
وَخَلَّفَ مِنْهَا فِي الْمُلْدِّ أَنْجُمًا تَرْدَى جَمَالًا بِالصَّبَاحِ وَرُبَّمَا
يَقُولُ لَهُ الْإِصْبَاحُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَا

وَأَجْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ النَّاسُ جَمْرَةً وَقَدْ بَسَلَبَ الْيَاقُوتَ وَالْوَرْدَ حُمْرَةً
أَدَارِ بِهِ سَاقِي مِنَ الْحَرْبِ خُمْرَةً وَأَبْدَى حَبَابًا فَوْقَهَا الْحُسْنَ غُرَّةً
يَزِينُ بِهَا خَدَّاءَ أُسَيْلَا مُورِّدًا

وَأَشْقَرُ مِنْهَا شَعِشَعَ الرَّكْضِ بَرْقَةً أَعَارَ جَوَادَ الْبَرْقِ فِي الْأَفْقِ سَبْقَةً
بَدَأَ شَفَقًا قَدْ جَلَّلَ الْحُسْنَ أَفْقَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْدَعَ خَلْقَهُ
فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الْحُسْنَ عُسْجَدًا

وَأَضْفَرُ قَدْ وَدَّ الْأَصِيلُ جَمَالَهُ وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيِّ جِلَالَهُ

إِذَا أُسْرِجُوا جُنَحَ الظَّلَامِ ذُبَالَهُ فَفَرَّتُهُ نَجْمٌ تَفِيءُ بِجَالِهِ
وَفِي ذَيْلِهِ ذَيْلُ الظَّلَامِ قَدْ ارْتَدَى

وَأَذْمُ فِي مَسْحِ^(١) الدَّجَى مُتَجَرِّدٌ بِحَيْشٍ بِهِ بَحْرٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزْبِدٌ
وَعُورَتُهُ نَجْمٌ بِهِ مُتَوَقِّدٌ لَهُ الْبَدْرُ سَرَجٌ وَالنُّجُومُ مُقَلَّدٌ
وَفِي فَلَقِ الصُّبْحِ الْمُبِينِ تَقِيْدًا

وَأَبْيَضُ كَالْقِرَاطِ لَاحَ صَبَاحُهُ عَلَى الْحُسْنِ مَغْدَاهُ وَفِيهِ مَرَاةُ
[وَلِلْغُلَبِيَّاتِ الْآنِسَاتِ]^(٢) مَرَاةُ تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَمَالَتُهُ رَاحُهُ
وَتَخْصِيئُهُ وَسَطُ الْجَمَالِ مُعْرِيدًا

وَذَاهِبَةٌ فِي الْجَوِّ مِلءُ عِنَانِهَا وَقَدْ لَفَعَهَا السُّحْبُ بُرْدَ عِنَانِهَا
يَفُوتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لِنَحْوَ عِيَانِهَا وَخَتَمَتِ الْجُوزَاءُ سَبْطَ بَنَانِهَا
وَصَاغَتْ لَهَا حَلَى النُّجُومِ مُقَيْدًا

أَرَاهَا عَمُودُ الصُّبْحِ عُلُوَّ الْمَصَاعِدِ وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ الْمَدَى الْمُتَبَاعِدِ
فَقَاتَتُهُ سَبْقًا فِي بَحَالِ الرُّوَاعِدِ وَأَتَخَفَتِ الْكَفَّ الْخَضِيبَ بِسَاعِدِ
فَطَوَّقَتِ الزُّهْرُ النُّجُومَ بِهَا يَدَا

وَقَدْ قَذَفَتْهَا لِلْعَصَى حَوَاصِبُ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا ذَوَائِبُ
تَرَاوَرَ مِنْهَا فِي الْفَضَاءِ حَبَائِبُ فَبَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مَنَاسِبُ
لِأَنَّهُمَا فِي الرُّوَضِ قَبْلُ تَوَلَّدَا

بَنَاتٌ لِأُمِّ قَدْ حَيَيْنَ بِرَوْحِهَا^(٣) دَعَاها الْهَوَى مِنْ بَعْدِ كَثْمٍ لِيَبْوَحَهَا

(١) في م : « جنح » .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في م . والذي في ط : « حلين بدوحها » .

فَأَقْلَامُهَا تَهْوِي لِخَطِّ بِلَوْحِهَا فَبِالْأَمْسِ كَانَتْ بَعْضُ أَغْصَانِ دَوْحِهَا
فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدُ عَوْدًا
وَيَا رَبِّ حِضْنِي فِي ذُرَاهَا قَدْ اعْتَلَى أَنْارَتْ بُرُوجَ الْأَفْقِ فِي مَظْهَرِ الْعُلَا
بُرُوجُ قُصُورٍ شَدَّتْهَا مُتَطَوَّلَا فَأَنْشَأَتْ بُرْجًا صَاعِدًا مُتَنَزِّلَا
يَكُونُ رَسُولًا بَيْنَهَا مُتَرَدِّدًا^(١)

وَهَلْ هِيَ إِلَّا هَالَةٌ حَوْلَ بَذْرِهَا يَصُوعُ لَهَا حَلِيمًا يَلِيقُ بِنَجْوِهَا
تَطَوَّرَ أَنْوَاعًا تَشِيدُ بِفَخْرِهَا فَحِجْلُ بِرِجْلَيْهَا وَشَاخُ بِخَضِرِهَا
وَتَأْجُ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَضَّدَا

أَرَادَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْعَمٌ فَقَامَ بِأَذْيَالِ الدُّجَى يَتَلَفَعُ
وَأَصْفَى لِأَخْبَارِ السَّمَاءِ يَتَسَمَّعُ فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرْعُ
لِتَقْدِفَهُ بِالرَّجْمِ مَتْنَى وَمَوْحَدَا

وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لُطْفَهُ
لِيَمُولَى تَوَلَّاهُ وَأَحْكَمَ رَضْفَهُ وَكَلَّفَ أَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ وَضْفَهُ
وَأَكْرَمَ مِنْهُ الْقَانِتَ الْمُتَهَجِّدَا

مُلَاقِي رَكِبٍ مِنْ وُفُودِ النَّوَاسِمِ مُقْبِلَ ثَغْرِ اللَّبْرِوقِ الْبَوَاسِمِ
مُخْتَمٌ كَفَّ بِالنَّجُومِ الْعَوَانِمِ مُبْلَغَ قَصْدٍ مِنْ حُضُورِ الْمَوَاسِمِ
تُجَدِّدُهُ مَهْمَا صَنِيعٌ تَجَدَّدَا

وَمُضْطَرِبٌ فِي الْجَوِّ أَثْبَتَ قَامَةً تَقْدَمَ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ كَرَامَةً
تَطْلَعُ فِي غُصْنِ الرِّشَاءِ كِيَامَةً وَتَحْسِبُهُ تَحْتَ الْعِمَامِ غَمَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهِ عَرَقُ النَّدَى

هَوَى وَاسْتَوَى فِي حَالِهِ وَتَقَلَّبَا كَخَاطِفِ بَرَقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُلْبَا
وَتَحَسَّبُهُ قَدْ دَارَ فِي الْأَفْقِ كَوْكَبَا وَمَهْمَا مَشَى وَاسْتَوْفَ الْعَقْلُ مُعْجَبَا
تُقَلَّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لَحْظًا مُرَدَّدَا

لَقَدْ رَامَ يَرْقَى لِلسَّمَاءِ بِسَلَمٍ فَيَمْشِي عَلَى خَطٍّ بِهِ مُتَوَهِّمٍ
أَجَلَ فِي الَّذِي يُبْذِرُهُ فِكْرَ تَوْسَمٍ تَرَى طَائِرًا قَدْ حَلَّ صُورَةَ آدَمِ
وَجِئْنَا بِمَهْوَاةِ الْفَضَاءِ تَمَرَّدَا

وَمُنْتَسِبٍ لِلْخَالِ^(١) سَمَوُهُ مُلْجَمَا لَهُ حَكَمَاتُ حُكْمِهَا فَاهُ أَلْجَمَا
تَخَالَفَ جِنْسًا وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى كَمَا جِنْسُهُ أَيْضًا تَخَافَ عَنْهُمَا
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ لَمْ يَلِدْ وَتَوَلَّدَا

ثَلَاثَتُهَا فِي الذِّكْرِ جَاءَتْ مُبِيدَةً مِنْ اللَّاءِ سَمَاهَا لَنَا اللَّهُ زِينَةً
وَأُنْزَلَ فِيهَا آيَةٌ مُسْتَبِينَةٌ وَأُودِعَ فِيهَا لِلْجُهُولِ سَكِينَةٌ
وَأَلَاءُهُ فِيهَا عَلَى الْخَلْقِ عَدَدَا

كَسَوُهُ مِنَ الْوُشْيِ الْيَمَانِي هَوْدَجَا يَمُدُّ عَلَى مَا فَوْقَهُ الظِّلَّ سَجَسَجَا
[وَكَمْ صُورَةٍ تُجَلَّى بِهِ تَبْهَرُ الْحِجَا وَجَزَلٍ وَقُودٍ نَارُهُ تَصْدَعُ الدُّجَى
وَقَلْبٍ حَسُودٍ غَاظٌ مَذْكِيهِ^(٢) مَوْقِدَا]

وَمَا هِيَ إِلَّا مَظْهَرُ إِجْهَادِهِ أَرْتَنَا^(٣) بِهَا الْأَفْرَاحُ فَضْلَ اجْتِهَادِهِ
مَلَأَ بِهَا هَزَّتْ قُدُودَ صِعَادِهِ وَأَذْكَرَتْ الْأَبْطَالَ يَوْمَ طِرَادِهِ
فَمَا أَرْنَبَتْ فِيهِ الْيَوْمَ صَدَقَتُهُ غَدَا

(١) يريد به البغل .

(٢) في م « تذكيه »

(٣) في الأصلين : « هدى » وما أثبتناه عن نفع الطيب .

أَلَا جَدَدَ الرَّحْمَنِ صُنْعًا حَضَرَتْهُ وَدَوْحُ الْأَمَانِي فِي ذَرَاهُ هَضَرَتْهُ
 بِقَصْرِ طَوِيلِ الْوَصْفِ فِيهِ اخْتَصَرَتْهُ يُقَيِّدُ طَرْفَ الطَّرْفِ ^(١) مَهْمَا نَظَرَتْهُ
 « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا » ^(٢)

دَعَوَتْ لَهُ الْأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ فَجَاءُوا بِأَمْالٍ لَهُ مُسْتَجِدَّةٍ
 وَخُصُّوا بِالطَّافِ لَدَيْهِ مُعَدَّةٍ أَيَادٍ بَيْضَ النَّدَى مُسْتَمِدَّةٍ
 فَكَلَّمَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ تَزَوَّدَا

وَجَاءَتْكَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ عِصَابَةٌ لَهَا فِي مَرَامِي الْمَكْرُمَاتِ إِصَابَةٌ
 أَحَبَّتْكَ حُبًّا لَيْسَ فِيهِ اسْتِرَابَةٌ وَلَبَّتْ دَوَاعِيَ الْخَيْرِ ^(٣) مِنْهَا إِجَابَةٌ
 وَنَادَاهُمْ التَّخْصِصُ فَايْتَدَرُوا النَّدَى

أَجَازُوا إِلَيْكَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ يَزْخَرُ ابْحَرْ سَمَاحٍ مَدُّهُ لَيْسَ يَجْزُرُ
 فَرَوَاهُمْ مِنْ عَذَابِ جُودِكَ كَوْتَرُ وَوَالَيْتَ مِنْ نِعْمَاكَ مَا لَيْسَ يُحْصَرُ
 وَعَظَّمْتَهُمْ تَرْجُو النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ بِهِ طَابَ مِنْ هَذَا النِّظَامِ اخْتِتَامُهُ
 وَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ حُلُوهَا كَلَامُهُ يَعْزُّ عَلَى أَهْلِ الْبَيَانِ مَرَامُهُ
 وَتَمْسِي لَهُ زُهْرُ الْكَوَا كِبِ حُسْدَا

أَبْتُ بِهِ حَادِي الرَّكَّابِ مُشْرِقًا حَدِيثَ جِهَادٍ لِلنَّفُوسِ مُشَوِّقًا
 رَمَيْتُ بِهِ مَنْ بِالْعِرَاقِ مُفَوِّقًا وَأَرْسَلْتُ مِنْهُ بِالْبَيْدِيعِ مُطَوِّقًا
 حَامَا عَلَى دَوْحِ الثَّنَاءِ مُغَرَّدَا

(١) طرف الطرف : تحريك البصر .

(٢) هذا مجز بيت للمتنبي ، وصدره : « وقيدت نفسي في ذراك محبة » .

(٣) في نفع الطيب : « الفوز » .

رَكَضْتُ بِهِ خَيْلَ الْبَيَّانِ إِلَى مَدَى فَأَحْرَزْتُ فَضْلَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْهَدَى ^(١)
وَنَظَّمْتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ مُجَلَّدًا ^(٢) وَطَوَّعْتُ جِيدَ الْفَخْرِ عَقْدًا مُنْضَدًا
وَقَتُّ بِهِ بَيْنَ السَّمَاطِينِ مُنْشَدًا

نَسَفْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ فِيهِ فَرَائِدًا وَأَرْسَلْتُ فِي رَوْضِ الْحَاسِنِ رَائِدًا
وَقَلَّدْتُ عِطْفَ الْمُلْكِ مِنْهُ قَلَائِدًا تَعَوَّذْتُ فِيهِ لِلْقَبُولِ عَوَائِدًا
فَلَا زِلْتُ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ ^(٣) مُعَوِّدًا

وَلَا زِلْتُ لِلصَّنْعِ الْجَمِيلِ مُجَدِّدًا وَلَا زِلْتُ لِلْفَخْرِ الْعَظِيمِ مُجَلَّدًا
وَعُمِّرْتُ عُمرًا لَا يَزَالُ مُجَدِّدًا وَمُتَّعْتُ بِالْأَبْنَاءِ أَوْحَدًا أَوْحَدًا
وَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنَاكَ مَا سَأَقُ حَدًا

ومن العيديات :

هَذِي الْمَعَالِمُ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ كُلُّ يَقُولٍ - إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ - اللَّهُ
بَحْرُ الْوُجُودِ وَفَلَكَ الْكَوْنُ جَارِيَةٌ وَبِاسْمِكَ اللَّهُ جُجْرَاهُ وَمُرْسَاهُ
مِنْ نُورٍ وَجْهِكَ ضَاءُ الْكَوْنِ أَجْمَعُهُ حَتَّى تَشِيدَ بِالْأَفْلَاكِ مَبْنَاهُ
عَرْشُ وَفَرْشُ وَأَمْلَاكَ مُسَخَّرَةٌ وَكُلُّهَا سَاجِدٌ لِلَّهِ مَوْلَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ وَأَوْسَعَ الْكَوْنِ قَبْلَ الْكَوْنِ نِعْمَاهُ
مَنْ يَنْسِبُ ^(٤) النُّورَ لِلْأَفْلَاكِ قُلْتُ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَطْلَعْتَ الْأَفْلَاكَ لَوْلَاهُ
مَوْلَايَ مَوْلَايَ بَحْرُ الْجُودِ أَغْرَقَنِي وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ فِي ذَا الْبَحْرِ قَدْ تَاهُوا
فَالْأَفْلَاكُ تَجْرِي كَمَا الْأَفْلَاكُ جَارِيَةٌ بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الْأَرْضِ أَشْبَاهُ

[٢٩٣]

(١) في نفع الطيب : « خصل » وما معنى :

(٢) في ط : « مقلدا » .

(٣) في م : « للفعل الجميل » ونفع الطيب .

(٤) في م : « ثبت » .

وَكُلُّهَا نِعْمٌ لِلْخَلْقِ شَامِلَةٌ
يَافَاتِقَ الرَّتْقِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ كَمَا
كُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لِي إِذْ كُنْتُ لَأَعْمَلًا
وَأَنْتَ فِي حَضْرَاتِ الْقُدُسِ تَنْقُلْنِي
مَا أَقْبَحَ الْعَبْدُ أَنْ يَنْسَى وَتَذَكُّرُهُ
غُفْرَانِكَ اللَّهُ مِنْ جَهْلِ بُلِيَّتٍ بِهِ
مَنِي عَلَى حِجَابٍ لَسْتُ أَرْفَعُهُ
فَعُدُّ عَلَى بِمَا عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ صَلَاةُ اللَّهِ دَائِمَةٌ
الْمُجْتَبَى وَزِنَادُ الثَّوْرِ مَا قُدِحَتْ
وَالْمُضْطَفَى وَكَيْلُ السَّكُونِ مَا فُتِحَتْ
وَلَا تَنْجَرُ نَهْرٌ لِلنَّهْرِ سَارٍ عَلَى
يَا فَاتِحَ الرُّسُلِ أَوْ يَا خَتَمَهَا شَرَفًا
لَمْ أَذْخِرْ غَيْرَ حُبِّ فَيْكِ أَرْفَعُهُ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ أَنْتَ صَفْوَتُهُ
وَعَمَّ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ مُصْبَتُهُ
وَحَصَّ أَنْصَارُهُ الْأَعْلَى صَفْوَتُهُ
أَنْصَارَ مِلَّتِهِ أَعْلَامَ بَيْعَتِهِ
وَأَيْدِ اللَّهِ مِنْ أَحْيَا جِهَادِهِمْ
الْمُنْتَقَى مِنْ صَمِيمِ الْفَخْرِ جَوْهَرُهُ
الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْإِقْبَالُ شَيْمَتُهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُحْصَى عَطَايَاهُ
فِي سَابِقِ الْعِلْمِ قَدْ خُطَّتْ قَضَايَاهُ
أَرْجُو وَلَا ذَنْبَ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشَاهُ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهِذَا السَّكُونِ مَثْوَاهُ
وَأَنْتَ بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ تَرْعَاهُ
فِيمَنْ أَفَادَ وَجُودِي كَيْفَ أَنْسَاهُ
إِلَّا بِتَوْفِيقٍ هَدَى مِنْكَ تَرْضَاهُ
فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَمَلْتُ رُحْمَاهُ
عَلَى الَّذِي بِاسْمِهِ فِي الذِّكْرِ سَمَاهُ
وَلَا زَكَ مِنْ نَسِيمِ الرُّوضِ مَسْرَاهُ
عَنْ زَهْرِ زَهْرِ يَرْوِقُ الْعَيْنَ مَرَاهُ
دُرِّ الدَّرَارِي فَعَطَاهُ وَأَخْفَاهُ
وَاللَّهُ قَدَسَ فِي الْحَالَيْنِ مَعْنَاهُ
وَسَيْلَةَ الْكَرِيمِ يَوْمَ أَلْقَاهُ
مَا طُيِّبَتْ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ أَفْوَاهُ
وَجَادَهُمْ مِنْ نَعِيرِ الْعَفْوِ أَصْفَاهُ
وَأَسْكِنُوا مِنْ جِوَارِ اللَّهِ أَعْلَاهُ
مَنَاقِبُ شَرُفَتْ أَثْنَى بِهَا اللَّهُ
وَأَوْصَلَ الْفَخْرَ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ
مَا بَيْنَ نَصْرِ وَأَنْصَارِ تَهَادَاهُ
وَالْبَأْسُ وَالْجُودُ بَعْضُ مِنْ سَجَايَاهُ

وهي طويلة ، سردها هذا المؤلف كلها ، ومنها :

يَهْنِي زَمَانُكَ أَعْيَادُ مُجَدَّدَةٍ مِنْ الْفُتُوحِ مَدَى الْأَيَّامِ تَغْشَاءُ
غَضِبْتَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا يَا حَبَّذَا غَضَبُ فِي اللَّهِ أَرْضَاهُ
فَوَقَّتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَأْشُهُ قَدَرُ وَسَدَّدَ اللَّهُ لِلْأَعْدَاءِ مَرَمَاهُ
مَنْهُمْ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ لَقَدْ رَمَى الْفَرَضَ الْأَقْصَى فَأَصْمَاهُ
مَنْ كَانَ بِنْدُكَ يَا مَوْلَايَ يَقْدُمُهُ فَلَيْسَ يُخْلِفُهُ فَتَحُ تَرْجَاهُ ^(١)
مَنْ كَانَ جُنْدُكَ جُنْدَ اللَّهِ يَنْصُرُهُ أَنَالَهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَسْنَاهُ
مَلَكَتُهُ غَرَبَهُ خُلِدَتْ مِنْ مَلِكٍ لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ مَا تَمْنَاهُ
وَسَامَ أَعْدَاءُكَ الْأَشْقَيْنَ مَا كَسَبُوا وَمَنْ تَرَدَّى رِذَاءَ الْغَدْرِ أُرْدَاهُ
قُلْ لِلَّذِي رَمَدَتْ جَهْلًا بَصِيرَتُهُ فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْهَدْيِ عَيْنَاهُ
غَطَّى الْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ لَهُ الْمَرَاشِدُ أَعْشَاهُ وَأَعْمَاهُ
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ الْغَدْرِ تُوبِقَهُ أَنْ الَّذِي قَدْ كَسَاهُ الْعِزُّ أَعْرَاهُ
لَوْ كَانَ يَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ مَا زِلْتَ مَلْجَأُ الْأَحْمَى وَمَنْجَاهُ
سَلِّ السَّعُودَ وَخَلِّ الْبَيْضَ مُغَمَّدَةً فَالسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فَالسَّعْدُ أَمْضَاهُ
وَاشْرَعْ مِنَ الْبَرْقِ نَصْلًا رَاعِ مُضَلَّتَهُ ^(٢) وَارْفَعْ مِنَ الصُّبْحِ بِنْدًا رَاقٍ مَجْلَاهُ
فَالْعُدُوتَانِ وَمَا قَدْ ضَمَّ مُلْكُهُمَا أَنْصَارُ مُلْكِكَ صَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣)
لَا أَوْحَشَ اللَّهُ قَطْرًا أَنْتَ مَالِكُهُ وَأَنْسَ اللَّهُ بِالْأَلْطَافِ مَغْنَاهُ
لَا أَظْلَمَ اللَّهُ أَفْقًا أَنْتَ نَيْرُهُ لَا أَهْمَلَ اللَّهُ سَرَحًا أَنْتَ تَرْعَاهُ

(١) كذا في م . وفي ط : « نصر شرحناه » .

(٢) في م : « مقتله » .

(٣) في م : « معلاه » .

وَاهْنًا بِشَهْرِ صِيَامٍ جَاءَ رَائِدُهُ ^(١)
 أَهْلًا بِالسَّعْدِ فَانْهَلَتْ بِهِ مِنْ
 أَمَا تَرَى بَرَكَاتِ الْأَرْضِ شَامِلَةً
 وَعَادَكَ الْعَمِيدُ تَسْتَخْلِي مَوَارِدَهُ
 جَهَزْتَ جَيْشَ دُعَاءٍ فِيهِ تَرْفَعُهُ
 أَفْضَتْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَاءِ أَجْرَلَهَا
 وَالْيَتَ لِلْخَلْقِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
 (مُسْتَنْزِلًا) مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ رُحْمَاهُ
 وَأَوْسَعَ الصَّنْعِ إِنْجَالًا وَوَفَاهُ
 وَأَنْعَمَ اللَّهُ قَدْ عَمَّتْ بَرَآيَاهُ
 وَبُجْزِلُ الْأَجْرِ وَالرُّحْمَى مُصَلَّاهُ
 لَدَيْ الْمَعَارِجِ وَالْإِخْلَاصُ رَقَاهُ
 وَأَحْسَنُ الْبِرِّ مَا الْإِحْسَانُ زَكَاهُ
 وَالْيَ لَكَ اللَّهُ مَا أَوْلَى وَوَالَاهُ

ثم قال بعد سرد عدّة قصائد : ومن بدائمه المنيفة عيدية ميلادية ، وافقتها
 وجهته من غزوات مولانا الجدا أيضا :

لَوْ كُنْتُ أُعْطَى مِنْ لِقَائِكَ سُؤلاً
 أَوْ كُنْتُ أَبْلُغُ مِنْ قَبُولِكَ مَأْتِلاً
 لَكِنْ مُعْتَلِّ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
 وَبِملْتَقَى الْأَرْوَاحِ دَوْحَهُ أُنْكَرُ
 عَهْدِي بِهَا سَدَلْتُ عَلَى ظِلَالِهَا
 رَنَعْتُ بِهِ حَوْلِي الظُّبَاهِ أَوَانِسَا
 وَصَلْتُ لِلْحَسَنَاءِ صَفْحَ مَوَدِّي
 ثُمَّ انْتَشَيْتُ ^(٢) وَقَدْ تَعَاطَيْتُ الْهُوَى
 كَمْ فِيهِ مِنْ مُلَحٍ لِمُرْتَادِ الْهُوَى
 لَمْ أَتَّخِذْ بَرَقَ الْعَمَامِ رُسُولَا
 لَمْ أُوْدِعْ الشُّكُوى صَبَاً وَقَبُولَا
 مَا زَالَ يُوسِعُ ذَا الْهُوَى تَعْلِيلَا
 جَاذِبَتْهَا عِنْدَ الْهُبُوبِ مِمْلَا ^(٣)
 فَسَدَلْتُ ظِلًّا لِلشَّبَابِ ظَلِيلَا
 فَنَعِمْتُ فِيهِ مَعْرُومًا وَمَقِيلَا
 لَمَّا اجْتَلَيْتُ التَّارِضَ الْمَصْفُولَا
 رِيماً أَعْرَ وَجُودَراً مَكْهُولَا
 تَرَكْتُ فَوَادَ مُحِبِّهِ مَتْبُولَا

(١) كذا في م . وفي ط : « زائر » .

(٢) في م : « مهلا » .

(٣) في م : « انتيت » .

لم تَرَوْ لِي عَيْنَاهُ حِكْمَةً بَابِلٍ إِلَّا أَخَذْتُ حَدِيثَهَا مَقْبُولًا
وَلَقَدْ أَجَدَّ جَوَايَ لَمَّا زُرْتُهُ رَسَمًا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ مُحِيلًا
قَدْ أَنْكَرْتُهُ الْعَيْنُ إِلَّا لَمَحَةً عَرَفْتُ بِهِ آثَارَهُ تَخْمِيلًا
وَإِذَا الطُّلُولُ تَعَرَّضَتْ لِمَتَمِّمْ غَادَرْنَ دَمْعَ جُفُونِهِ مَطْلُولًا
مَنْ يُنَجِدُ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَإِنَّهُ بَعْدَ الْأَحْبَةِ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلًا
كَيْفَ التَّجَمُّلُ^(١) بَعْدَهُمْ وَأَنَا الَّذِي أَنْسَيْتُ قَيْسًا فِي الْهَوَى [وَأَجْمِيلًا
مَنْ عَادَرِي وَالْقَلْبُ أَوَّلُ عَاذِلِ فِيمَنْ أَفَنَدَ^(٢) لَا يَمَّا وَعَاذُولًا
أَتَبِعْتُ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ أُمَّةً مَا بَدَلُوا فِي حُبِّهِمْ تَبْدِيلًا
يَا مَوْرِدًا حَامَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا لَوْ نِيلَ لَمْ تَجْرِ^(٣) الْمَدَامِغُ نِيلًا
مَا ضَرَّ مَنْ رَقَّتْ^(٤) غَلَاثِلُهُ ضَحَى لَوْ بَاتَ يَنْفَعُ لِلْحُبِّ غَلِيلًا
كَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى قَلْبًا كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ لَا
أَعْدَيْتُ وَاصِلَةَ الْهَدِيلِ بِسُحْرَةٍ شَجَوَا وَجَاحِمَةَ الْأَصِيلِ نَحُولًا
وَسَرَيْتُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ لَعَلَّنِي أَخْتَلُّ حَيًّا بِالْعَقِيقِ حُلُولًا
هَذَا وَوَجْدِي مِثْلُ وَجْدِي عِنْدَ مَا اسْتَشَعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الْحِجَازِ رَحِيلًا
قَدْ سَدَّدُوا الْأَنْضَاءَ ثُمَّ تَتَابَعُوا يَتَلَوُ رَعِيلٌ فِي الْفَلَاةِ رَعِيلًا
مِثْلُ الْقِسَى ضَوَامِرُ قَدْ أُرْسِلَتْ يَذْرَعْنَ عَرْضَ الْبَيْدِ مِيلًا مِيلًا
مُتَرَنِّجِينَ عَلَى الرَّحَالِ كَأَنَّمَا عَاطِينَ مِنْ فَرْطِ الْكَلَالِ شُمُولًا
إِنْ يَلْتَبَسَ عِلْمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمْ جَعَلُوا التَّشَوُّقَ لِلرَّسُولِ دَلِيلًا

[٢٩٦]

(١) كذا في م . ولدي ط : « التحمل » بالحاء المهملة .

(٢) كذا في م . والذي في سائر الأصول : « أقيد » .

(٣) في ط : « وموارد » و « لم ألف » . مكان قوله « ياموردا » و « لم تجر » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « رافت » .

يَارَاحِلِينَ وَمَا تَحْتَمِلَ رَكْبُهُمْ إِلَّا قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ حُمُولًا
 نَاصِدْتُمْ عَنْكُمْ عَهْدَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا وَالْقَهْدُ فِينَا لَمْ يَزَلْ مَسْئُولًا
 مَهْمًا وَصَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِنَ الثَّرَى أَنْ تَوْسِعُوا ذَاكَ الثَّرَى تَقْبِيلًا
 يَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعْرَسُ لَيْلَةً فَأَيْمٌ حَوْلِي إِذْخِرًا وَجَلِيلًا^(١)
 أَوْ تَزُونِي^(٢) يَوْمَ مَيَاهُ تَجَنُّسَةٍ وَيَشِيمُ طَرْفِي شَامَةً وَطَفِيلًا^(٣)
 وَأَيْتُ لَأَحْرِمَ الشَّرِيفِ نَزِيلًا وَأَيْتُ لَأَحْرِمَ الشَّرِيفِ نَزِيلًا
 بِمَنَازِلِ الْوَحْيِ الَّتِي قَدْ شُرِّفَتْ قَدْ شَافَعَتْ أَعْلَامُهَا التَّنْزِيلَ
 بِمَعَاهِدِ الْإِيمَانِ وَالذِّينِ الَّتِي قَدْ صَافَحَتْ عَرَصَاتُهَا جَنَرِيلًا
 وَمُهَاجِرِ الدِّينِ الْجَنَيفِ وَأَهْلِهِ حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ الْأَمَانُ دَخِيلًا
 دَارِ الرُّسُولِ وَمَطْلَعِ الْقَمَرِ^(٤) الَّذِي إِبْدَاؤُهُ مَا فَارَقَ التَّكْمِيلَ
 يَأْتِيكَ ذَا تِلْكَ الْعَالَمِ وَالرُّبَا لَأَحَبُّ إِلَيَّ تِلْكَ الْعَالَمِ وَالرُّبَا
 حَيْثُ النُّبُوَّةُ قَدْ جَلَّتْ آفَاقُهَا حَيْثُ الرِّسَالَةُ فَصَلَّتْ أَحْكَامُهَا
 حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدْ رَسَتْ^(٥) أَوْ كَانَتْهَا وَجَهًا مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ^(٥) جَمِيلًا
 لَتُبَيِّنَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ لَتُبَيِّنَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ
 فَالْتَّصُ مِنْهَا يَفْضُدُ التَّأْوِيلَ فَالْتَّصُ مِنْهَا يَفْضُدُ التَّأْوِيلَ

(١) الإذخر (بكسر الهمزة والحاء) : حشيش طيب الريح وإذا جف ابيض. والجليل : الثمام.

(٢) كذا في الأصولين .

(٣) محنة (بفتح الميم وكسرهما) : موضع قرب مكة . وشامة وطفيل : جبلان بمكة .

وقد أخذ معنى هذا البيت والذي قبله من قول بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة
 وهل أردن يوماً مياه محنة
 بفتح وحول لإذخر وجليل
 وهل يدون لي شامة وطفيل

(٤) في ط : « الفخر » .

(٥) في ط : « الصبح الجميل » .

(٦) في م : « دمعت » .

حَيْثُ الْهَدَى وَالْدِّينُ وَالْحَقُّ الَّذِي
حَيْثُ الضَّرِيحُ يَضُمُّ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ
إِنَّ الْإِلَٰهَ اخْتَارَهَا ^(١) إِمْقَامِهِ
رَحِمَ الْإِلَٰهَ الْعَالَمِينَ بِبِعْثِهِ
بِدُعَائِهِ انْقَشَعَ الْغَمَامُ ^(٢) وَقَبْلَهَا
وَالشَّمْسُ قَدْ رُدَّتْ لَهُ وَلَطَالَمَا
لَمْ لَا يَطَاوِعُهُ الْوُجُودُ وَقَدْ غَدَا
يَا نُسْكَةً الْأَكْوَانِ يَا عِلْمَ الْهَدَى
لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ لِلْكِيَانِ حَقِيقَةٌ
لَوْلَاكَ لِلزُّهْرِ الْكَوَاكِبُ لَمْ تُلْخُ
لَوْلَاكَ لَمْ تَجُلُ السَّمَاءُ شُمُوسَهَا
لَوْلَاكَ مَا عُيِدَ الْإِلَٰهُ وَمَا غَدَا
يَا رَحْمَةً اللَّهِ الَّتِي أَنْطَافُهَا
يَا حُبَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا
كَمْ آيَةٌ لَكَ قَدْ صَدَعَتْ بِنُورِهَا
أَوْضَحَتْهَا كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَأَتَيْتَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيَّنًا
أَتْنَى عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ مَنْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

حَقَّ الضَّلَالِ وَأَذْهَبَ التَّضَلُّيلَا
وَأَجَلَ خَلَقِ اللَّهِ جِيلاً جِيلاً
وَاخْتَارَهُ لِلْعَالَمِينَ رَسُولَا
فِيهِمْ وَفَضَّلَ جِنْسَهُ تَقْضِيلاً
وَالَّتِ بِدَعْوَتِهِ الْغَمَامُ هُمُولا
قَدْ ظَلَلَتْهُ سَحَابُهَا تَظْلِيلَا
مِنْ نُورِهِ فِي خَلْقِهِ مَقُولَا
آيَاتُ فَضْلِكَ رُتِلَتْ تَرْتِيلَا
وَلَكَانَ بَابُ وُجُودِهَا مَقْفُولَا ^(٣)
مِثْلَ الْأَزْهَرِ مَا عَرَفْنَ ذُبُولَا
وَلَكَانَ سَجَفُ ظِلَامِهَا مَسْبُولَا
رَبْعُ الْجِنَانِ بِأَهْلِهِ مَأْهُولَا
سَحَبَتْ عَلَيْنَا لِلْقَبُولِ ذُبُولَا
مَا كَانَ يَوْمًا صِدْقُهُ مَجْهُولَا
لَيْلَ الضَّلَالِ وَإِفْكَهُ الْمَنْحُولَا
وَعَقَلْتُ عَنْ إِذْرَاكِهِنَّ عَقُولَا
قَدْ فَصَّلْتُ آيَاتَهُ تَقْصِيلاً
وَالْإِنْجِيلَ

[٢٩٧]

(١) كذا في م . وفي ط : « اختاره » .

(٢) في ط : « الظلام » .

(٣) ورد « قفل الباب » ثلاثاً في أساس البلاغة .

فَإِذَا الْبَلِغُ يَرُومُ مَدْحَكَ جَاهِدًا
يَا شَافِعَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ وَمَنْ بِهِ
رَفِيقًا بِبَنِّ مَلَكِ الْقَضَاءِ زِمَامُهُ
وَاحْسَرَتَا ضَيِّعْتُ عُمرِي فِي الْهَوَى
وَجَرَيْتُ فِي طَلْقِ الْبَطَالَةِ جَاحِمًا
وَعَثَرْتُ فِي طَلَبِ الْمَفَازِ جِهَالَةً
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْأَمِينِ لَوْحِيهِ
وَاللَّهِ مَالِي لِلْخُلَاصِ وَسِيْلَةً
إِنْ كُنْتُ مَا أَعْدَدْتُ زَادًا نَافِعًا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَكِبْتُ سَرَى
وَأَعَزَّ مَنْ وَلَاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ
وَأَقَامَ مَفْرُوضَ الْجِهَادِ بَعْرَمَةً
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَقَدْ حَضَرَ الْوَعَى
مَلِكٌ إِذَا أَلَمَ الْوُجُودُ يَمِينُهُ
أَوْ يُخْلِفُ النَّاسَ الْقِمَامُ وَأَحْمَلُوا
مِنْ دَوْحِهِ نَضْرِبَةً يَمِينِيَّةً
فَإِذَا سَأَلْتَ الْكُتُبَ تَقَلَّ فَضِيلَةً

أَضْحَى حُسَامُ لِسَانِهِ مَقُولًا
بِرُجُونٍ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ قَبُولًا
فَقَدَا بِقَيْدِ ذُنُوبِهِ ^(١) مَعْقُولًا
وَالْتَوْبُ أَضْحَى دَيْنُهُ مَمْلُوكًا
حَتَّى انْتَنَى طَرْفُ الشَّبَابِ كَلِيلًا
لَكِنْ وَجَدْتُكَ لِلْعِنَارِ مُقِيلًا
مَنْ أَمَّ جَاهَكَ أَحْرَزَ التَّامِيلًا
إِلَّا رِضَاكَ وَعَقُوكَ الْمَأْمُولًا
أَعْدَدْتُ حُبَّكَ شَافِعًا مَقْبُولًا
فَأَجَدَّ وَخَدَا ^(٢) فِي الْمَفَازَةِ مِيلًا
فَحَبَّاهُمْ إِحْسَانُهُ لِلْمَوْصُولًا ^(٣)
تَرَكَتْ بِأَفْنِدَةِ الْعُدَاةِ ^(٤) قُلُولًا
أَحْسَامُهُ أَمْ عَزَمُهُ مَضْعُولًا
فَالْبَحْرُ عَذْبًا وَالرِّيَاضُ بَلِيلًا
فَنَدَاهُ لَا يُخْشَى الْعَفَاةَ مُحُولًا
وَشَجَّتْ فُرُوعًا فِي الْعُلَا وَأُصُولًا
لَمْ تُلَفْ إِلَّا أَفْخَرَهَا مَنَقُولًا

(١) في ط : « زمامه » .

(٢) في ط : « وجدًا » .

(٣) في ط : « المأمول » .

(٤) في ط : « العباد » .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ
والله ما آثار هديك عندنا
لم يعرف التزكيب سيفك في الوغى
كم صورة لك في الفتوح وسورة
لم تسر سارية الرياح بطينة
وكان صفح البرق سيفك ظل من
كم بلدة للكفر قد عوضت من
صدقت مقدمة الجيوش فصيرت
كسروا تماثيل الصليب ومثلوا
لما أحطت بها وحان دمارها^(١)
تجري الدموع وما تبلى غليله
اسلت يمين الملك منك على العدا
لم يرص سيفك أن يحلى جوهر
لم ترص همتك القليل من التقى
فاقمت ميلاد الرسول بليلة
حيث القباب البيض جلت الربا
ومواقد النيران تذكى حوالها
والأفق فوقك قبة مخبوكة

وضحت بأوجه دحرز^(٢) محولا
إلا نجب — وما ما عرفنا أقولا
فاعجب له قد أحكم التحليلا
تجلى وتلى بكرة وأصيلا
إلا لتحمل ذكرك المعسولا
غمد الغمامة مرهقا مسلولا^(٣)
ناقوسها التكبير والتهللا
من حينها موضوعها محولا
بمن انتمى لولائه تمثيلا
أخرجت مؤثرها الأعز ذليلا
قمصدا يبكى هناك قتيلا
غضا مهيب الشفرتين صقيلا
حتى يحلى عسجدا تحولا
حتى أتت بالصلحات قبيل^(٤)
أوضحت فيها للجهاد سبيلا
أزهار روض ما اكتسبن ذبولا
قيئير مشعلها ربا وسهولا
مدت عليك طرافها المسدولا^(٥)

(١) كذا في الأصلين وفيه تحريف ظاهر .

(٢) ف م : « معلولا » .

(٣) ف م : « وهان ذمارها » .

(٤) الأبيات الثلاثة زيادة عن م .

(٥) ف ط : « المسبولا » . وما أثبتناه عن م .

وَرَمَى^(١) إِلَيْكَ بِبَذَرِهِ وَنُجُومِهِ
حَيْثُ الْكَتَائِبُ قَدْ تَلَاظَمَ مَوْجُهَا
يُهْدِيكَ مِنْهُ التَّاجُ وَالْإِكْلِيلَا
وَتَدَقَّقَتْ فِيهَا الْخُيُولُ سُبُولا
زَخَرَتْ بِأَمْوَاجِ الْحَدِيدِ وَرُبَمَا
يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ فِي جَنَابِهَا
حَمَلَتْ مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ مُشْمَرٍ
آسَادُ مَلْحَمَةٍ إِذَا اشْتَجَرَ الْوَعَى
إِنْ شَمَرُوا يَوْمَ الْحُرُوبِ ذُبُولُهُمْ
أَوْ قَصَرُوا يَوْمَ الطَّعَانِ رِمَاحُهُمْ
يَالَيْلَةَ ظَفِرَتْ يَدَايَ بِأَجْرِهَا
وَاللَّهُ لَوْ عَوَّضْتُ عَنْكَ شَيْئِي
يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ يَا مَلِكَ الْمَلَا
جَهَّزْ جِيُوشَكَ لِلْجِهَادِ مُوَفَّقَا
وَلْتُبْعِدِ^(٢) الْفَارَاتِ فِي أَرْضِ الْعِدَا
وَإِلَيْكَ مِنْ سُمْرِ الْجِهَادِ غَرِيبَةً
وَأُطْلِتُ لِكِنِّي أَطْبِتُ وَعَادَنِي
لَا زَالَ نَضْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ
مَا كُنْتُ أَرْضَى بِالشَّبَابِ بَدِيلَا
اللَّهُ يُوْنِيكَ الْجَزَاءَ جَزِيلَا
وَكُنِّي بِرَبِّكَ كَافِيَا وَكَفِيلَا
وَاللَّهُ حَسْبُكَ نَاصِرَا وَوَكِيلَا
جَاءَتْكَ تَقْرِضُكَ^(٣) الثَّنَاءُ جَمِيلَا
أُلْفَى مُطِيبَا فِي الدِّعْجِ مُطِيلَا
لَهُمْ دِينُكَ عَائِدَا مَوْصُولَا

[٢٩٩]

(١) في م : « أوى » .

(٢) في الأصول : « الأسد الثقب » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في م . وفي ط : « لا يثنى » .

(٤) في م : « واستعمل » .

(٥) كذا في م . وفي ط : « جاءت تفرطك » .

ثم قال بمد ذكر جملة من قصائد :

ومن ذلك وقد عاد من وجهه للصيد أعمالها ، وأعنته للجِياد في ميادين ذلك
الطُراد أرسلها ، ما أنشده :

حَيَّاكَ يَا دَارَ الْهُوَى مِنْ دَارِ نَوَى^(١) السَّامِكِ بَدِيمَةٍ مَذَرَارِ
وَأَعَادَ وَجْهَ رَبَّاكَ طَلْقًا مُشْرِقًا مُتَضَاحِكًا بِمَسَامِمْ النَّوَارِ
أَمَذَّ كَرَى دَارَ الصَّبَابَةِ وَالْهُوَى حَيْثُ الشَّبَابُ يَرُوقُ حُسْنٌ^(٢) نُضَارِ
عَاطِفَتِي عَنْهَا الْحَدِيثَ كَأَنَّا عَاطِفَتِي مِنْهَا كُتُوسٌ عُقَارِ
إِيهِ وَإِنْ أَذْ كَيْتَ نَارَ صَبَابَتِي وَقَدَحْتَ زَنْدَ الشُّوقِ بِالتَّذْكَارِ
يَا زَاجِرَ الْأَطْغَانِ وَفِي مَشْوَقَةٍ أَشْبَهَتْهَا فِي زَفَرَةٍ وَأَوَارِ
خَفَّتْ إِلَى تَجْدٍ وَلَيْسَتْ دَارَهَا وَصَبَتْ إِلَى هِنْدِيَّةٍ وَالْقَارِ
لَسَكِنَتِهَا شَامَتِ بِهِ بَرْقَ الْحَمَى وَاعْتَادَهَا طَيْفُ الْكَرَى بَعَزَارِ^(٣)
هَلْ تُبْلِغُ الْحَاجَاتِ إِنْ حُمِلَتْهَا إِنَّ الْوَفَاءَ سَجِيَّةُ الْأَحْرَارِ
عَرَضَ بِذِكْرِي فِي الْخِيَامِ وَقُلْ إِذَا جَفَّتَ الْعَقِيقُ مُبْلَغَ الْأَوْطَارِ
[عَارُ] بِقَوْمِكَ يَا بَنَةَ الْعَجِينِ أَنْ تُلَوِي الدُّيُونَ وَأَنْتِ ذَاتُ يَسَارِ
أَمَعْتُ مَبْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهُوَى وَبَحَلْتُ حَتَّى بِالْخِيَالِ السَّارِ ؟
وَأَبَانَ جَارِي الدَّمْعِ عُدْرَ هَيْامِهِ لَكِنْ أَصْفَتْ عَفْوَكَ^(٤) ذَاكَ الْجَارِ
هَذَا وَقَوْمُكَ مَا عَلِمْتُ خِلَافَهُ

(١) في م : « موق » .

(٢) في م ونفع الطيب : « يرف غصن » .

(٣) في نفع الطيب والإحاطة :

شامت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بزارها المزوار

(٤) في نفع الطيب : « لكن أضفت له حقوق الجار » .

الله في نفس شعاع كَلَّمَ هَبَّ النَّسِيمُ تَطِيرُ كُلَّ مَطَارِ
 باللهِ يَا لَمِيَاءَ مَا مَنَعَ الصَّابَا أَلَّا تَهَبَّ بِعَرْفِكَ المِطَارِ
 يَا بِنْتَ مَنْ تَشْدُو الحُدَاةُ بِذِكْرِهِ مُتَعَلِّلِينَ بِهِ عَلَى الأَكْوَارِ
 مَا ضَرَّ نَسَمَةً حَاجِرٍ لَوْ أَنَهَا أَهْدَتْ لَنَا خَبْرًا مِنَ الأخبارِ [٣٠٠]
 هَلْ بَانُهُ مِنْ بَعْدِنَا مُتَأَوِّدٌ مُتَجَاوِبٌ مُتَرْتِمُ الأَطْيَارِ
 وَهَلِ الطَّبَّاءُ الْآنِسَاتُ كَعَهْدِهَا (١) يَضْرَعْنَ أَسَدَ الغَابِ وَهِيَ صَوَارِي
 يَفْتِكُنَ مِنْ قَامَاتِهَا وَلِحَاطِهَا بِالمُشْرِفَةِ والقَنَا الغَطَّارِ
 أَشْعَرْتُ قَلْبِي حُبَّهَا صَبَابَةً فَرَمَيْنِي مِنْ لَوْعَتِي بِحِمَارِ
 وَعَلَى الكَثِيبِ سَوَانِحُ مُحْمَرُ الحَلَى بِيضُ الوجُوهِ يَصِدْنَ بالأفكارِ
 أَذْنِي الحَجِيجِ مَزَارَهُنَّ ثَلَاثَةٌ بَمِنَى لَوْ أَنَّ مَنَى دِيَارِ (٢) قَرَارِ
 لَكِنَّ يَوْمَ النَّفَرِ جُذِنَ لَنَا بِمَا عَوَّذْنَا مِنْ جَفْوَةٍ وَنِفَارِ
 يَا بَنِ الأُلَى قَدْ أَحْرَزُوا فَضْلَ (٣) العُلَا وَتَنَوَّبُ عَنْ صَوْبِ الغَامِ أَكْثُهُمْ
 وَمِنْ آلِ سَعْدٍ (٥) رَافِعِي عِلْمِ الهَدَى وَتَنَوَّبُ أَوْجُهُهُمْ عَنِ الأَقْمَارِ
 أَصْبَحْتَ وَارِثَ نَجْدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ الْمُضْطَفِّينَ لِنُصْرَةِ المِخْتَارِ
 وَجْهَهُ كَمَا حَسَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ وَمُشْرِفَ الأعْصَارِ والأَمْصَارِ
 جَرَّدَتْ دُونَ الدِّينِ عَزْمَةُ أَرْوَعٍ وَيَدُّ تَمْدٍ أَنَامِلًا بِبِحَارِ
 جَدَّدَتْ مِنْهَا سُنَّةَ الأنْصَارِ

(١) في م ونفع الطيب : « كمهدنا » .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « يدار » .

(٣) في نفع الطيب : « خصل » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وغفار » .

(٥) يريد سعد بن عبادة سيد الخزرج ، من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

حُطَّتِ الْبِلَادَ وَمِنْ حَوْتِهِ تُفَوِّرُهَا وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِيًا لِلْدِمَارِ
 اللَّهُ رَحْلُكَ^(١) الَّتِي نَلِينَا بِهَا أَجَرَ الْجِهَادِ وَزُزْهَةً الْأَبْصَارِ
 أَوْزَدْتَنَا فِيهَا لِجُودِكَ مَوْرِدًا مُسْتَعَذَّبَ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ
 وَأَفْضَتْ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا حَسَنَتْ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
 أَضْحَكْتَ تَغَرَّ الثَّغْرِ لَمَّا جِئْتَهُ وَخَصَصْتَهُ بِخَصَائِصِ الْإِيثَارِ
 حَتَّى الْفَلَاةِ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدَتَهَا سُنَنَ الْقِرَى بِتَلَاوُ^(٢) الْأَنْوَارِ
 وَسَرَتْ عُنَابُ الْجَوِّ تُهْدِيكَ الَّذِي تَصْطَادُ مِنْ وَحْشٍ وَمِنْ أَطْيَارِ
 وَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْغَوْثُ الَّذِي تُضْفِي عَلَيْهِمَا وَافِي^(٣) الْأَسْتَارِ
 وَلَرْبَ مُتَمَدِّ الْأَبَاطِيحِ مُوَحِّشٍ عَلَى الرُّبَا مُتَبَاعِدِ الْأَفْطَارِ
 هَمَلِ الْمَسَارِحِ لَا يُرَاعُ قَنِيصُهُ إِلَّا لِنَبَاةِ فَارِسٍ مِفْوَارِ
 سَرَحَتْ عِنَانُ الرِّيحِ فِيهِ وَرُبَّمَا أَلْقَتْ بِسَاحَتِهِ عَصَا التَّسْمِيرِ
 بَاكَرْتَهُ وَالْأَفُقُ قَدْ خَلَعَ الدُّجَى مِسْحًا لِيَلْبَسَ خِلْعَةً^(٤) الْإِسْفَارِ
 وَجَرَى بِهِ نَهْرُ النَّهَارِ كَمَثَلِ مَا سَكَبَ النَّدِيمُ سُلَافَةً مِنْ قَارِ^(٥)
 عَرَضَتْ بِهِ الْمُسْتَنْفِرَاتُ كَأَنَّهَا خَيْلٌ عِرَابٌ جُلُنُ^(٦) فِي مِضْمَارِ
 أَتْبَعَتْهَا غُرَرُ الْجِيَادِ كَوَاكِبًا تَنْقُضُ رُمْجًا فِي سَمَاءِ غُبَارِ
 وَالْهَادِيَاتُ يَوْمُهَا عَيْلُ الشَّوَى مُتَدَفِّقٌ كَتَدَفَّقِ التِّيَّارِ
 أَرْجَيْتَهَا شَفَرَاءَ رَائِقَةِ الْحَلَى فَرَمَيْتَهُ مِنْهَا بِشُعْلَةٍ نَارِ

(١) كذا في نفح الطيب . والذي في الأصل : « رحمتك » ،

(٢) كذا في الإحاطة : والذي في الأصلين : « ثلاثة » .

(٣) في نفح الطيب المطبوع : « وافي » .

(٤) في م ونفح الطيب : « حلة » .

(٥) كذا في م ونفح الطيب ، وفي ط : « فار » .

(٦) في م : « خلن » .

أُثْبِتَ فِيهِ الرُّمَحَ ثُمَّ تَرَكَتَهُ خَضِبَ الْجَوَانِحِ بِالدَّمِ الصَّوَارِ
حَامَتِ عَلَيْهِ الذَّابِلَاتُ كَأَنَّهَا طَلِقَتْ أَرَانِيهِ غَدَاةَ أَثَرَتِهَا^(١)
هَلْ يَنْفَعُ الْبَاعُ الطَّوِيلُ وَقَدْ غَدَتْ مِنْ كُلِّ مُنْهَضٍ بِلُحَّةٍ بَارِقِ
[وَجَوَارِحٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ طِلَابُهَا سُودٌ وَبَيْضٌ فِي الطَّرَادِ تَنَابَعَتْ
تَرْمِي بِهَا وَهِيَ الْحَنَائِي ضَمَرًا ظَلَّتْ بَأْنَ تَنْجُو بِهَا^(٢) كَلَّا وَلَوْ
وَبِكُلِّ فَتَخَاءِ الْجَنَاحِ إِذَا ارْتَمَتْ زَجِلُ الْجَنَاحِ مُصْفَقٌ كَمَنْ الرَّدَى
أَجْلَى الطَّرِيدِ مِنَ الْوَحُوشِ وَإِنْ رَمَى وَأَرَيْتَنَا الْكَسْبَ الَّذِي أَعْدَادُهُ
بَيْضٌ وَصَفْرٌ خَلَّتْ مَطْرَحَ سَرْحِهَا مِنْ كُلِّ مَوْشِيٍّ الْأَدِيمِ مُفَوِّفٍ
خُلِطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِي لَوْنِهِ أَوْ أَشْعَلِي رَاقَ الْعُمُومِ كَأَنَّهُ

خَضِبَ الْجَوَانِحِ بِالدَّمِ الصَّوَارِ طَلِقَتْ أَرَانِيهِ غَدَاةَ أَثَرَتِهَا^(١)
تَنْبَعِي الْفِرَارَ وَلَاتَ حِينَ فِرَارِ يَوْمَ الطَّرَادِ قَصِيرَةٍ الْأَعْمَارِ
فَانْتِ خُطَاهُ مَذَارِكُ الْأَبْصَارِ فَكَانَمَا طَالِبَتُهُ بِالْأَسَارِ
كَالْئِيلِ طَارَدَهُ بَيَاضُ نَهَارِ^(٢) مِثْلَ السَّهَامِ نَزَعْنَ عَنْ أَوْتَارِ
أَغْرَيْتَهُ بِأَرَانِي الْأَفْئَارِ فَكَانَتْهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِي
فِي مِخْلَبٍ مِنْهُ وَفِي مِثْقَالِ طَيْرًا أَتَاكَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
مَلَأَتْ جَمَالًا أَعْيُنَ النَّظَارِ رَوْضًا تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ
رَقَعَتْ بِدَائِمِهِ يَدُ الْأَفْئَارِ فَتَرَى اللَّجِينَ يَشُوبُ ذَوْبَ نُضَارِ
غَلَسَ بِخَالِطٍ سُدْقَةً بِنَهَارِ

(١) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصل : « تركتها » .

(٢) اليتان عن نفع الطيب .

(٣) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « ينجو لها » والضمائر في البيت خفية الدلالة .

(٤) في الأصل : « الطريق » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

سَرَحَتْ بِمُخَضَّرِ الْجَوَانِبِ بِأَنْعِ تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقِمُ الْأَنْهَارِ
قَدْ أَرْضَعَتْهُ السَّارِيَاتُ لِبَانَهَا وَحَلَلْنَ فِيهِ سِرَ أُرْزَةِ الْقَوَارِ
أَخَذَتْ سَعُودُكَ حَذَرَهَا فَلِحِكْمَةٍ أَغْرَتْ جُفُونِ الْمُزْنِ بِاسْتِعْبَارِ
لَمَّا أَرْنَكَ^(١) الشَّمْسُ صُفْرَةَ حَاسِدٍ لِحَبِيبِكَ الْمُتَالِقِ الْأَنْوَارِ
نَفَثَتْ عَلَيْكَ الشُّجْبُ نَفْثَ مَعُودٍ^(٢) مِنْ عَيْنِهَا الْمُتَوَقِّعِ الْأَضْرَارِ
فَارْفَعِ لَوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعِ وَاسْحَبْ ذُبُولَ الْعَسْكَرِ الْجَرَارِ
وَأَهْنَأْ بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ مُحَوَّلَا مَا شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ أَنْصَارِ
قَدْ جِئْتَ دَارَكَ مُحْسِنًا وَمُؤَمَّلَا مُتَّعَ بِالْحُسْنَى وَعُثْبَى الدَّارِ
وَالْيَكْمَا مِنْ رَوْضٍ فِكْرِي نَفْحَةً شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ

[٣٠٢]

ثم قال : ومن ذلك ما أنشده ، رضى الله تعالى عنه ، في رحلة ركاب المجاهد إلى المرية بالقصر الصمادحي في حدود عشر سنين وسبع مئة :

مَا لِلْحُمُولِ تَحْنٌ لِلْأُطْلَالِ وَيَشُوقُهَا ذِكْرُ الزَّمَانِ الْخَالِ
يَتَنِي أَرْمَةً هَيْمَهَا شَوْقٌ إِلَى ظِلِّ الْأَرَاكِ وَأَزْرَقِ سَلْسَالِ
ذَكَرْتَ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ كَعَهْدِهَا وَالرَّبْعُ مِنْهَا لِمُخَضَّرِ السِّرْبَالِ
وَالدَّارُ حَالِيَّةُ الْمَاعِطِ وَالرُّبَا وَمَرَادُهَا بِالرَّوْضَةِ الْمَغْضَالِ
أَيَّانَ مَا لَعِبْتَ بِهَا أَيْدِي النَّوَى وَتَرَاهَنْتَ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ^(٣)

(١) في الأصل : « رَأْنَكَ » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « نفثة معوذ » .

(٣) كذا في م . وفي ط :

ذهب الغرام بحيلة الحطال .

« أَيْانَ مَا لَعِبْتَ بِهَا أَيْدِي الْمَوَى »

وَجَرَتْ بِسَدِّهَا ^(١) الْحُدَاةُ كَأَنَّهَا
دَغْنَى أَطَارِحَهَا الْحَنِينَ فَإِنِّي
وَهْمَ الْمَنَازِلُ أَشْبَهَتْ سُكَّانَهَا
بَلِيَّتٍ مَحَاسِنُهَا وَخَفَّ أُنَيْسُهَا
وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يَعْنِفُ ذُو الْهَوَى
أَحْسَى تَذُوبُ صَبَابَةً وَمَدَامُ
وَوَرَاءَ مُطَّلَعِ الْخُدُورِ جَاذِرُ
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ سِوَى
مَا لِلطَّبَّاءِ الْآنَسَاتِ بِرَبْعِكُمْ
أَوْ لِلرِّيَّاحِ تَهْبُّ وَهِيَ بَلِيلَةٌ
هِيَ شَيْمَةٌ عُذْرِيَّةٌ عَوَّدَتْهَا
يَا بِنْتَ مَنْ غَمَرَ الْغَفَاةَ نَوَالُهُ
فَلَكُمْ بَعَثْتُ مَعَ النَّسِيمِ تَعِيَّتِي
بَاهُ يَا رِيحَ الثُّغَامِ جَرَّرِي
وَإِذَا مَرَزْتَ عَلَى الْكَثِيبِ رَامَةً ^(٢)
فِيهَا الْمَعَاهِدُ قَدْ طَلَعْنَ بِأَفْتَاهَا

قَطَعَ السَّفَائِنِ خُضْنَ بِحَرَ لَيَالٍ
لَا أَتْنِي ^(٣) لِمَقَالَةِ الْمُدَّالِ
أَعْمَارُهَا تَفْضِي إِلَى الْآجَالِ
وَالشَّوْقُ وَالتَّذْكَارُ لَيْسَ بِيَالِي
ذَهَبَ الْغَرَامُ بِجِيلَةِ الْمُحْتَالِ
تُغْرِى جُفُونُ الْمَرْنِ بِاسْتِهْلَالِ
تُجَلَّى شُمْرَسًا فِي غَمَامِ حِجَالِ
نَادَى ^(٤) الْهَوَى وَخُجِّمَ الْآمَالِ
عُظْلًا وَهْنًا مِنَ الْجَمَالِ حَوَالِي
فَتَهَيَّجُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ بَلْبَالِي
قَلْبًا شَعَاعًا ^(٥) مَا يَرَى بِالسَّالِي
هَلَّا سَمَحَتْ ^(٦) وَلَوْ بِطَيْفِ حَيَالِي
عَوَّدْتُ سَارِي الْبَرْقِ مِنْ أَرْسَالِي
فَوْقَ الْخَزَامَى عَاطِرِ الْأَذْيَالِ
صَافِحَ مُحْيَا الرُّوضَةِ الْمَخْضَالِ
زَمَنًا وَلَمْ أَجْنَحْ لَوْ قَتِ زَوَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « بشدة » .

(٢) في ط : « لك أتني » .

(٣) في م : « دار » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « شغافا » .

(٥) في ط : « سمحت » .

(٦) كذا في م . ورمة : موضع بالعقيق ، أو وراء الفريتين في طريق البصرة إلى مكة . (انظر معجم ما استعجم للبكري) . وفي ط : « زابة » .

أُمِّدْ كَرِّى عَهْدَ الشَّبِيبَةِ جَادَهُ صَوَّبُ الْعِهَادِ بَوَاكِفِ هَطَّالٍ
عَاطِفَتْنِي عَنْهُ الْحَدِيثَ كَأَنَّمَا عَاطِفَتْنِي مِنْهُ أُبْنَةُ^(١) الْجِرْيَالِ
هَذَا عَلَى أَنِّي نَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا وَصَرَمْتُ مِنْ حُبِّ الْحَسَنِ حِبَالِي^(٢)
حَسَنِي وَقَارًا فِي النَّدَى إِذَا اخْتَبَى وَتَجَاوَلُوا فِي الْفَخْرِ كُلِّ مَجَالِ
أَنِّي أَلُوذُ بِدَوْلَةٍ نَصْرِيَّةٍ حَلَيْتُ مُحَاسِنَهَا بِكُلِّ كَمَالِ
حَيْثُ الْوُجُوهُ صَبِيحَةٌ وَالْمَكْرُمَا تُ صَرِيحَةٌ وَالْعِزُّ غَيْرُ مَزَالِ^(٣)
حَيْثُ الْمَكَارِمُ سَتَهَا أَعْلَامُهَا مِنْ كُلِّ فَيَاضِ النَّدَى مِفْضَالِ
بَيْنُ الْيَادِي وَالْوُجُوهِ أَعِزَّةٌ قَدْ شَيَّدُوا الْعُلْيَا بِسُورِ عَوَالِي
هُمْ آلُ نَصْرِ نَاصِرُوا دِينَ الْهُدَى وَالْمُضْطَفُونَ لِخَبِيرَةِ الْأَرْسَالِ
مَا شُنْتُ مِنْ مَجْدٍ قَدِيمٍ شَادَهُ أَبْنَاءَ قَبِيلَةٍ أَشْرَفِ الْأَقْيَالِ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَغْرٌ مُحَجَّلٌ يَلْقَى الْعِظَائِمَ وَهُوَ غَيْرُ مُبَالِي
مُتَبَسِّمٌ وَالْيَوْمُ أَكْلَحُ عَابِسٌ وَالْحَرْبُ تَدْعُو بِالْكَمَاءِ نَزَالِ
قَدْ عَوَّدَا النَّصْرَ الْعَزِيزَ وَخُوُّوْا فَمَتَّحَ الْمُبِينَ بِمِلْتَقَى الْأَبْطَالِ
بِذُلِ الْوَالِدِ^(٤) الْهَيْجَا كَرَأِيمِ أَنْفُسِ قَدْ أَرْخَصَتْ فِي اللَّهِ وَهِيَ غَوَالِي
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ الْمُجْتَبَى وَمُنِيلَ دِينِ اللَّهِ خَيْرَ مَنَالِ
أَصْبَغْتَ وَارِثَ مَجْدِهِمْ وَفَخَّارِهِمْ وَمُشْرِفَ الْأَنْصَارِ وَالْأَبْطَالِ
وَطَلَعْتَ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ نَيْرًا نَجْلُو ظِلَامَ الظُّلَمِ وَالْإِضْلَالِ

(١) في ط : « ابتدا » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « وصرعت من حب الحنان حبال » وفيه تحريف ظاهر .

(٣) في ط : « والعذر غير نوال » .

(٤) في ط : « الدما » . والتصويب عن م .

فَقَتَّ الْمُلُوكَ جَلَالَةً وَبَسَالَةً وَشَأَوْتَهُمْ^(١) فِي الْحِلْمِ وَالْإِنْجَالِ
أُعَدَّتْ مُحَاسِنُكَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَجَمَلُهَا يُزْرَى بِكُلِّ جَمَالِ
فَالشَّمْسُ تَأْخُذُ عَنْ جَبِينِكَ نَوْرَهَا وَالرَّيْحُ تَحْمِلُ عَنْ ثَنَائِكَ طَيْبَهَا
وَالْقَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مُبْخَلٌ فَالْقَيْثُ يُقْلِعُ وَالنَّدَى مُتَوَالِي
تُعْطِي الَّذِي لَا فَوْقَهُ لِمَوْمِلٍ وَتَجُودُ بِالْإِحْسَانِ قَبْلَ سُؤَالِ
طَاوَلَتْ عُلُوقُ النُّجُومِ بِهِمَّةٍ لَا فَاقِدًا عِزًّا وَلَا مِكْسَالًا^(٢)
وَبَلَغْتَ مِنْ رُتَبِ السَّعَادَةِ مَبْلَغًا أَبْعَدْتَ فِيهِ مُرْتَقَاكَ الْعَالَى^(٣)
وَقِيَّاسُ سَعْدِكَ فِي مَرَامِكَ كُلِّهِ يَقْضِي مُقَدَّمُهُ بِصِدْقِ التَّالِي
لِمَنْ الْحَيَادُ الصَّافِنَاتُ كَأَنَّهَا فِي الْوَرْدِ أَشْرَابُ الْقَطَا الْأَرْسَالِ
مِنْ كُلِّ مَعْلُومِ الْقُوَى عِبِلِ الشَّوَى مُرْخَى الْعَيْنَانِ مُحْفَزٍ^(٤) جَوَالِ
لِمَنْ الْقِيَابُ الْحُمْرُ تُشْرَعُ لِلنَّدَى فَتَفِيضُ لِلْعَافِينَ فَيَنْصَحُ سَجَالِ
لِمَنْ الْخِيَامُ الْبَيْضُ تَحْسِبُ أَنَّهَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ أُطْلِعَتْ بِحِلَالِ^(٥)
مُنْدَاخَةُ الْأَرْجَاءِ عَالِيَةِ الذَّرَى فَكَأَنَّهَا فِي الْوَهْدِ شَمٌّ جِبَالِ
هُوَ مَظْهَرُ الْمُلْكِ الْعَلِيِّ وَمَطْلَعُ النُّورِ الْجَلِيِّ بِمَرْقَبِ مُتَعَالَى
آثَارُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بِدَرِّ الْمُدَى لَا زَالَ حِلْفَ كَمَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « ورأسهم » .

(٢) المكسال (كما في كتب اللغة) : من صفات الإناث . والوجه في مكسال النصب .
ولكنه عدل عنه للفاقية . وقد وقع من هذا في غير موضع من القصيدة .

(٣) كذا في م . وفي ط : « مرتقى لعال » .

(٤) في ط : « محف » .

(٥) في ط : « بحلال » .

لله وجهتك التي نلنا بها ما شئت من حسن يفوق كاله
أجر الجهاد وبغية الآمال
كم من عجائب جمّة أظهرتها
ويروق منظره الجميل الحال
أمت وفود الناس منك مملكا
ما كان يخطر وصفهن ببال
جاءوا موافقت اللقاء كأنهم
قد خص بالتعظيم والإجلال
لله عينا من رأى ملك العلا
وفد الحبيب برامة وآلال^(١)
في موكب لبسوا الخلوص شعاره
حف الوقار جماله بجلال
بلفوا به العدد الكثير وكلهم
وتميزوا منه بزي جمال
يهني المربة نعمة سوغتها
أرضاهم إحسانك المتوالى
قدست واديتها وزرت خلالها
جادت بها الأيام بعد مطال
وكتوتها برّد الشباب مفوقا
فلها الفخار بها على الأصال^(٢)
مولاي لا أخصي ثناءك إنه
وشفيت ما تشكو من الأوجال
أعليت في أفق العناية مظهرى
أزني على التفصيل والإجمال
ظفرت بدائ بكل ما أملت
وخصّصته بموارف الإفضال
لم تبق لي أملا وما بلغت
في النفس أو في الجاه أو في المال
بلغت ما ترجو من الآمال

ثم قال بعد ذكر بعض العيديات : ومن ذلك :

بشرى كما وضّح الصّباح وأجمل يعنى سناها كل من يتأمل^(٣)

(١) رامة : تطلق على أكثر من مكان . (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٠٨ من هذا

الجزء) . وآلال : جبل برفات .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الأمثال » .

(٣) في نفع الطيب : « يتهلل » .

أَبْدَى لها^(١) وَجْهَ النَّهَارِ طَلَاقَةً
وَمَنَابِرُ الْإِسْلَامِ يَا مَلِكَ الْوَرَى^(٢)
تَجَلُّوْا لَنَا الْأَكْوَانُ مِنْكَ مَحَاسِنَا
فَالشَّمْسُ تَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهَا
وَالرَّوْضُ يَنْفَعُ عَنْ ثَنَائِكَ طِيبُهُ
وَالْبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ مُنْتَضَى
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ
اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
وَجْهٌ كَمَا حَسَرَ^(٣) الصَّبَاحُ نِقَابَهُ
تَلْقَاهُ فِي يَوْمِ السَّمَاحَةِ وَالْوَعَى
كَفَّ أَبْتَ الْأَتَكُفَّ عَنِ النَّدَى
وَشَمَائِلُ كَالرَّوْضِ بَاكَرُهُ الْحَيَا
خُلُقُ ابْنِ نَضْرِ فِي الْجَالِ كَخَلْقِهِ
نُورٌ عَلَى نُورٍ بِأَبْهَى مِنْظَرٍ
فَاقَ الْمُلُوكَ بِسَيْفِهِ وَبَسِيئِهِ
وَإِذَا تَطَاوَلَ لِلْفَخَارِ^(٥) عَمِيدُهُمْ
وَأَفْتَرَّ مِنْ تَغْرِ الْأَقَاحِ مُقَبَّلُ
بِحُلَاكَ أَوْ بِحُلِيِّهَا تَتَكَمَّلُ
تُرَوَّى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُنْقَلُ
وَالْبِشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِهَا يَتَهَلَّلُ
وَالْوَزْقُ فِيهِ بِالْمَعَاحِ تَهْدِلُ
وَالشَّحْبُ تَهْمِي مِنْ يَدَيْكَ وَتَهْمَلُ
دُرٌّ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ مُفَصَّلُ
وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ
لِضْيَانِهِ تَعْشُو الْبُدُورُ الْكُتْلُ
وَالْبِشْرُ فِي وَجَنَاتِهِ^(٤) يَتَهَلَّلُ
أَبَدًا فَإِنْ ضَنَّ الْحَيَا تَسْتَرْسِلُ
وَسَرَتْ بِرِيَّاهُ الصَّبَا وَالشَّمَالُ
مَا بَعْدَهَا مِنْ غَايَةٍ تُسْتَكْمَلُ
فِي حُسْنِهِ لِمُؤَمِّلٍ مَا يَأْمَلُ
فَيَعْدِلُهُ وَبِفَضْلِهِ يُتَمَثَّلُ
فَلَهُ عَلَيْهِ تَطَاوُلٌ وَتَطَوُّلُ

(١) كذا في م . وفي ط : « لنا » .

(٢) في نفع الطيب طبعة الأزهرية : « العلا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « حسن » . وقد مر هذا التشبيه في قصيدته الرائية حيث يقول :

وجه كما حسر الصباح نقابه

ويد تمد أناملا يبحار

(٤) في نفع الطيب : « جنات » .

(٥) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « العميد » .

يا آيةَ اللهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا يُهْدِي بِهَا قَصْدَ الرَّشَادِ الضَّلُّ
قُلْ لِلَّذِي التَّبَسَّتَ مَعَالِمُ رُشْدِهِ هَبْهَاتَ قَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ الْأَمَثَلِ
قَدْ نَاصَحَ الْإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ وَحَمَى عَرِينَ الْمُلْكِ أَغْلَبُ مُشْبِلِ^(١)
فَلَقَدْ ظَهَرَتْ مِنَ الْكَمَالِ بِمُسْتَوَى مَا بَعْدَهُ لِذَوِي الْخِلَافَةِ مَأْمَلِ
وَعِنَايَةُ اللهِ أَشْتَمَلَتْ رِذَاءَهَا وَعَلِقَتْ مِنْهَا عُرْوَةً لَا تُفْصَلِ
فَالْجُودُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ مُقْتَرٌ وَالْفَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مُبْخَلِ
وَالْعُمُرُ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّكَ ضَائِعٌ وَالْعَيْشُ إِلَّا فِي جَنَابِكَ مُمَجَلِ
حَيْثُ الْجِهَادُ قَدْ اعْتَلَتْ رَايَانُهُ حَيْثُ الْمَغَانِمُ لِلْعَفَاةِ تُنْفَلِ
حَيْثُ الْقِبَابُ الْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلْقَرَى قَدْ قَامَ^(٢) فِي أَرْجَائِهِنَّ الْمَنْدَلِ^(٣)
يَا حُجَّةَ اللهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا عَزَّ الْمُحِقُّ بِهِ وَذَلَّ الْمُبْطِلِ
قُلْ لِلَّذِي نَاوَاكَ يَرْفُبُ يَوْمُهُ^(٤) قَوَرَاءُهُ مَلِكٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِنِّ أَمَهَلْتُ أَحْكَامُهُ مُسْتَدْرَجًا لَا تُهْمَلِ
يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ فَرِيسَةٌ أَسْدُ الْعِدَا^(٥) مِنْ حَوْلِهَا تَتَسَلَّلِ
يَا فَخْرَ أُنْدَلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا لَكَ فِيهِمُ الْفُتُوحُ الَّتِي لَا تُجْهَلِ
لَا يُهْمِلُ اللهُ الَّذِينَ رَعَيْتَهُمْ فَلَأَنْتَ أَكْفَى وَالْعِنَايَةُ أَكْفَلِ
لَا يَبْعُدُ النَّصْرُ الْعَزِيزُ فَإِنَّهُ آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ نِعَمَ الْوَلِيلِ
لَوْلَا نَدَاكَ لَهَا لَمَّا نَفَعَ النَّدَى وَلَجَفَّ مِنْ وَرْدِ الصَّنَائِعِ مَنَهْلِ

[٣٠٦]

(١) في ط : « مشمل » . وفي نفح الطيب : « أشمل » . والتصويب عن م .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب : « عام » .

(٣) المندل : العود .

(٤) في نفح الطيب المطبوع : « يدفع يومه » . وفي المخطوط : « يرفع رأسه » .

(٥) في نفح الطيب : « الفلا » .

لَوْلَاكَ كَانَ الدِّينُ ^(١) يَغْمَطُ حَقَّهُ
لَكِنْ جَنَيْتَ الْفَتْحَ مِنْ شَجَرِ الْقَنَا
فَلَطَلَا ^(٢) اسْتَفْتَحْتَ كُلَّ مُمْنَعٍ
وَمَتَّى نَزَلْتَ بِمَقْلٍ مُتَأَشِّبٍ
وَإِذَا غَزَوْتَ فَإِنْ سَدَّكَ ضَامِنٌ
فَمِنَ السُّعُودِ أَمَامَ جَيْشِكَ مَوْكِبٌ
وَكِتَابِيَّةٌ أَرْدَفَتْهَا بِكِتَابِيَّةٍ
مِنْ كُلِّ مَنْخَفِزٍ كَلِمَةً بَارِقٍ
أَوْفَى بِهَادٍ كَالظَّلِيمِ وَخَلْفَهُ
حَقٌّ إِذَا مَلَكَ الْكَمِيُّ عِنَانَهُ
سَحَلَتْ أَسُودَ كَرِيهَةٍ يَوْمَ الْوَعَى
لَيْسُوا الذُّرُوعَ غَدَائِرًا مَصْقُولَةً
مِنْ كُلِّ مُتَعَدِّلِ الْقَوَامِ مُتَقَفٍ
أَذْكَى كَيْتٍ فِيهِ شُعْلَةٌ مِنْ نَضْلِهِ
وَأَرْبَبٌ لِمَاعِ الصَّقَالِ ^(٣) مُشْهَرٍ
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ وَرَاقَ فَرْنَدُهُ
فَإِذَا الْحُرُوبُ تَسَعَّرَتْ أَجْزَالُهَا

وَلَكَانَ دِينَ النَّصْرِ فِيهِ يُمْلَلُ
وَجَنَى الْفُتُوحَ لِمَنْ عَدَاكَ مُعْلَلٌ ^(٤)
مِنْ دُونِهِ بَابُ الطَّامِعِ مُعْقَلٌ
فَالْعُصْمُ مِنْ شَمَقَاتِهِ ^(٥) تُسْتَنْزَلُ
أَلَا تَخِيبُ وَأَنْ قَصْدَكَ يَكْمُلُ
وَمِنَ الْمَلَائِكِ دُونَ جُنْدِكَ جَحْفَلُ
وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الْحَدِيدِ وَتَرْقُلُ ^(٦)
بِالْبَدْرِ يُسْرَجُ وَالْأَهْلَةُ يُنْقَلُ
كَفَلٌ كَمَا مَاجَ الْكَتِيبُ الْأَهْيَلُ
يَهْوَى كَمَا يَهْوَى بِجَوْزٍ أَجْدَلُ
مَا غَابَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ الذُّبُلُ
وَالشُّمْرُ قَضَبٌ فَوْقَهَا تَهْدَلُ
لَكِنَّهُ دُونَ الضَّرِيْبَةِ يُعْسِلُ
يُهْدَى بِهَا إِنْ ضَلَّ عَنْهُ الْمَقْتَلُ
مَاضٍ وَلَكِنْ فَعْلُهُ مُسْتَقْبَلُ
فَالْحُسْنُ فِيهِ يُجْمَلُ وَمُفْصَلُ
يَنْسَابُ فِي يُمْنَاكَ مِنْهُ جَدُولُ

(١) كذا في نفع الطيب المخطوط والمطبوع . وفي ط : « الطير » . وفي م : « الطين » .

(٢) في نفع الطيب : « مؤمل » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ولعل ما » .

(٤) الشُّعْلَاتُ : رموس الجبال ؛ الواحدة : شُعْلَةٌ (بالتحريك) .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « ترقل » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الصقيل » .

وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْقَتَامِ رَأَيْتَهُ وَكَأَنَّهُ فِيهِ ذُبَالٌ مُشْتَلٌ
فَانْجَبَ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لَا تَنْطَفِي فِي أَمْجُرٍ زَخَرَتْ وَهْنُ الْأَنْدُلُ
هِيَ سُنَّةٌ أَحْيَيْتَهَا وَفَرِيضَةٌ أَدْبَيْتَهَا قُرْبَابُهَا تَنْقَبِلُ
فَإِذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا ^(١) فَلَأَنْتَ أَحْنَى بِالْجِهَادِ وَأَحْفَلُ
يَا بَنَ الَّذِينَ جَمَّاهُمْ وَتَوَّاهُمْ تَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
يَا بَنَ الْأَمَامِ ابْنَ الْإِمَامِ ابْنَ الْإِمَامِ مِ ابْنِ الْإِمَامِ وَقَدَرَهَا ^(٢) لَا يُجْهَلُ
آبَاؤُكَ الْأَنْصَارُ تِلْكَ شِعَارُهُمْ فَلَحِيَّتِهِمْ آوَى النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ
فَهُمُ الْأَلَى تَصَرُّوا الْهَدَى بِمَزَامِيرِ مَضْمُونَةٍ وَبَصَائِرِ لَا تُخْذَلُ
مَاذَا يُحْبِرُ شَاعِرٌ فِي مَذْهِبِهِمْ وَبِفَضْلِهِمْ أَثْنَى الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
مَوْلَايَ لَا أُخْصِي مَا بَرَكَ اللَّيْ بِحَدِيثِهَا تَمَضَى ^(٣) الْمَطَى الدَّلُّ
وَإِذَا الْحَقَائِقُ لَيْسَ يُدْرِكُ كُنْهَهَا سَيَّانٍ فِيهَا مُكْتَدِرٌ وَمُقَالُ
فَالْيَنِّكَ مِنْ شَوَالٍ غُرَّةٍ وَجْهٍ أَهْدَاكَهَا يَوْمَ أَغْرَى مُحْجَلُ
عَذْرَاءَ رَاقٍ الْعَيْدَ رَوَّنَقُ حُسْنِهَا فَعْدَا بِنَظْمٍ ^(٤) حُلِيِّهَا يَتَجَمَّلُ
رَضَعْتَ لِبَانَ الْعِلْمِ فِي حِجْرِ النَّهْيِ فَوَفَّتْ لَهَا مِنْهُ ضُرُوعُ حَفْلُ
سَلَكَ الْبَيَانَ لَهَا سَبِيلَ إِجَادَةٍ لَوْلَا صِفَاتُكَ كَانَ عَنْهَا يَبْدُلُ
جَاءَتْ تُهَيَّي الْعَيْدَ أَيْمَنَ قَادِمٍ ^(٥) وَافِي بَشِيرٍ صِيَامِهِ يَتَوَسَّلُ
وَطَوَى الشُّهُورَ مَرَّاحِلًا مَعْدُودَةً كَيْمَا يَرَى بِفِنَاءِ جُودِكَ يَنْزِلُ

[٣٠٧]

(١) في نفع الطيب : « بمجودها » .

(٢) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « ومثلها » .

(٣) في م ونفع الطيب : « تمضى » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « بحسن » .

(٥) في الأصلين : « قائم » . وما أبتناه عن نفع الطيب .

وَأَتَى وَقَدْ شَفَّ النُّحُولُ هِلَالَهُ وَلِشَوَقِهِ لِلِقَاءِ وَجْهِكَ يَنْحَلُ
عَقَدَتْ بِمَرْقَبِهِ الْعُيُونُ مَسْرَةً فَمَكْبَرٌ لَطْلُوعِهِ وَمُهْلَلُ
فَاسَلَمْ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي غِبْطَةٍ ظِلُّ الْمُنَى مِنْ فَوْقِهَا يَنْهَدِلُ
فَإِذَا بَقِيَتْ لَنَا فَكْلٌ سَعَادَةٍ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهَا تَتَكَفَّلُ

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد :

ومن أناشيده في
المواسم العقيقة

ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهنائه في المواسم العقيقة ،
قوله يهنئه ، رضوان الله تعالى عليه ، بطلوع مولانا الوالد قدسه الله تعالى :

طَلَعَ الْمِـلَالُ وَأَفْقُهُ مُهْلَلُ فَمَكْبَرٌ لَطْلُوعِهِ وَمُهْلَلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِغُرَّةِ فَعَدَا الصَّبَاحُ بِنُورِهَا يَتَجَمَّلُ
شَمْسُ الْخِلَافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَهُ وَبَسَعَهَا يَرْجُو التَّامَ وَيَكْمُلُ
لِللَّهِ مِنْهُ هِلَالٌ سَعِيدٌ طَالِعُ لُضْيَائِهِ تَمْشُو الْبُدُورُ الْكُمُلُ
وَأَلَحْتَ يَاشْمُسُ الْهِدَايَةِ كَوْكَبًا يُعْشَى سَنَاهُ كُلٌّ مَنْ يَتَأَمَّلُ
وَالْتَّاجُ تَاجُ الْبَدْرِ فِي أَفْقِ الْعُلَا^(١) مَا زَالَ بِالزُّهْرِ النُّجُومُ يُكَلَّلُ
وَلَنْ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ فَإِنَّهُ بِالشَّهْبِ أَبْغَى مَا يَكُونُ وَأَجْمَلُ
أَطْلَعْتَ يَا بَدْرَ السَّمَاحِ هِلَالَهُ وَالْمَلِكُ أَفْقُ وَالْخِلَافَةُ مَنَزِلُ
يَبْدُو بِهَالَاتِ الشُّرُوجِ وَإِنَّهُ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ فِي الْعُلَا يَسْتَكْمِلُ
قَلَدْتَ عِطْفَ الْمَلِكِ مِنْهُ صَارِمًا بَغْنَائِهِ وَمَضَائِهِ يُتَمَثَّلُ
حَلِيتُهُ بِحُلَى الْكَمَالِ وَجَوْهَرِ الْخَلْقِ النَّفِيسِ وَكُلِّ خَلْقٍ يَجْمَلُ
يَفْزُو أَمَامَكَ وَالشُّعُودُ أَمَامَهُ وَمَلَائِكُ السَّبْعِ الْعُلَا تَنْزَلُ

[٣٠٨]

مَنْ مُبْلِغُ الْأَنْصَارِ مِنْهُ بَشَارَةٌ غُرُّ الْبَشَائِرِ بَعْدَهَا تَسْتَرْسِلُ
أَحْيَا جِهَادَهُمْ وَجَدَّدَ فَخْرَهُمْ بَعْدَ الْمِثْنِ فَلذَّكُهُمْ يَتَأَنَّلُ
فِيهِ إِلَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ تَوَصَّلُوا وَبِهِمْ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ يَتَوَسَّلُ
مَنْ مُبْلِغُ الْأَذْوَاءِ مِنْ بَيْنِ وَهُمْ قَدْ تَوَجَّجُوا وَتَمَلَّكُوا وَتَقَيَّلُوا
أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي بَيْنِهِمْ أَطْلَعَتْ قَرَأَ^(١) بِهِ سَعْدُ الْخَلِيفَةِ يَكْمُلُ
مَنْ مُبْلِغُ قَحْطَانَ آسَادِ الشَّرَى مَا غَابَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ^(٢) الذَّلِيلُ
أَنَّ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ شَبِلُ لُيُوثِهِمْ قَدْ حَاطَ مِنْهُ الدِّينَ لَيْثٌ مُشْبِلُ
يَهْنِي بَنِي الْأَنْصَارِ أَنْ مَلِيكَهُمْ^(٣) قَدْ بَلَغَتْهُ سَعُودُهُ مَا يَأْمُلُ
يَهْنِي الْبُنُودَ فَإِنَّهَا سَتَظِلُّهُ وَجَنَاحُ جَبْرِيلَ الْأَمِينِ يُظَلِّلُ
يَهْنِي الْجِيَادَ الصَّافِنَاتِ فَإِنَّهَا بِفَتْوحِهِ تَحْتَ الْفَوَارِسِ تَهْدِلُ
يَهْنِي الْمَذَاكِي وَالْعَوَالِي وَالظُّبَى فِيهَا إِلَى نَيْلِ الْمَنَى يَتَوَصَّلُ
يَهْنِي الْعَالِي وَالْمَفَاخِرَ أَنَّهُ فِي مُرْتَقَى أَوْجِ الْعُلَا يَتَوَقَّلُ
سَبَقَتْ مُقَدِّمَةُ الْفَتْوحِ قَدُومُهُ وَأَتَاكَ وَهُوَ الْوَادِعُ الْمُتَمَهِّلُ^(٤)
وَبَدَتْ نُجُومُ السَّعْدِ قَبْلَ طُلُوعِهِ تَجْلُو الْمَطَالِعَ قَبْلَهُ لَا تَأْوِلُ^(٥)
وَرَوَتْ أَحَادِيثَ الْفَتْوحِ غَرَائِبَا وَالنَّصْرُ يَمْلِي وَالْبَشَائِرُ تَنْقُلُ
أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِهِ السُّعُودُ زِمَامَهَا فَالسَّعْدُ يُمَضِي مَا تَقُولُ وَيَفْعَلُ
فَالْفَتْحُ بَيْنَ مُعْجَلٍ وَمُؤَجَّلٍ يُنْسِيكَ مَاضِيَهُ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « غُرَّأ » . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

(٢) فِي ط : « الشَّيْح » . وَالنَّصُوبُ عَنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

(٣) فِي م وَنَفْعِ الطَّيِّبِ : « إِمَامِهِمْ » .

(٤) فِي الْأَصْلِينَ : « الْمُتَمَلِّل » . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ .

(٥) كَذَا فِي ط . وَالَّذِي فِي م وَنَفْعِ الطَّيِّبِ : « وَتَوَثَّل » .

أَوَّلَيْسَ فِي شَأْنِ الْمَسِيرِ دَلَالَةٌ
 نَادَاهُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ فَأَقْبَلُوا
 عَصَوْا الرُّسُولَ إِبَابَةً وَتَحَكَّمَتْ
 كَانُوا جِبَالًا قَدْ عَلَتْ هَضَبَاتُهَا
 كَانُوا بِحَارًا مِنْ حديدٍ زَاخِرٍ
 رَكِبَتْ أَرْجُلُهَا الْأَدَامَ كُلَّمَا
 كَانَ الْحَدِيدُ لِبَاسَهُمْ وَشِعَارُهُم
 اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
 جَدَّدَتْ لِلْأَنْصَارِ حُلَى جِهَادِهِمْ
 مَنْ يَتَّخِذُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَزَمَرًا
 مُتَسَابِقِينَ إِلَى مَثَابَةِ رَحْمَةٍ
 هِينًا كَأَفْوَاجِ الْقَطَا قَدْ سَاقَهَا
 مِنْ كُلِّ مَرْفُوعٍ إِلَّا كَفَّ ضِرَاعَهُ
 حَتَّى إِذَا رَوَتْ الْحَدِيثَ مُسَلَّسَلًا
 عَنْ فَتَحِكَ الْأَسْنَى عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي
 أَهْدَتْهُمْ السَّرَادُ نُصْرَةً دِينَهُمْ
 وَتَنَاقَلُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ مَسْرُورَةً
 وَدَعَوْا بِنَصْرِكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَفْخَرًا
 فَاهْنَأُ بِمَلِكِكَ وَاعْتَمِدْ شُكْرًا بِهِ
 شُرِّفْتَ مِنْهُ بِاسْمِكَ وَاللَّهُ الرِّضَا

أَنْ الْمَقَاصِدَ مِنْ طِلَابِكَ تَكَلُّ
 وَدَعَاهُمْ دَاعِيَ الْمَنُونِ فَجُدُّوا
 فِيهِمْ سَيُوفُكَ بَعْدَهَا فَاسْتَمَلُوا
 نَسَفَتْهُمْ رِيحُ الْجِلَادِ فَرُزْلُوا
 أَذْكَتَهُمْ نَارُ الْوَعْيِ فَتَسَيَّلُوا
 يَتَحَرَّكُونَ إِلَى قِيَامِ تَهْضُلِ
 وَالْيَوْمِ لَمْ تَلْبَسْهُ إِلَّا الْأَرْجُلِ
 فَتَحَّا بِهِ دِينَ الْهُدَى يَتَأَنَّلُ
 فَالْدِينِ وَالْدُنْيَا بِهِ تَتَجَمَّلُ
 وَالْوَفْدِ وَفَدَ اللَّهُ فِيهِ يَنْزِلُ
 مِنْ كُلِّ مَا حَذَبَ إِلَيْهِ تَنْسِلُ
 ظُلْمًا شَدِيدَ وَالْطَّافِ الصَّهْلِ
 وَالْقَلْبِ يَخْفِقُ وَالْمَدَامُ تَهْمُلُ
 بِيضِ الصَّوَارِمِ وَالرِّمَاحِ الْعُسْلُ
 بَثْبَاتِهِ أَهْلُ الْوَعْيِ تَقْتَمِلُ
 وَاسْتَبْشَرُوا بِحَدِيثِهَا وَتَهْلَلُوا
 بِسَمَاعِهِ وَاهْتَزَ ذَلِكَ الْمَخْفِلُ
 إِنْ الْحَجِيجِ بِنَصْرِ مَلِكِكَ يَخْفِلُ
 لُطْفَ الْإِلَهِ وَصُنْمُهُ تَخْغُولُ
 يَحْيَا بِهِ مِنْهُ الْكَرِيمُ الْمُفْضِلُ

أَبْدَيْتَ مِنْ حَسَنِ الصَّنِيعِ عَجَائِبَا تَرَوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُنْقَلُ
خَفَقَتْ بِهِ أَعْلَامُكَ الْحُمْرُ الَّتِي بِخَفَقِهَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ مُوَكَّلُ
هَدَّرَتْ طَبُولُ الْعِزِّ تَحْتَ ظِلَالِهَا عُنْوَانُ فَتْحِ إِثْرِهَا يُسْتَفْجَلُ
وَدَعَوْتَ أَشْرَافَ الْبِلَادِ وَكُلَّهُمْ يُبْنِي الْجَمِيلَ وَصُنْعُ جُودِكَ أَجَلُ
وَرَدُّوا وَرُودَ الْمِيمِ أَجْهَدَهَا الظَّمَا فَصَفَا لَمْ مِنْ وَرْدِ كَفِّكَ مَهْلُ
وَأَثَرَتْ فِيهِ لِلطَّرَادِ فَوَارِسًا مِثْلَ الشَّمْسِ وَجُوهُهُمْ تَهْلَلُ
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ نَجْمٌ وَجَنَحُ النِّقَمِ لَيْلُ مُسْبَلُ
يَرِدُ الطَّرَادَ عَلَى أَغْرِ مُحَجَّلٍ فِي سَرَجِهِ بَطْلٌ أَغْرَ مُحَجَّلُ
قَدْ عَوَّدُوا قَنَصَ الْكِمَاةِ كَأَنَّمَا عِقْبَانُهَا يَنْقُضُ مِنْهَا أَجْدَلُ
يَسْتَنْبِعُونَ هَوَادِجَا مَوْشِيَةٍ مِنْ كُلِّ بَدْعٍ فَوْقَ مَا يُتَخَيَّلُ
قَدْ صُوِّرَتْ مِنْهَا غَرَائِبُ جَمَّةٌ تُنْفِئُ عُقُولَ النَّاضِرِينَ وَتُذْهِلُ
وَتُضْمِنُ جَزَلَ الْوَقُودِ حُمُولَهَا وَالنَّصْرُ فِي التَّحْقِيقِ مَا هِيَ تَحْمِلُ
وَالْعَادِيَاتُ إِذَا تَلَّتْ فُرْسَانُهَا آيَ الْقِتَالِ صُفُوفُهَا تَتَرْتَّلُ
[لِلَّهِ خَيْلُكَ إِنَّهَا لِسَوَاحِ] بِحَرَ الْقِتَامِ وَمَوْجِهِ مَهِيلُ
مِنْ كُلِّ بَرَقٍ بِالْثَرَيَّا مُلْجَمٌ بِالْبَدْرِ يُسْرَجُ وَالْأَهْلَةُ يُنْعَلُ
أَوْ فِي بَهَادٍ كَالظَّلِيمِ وَخَلْفَهُ كَفَلُ كَامَاجٍ^(١) الْكُتَيْبِ الْأَهْمِيلُ
هَنْ الْبَوَارِقِ غَيْرَ أَنْ جِيَادَهَا عَنْ سَبْقِ خَيْلِكَ يَا مُؤَيِّدَ تَنْكُلٍ^(٢)
مِنْ أَشْهَبٍ كَالصَّبْحِ يَلُوحُ سَرَجُهُ صُبْحٌ بِهِ نَجْمُ الضَّلَالَةِ يَأْفُلُ
أَوْ أَدْهَمَ كَاللَّيْلِ قُلْدٌ شُهْبُهُ خَاضَ الصَّبَاحَ فَأَثْبَتَتْهُ الْأَرْجُلُ

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ : «لَا ح» .

(٢) كَذَا فِي طَوْحِ الطَّيْبِ ؛ وَفِي م : «تَشْكُل» .

أو أشقر سال الثَّضَارُ بِعَظْفِهِ وكساه صِبْغَةً بِهِجَةً لَا تَنْضَلُ
 أو أَحْمَرُ كَالْجَرِّ أَضْرَمَ بِأَسُهُ بالركض في يوم الحَفِيزَةِ يُشَقِّلُ
 كَالْجَرِّ أَثْرَعَ كَأَسْهَا لِنْدَائِمِهَا وبها حَمَابَةٌ غُرَّةٌ تَنْسِيلُ
 أو أَصْفَرُ لِبَسَ الْعِشَى مُلَاةً وبذيله لليل ذيل مُسْبِلُ
 أَجَلَتْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ عَوَانِدَا الجود فيها مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ
 أَنْشَأَتْ فِيهَا مِنْ تَدَاكَ غَمَامَا بِالْفَضْلِ تَنْشَأُ وَالسَّاحَةُ تَهْمَلُ
 فَجَبَّرَتْ مِنْ كَفَيْكَ عَشْرَةَ أَمْحَرِ تُزْجِي سَحَابَ الْجُودِ وَهِيَ الْأَمَلُ
 مِنْ قَاسٍ كَفَيْكَ بِالْغَامِ فَإِنَّهُ جَهْلُ الْقِيَاسِ وَمِثْلُهَا لَا يَجْهَلُ
 تَسْخُو الْغَامَ وَوَجْهَهَا مَتَجْهَمُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ مَعَ النَّدَى يَتَهَلَّلُ
 وَالسَّعْبُ تَسْمَحُ بِالْمِيَاءِ وَجُودِهِ ذَهَبَ بِهِ أَهْلُ الْغَنَى تَتَمَوَّلُ
 مِنْ قَاسٍ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ وَجْهَهُ الْفَيْتَةُ فِي حَكْمِهِ لَا يَعْدِلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ مَنَظِقُ بَيَانُهُ دُرُّ الْكَلَامِ يُفَصِّلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ رَاحَةٌ تَسْخُو إِذَا يَحُلُّ الزَّمَانُ الْمُجَلُّ
 مِنْ قَاسٍ بِالْبَدْرِ الْمُنِيرِ كَمَالُهُ فَالْبَدْرُ يَنْقُصُ وَالْخَلِيفَةُ يَكْمُلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ شَمَائِلُ تَسْرَى بِرَبَّيَاهَا الصَّبَا وَالشَّمَالُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ مَنَاقِبُ بِجَهَادِهَا تُنْقَضَى الْمَطَى الذُّلَالُ
 يَا مَنْ إِذَا نَفَعْتَ نَوَاسِمَ حَمْدِهِ فَالْمَسْكُ يَعْبَقُ طَيْبُهُ وَالْمَنْدَلُ
 يَا مَنْ إِذَا لُمَجَّتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ تَعْشُو الْعَيُونُ وَيُهَيَّرُ الْمُتَأَمِّلُ
 يَا مَنْ إِذَا تَلَيْتَ مَفَاخِرَ قَوْمِهِ آيَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا تَنْتَزِلُ
 كَفَلَ الْخِلَافَةَ مِنْكَ يَا مَلِكَ الْعُلَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِكَ أَكْفَلُ
 مَأْمُونُهَا وَأَمِينُهَا وَرَشِيدُهَا مَنْصُورُهَا مَهْدِيُّهَا الْمُتَوَكِّلُ

حَسْبُ الْخِلَافَةِ أَنْ تَكُونَ وَلِيَّهَا وَحَجِيرَهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَخِيلُ
حَسْبُ الزَّمَانِ بَأَنْ تَكُونَ إِمَامَهُ فَلَهُ بِذَلِكَ عِزَّةٌ لَا تَهْمَلُ
حَسْبُ الْمُلُوكِ بَأَنْ تَكُونَ عَمِيدَهَا تَرْجُو النَّدَى مِنْ رَاحَتِكَ وَتَأْمَلُ
حَسْبُ الْمَعَالَى أَنْ تَكُونَ عِمَادَهَا ^(١) فَعَلَيْكَ أَطْنَابُ الْمَفَاخِرِ تُسَدِّلُ
يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَرَّهَانُهَا عِزُّ الْمَحَقِّ بِهِ وَذُلُّ الْمُنْبَطِّلِ
أَنْتَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ ابْنُ الْإِمَامِ مِ ابْنِ الْإِمَامِ وَغَرَّهَا لَا يُعَدِّلُ
عَلَّمْتَ حَقِّي لَمْ تَدْعَ مِنْ جَاهِلٍ أُعْطِيتَ حَقِّي لَمْ تَدْعَ مَنْ يَسْأَلُ
وَعِنَايَةُ اللَّهِ اشْتَمَلَتْ رِذَاءَهَا وَعَلَقْتَ ^(٢) مِنْهَا عُزُوءًا لَا تُفْصَلُ

[٣١١]

اتصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة ^(٣) في العبيديات التي أولها :

بشرى كما وضع الصباح وأجل

وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار ، وزاد في هذه :

أَخَذْتُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ مَهَابَةً فَعَقُولُهُمْ مِنْ خَوْفِهَا لَا تَعْقِلُ
حَسِبُوا الْبُرُوقَ صَوَارِمًا مَسْلُوكَةً ^(٤) أَرَوَّاحُهُمْ مِنْ بَاسِهَا تَتَسَلَّلُ ^(٥)
وَتَرَى النُّجُومَ مَنَاصِلًا مَرْهُوبَةً فَيَفِرُ مِنْهَا الْخَائِفُ الْمُتَنَصِّلُ
يَا بَنَى الْأَلَى إِنْجَالَهُمْ وَجَمَالَهُمْ شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
مَوْلَايَ لَا أَخْصِي مَا تَرِكَ الَّتِي بِجِهَادِهَا يَتَوَسَّلُ الْمُتَوَسِّلُ

(١) كذا في م وفي ط : « عميدها » . وفي نفع الطيب : « إمامها » .

(٢) في الأصل هنا : « وملكت » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « التوجهة بالعبيديات » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « مصفولة » .

(٥) في م : « تسهل » .

أَصْبَحْتُ فِي ظِلِّ امْتِدَاحِكَ سَاجِدًا ظِلُّ^(١) الْمُنَى مِنْ فَوْقِهِ يَهْدِلُ
طَوَّقَتْهُ طَوَقَ الْحَمَامِ أَنْعَمًا فَعَدَا بِشُكْرِكَ فِي الْحَافِلِ يَهْدِلُ
فَالَيْكَ مِنْ صَوْنِ^(٢) الْعُقُولِ عَقِيلَةٌ أَهْدَا كَهَا صَنَعُ أَغْرُ مُحْجَلُ
عَذْرَاءُ رَاقِ الصَّنْعِ رَوَّنَقُ حُسْنِهَا فَعَدَا بِنِظْمِ حُلِيِّهَا يَتَكَلَّلُ
خَيْرُهَا بَيْنَ الْمُنَى فَوَجَدْتُهَا أَقْصَى مُنَاهَا أَنَّهَا تُتَقَبَّلُ
لَا زِلْتَ شَمْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهَلَاكَ الْأَسْمَى يَتِمُّ وَيَكْمَلُ

وله في بعض نزه مولاه في شليل
ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه : ومن رقيق منازعه في بعض نزه مولانا
رضوان الله عليه بالقصر السلطاني من شليل قوله :

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِشَادِنِ مَهْمَا خَطَرُ فَالْقَلْبُ مِنْ مَهْمِ الْجَفُونِ عَلَى خَطَرُ
فَصَحَّ الْفَزَالَةُ وَالْأَفَاحَةُ وَالْقَنَا مَهْمَا تَنَنَّى أَوْ تَبَسَّمَ أَوْ نَظَرُ
عَجَبًا لِلَّيْلِ ذَوَائِبُ مِنْ شَعْرِهِ وَالْوَجْهُ مِنْهُ عَنْ صَبَاحٍ قَدْ سَفَرُ
عَجَبًا لِعَقْدِ الثَّغْرِ مِنْهُ مُنَظَّمًا وَالْعَقْدُ مِنْ دَمْعِي عَلَيْهِ قَدْ انْتَثَرُ
مَا رُمْتُ أَنْ أَجْنِيَ الْأَفَاحَ بِشَعْرِهِ إِلَّا وَقَدْ سَلَّ السُّيُوفَ مِنَ الْحَوَرُ
لَمْ أَنْسُهُ لَيْلَ ازْتِقَابِ هَلَالِهِ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكِّ الظُّهُورِ عَلَى غَرَرُ
بِتَنَا نُرَاقِيهِ بِأَوَّلِ لَيْلَةٍ فَأِذَا بِهِ قَدْ لَاحَ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ
طَالَعْتُهُ فِي رَوْضَةٍ كَخِلَالِهِ وَالطَّيْبُ مِنْ هَذِي وَتِلْكَ قَدْ اشْتَهَرُ
وَكَلَامُهَا يُبْدِي مُحَاسِنَ حِمَّةٍ مِلءُ السَّامِ^(٣) وَالْمَسَامِعِ وَالْبَصَرُ
وَالْكَأْسُ تَطْلُعُ شَمْسُهَا فِي خَدِّهِ فَتَكَادُ نَفْسِي بِالْأَشِعَّةِ مَنْ نَظَرُ

(١) في نفع الطيب : « ظل » .

(٢) في نفع الطيب : « صوغ » .

(٣) كذا في م وط . وفي نفع الطيب المخطوط والطبوع : « التنسم » .

نُورِيَّةٌ كَجَبِينِهِ وَكَلَاهُمَا ^(١)
 هِيَ شَيْمَةٌ ^(٢) لِلشَّيْخِ فِيهَا نِسْبَةٌ
 أَفْرَغَتْ فِي جَسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا
 لَا تَسْقِي غَيْرَ الرُّوضِ فَضْلَةً كَأْسِهَا
 مَا هَبَّ خَفَاقُ النَّسِيمِ مَعَ السَّحَرِ
 نَاجَى الْقُلُوبَ الْخَافِقَاتِ كَمِثْلِهِ ^(٣)
 وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا
 وَتَحَمَّلَتْ عَنْهُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ ^(٤)
 يَا قَصْرَ شَنْبِيلٍ وَرَبْعَكَ آهْلُ
 اللَّهِ بِحَرْكٍ وَالضُّبَا قَدْ مَرَدَّتْ
 وَالْأَسُ حَفَّ عِذَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ
 قَبْلَ بَشْرِ الزَّهْرِ كَفَّ خَلِيفَةً
 وَافْرِشْ خُدُودَ الْوَرْدِ تَحْتَ نِعَالِهِ
 وَانْظُرْ غِنَاءَ الطَّيْرِ فِيهِ مَدَامِحًا
 الْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الَّذِي
 وَالْمُجْتَبَى مِنْ غُنْصَرِ النُّورِ الَّذِي
 يَجْلُو ظِلَامَ اللَّيْلِ بِالْوَجْهِ الْأَغْرَ
 مَا إِنْ يَزَالَا يَرْعَشَانِ مِنَ الْكِبَرِ
 فَرَأَيْتَ رُوحَ الْإِنْسِ مِنْهَا قَدْ بَهَرَ
 فَالْفُضْنُ فِي ذَيْلِ الْأَزَاهِرِ قَدْ عَثَرَ ^(٥)
 إِلَّا وَقَدْ شَاقَ الذُّمُوسَ وَقَدْ سَعَرَ
 وَوَشَى بِمَا تَخْفِي السَّكَامُ مِنَ الزَّهْرِ
 مَا أَسْنَدَ الزَّهْرِيُّ عَنْهُ عَنْ مَطَرِ
 رُسُلِ النَّسِيمِ وَصَدَّقَ الْخُبْرُ الْخَبَرَ
 وَالرُّوضُ مِنْكَ عَلَى الْجِبَالِ قَدْ اقْتَصَرَ
 مِنْهُ دُرُوعًا تَحْتَ أَعْلَامِ الشَّجَرِ
 عَنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَى الْعِذَارَ قَدْ اعْتَذَرَ
 يُغْنِيكَ صَوْبُ الْجُودِ مِنْهُ عَنْ الْمَطَرِ ^(٦)
 وَاجْعَلْ بِهَا لَوْنَ الْمُضَاعَفِ عَنْ خَفَرِ
 وَانْثُرْ مِنَ الزَّهْرِ الدَّرَاهِمَ وَالْدُرُ
 فِي مَدْحِهِ قَدْ أَنْزَلَتْ آيُ الشُّوْزِ
 فِي مَطْلَعِ الْهَدْيِ الْمُقَدَّسِ قَدْ ظَهَرَ

(١) في نفع الطيب . « وهلاها » .

(٢) كذا في ط . وفي نفع الطيب : « نسخة » . ولعل كلا اللفظين محرف عن « شيمخة » .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي ط و م : « زهر » .

(٤) في م : كشكله . وفي نفع الطيب : « لملته » .

(٥) في نفع الطيب : « عن » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي م : « المنصف » . ومكان هذه الكلمة يباين في ط .

ذُو سَطْوَةٍ مَهْمَا كَفَى ذُو رَحْمَةٍ مَهْمَا عَفَا ذُو عَفَا مَهْمَا قَدَرَ
 كَمْ سَائِلٍ لِلدَّهْرِ أَقْسَمَ قَائِلًا وَاللَّهِ مَا أَيَّامُهُ إِلَّا غُرُزٌ
 مَوْلَايَ سَعْدُكَ كَالْمَهْنَدِ فِي الْوَعَى لَمْ يَبْقِ مِنْ رَسْمِ الضَّلَالِ وَلَمْ يَذَرْ
 مَوْلَايَ وَجْهَكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا وَكَلَاهُمَا فِي الْخَافِقَيْنِ قَدْ اشْتَهَرَ
 إِنَّ الْمُلُوكَ كَوَاكِبُ أَخْفَيْتَهَا وَطَلَعَتْ وَجْهَكَ فِي مَظَاهِرِهَا قَرَّ^(١)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مَوْسَمٌ فِي طَيْبِهِ لِلخَلْقِ أَعْيَادُ كُتُبُ
 فَاسْتَقْبِلِ الْأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضُهَا وَيَرْفُ وَالنَّصْرُ الْقَزِيرُ لَهُ نَمَرٌ
 قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْعَشَايَا ضِعْفَ مَا قَدْ فَضَّضَتْ مِنْهَا الْحَاسِنُ فِي السَّحَرِ
 يَا بَنَ الْذِينَ إِذَا تُعَدُّ خِلَالَهُمْ نَعْدَ الْحِسَابِ وَأَعْجَزَتْ عَنْهَا الْقُدَرُ
 إِنَّ أَوْرَدُوا هَيْمَ السِّیُوفِ غَدَاثًا مَضْقُولَةً فَلَطَالَمَا حَمِدُوا الصَّدَرَ
 سَائِلٍ بَبْدَرٍ عَنْهُمْ بَدَرَ الْهُدَى فِيهِمْ^(٢) عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ قَدْ انْتَعَرَ
 وَاسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بِكُلِّ مَشَاهِدٍ^(٣) وَاقِرِ الْمَغَازِي فِي الصَّحِيحِ وَفِي السَّيْرِ
 تَجِدَ الثَّنَاءَ بَيَّاسَهُمْ وَبِجُودِهِمْ فِي مُضْحَفِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مُسْتَطَرٌ
 فِيمِثْلِ هَذِهِكَ فَلْتَنْزِ شَمْسُ الضُّحَى وَبِمِثْلِ قَوْمِكَ فَلْيُفَاخِرْ مَنْ فَخَرُ
 مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصِفٍ مُعْجَزٍ وَالْقَوْلُ فَيْكَ مَعَ الْإِطَالَةِ مُخْتَصَرٌ
 تِلْكَ الْمَنَاقِبُ كَالثَّوَابِ فِي الْعَلَا مَنْ رَامَهَا بِالْخُمْرِ أَدْرَكَهُ الْخُمْرُ
 إِنْ غَابَ عَبْدُكَ عَنْ حِمَاكَ فَانَهُ بِالْقَلْبِ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ قَدْ حَضَرَ

(١) في نفع الطيب : « وحده » .

(٢) في ط : « في جوانبها » .

(٣) في م : « كل » مكان قوله : « فيهم » .

(٤) في نفع الطيب : « معمر » .

فَاذْكُرْهُ إِنَّ الذِّكْرَ مِنْكَ سَعَادَةٌ وَبِهَا عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ قَدْ افْتَخَرَ
وَرِضَاكَ عَنْهُ غَايَةٌ مَا بَعْدَهَا إِلَّا رِضَا اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَعَ الْبَشَرَ
فَأَشْكُرْ صَنِيعَ اللَّهِ فِيكَ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ضَمِنَ الْقَزِيدَ لِمَنْ شَكَرَ
وَعَلَيْكَ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ مَعَ الْأَصَائِلِ وَالْبُكَرِ

ثم قال : ومن أغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهي ، في الشكر على
ضروب من التحف التي يقتضيها ^(١) التحفي السلطاني بأولياء خدمته ، مُبْدًى
متعددة فيما يظهر ؛ فمنها قوله :

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكَ بِجُودِهِ وَبَفَضْلِهِ قَدْ أَشْبَهَ الْأَمْثَلَاكَ
وَاللَّهُ مَا عَرَفَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ أَمْنَا وَيُمْنًا دَائِمًا لَوْلَاكَ
وَأَفَيْتَ ^(٢) أَهْلِي بِالرِّيَاضِ عَشِيَّةً فِي رَوْضِ جَاهِكَ تَحْتَ ظِلِّ رِضَاكَ ^(٣)
فَوَجَدْتُهُ قَدْ طَلَعَهُ صَوْبُ النَّدَى بِسَحَابٍ تَهْلُ مِنْ يُمْنَاكَ
وَسَفَائِنَ مَشْحُونَةٍ أَلْقَى بِهَا بِحَرِّ السَّمَاحِ يَجِيشُ مِنْ نِعْمَاكَ
رُطَبٌ مِنَ الطَّلَعِ النَّضِيدِ كَأَنَّهَا قَدْ نَظَّمَتْ مِنْ حُسْنِهَا أَسْلَاكَ
مِنْ كُلِّ مَا كَانَ النَّبِيُّ يُحِبُّهَا وَأَحَبُّهَا الْأَنْصَارُ مِنْ أَوْلَاكَ
وَبَدَائِعِ التَّحَفِ الَّتِي قَدْ أَطْلَعَتْ مِثْلَ الْبُدُورِ أَنْارَتِ الْأَحْلَاكَ ^(٤)
نُطْفَ ^(٥) مِنَ النُّورِ الْمُبِينِ تَجَسَّمَتْ حَتَّى حَسِبْنَا أَنَّهُنَّ هُدَاكَ

[٣١٤]

(١) في ط : « يفتنيها » . وفي م : « يقتنيها » . والتصويب عن نفح الطيب .

(٢) في ط : « ولقيت » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٣) في نفح الطيب « ذراكا » .

(٤) كذا في م ونفح الطيب . وفي ط : « فنارت الأفلاك » .

(٥) كذا في نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « لطف » .

يَحْلُو عَلَى الْأَفْوَاهِ طِيبُ مَذَاقِهَا لَوْلَا التَّجَشُّدُ خِلْتُهُنَّ سَنَاكَ (١)
طَافَتْ بِهَا النَّشْأُ الصَّغَارُ كَأَنَّهَا سِرْبُ الْقَطَا لَمَّا وَرَدْنَ نَدَاكَ
نَجَّوَاهُمْ مَهْمَا سَمِعَتْ كَلَامَهُمْ وَنِدَاهُمْ : مَوْلَايَ أَوْ مَوْلَاكَ
أَبْلَغَتْ فِي الْأَبْنَاءِ عَبْدَكَ سُؤْلُهُ لَا زِلْتَ تَبْلُغُ فِي بَيْنِكَ مُنَاكَ
يَتَدَارَسُونَ مِنَ الدُّعَاءِ صَحَائِفًا كَيْمَا يُطِيلَ اللَّهُ فِي بُقْيَاكَ
فَبَقِيَتْ شَمْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهُمْ الْبُدُورُ أَمْدُهُنَّ سَنَاكَ

ثم قال : ومنها وقد أهداه — رحمه الله — أطباقاً من حب الملوك (٢) :

في هدية من حب
الملوك

كَتَبَ إِلَهُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كَانَ فَرَضُ كِتَابِهَا مَوْقُوتًا
وَأَنَا الَّذِي شَرَفْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى جَعَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ قُوتًا
مَا زِلْتَ تُنَحِّفُهُ بِكُلِّ ذَخِيرَةٍ حَتَّى لَقَدْ أَتَحَفَّتْهُ الْيَاقُوتَا
وَإِلَى الْمُلُوكِ قَدْ اعْتَرَى مِنْ غَرِهِ فَعَدَا لَهُ يَاقُوتُهَا مَمْقُوتَا

ومنها في مثل ذلك :

في هدية
أخرى منه

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكُ أَهْدَيْتَنِي حَبَّ الْمُلُوكِ
فَكَأَنَّمَا يَاقُوتُهَا نُظِمْتَ لَنَا نَظْمَ السُّلُوكِ
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا لَجَّوْا فَفِيئَتُهُمْ أَنْ أُمْلُوكِ
وَكَذَا الْعَفَاةُ إِذَا شَكَّوْا فَعِنَاهُمْ أَنْ يَسْأَلُوكِ
فَاللَّهُ يَقْبَلُ مَنْ دَعَا لِعِلَاقِكَ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ

(١) في ط وفتح الطيب : « نناكا » . وما أجبنا عن م .

(٢) حب الملوك ، ويقال له أيضاً حب الزلم ، هو المعروف عند عامة أهل القاهرة بحب

العزير ، لأن العزير بن العز الفاطمي كان مولداً به .

لَا زِلْتَ تَطْلُعُ غُرَّةً كَالشَّمْسِ فِي وَقْتِ الدُّلُوكِ

في صيد أهدى
إليه

ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله تعالى عنه :

يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّمَاحَ عَنِ الْآلِي نَصَرُوا الْهُدَى وَتَبَوَّأُوا الْإِيمَانَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ تَحْفَةُ مُنْعِمٍ وَالِى الْجَلِيلِ وَأُجْزَلَ الْإِحْسَانَا
قَدْ أَذْكَرْتَ دَارَ النِّعَمِ عَبِيدُهُ وَتَضَمَّنْتَ مِنْ فَضْلِهِ رِضْوَانَا
تَهْدِي مَوَالِيكَ الَّذِينَ ^(١) تَفَرَّغُوا عَنْ دَوْحِ فَخْرِكَ فِي الْمَلَأِ أَغْصَانَا
لِجَلَالِكَ الْأَعْلَى قَنِيصاً أَنْعَبُوا فِي صَيْدِهِ الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَا
فَتَخَضَّعْنِي مِنْهُ بِأَوْفَرِ قِسْمَةٍ فَسَحَتْ لِعَبْدِكَ فِي الرِّضَا مِيدَانَا
لِلَّهِ مِنْ مَوْلَى كَرِيمٍ بِالَّذِي تَهْدِي الْمَوَالِي يُتَحِفُ الْعُبْدَانَا
تَدْعُو بَنِي إِلَى الْغَنِيِّ بَرَبُّهُ يَا رَبَّنَا أَغْنِ الَّذِي أَغْنَانَا
وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ تَهْدِيكَ مِنْهُ الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَا

[٣١٠]

ومنها وقد أهداه رحمه الله تعالى أصنافاً من الفواكه :

في أصناف من
الفواكه أهديت
إليه

يَا مَنْ لَهُ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ إِذَا بَدَا فَاقَتْ حَاسِنُهُ الْبُدُورَ كَمَا لَا
وَالْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الْفَخْرِ الَّذِي فَاقَ الْخَلَائِفَ عِزَّةً وَجَلَالَا
مَا أَبْصَرْتَ عَيْنَايَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ أَبَدْتَ لَنَا صُنْعَ الْإِلَهِ تَعَالَى
فِيهَا مِنَ الثَّفَاحِ كُلِّ عَجِيبَةٍ تَذْكِي بَرِيَّاهَا صَبَاً وَشَمَالَا
تَهْدِي لَنَا نَهْدَ الْحَبِيبِ وَخَدَّهُ وَتُرَى مِنَ الْوَرْدِ الْجَبِّيِّ مِثَالَا
وَبِهَا مِنَ الْأَثْرُجِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ مِنْ كُلِّ شَطْرِ اللَّعْيُونِ هِلَالَا
وَيَحْفُهُمَا وَرَقٌ يَرُوقُ كَأَنَّهُ وَرَقُ الثُّنَاجِ وَقَدْ أَجَادَ نَبَالَا ^(٢)

(١) في ط : «تهدي موالى للبنين» .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب ولم يظهر لنا معنى لهذه الكلمة .

لَوْ أَنَّ الْعَشِيَّةَ ذُهِبَتْ صَفَحَاتُهَا رَقَّتْ وَرَاقَتْ بِهِجَةً وَحَمَالَا
وَبِهَا مِنَ الثَّقَلِ الشَّهِيٍّ مُذَكَّرٌ عَنْدًا تَوَلَّى لَيْتَهُ يَتَوَالَى
لِلَّهِ مِنْهَا خُضْرَةٌ مِنْ خُضْرَةِ تُفْنِي الْعُفَاةَ وَتُحْسِبُ الْآمَالَ
أَذْكُرَنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَمَعَهْدًا كَانَتْ شُمُوسُ الرَّاحِ فِيهِ تَلَالَا
فَأَرَدْتُ تَجْدِيدَ الْعُهُودِ وَإِنَّمَا كَتَبَ الْمَشِيبُ عَلَى عِذَارِي لَا لَا
فَأَرَدْتُ مِنْ ذِكْرِكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ وَشَرِبْتُ مِنْ حُبِّي لَهَا جِرْيَالَا
فَبَقِيَتْ شَمْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الزَّمَانُ زَوَالَا

ثم قال : ومنها يوم عاشوراء :

وله في يوم
عاشوراء

يَأْيُهَا الْمَوَلَى الَّذِي بَرَكَاتُهُ رَفَعَتْ لَوَاءَ اللَّذَى مَنشُورَا
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِي الْعَمَامَ بِأَنْمُلٍ فَجَرَتْ مِنْهَا بِالنَّوَالِ بِحُورَا
وَالْيَوْمَ مَوْسَمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ(١) وَغَدَا ظَفِرَتْ بِأَجْرِهِ عَاشُورَا
رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ يَرَوِي الثَّقَاتُ حَدِيثَهَا الْمَشْهُورَا
لَا زِلَّاتَ عَامِكَ كَلَهُ فِي غِبْطَةٍ لَقِيتَ مِنْهَا نَضْرَةً وَسُرُورَا

ومنها في بعض قطعه :

ومن بعض قطعه

وَالَيْتَ مَا أُولَيْتَ يَا بَحْرَ النَّدَى وَوَحَقَّ وَجْهِكَ(٢) مَا رَأَيْتُ كَهَازِهِ
فَإِذْ يَهْزُ لَهَا اللِّسَانُ حُسَامَهُ فَصِفَاتُ فُخْرِكَ قَدْ قَضَتْ بِنَفَازِهِ
عَلِمْتُ فُرْسَانَ الْكَلَامِ نِظَامَهَا كَتَعَلَّمُ التَّلِيدِ مِنْ أُسْتَاذِهِ
وَالْبَحْرُ تَمْتَارُ السَّحَابِ مَاءُهُ فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهَا بَرْدَاذِهِ

(١) في م : « شهادة » وما أثبتناه من ط ونفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « جودك » .

ومنها وقد أهداه بأكورا :

يَا وَارِثَ الْأَنْصَارِ وَهِيَ مَزِيَّةٌ
أَهْدَيْتَنِي الْبَاكُورَ وَهِيَ بَشَارَةٌ
وَوِلَادَةٌ لِمِلَالِ نَيْمٍ^(١) طَالِعِ
هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَارِ فِي أَفْقِ الْهَدَى
مَوْلَايَ صِدْقُ الْغَالِ قَدْ جَرَّبْتُهُ

ثم قال : ومنها في جفنة تريد :

طَعَامُكَ مِنْ دَارِ النَّيْمِ بَعَثْتُهُ
بِهَضْبَةٍ نَعْمَى قَدْ سَمَوْنَا لِأَوْجِهَاتِهَا
وَقَوْرَاءَ قَدْ دُرْنَا بِهَا لِبَذْرِهَا
وَقَدْ حُمِلَتْ فَوْقَ الرُّهُوسِ لِأَنَّهَا
فَمَا شِئْتَ مِنْ طَعْمٍ زَكَاةٍ مِنْهَا
فَلَوْ أَنَّهَا قَدْ قُدِّمَتْ لِخَلِيفَةٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ نَعْمَى عَلَى عَمِيمَةٍ
فَلَا زِلْتَ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ مُبْلَغًا

ومنها شكرا عن كتاب :

مَوْلَايَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
فَانْعَمْ صَبَاحًا وَاعْتَمِمْ
وَابْشِرْ بِصُنْعٍ عَاجِلٍ

(١) في م ونفع الطيب : « سر » .

في باكور أهداه
إليه

بَفَخَارِهَا أَتْنَى الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
بَبَوَاكِيرِ الْفَتْحِ الَّذِي تَسْتَقْبِلُ
وَجْهَ الزَّمَانِ بِوَجْهِهِ يَتَهَلَّلُ
وَتَرَى الْأَهْلَةَ بَعْدَهُ تَسْتَرْسِلُ
مِنْ لَفْظِ عَبْدِكَ وَالْعَوَاقِبُ أَجْمَلُ

في جفنة تريد

فَشَرَّفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى
فَصِدْنَا بِأَعْلَاهَا الشَّهَى مِنَ الطَّيْرِ
كَمَا دَارَتْ الزُّهْرُ الثُّجُومُ عَلَى الْبَذْرِ
هَدِيَّةُ مَوْلَى حَلٍّ فِي مَفْرِقِ الْفَخْرِ
وَمَا شِئْتَ مِنْ عَرَفٍ ذَكَاةٍ وَمِنْ نَشْرِ
لَأَعْظَمَهَا قَدْرًا وَبَالِغَ فِي الشُّكْرِ
يَقِلُّ لِأَدْنَاهَا الْجَمِيلُ مِنَ الذِّكْرِ
أَمَانِيَّ تَرْجُوها إِلَى سَالِفِ الدَّهْرِ

في الشكر
عن كتاب

سُـمُودُهُ مُجْتَمِعَةٌ
أَوْقَاتُهُ الْمُجْتَمِعَةُ
أَعْلَامُهُ مُرْتَفَعَةٌ

[٣١٧]

وَانْتَظِرِ الْفَتْحَ الَّذِي يَا نَيْكَ بِالنَّصْرِ مَعَهُ
وَبَيْضُهُ وَسُمْرُهُ إِلَى الْعُدَاةِ مُشْرَعَهُ
وَاللُّطْفُ مَرْجُوٌّ فَرْدٌ بِفَضْلِ رَبِّي مُشْرَعَهُ
فَاتَحَتَّنِي شَرَفْتَنِي بِرُقْمَةٍ مَرْفَعَهُ
بَلْ رَوْضَةٍ مَمْطُورَةٍ أَزْهَارُهَا مُنَوَّعُهُ
حَدِيقَةٍ قَدْ جُذِنَتْهَا بِصَوْبِ جُودِ مُتَرَعَهُ
وَرَايَةِ مَنْشُورَةٍ وَآيَةٍ مُسْتَبَدَّعَهُ
كَمْ حِكْمَةٍ لَطِيفَةٍ فِي طَيْبِهَا مُسْتَوْدَعَهُ
عَقِيلَةٍ صَوَّرَتْهَا مِنَ الْجَمَالِ مُبَدَّعَهُ
سَقَيْتَنِي بِفَضْلِهَا مِنْ فَضْلِ كَأْسِ مُتَرَعَهُ
فَدُمُ وَأَمْلَاكَ الْوَرَى عَلَى عُثْلَاكَ مُجْمَعَهُ

ومنها شكرا على خلة :

في الفكر على
خلة

يَا بَذَرَ نَيْمٍ فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ حَفَّتْ نَجُومُ السَّعْدِ هَالَةً قَصْرِهِ
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ مِنْ ثِيَابِكَ مَلْبَسًا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ مَدَارِكُ شُكْرِهِ
وَرِضَاكَ عَنْهُ خَيْرٌ مَا أَلْبَسْتَهُ فَلَقَدْ أَشَادَ بِجَاهِهِ وَيَبْرِهِ
أَلْبَسْتَنِي، أَرْكَبْتَنِي، شَرَفْتَنِي أَهْدَيْتَنِي مَا لَا أَقُومُ بِحَصْرِهِ
نَظَرِي لَوَجْهِكَ وَهُوَ أَجَلُ نَيْرٍ يُزْرِى عَلَى شَمْسِ الزَّمَانِ وَبَذْرِهِ
أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَا سِيَّامًا وَأَنَا الْمُنْعَمُ فِي الْحُضُورِ بِبَشْرِهِ
لَا زِلْتَ مَوْلَى لِلْمُلُوكِ مُؤَمَّلًا وَعُثْلَاكَ^(١) لِلْإِسْلَامِ مَفْخَرِ دَهْرِهِ

(١) في م وفتح الطيب : « وحلاك » .

ثم قال : ومنها وقد خلع — رضوان الله عليه — على رسول من أرساله :
 أَبْحَرَ سَمَاحٍ مَدَّةَ عَشْرَةِ أَبْحُرٍ تُفِيضُ غَمَامَ الْجُودِ وَفِي الْأَنَامِلِ
 بِكَفِّكَ غَيْثُ اللَّبْلَادِ وَأَهْلُهَا يُرَوِّضُ مَحَلَّ الْأَرْضِ وَالْعَامُ مَاحِلِ
 لَكَ الْخَيْرُ إِنْ أَصْبَحْتَ بِحَرِّ سَمَاحَةٍ يَمُّ نَدَاهُ فَالْعَوَاقِبُ سَاحِلِ
 خَلَعْتَ عَلَى هَذَا الرَّسُولِ مَلَابِسًا بِهَا تَتَسَنَّى فِي عِلَاكَ^(١) الْعَامِلِ
 وَبَلَغَتْهُ آمَالُهُ كَيْفَ شَاءَهَا فُبُلِّغْتَ يَا مَوْلَايَ مَا أَنْتَ آمِلِ

وله في السؤال عن
 حاله وقد مرض
 بعض أبنائه

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من نَمَط ما سبق :
 وأنشده وقد مرض بعض أبنائه — رحمة الله عليه وعليهم — سائلا

[٣١٨]

عن حاله :

أَسْأَلُ بِذَرِّ التَّمِّ كَيْفَ هَلَالُهُ وَأَدْعُو لَهُ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَاحَتِهِ الَّتِي وَسَّيَلْتَنَا فِيهَا النَّبِيُّ وَآلُهُ
 سَتَبْلُغُ فِيهِ مَا تُؤَمِّلُ مِنْ مَنِي وَبِرُّضِيكَ يَا بَذَرَ الْكَمَالِ كَمَالُهُ

في مثل ذلك

وفي مثله يقول رحمه الله :

أَقُولُ لِبَذْرِ التَّمِّ كَيْفَ هَلَالُكَ نَعِمْتَ صَبَاحًا بِالشَّرُّورِ^(٢) وَالْكَأ
 وَبُلِّغْتَ فِي النَّجْلِ السَّعِيدِ^(٣) سَعَادَةً تَقْرَأُ بِهَا عَيْنًا وَيَنْعَمُ بِالْكَأ
 وَخُصِّصْتَ بِالْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ رَبَّنَا كَمَا عَمَّ أَقْطَارَ الْجِبَاتِ نَوَالُكَ

(١) في م ونفع الطيب : « في عداك » .

(٢) في نفع الطيب : « بالسعود » .

(٣) في م ونفع الطيب : « الكريم » .

في التورية
باسم قائد

وفي التورية باسم قائد ولآء مولانا — رضى الله عنه — على جماعة
من الجند .

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى^(١) الَّذِي أَيَّامُهُ تَهْنِئُ بِسُحْبِ الْجُودِ مِنْ آلائِهِ
أَبْشُرْ إِيَّائِيكَ بِالسَّعَادَةِ كُلَّمَا يَغْزُو فَتَنْصُرُ اللَّهُ تَحْتَ لَوَائِهِ

في مجلس اتخذه — رضى الله عنه — في مجلس اتخذه :

أَمَوَّلَايَ يَا بَنَ الْمَسَاقِينِ إِلَى الْعَلَا
غَنَيْتَ بِنُورِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ زِينَةٍ
وَقَارَكَ زَادَ الْمُلْكَ عِزًّا وَهَيْبَةً
وَيَاشُمْسَ هَدَى فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ
فَيُخْجِلُ مِنْكَ الشَّمْسَ شَمْسُ هِدَايَةٍ
إِذَا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ الْمُلُوكِ أَيَادِيًا
فَكَشِفْتَ قَالِبِسَ فَاِلْمُشَاهِدُ قَائِلٌ :
أَلَا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَمَنْ دَعَا
وُجُودَكَ شَرْطٌ فِي حُصُولِ قَبُولِهِ
وَمَنْ نَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ أَوْ لَا
وَأَلْبَسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحَلَى
وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَهَلًا
وَأَبْنَاوُهُ الزُّهْرُ الْمُنِيرَةُ تُجْتَلَى
جَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا^(٢) مُؤَمَّلًا
وَيَحْسُدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْرًا مُكَمَّلًا
مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يُدْرِكُهَا الْبَلَى
وَتَوَجَّهَتْهُمْ بِالْفَخْرِ تَاجًا مُكَمَّلًا
تَبَارَكَ مَا أَسْنَى وَأَبْهَى وَأَجْمَلًا
وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا وَتَوَسَّلًا
وَجُودَكَ أَثَرَى كَفَّهُ مُتَنَفِّلًا^(٣)

(١) في م « الملك » .

(٢) في م : « مستفادا » .

(٣) كذا في م وط . وفي نفع الطيب : « فتنفلا » .

وقال برسم ما يُرثَمُ على ثوب في بمض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان

أبي العباس :

فيا برسم طي
ثوب مهدى
للسلطان أبي
العباس

أَهْدِي أَبَا الْعَبَّاسِ مَلِكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ
فَلَقَى الصَّبَاحَ بِوَجْهِهِ عَوَّذْتُهُ بِالنَّاسِ
يَكْسُو إِمَامًا لَمْ يَزَلْ بِحِلْيِ الْمَحَامِدِ كَالسِ
فِيَالَهُ مِنْ مُرْتَدٍ ثَوْبَ الثَّقَى لِبَاسِ^(١)
أَذْيَالُهُ مِنْ حَمْدِهِ^(٢) مِسْكِيَّةُ الْإِنْفَاسِ
وَبَطْرَزِهِ مَدْحُ زَرَى بِالْمَدْحِ فِي الْقَرِطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ بِنِسْبَةِ وَقِيَّاسِ
فَلَأَنْتَ يَا بَدْرَ الْعُصْلَا شَرَفْتَنِي بِلِبَاسِ
أَنَا مُنْشِدُ « مَا فِي وَقْوِ فَكَ سَاعَةٍ مِّنْ بَاسِ »
لِتَرَى رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْزَاقَهَا تَوْرِيقُهَا بِقَضَائِمِهَا الْمِيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مُدَامَتِي وَمِنَ الْمَحَابِرِ كَالسِ
فَاللَّهُ يُمْتَعُ لِأَبْسَى بِالْبِشْرِ وَالْإِنْبَاسِ

وفي مثل ذلك قوله رحمه الله :

إِنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا أَهْدَى الْخَلِيفَةَ أَحْمَدًا

في مثل ما تقدم

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والباس » .

(٢) في ط : « مزجه » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

[لِلبَّاسِهِ ثَوْبًا وَقَدْ
وَعِمَامَةَ التَّقْوَى ^(٢) الَّتِي
يَاخُسْنَهَا إِذْ أُرْسِلَتْ
وَكَأَنَّ وَثْقَى رُقُومِهَا
وَبِطْرَازِهِ لَوْنُ السَّمَاءِ
لِلَّهِ مِنْهُ نَيْرٌ
مُسْتَنْصِرٌ أَغْلَى لَهُ

لَبَسَ الْمُحَامِدَ وَازْتَدَى ^(١)
مِنْ فَوْقِهَا شَمْسُ الْهُدَى
مَنْ كَفَّهُ غَيْثَ النَّدَى
بِالْبَرْقِ طُرُزَ عَسَجِدَا
وَوَجْهَهُ ^(٣) قَمَرٌ بَدَا
حَلَّ النَّازِلِ أَسْعَدَا
فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَصْعَدَا

ثم قال بعد ذكر قصيدة في المدح :
وأشده وهو على جواد آدم :

وله في النني بالله
وهو على جواد
آدم

تَجَلَّى لَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
فَأَبْصَرْتُ صُبْحًا فَوْقَ لَيْلٍ وَقَدْ حَكَى ^(٤)
عَلَى أَدَمَ قَدْ رَاقَ حُسْنُ أَدِيمِهِ
مُقَلِّدُ ذَلِكَ الطَّرْفِ بَعْضَ نَجْوَاهِ

وكتب له مع هدية زهرية :

وله مع هدية
زهرية

أَمَوْ لَآيَ تَقْبِيلِي لِيُمْنَاكَ شَاقِنِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَاطَلَنِي بِهَا
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِّيَّ لَعَلَّهَا
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا مَنَشُوقًا :

وَلَا يُنْكِرُ الظَّمَانُ شَوْقًا إِلَى الْبَحْرِ
وَشَوْقَنِي مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي
يُقْبِلُهَا عَنِّي ثُغُورٌ مِنَ الزَّهْرِ

وله منشوقا إلى
النني بالله

كَتَبْتُ وَدَمْعِي بِلَلِّ الرَّكْبِ قَطْرُهُ
وَأَجْرَى بِهِ بَيْنَ الْحِيَامِ السَّوَاقِيَا

(١) البيت من نفع الطيب .

(٢) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « الشفق » .

(٣) في ط : السما وبوجهه . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تحت ليل » ولا يستقيم به المعنى .

حَنِينًا لِمَوْلَى أَتْلَفَ الْمَالَ جُودُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَدَ الْفَخْرَ بَاقِيَا
وَمَا عِشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا لِأَنْفَى أَرْجَى بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْهُ التَّلَاقِيَا

وأنشده أيضًا وهو بحال تألم :

كَأَنِّي بِلُطْفِ اللَّهِ قَدْ عَمَّ خَلْقَهُ
وَقَاضِيَ الْقَضَاءَ الْحَمَّ سَجَّلَ حِكْمَهُ (١)

وما كبه إليه
وهو في حال تألم

وَعَاقَى إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ شَفَى
وَحَطَّ عَلَى رِئْسِهِ الشِّفَاءَ لَهُ : ا كْتَفَى

وفي مثل ذلك :

لَكَ الْخَيْرُ يَا مَوْلَايَ أَبَشِرْ بِعِصْمَةٍ
وَعَاقِيَةٍ فِي صِحَّةٍ مُسْتَجِدَّةٍ
فَوَجْهُ الْتِهَانِي مُشْرِقٌ مُتَهَلِّلٌ
وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلْبُرَى مِنْكَ عَلَامَةٌ

عَقَدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ فِي حِفْظِهَا صَلَاحًا
تُجَدِّدُ لِلدِّينِ السَّعَادَةَ وَالنُّجْحَا
وَجَوْ الْأُمَانِي بَعْدَ مَا غَامَ قَدْ أَصْحَى
عَلَامَتُكَ الْعَظْمَى تَقُولُ لَنَا : صَحَا

في مثل ذلك أيضًا

وفي مثل ذلك :

يَا إِمَامًا قَدْ تَخَذْنَا
خَطًّا يُمْنًا بِكَ يُنَادِي

هُ مِنْ الدَّهْرِ مَلَاذَا
صَحَّ هَذَا، صَحَّ هَذَا

في ذلك أيضًا

وقال مهتًا بالشفاء :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّغْنَا الْمَنَى
وَفُزْتَ بِالْأَجْرِ وَكَبَّتِ الْعِدَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بِهِ

لَمَّا رَأَيْتُكَ وَزَالَ التَّوَنَا
وَفُزْتَ بِالْعِزِّ وَطِيبِ الثَّنَا
مَنْ عَلَيْنَا مِنْ ظُهُورِ السَّنَى

وله في التهنئة
بالشفاء

في هذا أيضا

وقال أيضا في نحو منه :

نَعَمْ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الْإِمَامِ لَنَا الْبَذْرُ
مَرَيْنَا بَلِيلِ التِّيهِ يَكْذِبُ فَجْرُهُ فَلَمَّا تَجَلَّى بِشْرُهُ صَدَقَ الْفَجْرُ
أَغْرَأَ الْمُحْيَا بِالْحَيَاءِ مُقْنَعٌ زَهَاءُ الْكَلَامِ الْعُرَى وَالنَّسَبُ الْخُرُ
إِمَامُ الْهُدَى قَدْ خَصَّهُ بِخِلَافَةٍ إِلَهُ لَهُ فِي خَلْقِهِ التَّنْهِي وَالْأَمْرُ

[٣٢١]

في مثل ما سبق

وقال في مثله وقد ركب رحمة الله عليه لمعاهد حضرته :

هَبِيبًا هَبِيبًا لَا تَقَادَ لِعَدَّةِ وَبُشْرَى لِدِينِ اللَّهِ إِنْجَازُ وَعْدِهِ
فَقَدْ لَاحَ بَذْرُ التَّمِّ فِي أَفْقِ الْعُلَا وَحَلَّ كَمَا يَرْضَى مَنَازِلَ سَعْدِهِ
وَهَافَ إِيَّامُ^(١) الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ بِحَضْرَتِهِ الْمَلِيَا مُبْلَغَ قَصْدِهِ
وَلَا حَتَّ بِهَا الْأَنْوَارُ مِنْ بَشَرِ وَجْهِهِ وَفَاحَ بِهَا النُّوَارُ مِنْ نَشْرِ حَمْدِهِ
[وَأَبْصَرَتِ الْأَبْصَارُ شَمْسَ هِدَايَةِ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْجَاءُ مِنْ زَهْرِ وَفْدِهِ]^(٢)
وَلَوَّحَتِ الْأَعْلَامُ فِيهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصَّبْحُ الْمُنِيرُ^(٣) يَبْنِدِهِ
سَهْدِي لَهُ الْإِيَّامُ كُلُّ مَسْرُوعٍ وَيُحْيِي بِهِ الرَّخْمُنُ آثَارَ جَدِّهِ
فَسَلِّ حُسَامَ السَّعْدِ وَاضْرِبْ بِحَدِّهِ^(٤) وَخَلِّ حُسَامَ الْهِنْدِ فِي كَنْ^(٥) غَدِّهِ
فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَّاتُهُ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمُ حَدِّهِ

(١) في م ونفع الطيب : « أمير » .

(٢) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « النصر المين » .

(٤) في نفع الطيب : « به المدا » مكان قوله : « بجده » .

(٥) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « كثر » .

وله يصف البازي
ويشكر ما أهدى
إليه من صيده

وأنشده رضى الله عنه في طرد مولانا الوالد ، رحمة الله تعالى عليه ، ويصف
البازي ، ويشكر ما أهداه من صيده :

يا مَنْ تَدُّ لَهُ الْمُلُوكُ أَكْفَهَا تَدْعُو إِلَهَ لَهُ بِطُولِ بَقَاءِ
أَضْحَى وَلِيَّ الْعَهْدِ نَجَلَتْ صَانِدًا شَأْنُ الْمُلُوكِ الْعَلِيَّةِ الْعُظْمَاءِ
وَرَمَى الْبُرَاةَ عَلَى الْقَنَاءِ ^(١) بِصِيدِهِ صَيْدَ الْخَلِيفَةِ شَارِدَ الْأَعْدَاءِ
مَنْ كُلَّ حَافِقَةِ الْجَنَاحِ إِذَا مَشَتْ تُبْدِي اخْتِيَالَ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءِ
أَهْدَتْ لَنَا سَبَجَ ^(٢) الْعُيُونِ وَطَوَّقَتْ أَرْجَاءَهَا بِعَقِيْقَةِ حَمْرَاءِ
وَاسْتَأَقَّتْ الْيَاقُوتَ فِي مَنَقَارِهَا وَمَشَتْ عَلَى الْمَرْجَانِ فِي اسْتِحْيَاءِ
وَوَشَتْ يَدُ الْأَفْدَارِ فِي أُعْطَافِهَا وَشَيْئًا زَرَى بِالْحُلَّةِ السَّيْرَاءِ
مَلِكُ الطُّيُورِ أَتَى إِلَى مَلِكِ الْوَرَى فَاسْتَأَقَهَا لِمُؤَمِّلِ الْخُلَفَاءِ
وَقَفَى سَمَاحُكَ أَنْ تَجُودَ بِنِعْمِهَا لِلْعَبْدِ تَعْلِيْمِهِ عَلَى الْجَوَزَاءِ
لَهُ هَلْ شَرَفٌ يُضَافِي ذَا الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ مَنَّةٍ غُرَاءِ
هَيْهَاتَ أَيْنَ جَزَاؤُهَا مِنْ شُكْرِهِ يَجْزِيكَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءِ
أَوْلَسْتَ قَدْ أَوْلَيْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ شَرْقًا وَغَرْبًا أَضُوبَ الْآرَاءِ
فَلِصَاحِبِ الصَّفْرَاءِ ^(٣) فَخْرُ خَالِدٍ يَحْظِي بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْحَمْرَاءِ
بِيضًا وَثَمَرًا قَدْ شَرَعْتَ لِنَصْرِهِ وَأَعْنَتْ بِالْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ ^(٤)
لَا زِلْتَ شَمْسَ خِلَافَةٍ أَبْنَاؤُهُ مِثْلُ الْبُدُورِ بِمَرْقَبِ الْعَلِيَاءِ

[٣٢٢]

(١) كذا في م وط ، والكلمة كما يظهر محرفة عن اسم طير أو نحو ذلك .

(٢) السبج : خرز أسود ، شبه عيون الطير به .

(٣) الصفرأ : موضع قرب المدينة . ولعله يريد بصاحب الصفرأ سعد بن عبادة جد المدوح إذ كان موطنه المدينة وما جاورها .

(٤) البضاء والصفرأ هنا : كناية عن الفضة والذهب .

وأجاب عن أبيات خمس ، كتب — رضى الله عنه — بها إليه :

لَكَ فِي الْخِلَافَةِ مَظْهَرٌ لَا يُفْرَعُ مِنْ دُونِ مَرْقَبِهِ النُّجُومُ الطَّلَعُ
يَا ثِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ غُرُرٌ بَوَاجِهِ الدَّهْرُ لَا تَتَقَنَّعُ
سُبْحَانَ مَنْ حَلَّكَ بِالْخُلُقِ الرِّضَا وَكَسَاكَ مِنْهُ حُلَّةً لَا تُخْلَعُ
أَمَّا الْمُدَامُ فَذُمْتَ تَطْلِعُ شَمْسَهَا بَيْنَ الْبُدُورِ وَشَمْسُ وَجْهِكَ تَسْطَعُ
أَغْنَيْتَنِي عَنْهَا بِخَمَرٍ بَلَغَتْ فَالطَّيِّبُ مِنْ نَفْعَاتِهَا يَتَضَوِّعُ
بِوَأْنِي مِنْ عِزِّ نَظْمِكَ رَوْضَةً طَابَ الْجَنَى مِنْهَا وَلَدَّ الْمَشْرَعُ
وَأَرَيْتَنِي جُنْحَ الدُّجْنَةِ غُرَّةً فَالنُّورُ مِنْ قِسَمَاتِهَا يَتَطَّلِعُ
يَعْنُو لَهَا الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَقَدْ عَلَا وَالْبَدْرُ تَاجُهَا بِالنُّجُومِ مُرْصَعُ
فَاتَّخَذْتَنِي مِنْهَا بِخَمْسٍ وَلَائِدٍ لَتُعِيْذَهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ تَلْقَعُ^(١)
قَبْلَهَا أَلْفًا وَبِتُ رَبِّهَا أَدْعُو لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَضْرَعُ

وقال يصف غربانا أجراها — رحمة الله عليه — ويتفائل له بالراحة من

وله يصف
غربانا ويضائل

شكايه ثلاثة .

أَعْلَمُكَ الْحُمْرُ فَوْقَ الشُّفَنِ خَافَقَةً وَرِيحُ سَعْدِكَ تُجْرِيهَا عَلَى قَدَرٍ
مَا إِنْ رَفَعْتَ قَصِيَّ الشُّفَنِ فِي وَطَنِ إِلَّا وَنِلْتَ قَصِيَّ الشُّؤْلِ وَالْوَطَرِ
قَالُوا السَّفَانُ فَوْقَ الْبَرِّ ذَا عَجَبٍ مِنْ غَيْرِ بَحْرٍ وَلَا مَوْجٍ وَلَا غَرَرٍ
قُلْتُ آثَارُ مَوْلَانَا الَّتِي سَفَرَتْ لَنَا الْعِنَايَةُ عَنْ آيَاتِهَا الْكَبَرِ
تَجْرِي بِرِيحِ سَعُودٍ فِي بَحَارِ نَدَى تُغْنِي بِنَانِكَ عَنْ بَحْرِ وَعَنِ مَطَرِ
لِلَّهِ يَوْمٌ تَحْجِبُ الصَّنْعَ ذُو أُنْزَرٍ مُحَجَّلٌ رَائِقُ الْأَوْضَاحِ وَالْفَرَرِ
اسْتَبَشَرَ النَّاسُ فِيهِ بِالصَّنِيعِ وَقَدْ تَضَمَّنَ الْبَشَرُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدَرِ

(١) يقال : لفع فلان فلانا بعينه : أصابه بها .

زَجَرْتُهُ بِشِيفَاءٍ قَدْ أَتَاكَ كَمَا
يُرْضَى عِلَّاكَ جَمِيلِ الْخُبْرِ وَالْخُبْرِ
إِذَا شَكُوتُ فَكُلُّ الْكَوْنِ ذُو وَصَبٍ
فَأَنْتَ مِنْهُ مَكَانَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وَمَنْ شَكَا بِالْإِيمِ الْوَجْدِ فِي بَصْرِ
فَأَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ فِي لُطْفٍ
وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَاتِ بَحْرٍ مِمَّا
تَعَوَّدَ الْخَلْقُ لُطْفَ اللَّهِ فِي الْقَدَرِ

[٣٧٣]

في التهتهة بسودة
الأمير من جبل
الشوار

ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه :
وأنشده وقد عاد — رحمة الله عليه — من بعض متوجهاته الجهادية
لجبل الشوار .

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّلَاحِ السَّعْدِ
قَدِمْتَ مَعَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لِتَجْتَلِي
عَقَائِلَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ بِلَا^(٢) عَدٍّ

ثم قال بعد ذكر جملة :

فما يرسم
بطيقتان الأبواب

وقال مما رسم في طيقتان الأبواب بالمباني السميدة التي ابتناها مولانا
رضى الله عنه .

أَنَا تَاجُ كَهْلَالٍ
بَنَجَلِي الْإِثْرِيْقُ فِيهِ
أَنَا كُرْسِيُّ جَمَالٍ
كَهْرُوسِ ذِي اخْتِيَالٍ
جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نَصْرِ
قَدْ حَبَّانِي بِالْكَمَالِ

في مثل هذا

وفي المعنى :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا
قَدْ حَوَى الشَّكْلَ الْبَدِيعَا

(١) كذا ورد البيت في الأصلين ، وفيه غموض .

(٢) في م ونفع الطيب : « على عد » .

تَحْسُدُ الْأَفْلَاحُ مِنْهُ قَوْمَهُ السَّهْلَ النِّيعَا
دُمْتَ رَبِّمَا لِلتَّهَانِي أَنْظِمِ الشُّمْلَ الْجَمِيعَا

وفيه :

لِلغَنَى بِاللَّهِ قَصْرُ لِلتَّهَانِي يَضْطَفِيهِ
فِيهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ يَفُوقُ الْإِزْرِيقُ فِيهِ
تَالِيَا سُورَةَ حُجِّي^(١) وَالْمَعَالِي تَقْتَفِيهِ

وفيه :

أَيُّ قَوْمٍ ذِي كَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَةِ
مَلِكُ الْإِزْرِيقِ فِيهِ عَوْدُ الْإِحْسَانِ عَادَهُ
ذُو صَلَاةٍ مِنْ صَلَاتٍ كُلُّهَا دَأْبًا مُعَادَهُ

وفي المعنى مما كتبه لمبتنى لعمنا الأمير سعد رحمة الله تعالى عليه :

في مبتنى
للأمير سعد

أَنْظَرُ لَأُفْقِ جَمَالٍ بِهِ الْأَبَارِيقُ تَضَعْدُ
بَدِيعِ حُسْنِ حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ الْمَمَجَّدُ
فَخَرُ الْإِمَارَةِ سَعْدُ بِهِ الْخَلِيفَةُ يَسْعَدُ
وَكَيْفَ لَا وَأَبُوهُ فَخَرُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدُ
[عَلَيْهِ حَلَى رِضَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَدَّدُ]^(٢)

وفيه أيضاً :

رَفَعْتَ قَوْمَ سَمَاءٍ يُزْهِى بِتَاجِ الْهِلَالِ

(١) كذا في م وفتح الطيب المخطوط وفي ط : « حسن » .

(٢) هذا البيت عن م وفتح الطيب .

قَدْ قَلَّدَتْهُ نُقُوشِي دُرُّ الدَّرَارِي الْعَوَالِي
تَرَى الْأَبَارِيقَ فِيهِ تُهْدِيكَ عَذْبَ الزَّلَالِ
قَدْ زَانَ قَصْرِي سَعْدٌ بِسَعْدِهِ الْمَتَوَالِي
فَدَامَ يَمُورُ رَبِّي فِي ظِلِّ مَوْلَى الْمَوَالِي

وقال في الغرض :

مَا تَرَى فِي الرِّيَاضِ أَشْبَاهِي يَسْحَرُ الْعَقْلَ حُسْنَى الْبَاهِي
زَانَ رَوْضِي أَمِيرُهُ سَعْدٌ وَهُوَ نَجْلُ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ
دَامَ مِنْهُ بِمُرْتَقَى عِزٍّ آمِرُهُ بِالسُّعُودِ أَوْ نَاهِي

وقال في غرض الشكر [عن مُعْطَى صِنْهَاجِي أَهْدَاهِ إِيَّاهُ] ^(١) :

لَمِنْ قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مَدٍّ فَضَاؤُهَا تَطَابَقَ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
وَمَا أَرْضُهَا إِلَّا خَزَائِنُ رَحْمَةٍ وَمَا قَدْ سَمَّاهُ فَوْقَ ذَلِكَ غِطَاؤُهَا
وَقَدْ شَبَّهَ الرَّحْمَنُ خَلْقَتَنَا بِهَا وَحَسْبُكَ فَخْرًا بَانَ مِنْهُ أَعْتِلَاؤُهَا
وَمَعْرُوشَةٌ ^(٢) الْأَرْجَاءِ مَفْرُوشَةٌ بِهَا صُنُوفٌ مِنَ النِّعَمَاءِ مِنْهَا وَطَاؤُهَا
تَرَى الطَّيْرَ فِي أَجْوَاهِهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَى أَنْعَمٍ ^(٣) عِنْدَ الْإِلَهِ كِفَاؤُهَا
وَنَسَبْتُهَا صِنْهَاجَةً غَيْرَ أَنَّهُ ^(٤) تُقَصِّرَ عَمَّا قَدْ حَوَى خُلُقَاؤُهَا
حَبَّتَنِي بِهَا دُونَ الْعَبِيدِ خِلَافَةً عَلَى اللَّهِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاؤُهَا

(١) ما بين القوسين عن م ونفع الطيب .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م « مفروشة » .

(٣) في م ونفع الطيب : « على نعم » .

(٤) كذا في ط . والذي في م ونفع الطيب : « ونسبتها ... غير أنها » . والضمير بالتذكير عائد على المفطى المهدى ، وبالتأنيث عائد على القبة .

وله في الشكر
عن هدية

وَفِي مِثْلِهِ :

مَا لِلْعَوَالِمِ جُمِعَتْ فِي قُبَّةٍ قَدْ شَادَهَا كَرُمُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
فِي صَفْحٍ صَرَّحَ بِالزُّجَاجِ مُمَوِّدٍ وَبِجُودِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُمَهَّدٍ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِطَائِرٍ ^(١) عَنْ تَوْبِ مُوسَى الرَّيَاشِ مُحَرَّدٍ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الطُّيُورُ تَغَرَّدَتْ فَلِشُكْرِ هَذَا الْعَبْدِ سَجْعُ مُغَرَّدٍ
صُنِفَتْ عَلَيْهَا لِلْفَوَاكِهِ كُلِّ مَا قَدْ عَاهَدَتْهُ بِدَوْحِهَا الْمُتَعَوِّدِ
لَوْ أَبْصَرْتَ صِنَاهُجَةً أَوْضَاعَهُ دَانَتْ لَهُ أَمْلَاكُهَا بِتَعَبُدٍ ^(٢)
عَوَّدَتْهُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ تَفَضُّلاً لَا زِلْتَ خَيْرَ مُعَوِّدٍ وَمَعَوِّدِ
وَبِسُورَةِ الْأَنْعَامِ كَمْ مِنْ آيَةٍ فِيهَا لِقَارٍ بِالنَّوَالِ مُحُودِ

[٣٢٥]

وقال تذيلاً لبیتی ابن المعتز :

وله في التذييل
على بيت ابن
المعتز

« سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ الشَّعْرَ وَالذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَيْرِ وَخَدِ حَبِيبِ
إِلَى إِنْ بَدَأَ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ كَأَنَّهُ مُحْيَا ابْنَ نَصْرِ لَمْ يَشْنُ بِغُرُوبِ
شَمَانِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُثُوبُهَا فَلَا نِدْ أَسْمَاعٍ وَأَنْسُ قُلُوبِ

وقال مُذَبِّلًا على بيت ابن وَكِيعٍ أَيْضًا :

وله في التذييل
على بيت ابن
وكيع

« هِيَ فِي أَوْجُو النَّدَامَى عَقِيقٌ وَهِيَ مِنْلُ النَّصَارِ فِي الْاِقْدَاحِ
كَأَنَّ نَفْسَ تَرَاهُ فِي الْحَرْبِ لَيْثًا وَهُوَ بَذْرُ الْهُدَى وَغَيْثُ السَّمَاحِ

(١) في نفع الطيب : « كطائر » .

(٢) الضمير في أوضاعه للمعنى وهو القبة الموصوفة ؛ وفي دانت له يعود على المهدي ، وهو محمد النبي باقة .

ذِكْرُهُ قَدْ ثَنَى قُدُودَ النَّدَامَى وَأَعَادَ الْحَيَاةَ فِي الْأَشْبَاحِ^(١)

ومما يرسم
للغنى بالله

وقال مما يرسم للغنى بالله :

لِلْغِنَى بِاللَّهِ مُلْكٌ بَرْدُهُ بِالْعَزْ مُذْهَبٌ

دَامَ فِي رَفْعَةِ شَانٍ مَاجَلًا الْإِصْبَاحُ غَيْهَبٌ

وقال أيضاً :

يَابْنَ نَضْرٍ لَكَ مُلْكٌ لَيْسَ تَعْدُوهُ الْفُتُوحُ

دُمْتَ رُوحًا لِلْعَالِي مَاسَرَى فِي الْجَنَمِ رُوحُ

من مقطوعة

وقال من مقطوعة :

وَابْنُ نَضْرٍ لَهُ مُحْيَا كَصُبْحِ إِنْ تَجَلَّى جَلَادُجَى^(٢) كُلُّ كَرْبٍ

ذُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمْعُ بَرْقٍ فِي بَنَانٍ كَأَنهَا غَيْثُ سَحْبٍ

ومن أخرى :

وَكَانَ النُّجُومَ فِي غَسَقِ اللَّيْلِ جُمَانٌ يُلُوحُ فِي آبْنُوسٍ

وَكَانَ الصَّبَاحَ فِي الْأَفْقِ يُجَلَّى بِجُلَى النُّجُومِ مِثْلُ الْعُرُوسِ

وَكَانَ الرِّيَاضَ تُهْدِي ثَنَاءً لِلْغِنَى بِاللَّهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ

في صبيحة

ثم قال بعد قصائد كثيرة عيادية :

وقال من أخرى عيادية شاركها في كثير [من أبياتها قصيدة] ^(٣) فتحية

تقدّمت ، أولها :

(١) في م ونفع الطيب : « في الأرواح » .

(٢) في نفع الطيب : « لنا » مكان « دجى » .

(٣) التكملة عن م .

* هِيَ نَفْعَةٌ هَبَّتْ مِنْ الْأَنْصَارِ *

والمختص بهذه :

أُضِيَاءَ هَذِي أُمِّ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَدَا الْمَحَامِدِ أُمِّ شَدَا الْأَزْهَارِ

ومنها بعد كثير :

قَسَمًا يَهْدِيكَ فِي الضِّيَاءِ وَإِنَّهُ شَمْسٌ تُمِثُّ الشَّهْبَ بِالْأَنْوَارِ

ومنها أيضاً :

كَمْ مِنْ لَطَائِفٍ لِلْهَدَى أَوْضَحَتْهَا خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا ^(١) عَلَى الْأَفْكَارِ

كَمْ مِنْ جَرَائِمٍ قَدْ غَفَرْتَ عَظِيمَهَا مُسْتَنْزِلًا مِنْ رَحْمَةِ الْفَقَارِ

عَلِمْتَ مُلُوكَ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخَرُهَا فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِي مِضَارِ

ومنها يصف الجيش :

في وصف جيش

سَالَتْ بِهِ تَحْتَ الْعَجَاجِ سَفِينَةٌ نَفَحَتْ بِرِيحِ الْعَزَمِ ^(٢) مِنْ أَنْصَارِ

أَرَسَتْ بِجُودَى الْجُودِ فِي يَوْمِ النَّدَى وَجَرَتْ بِيَوْمِ الْحَرْبِ فِي تِيَارِ

ومنها :

أَلْقَى بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضَلَ عِنَانِهِ فَيَكَادُ يَسْبِقُ لَمَحَّةَ الْأَبْصَارِ

ومنها :

فَهِيَ الْعِرَابُ مَتَى أُثِيرَتْ فِي الْوَعَى قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ صُنْعِ لُطْفِ الْبَارِي ^(٣)

(١) في نفع الطيب : « لطائفها » .

(٢) في نفع الطيب : « العزم » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب المخطوط . وفي م ونفع الطيب المطبوع : « اثيرت » .

ومنها :

إِنْ خَاضَ فِي بَحْرِ الْمَجَاجِ ^(١) رَأَيْتَهُ يَجْلُو دُجْنَتَهُ بِوَجْهِ نَهَارٍ

ومنها :

كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَارِي ضَيْفٍ طَارِقٍ وَضَحَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ لِلْقَارِي

ومنها :

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ قَدْ زَارَكَ الْعِيدُ السَّعِيدُ مُبَشِّرًا
لَمَّا أَرَدَ هَتَّةً عَوَاطِفَ الْطِفَّةِهَا ^(٢)
[فَأَتَى] ^(٣) يُؤْتِمُّ مِنْكَ هَدِيًّا صَالِحًا
وَأَتَاكَ بِسُحْبٍ ذَبَلِ سُحْبٍ أَغْدَقَتْ
جَادَتْ بِجَارِي الدَّمْعِ ^(٤) مِنْ قَطْرِ النَّدَى
فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا
لَمَّا دَعَاكَ إِلَى الْقِيَامِ بِسُنَّةٍ
فَأَقْضَتْ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا
فَاهْنَأُ بِعِيدٍ عَادَ يَشْتَمِلُ الرِّضَا
غُرُرٌ تَلُوحُ بِأَوَجِّهِ الْأَعْصَارِ
فَأَسْمَحُ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ بِمَزَارِ
عَطَفَ الْإِلَهِ عَلَيْكَ عَطَفَ صَوَارِ
كَيْ ^(٥) يَسْتَمِدُّ النُّورَ بَعْدَ مِرَارِ
تُغْرَى جُفُونُ الْمُزْنِ بِاسْتِغْنَارِ
فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حُقُوقَ الْجَارِ
مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النَّسْوَارِ
حَكَمَتْ دَوَاعِي الْجُودِ وَالْإِبْقَارِ
حَسَنْتَ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
جَذْلَانِ يَرْفُلُ فِي حِلَى أَسْتَبْشَارِ

(١) في نفع الطيب : « في ليل المجاج » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « لقيتها » .

(٣) الصكيلة من نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « إذ يستمد » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بحار الجمع » .

ومنها :

لَا عُدْرَ لِي أَنْ كُنْتُ فِيهِ مَقْصُورًا سَدَّتْ صِفَانُكَ أَوْجُهُ الْأَعْدَارِ
فَإِذَا نَظَلْتُ مِنَ الْمَنَاقِبِ دُرَّهَا شَرَفْتَنِي مِنْهَا بِنَظْمٍ دَرَارِي
فَلَدَاكَ أَنْظِمُهَا قَلَانِدَ لَوْلُو لِأَلَاؤُهَا قَدْ شَفَّ بِالْأَنْوَارِ

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة ، أولها :

من قصيدة له
ميمية

هَنَا لَهُ ثَغْرُ الْهُدَى يَتَبَسَّمُ وَبُشْرَى بِهَا عَرَفُ الرِّضَا يَتَنَسَّمُ
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الشَّغْرِ عَنْهَا بِشَارَةٌ فَأَعْدَى ثُغُورَ الزَّهْرِ مِنْهُ التَّبَسُّمُ
وَلَا عَجَبٌ مِنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ فِي الرُّبَا فَلَيْبَرَقِ مِنْ خَلْفِ السَّحَابِ مَبْسَمُ
عَنَابَةٍ مَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رُبَّةً عَلَيَّهَا النُّجُومُ النِّيَّاتُ تُحَوِّمُ
فَمِنْهُ اسْتِفَادَ الْمَلِكُ كُلَّ غَرِيبَةٍ تُخَطُّ عَلَى صَنْحِ الزَّمَانِ وَتُرْسَمُ
وَمِنْهُ تَلَقَّى الْهُدَى كُلُّ خَلِيفَةٍ كَأَنَّهُمْ بِمَا أَفَادَ تَعْلَمُوا

[٣٢٧]

ومنها بعد نيف على ستين بيتاً :

وَكَمْ مِنْ لَوَاءٍ فِي الْفُتُوحِ نَشْرَتُهُ وَلِلرَّعْبِ جَيْشٌ دُونَهُ يَتَقَدَّمُ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ دُونَكُمْ فَقَدْ أَعْلَمُ مَا لَا زَالَ بِالنَّصْرِ يُفْلَمُ
نَسَّامَتْ بِهِ لِلنَّصْرِ أَشْرَفُ ذِمَّةٍ لَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ مُكْرَمُ
وَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ أَقَمْتَ فُرُوسَهُ يُزَارُّ بِهِ الْبَيْتَ الْعَتِيقُ وَزَمَزَمُ
وَكَمْ عِزْمَةٍ جَرَدَتْ مِنْهَا إِلَى الْعِدَا حُسَامًا بِهِ دَاهِ الضَّلَالَةِ يُحْصَمُ
وَكَمْ بَيْتٍ مَالٍ فِي الْجِهَادِ بَدَلْتُهُ وَأَقْرَضْتَ مِنْهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ يَعْلَمُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ جِثَتْ فِيهَا بَلِيلَةٌ مِنَ النَّفْعِ فِيهَا لِلْأَسْنَةِ أَنْجُمُ
مَهَرَّتْ بِهَا وَاللَّهُ يَكْتُبُ أَجْرَهَا تُؤَمِّنُ فِيهَا الْخَلْقَ وَالْخَلْقُ نَوْمُ

وَفَوْقَكَ^(١) مِنْ سَعْدٍ لَوَاهِ مُشَهَّرٌ
 إِذَا أَنْتَ جَهَّزْتَ الْحَيَادَ لِغَارَةِ
 فَمِنْ أَشْهَبَ مِنْهَا يَكُرُّ رَأْيَتُهُ
 وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ النَّاسُ جَذْوَةَ
 وَأَشْفَرُ أَعْدَى الْبَرْقِ لَوْنًا وَسُرْعَةً
 وَأَصْفَرُ فِي لَوْنِ الْعَشِيِّ وَذَيْلُهُ
 وَأَذْهَمَ مِثْلَ اللَّيْلِ وَالْبَدْرِ غُرَّةُ
 وَأَشْهَبَ كَالْقِرَاطِ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ
 وَرُبَّ جِلَادٍ مِنْ جِدَالٍ سَطَرَتْهُ
 وَقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُوسِهِمْ
 فَكَمْ مِنْ رُوسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزَالَهَا
 وَزُرْقٍ عِيُونٍ لِلْأَسِنَّةِ قَدْ بَكَتْ
 وَنَهَرَ حُسَامٌ كُلَّمَا أَغْرَقَ الْعِدَا
 فَأَصْلَيْتَ عَبَادَ الْمَسِيحِ مِنَ الْوَعْيِ
 أَبْرَ^(٢) مِنَ التَّثْلِيثِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ
 وَنَبَّهَ سَيُوفًا مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا
 وَلِلَّهِ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ مَوْدَعٌ
 تَنْزَلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا
 وَدُونَكَ مِنْ هَزَمٍ حُسَامٌ مُصَمَّمٌ
 فَإِنَّ صَبَاحَ الْحَيِّ أَغْبَرُ أَقْسَمُ
 صَبَاحًا بَلِيلِ النَّقْعِ لَا يُتَكَلَّمُ
 إِذَا ابْتَلَّ عَطْفًا فِي الْوَعْيِ يَتَضَرَّمُ
 وَلَكِنْ لَهُ دُونَ الْبُرُوقِ التَّقَدُّمُ
 وَلَوْنُ الَّذِي بَعْدَ الْعَشِيِّ يُعْلَمُ
 وَبِالشَّهْبِ فِي حَلِيِّ الْمُقَلِّدِ مُلْجَمُ
 كِتَابٌ مِنَ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ مُحْكَمُ
 يَرَاعُ الْقَنَاءَ^(٣) فِيهِ تَخْطُ وَتَرْنُمُ
 فَأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمُ يَتَكَلَّمُ
 فَأَتَكَلَّ مِنْهَا كُلَّ بَاغٍ يُجَسِّمُ
 وَلَا دَمْعَ إِلَّا مَا أُسِيلَ بِهِ الدَّمُ
 نَلَقَتْهُمْ مِنْهُ سَرِيعًا جَهَنَّمُ
 سَعِيرًا بِهِ يَرْضَى الْمَسِيحُ وَمَرْئِيمُ
 فَمَنْ يَمْتَصِّمُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ يَنْفَعِمُ
 وَخَلَّ جُفُونِ الْمَرْهُفَاتِ تَهْوُمُ
 عَلَى كُلِّ مَخْتَوْمٍ السَّعَادَةِ يَكْرُمُ
 فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَيُخْتَمُ

[٣٢٨]

(١) كذا في م . وفي ط : « وسعدك » .

(٢) في ط : « الفنى » .

(٣) كذا في ط ، وفي م : « أبرز » وفي اللفظ تعريف .

وَلِلَّهِ فِيهِ مِنْ لَيْالٍ مُنِيرَةٍ وَصَابَتْ سَحَابُ الدَّمْعِ يُمَحِّي بِمَانِهَا
وَلِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ الْقَدَرِ قَدْ غَدَتْ تَبَيَّتُ بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ بِإِذْنِهِ
وَبُشِّرَى بِعِيدِ الْفِطْرِ أَيْمَنٍ قَادِمٍ جَعَلَتْ قِرَاءُ سُنَّةِ نَبْوِيَّةٍ
وَمِنْ دَهْوَاتِ اللَّيْلِ رَفَعَتْهَا وَفِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ مُحَيَّاكِ قُرَّةٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْخَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا مَهْدَ الْإِسْلَامِ غَيْرُ خَلِيفَةٍ
فَكَمْ بَيْتٍ شِعْرٍ قَدْ عَمَزَتْ بِذِكْرِهِ وَلَسْنَا بِبُيُوتَا بَلْ قُصُورًا مَشِيدَةً
وَمَا ضَرَّهَا أَنْ قَدْ تَأَخَّرَ عَهْدُهَا وَإِذَا^(٢) أَنْتَ مَوْلَاهَا وَعَايُرُ رَبْعِهَا
أَنَا الْقَبْدُ قَدْ أَسْكَنْتَهُ جَنَّةَ الرِّضَا وَلَا زِلْتُ فِي الْأَعْيَادِ سَاجِدًا رَوْضِهَا^(٣)
بَقِيَتْ^(٤) مَتَى يَنْبُلُ الزَّمَانُ نُجْدَهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْعِدٌ

أَضَاءَ بِنُورِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ مُظْلِمُ
مِنَ الصُّخْفِ أَوْ زَارَتْ تَحْطُ وَمَأْتُمْ
عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فِي الثَّوَابِ تَقَدَّمَ
مَلَائِكَةُ السَّمْعِ الطَّبَاقِ تُسَلِّمُ
عَلَيْكَ بِبَعْجُمُوعِ الْبَشَائِرِ يَقْدَمُ
لَهَا فِي شِعَارِ الدِّينِ قَدَرٌ مُعْظَمُ
تُسَدُّ مِنْهَا لِلْإِجَابَةِ أَنْهُمْ
وَفِي كُلِّ كَفٍّ مِنْ نَوَالِكَ أَنْهُمْ
فَلَا أَبْصَرَ الْمَصْنِيعَ مَنْ يَتَوَسَّمُ^(١)
عَلَى عِطْفِهِ دُرُّ الْمَعَامِدِ يُنْظَمُ
قَبَاتٍ بِهِ حَادِي الشَّرَى يَتَرَنَّمُ
تُطْلُ عَلَى أَوْجِ السَّلا وَتُخَيِّمُ
إِذَا طَلَّ مِثْنَاهَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
فَكُلُّ فَخَارٍ تَدْعِيهِ مُسْلِمُ
فَلَا زِلْتُ فِيهَا خَالِدًا تَنْتَعِمُ
إِذَا احْتَقَلَتْ أَشْرَافُهَا أَتَرَنَّمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْعِدٌ

(١) في ط : « من يتوسم » . وما أبتناه عن م .

(٢) كذا في م . وفي ط : « ومذا أنت » .

(٣) في ط : « ساكن » . وما أبتناه عن م .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بقيت » .

وَدُمْتُ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي سَعَادَةٍ يَذِلُّ بِهَا بَاغِرٌ وَيَعْتَرُّ مُسْلِمٌ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَخْرَ جُهْدَ مُقْصِرٍ وَأَنْتَ أَعْلَى مِنْ مِدِيحِي وَأَعْظَمُ
خَتَمْتُ ثَنَائِي بِالْذُّعَاءِ وَهَانًا أَقْلَبُ فِي كَفِّ النَّدَى وَأُسَلِّمُ

ثم قال : ولما انتقل مولانا الجد إلى رِضوان الله ونعيم خُلده ، وقام مولانا
الوالد وليُّ عهده بالأمر من بعده ، أنشده رثاء في السَّلَف ، وهناء في الخَلَف ،
رحمة الله تعالى عليهما :

[عَزَاءٌ فَإِنَّ الشَّجَوَقَ كَانَ يُعْرِفُ وَبُشْرَى بِهَا الدَّاعِي عَلَى الْغُورِ يُشْرِفُ]
لَيْتَ غَرَبَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُحَمَّدٌ لَقَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ الْمَكْمَلُ يَوْسُفُ
وَإِنْ رُدَّ سَيْفُ الْمَلِكِ صَوْنًا لِعِفْدِهِ فَقَدْ سُلِّمَ مِنْ غَمْدِ^(٢) الْخِلَافَةِ مُرْهَفُ
وَإِنْ طَوَّتِ الْبُرْدُ الْيَمَانِي يَدُ الْبَلِي فَقَدْ نُشِرَ الْبُرْدُ الْجَدِيدُ الْمَفُوفُ
وَإِنْ نَضَبَ الْوَادِي وَجَفَّ مَعِينُهُ فَقَدْ قَاضَى بِحُجْرٍ بِالْجَوَاهِرِ يَقْذِفُ
وَإِنْ صَوَّحَ الرَّوْضُ الَّذِي يُنْبِتُ الْغِنَى فَقَدْ أَزْهَرَ الرَّوْضُ الَّذِي هُوَ يُخْلِفُ
وَإِنْ أَقْلَمْتَ سُحْبُ الْحَيَا وَتَقَشَّعَتْ فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهَا غَمَائِمٌ وَكُفَّ
وَإِنْ صَدَعَ الشَّمْلُ الْجَمِيعُ^(٣) يَدُ النَّوَى بِيُوسُفَ فَخْرِ الْمُنْتَدَى يَتَأَلَّفُ
وَإِنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَعْيُ إِمَامِهِ فَقَدْ هَزَّ مِنْهُ بِالْبِشَارَةِ مَعْطَفُ
وَقَدْ مَلَكَ الْإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيفَةِ مِنَ الْبَدْرِ أُنْهَى بَلَّ مِنَ الشَّمْسِ أَشْرَفُ
يُعِيرُ مُحْيَاهُ الصَّبَاحَ إِذَا بَدَا وَتُخْجِلُ يُمْنَاهُ الْغَمَامَ وَتُخْلِفُ
فَنَ نُورِ مَرَاهِ الْكَوَاكِبُ تَهْتَدِي وَمِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الْحَيَا نَتَوَكَّفُ

(١) هذا البيت عن م .

(٢) في ط : « سيف » . والتصويب عن م .

(٣) في ط : « الجليل » والتصويب عن م .

وَلَمَّا قَضَى الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
فَلَا جُنَاحَ إِلَّا مَرْسِلٌ سَحَبَ دَمْعِهِ
وَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
وَقَدْ كَادَتْ الْأَفْلاكُ تَرْفُضُ حُسْرَةَ
وَلَكِنْ تَلَا فِي اللَّهِ أَمْرَ عِبَادِهِ
فَالِدِّينَ وَالْدُّنْيَا ابْتِهَاجٌ وَغِبْطَةٌ
أَمَانٌ كَمَا تَنْدَى الشَّيْبَةُ نَضْرَةً (١)
طَلَعَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ الرِّضَا
بَوَجْهِ بُرِينَا الْبَدْرِ عِنْدَ طُلُوعِهِ
وَعَزَمَ كَمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ مُصَمِّمٌ
وَحَوْلَاكَ مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ كِتَابُ
فَوَاللَّهِ مَا تَذَرِي وَلِلْعِلْمِ عِنْدَنَا
أَوْجَهَكَ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ تَطْلَعُ
فَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ حَمِيلٍ وَمَفْخَرٍ
يُزَارُ بِهِ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَزَمَزَمُ
وَمَنْ يَسْأَلِ الْأَيَّامَ تُخْبِرُهُ أَنَّهَا
وَهَلْ تَهْدِمُ الْأَيَّامُ بُنْيَانَ مَفْخَرٍ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَيَّامُ قَبْلُ تَنْكَرَتْ
أَلَا لَا تَرُعُنَا الْعَادَاتُ فَإِنَّا

تَحَكَّمُ فِي النَّاسِ الْأَمَى وَالنَّاسُفُ
وَلَا قَلْبَ إِلَّا بِالْجَوَى يَتَلَهَّفُ
وَقَدْ كَادَتْ الشَّمْسُ الشَّوَارِمُ تَرْجُفُ
وَكَادَتْ بِهَا الْأَنْوَارُ تَخْفُو وَتُكْسَفُ
بَوَارِثِهِ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْأَفُ
وَاللَّغْرِ نَغْرٌ بِالْمَقَى يُتَرَشَّفُ
يُمَدُّ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ أَوْرَفُ
فَأَمْنَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَوَّفُ
وَفِي وَجَنَةِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ التَّكْلُفُ
وَرَأَى بِهِ بَيْضُ الصَّوَارِمِ تُرْمَفُ
وَفَوْقَكَ مِنْ ظِلِّ السَّعَادَةِ رَفْرَفُ
بَرَاهِينُ عَنْ وَجْهِ الْحَقَائِقِ نَكْشِفُ
وَكَفَّكَ أَمْ سَحَبَ الْحَيَا تَتَوَكَّفُ
عَمِيمٌ عَلَى أَوْجِ الْكَوَاكِبِ بِشَرَفُ
وَيُفْرِقُهُ حَتَّى الصَّفَا وَالْمُعْرِفُ
يَقُومُكَ تُزْمِي فِي الْفَخَارِ وَتَشْرُفُ
تُشِيدُهُ آتَى كِرَامٍ وَمُضْخَفُ
فِيَا سَمِكَ يَا بَدْرَ الْهَدَى تَعْرِفُ
عِصَابَةُ تَوْحِيدٍ بِهِ تَتَشَرَّفُ

[٣٣٠]

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّوَكُّلُ عَادَةٌ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنَّا النَّعَى بِرَبِّهِ
بَابُهُ مَا بَلَغْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَعَنَّاكَ يَرُوءَى النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ
فَكَسَّرْتَ تَمَثَّلًا وَهَدَمْتَ بَيْعَةً
وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ بِالْأَذَانِ عَمَرَتْهُ
وَسِرَتْ وَقَدْ خَلَقْتَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ
أَبُوسُفٌ قَدْ أَرْضَيْتَهُ أَجَلَ الرِّضَا
وَكُنْتَ لَهُ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ قُرَّةً
سَتَجْرِي عَلَى آثَارِهِ سَابِقَ الْمَدَى
سَيَلَقِي عَدُوَّ الدِّينِ مِنْكَ عَزَائِمًا
وَيَأْسَفُ لَنَا يُبْصِرُ الْبَرَّ بِرَتَمِي
وَتَقْتَحُ مِنْ مُلْدَانِهِ كُلَّ مُقْفَلٍ (١)
فَمَا أَرْوَسُ الْكُفَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ
حُسَامِكَ رَفَرَأَقُ الصَّفِيحِ كَأَنَّهُ
ضَعِيفٌ يَصِيحُ النَّصْرُ مِنْ فَتَكَانِهِ
وَرُحُكُ مُرْتَاحِ الْمَاعَاطِفِ هِرَّةٌ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ سِنَانَهُ

وَطَنٌ جَبِيلٌ وَعُدَّةٌ لَيْسَ يُخْلَفُ
وَقَدْ سَارَ لِلْفِرْدَوْسِ يُحْيَا وَيُتَخَفُ
أَمَانِي لِلرَّحْمَنِ تَذْنِي وَتَرْلِفُ
يُرُوءَى لَنَا مِنْهَا الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفُ (٢)
وَنَاقُوسُهَا بِالْكَفْرِ يَهْدِي وَيَهْتِفُ
فَصَارَتْ بِهِ الْأَذَانُ بَعْدُ تُشَنَّفُ
لَكَ الْفَخْرُ مِنْهُ وَالشَّنَاءُ الْمُخْلَفُ
وَكَانَ بِمَا تَرْضَى وَتَخْتَارُ يَكْلَفُ
حَلَى بِرِّهِ الْحُثُومُ تَحْنُو وَتَرْأَفُ
فَيُهْدَى لَهُ مِنْكَ الشَّنَاءُ الْمُضْغَفُ
إِلَيْهِ بِحَرَارِ الْكَتَابِ تَرْحَفُ
بِفُرْسَانِهِ وَالْبَحْرُ بِالشَّفَنِ يَنْدِفُ
يُعَبِّدُ عِبَادَ الصَّلِيبِ وَيُوسِفُ
بِسَيْفِكَ سَيْفِ اللَّهِ تُجْنَى وَتُقْطَفُ
يَكْفُكُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ (٣) يُنْطَفُ
فَيُرُوءَى لَنَا مِنْهُ الصَّحِيحُ الْمُضْغَفُ (٤)
كَأَنَّ قَدْ سَقَتْهُ مِنْ دَمِ الْكُفْرِ قَرْقَفُ
إِذَا شَمَّ رَجَحَ النَّفْعُ فِي الْحَرْبِ بِرَعْفُ

(١) في البيت تورية بكتاب « الغريب المصنف » في اللغة ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .

(٢) في م : « مقفل » .

(٣) في م . : « ماء السباحة » .

(٤) في م : « المصنف » .

فَلَنْ كَمْتُ^(١) الْأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى يُشِيرُ لَنَا مِنْهُ الْبَنَانُ الْمُطَرَّفُ^(٢)
لَقَدْ فَعَرَ الْإِسْلَامُ مِنْكَ بَيْعَةً وَزَالَ بِهَا عَنْهُ الْأَسَى وَالتَّخَوُّفُ
وَأَلْبَسَتْهُ بُرْدًا مِنَ الْفَخْرِ ضَافِيَا عَلَى عِطْفِهِ وَشَى الْمَدِيحُ يُقَوِّفُ
وَقَدْ نَظِمْتُ فِيهِ الشُّعُودُ^(٣) مِيَامِنَا كَمَا يُنْظِمُ الْعِقْدُ النَّفِيسُ وَيُرْصَفُ^(٤) [٣٣١]
فَدُمْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ غِبْطَةٍ بِمَا شِئْتُ مِنْ آمَالِكَ الْغُرِّ تُسَعَفُ

وله على لحد
الغنى بالله

وَأُنْشِدُ عَلَى لَحْدِهِ الْقُدْسُ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — فِي الْمَعْنَى قَوْلُهُ :
ضَرِيحَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ يَحْصُكُ رَبِّي بِالسَّلَامِ الْمُرْدِدِ
وَحَيَّاكَ^(٥) مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةً مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَرُوحُ وَتَفْتَدِي
وَشَقَّتْ جُبُوبُ الزَّهْرِ فَيْكَ^(٦) كَأَنَّمْ يَرِفُ بِهَا الرِّيحَانُ عَنْ خَضِرٍ^(٧) نَدَى
وَصَابَتْ مِنَ الرَّحْمَى^(٨) عَلَيْكَ غَمَائِمٌ تُرَوِّى تُرَوِّى هَذَا الضَّرِيحِ الْمُنْجَدِ
وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ أَوَانِسُ نَوَاعِمُ فِي كُلِّ النَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ
وَجَاءَتْكَ بِالْبُشْرَى مَلَائِكَةُ الرِّضَا كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُنْجَدِ
وَصَافَحَ مِنْكَ الرُّؤُوسُ أَطْيَبَ تَرْبَةٍ وَعَاهَدَ مِنْكَ الْمَزْنَ أَكْرَمَ مَعْدِ
رِضَا اللَّهِ وَالصَّنْعُ الْجَمِيلُ وَعَفْوُهُ^(٩) يُوَالِي عَلَى ذَاكَ الصَّفِيحِ الْمُنْضَدِ

(١) كمت : جبت .

(٢) طرفت المرأة بناتها : إذا خضبت بالحناء ، يشبه سنان الرمح المخضب بالدم بالبنان
المخضب بالحناء .

(٣) كذا في م . وفي ط : « وقد نظمت فيه المديح »

(٤) في الأصلين : « يوصف » بالواو . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) في م : « وجاءتك » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « فيه » .

(٧) في نفع الطيب : « خضل » .

(٨) في ط : « وطابت من المولى » والتصويب عن نفع الطيب .

(٩) في ط : « والعفر الجمال » .

ويا صدقاً قد حاز من جواهر العلا
أعندك أن الحلم والعلم والحجبا
وهل أنت إلا هالة القمر الذي
ويا عجباً من ذلك الترتب كيف لا
لقد ضاقت الأكون ونمي رحيمه
قدمنت على الرحمن أكرم^(٣) مقدم
أقام بك المولى الإمام محمد
جفاء كما يرزى وترضى به الفلا
ومد ظلال العدل في كل وجهة
وقام بمفروض الجهاد عن الورى
نقى بعد ما قضى الخلافه حتما
وفتح بالسيف المالك عنوة
وكسر تمثال الصليب وأخرست
وطهر محراباً وجدد منبرا
ودانت له الأملاك شرقاً ومغرباً
وطبق معمر البسيطة ذكره
وسافر عن دار الفناء ليجتني

لكل^(١) نفيس بالنفاسة مفرد
وزهر الحلى قد أدرجت طي ملحد
بنور هده الشهب تهدي وتهدي^(٢)
يفيض ببحر الساحة مزبد
بما حزت من فخر عظيم وسودد
وزودت من رحماء خير مزود
مؤمل فوز بالشفيع محمد
وأنجز للأمال^(٤) أكرم مؤيد
وكف أكف البغي من كل مفتدي
وعود دين الله خير موعود
وعامل وجه الله في كل مقصد
ومدت له أملاكها كف مجتدي
نوايس كانت للضلال بمرصد
وأعلن ذكر الله في كل مسجد
وكلهم ألقى له الملك باليد
وسارت به الركبأن في كل فدفد
بما قدّم اليوم السعادة في غد

(١) في فتح الطيب : « فاز من جواهر ... بكل »

(٢) في ط : « وتهدي » .

(٣) في م : « أيمن » . وما أثبتناه عن ط وفتح الطيب .

(٤) في الأصلين : « الأملاك » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَقَّ قِيَامِهِ
لِثَنِّ سَارِ الرَّحْمَنِ خَيْرَ مُودَعٍ
فَقَدْ خَلَفَ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةَ يَوْسُفَا
سَبِيلَكَ فِي سُبُلِ الْمَكَارِمِ يَفْتَنِي
مُحَمَّدٌ جَلَّى الْخُطْبَ مِنْ بَعْدِ يَوْسُفٍ
وَلَوْ وَجَدَ النَّاسُ الْفِدَاءَ مُسَوِّغًا
سَتَبِكِيكَ أَرْضٌ كُنْتَ غَيْثَ بِلَادِهَا
وَتَبْكِي عَلَيْكَ السُّحُبُ مِلْءُ جُفُونِهَا
وَتَلْبَسُ فِيكَ النِّيرَاتُ ظِلَامَهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا أَعْيُنٌ قَدْ تَسْهَدَتْ
فَلَا زِلَتْ فِي ظِلِّ النِّعَمِ خَلْدًا
وَأَوْرَدَكَ الرَّحْمَنُ حَوْضَ نَبِيِّهِ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عَاطِرٌ
وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

بِعَزْمَةٍ لَا وَانَ وَلَا مُتَرَدِّدٍ
وَحَلَّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَشْرَفَ مَقْعَدٍ
يُعِيدُ لَهُ غُرَّ الْمَسَاعِي وَيَبْتَدِي
وَهَذِيكَ يَا خَيْرَ الْأَعْمَةِ يَبْتَدِي
وَيُوسُفُ جَلَّى الْخُطْبَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
فَدَاكَ بِبَذْلِ النَّفْسِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
وَتَبْكِيكَ حَتَّى الشُّهْبُ فِي كُلِّ مُشْهَدٍ
بِدَمْعٍ يَرْوِي غَلَّةَ الْمُجْدِبِ الْعَصْدِي
حِدَادًا وَيُذَكِّي النِّجْمُ جَفْنَ مُسْهَدٍ
فَكَحَّلَهَا نَجْمٌ ^(١) الظَّلَامِ بِأَيْمِدٍ
وَنَجَّلَكَ يَحْيَا بِالْبَقَاءِ الْمُخَلَّدِ
وَأَصْدَرَ مَنْ خَلَفْتَ عَنْ خَيْرِ مَوْرِدٍ
يَفْضُ خِتَامَ الْمِسْكِ عَنْ تَرْبِكَ الْوَدَى
صَلَاةً بِهَا نَرْجُو الشِّفَاعَةَ فِي غَدٍ

ثم قال : وقال أيضاً في هذا الغرض من رثائه ، ومدح مولانا الوالد في أثنائه :

وفي رثائه
الذي بلغه أيضاً

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا فِيهَا
نَعَتْ مَلَكَ الْأَمْلَاقِ وَالْكَامِلِ الَّذِي
عَمِيدَ بَنِي الْأَنْصَارِ غَيْرَ مُدَافِعٍ
غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسِ الْخِلَافَةِ مَنْ فِيهَا
يَكْفُ عَوَارِي الْحَادِثَاتِ وَيَكْفِيهَا
وَنُحْبِي مَعَالِيهَا وَمَوْلَى مَوَالِيهَا

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « جفن » .

وَبَدَرَ دَيَاجِبِهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا
خَفَا الْكَوْكَبُ الْوَقَادُ قَدْ كَانَ نُورُهُ
هُوَ ^(١) الْقَمَرُ الْوَضَاحُ مِنْ أَفْقِ الْعُلَا
وَقَدْ كَسِفَتْ شَمْسُ الْمِدَايَةِ بَعْدَمَا
هُوَ الْجَبَلُ الرَّاسِي تَصَدَّعَ بَعْدَ مَا
يَعِزُّ عَلَى دِينِ الْهُدَى أَنْ شَمْسُهُ
يَعِزُّ عَلَى زُهْرِ النُّجُومِ مَتَى سَرَتْ
لَا نَذْلُسِ نَكْلٌ عَلَيْهِ مُرَدُّ
ثَلَاثِينَ حَوْلًا بَعْدَ خَمْسِ تَعَوَّدَتْ
أَبْكِيهِ لِلرَّايَاتِ يَخْفُقُ بَنْدَهَا
أَبْكِيهِ لِلْخَيْلِ الْمَغِيرَةِ بِالضَّحَى
وَيَبْكِيهِ مَعْمُورُ الْبَسِيطَةِ كُلَّهَا
وَتَبْكِيهِ سُحْبٌ أَخْجَلَتْهَا بَنَانُهُ
وَتَبْكِيهِ حَقِّي الشُّهْبُ فِي أَفْقِ الْعُلَا
عَزَاءُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا
هُوَ الْمَوْتُ وَرَدُّ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
وَمَا يَفْنَا حَتَّى وَمَا بَيْنَ آدَمَ

وَبَشَرَ مُحَيَّيَاها وَنُورَ مَجَالِهَا
يُجَلِّي مِنَ الدُّمُغِ الْخُطُوبِ دَيَاجِبِهَا
فَأَظْلَمَ جَوْ النَّيِّرَاتِ بِسَارِهَا
أَبَانَ سَبِيلَ الْحَقِّ لِلْخَلْقِ هَادِيهَا
أَقَرَّتْ بِهِ شُمْ الْجِبَالِ رَوَاسِيهَا
يَطُولُ بِأَطْبَاقِ التَّرَابِ تَوَارِبِهَا ^(٢)
وَلَا تَلْعُ الْهُدَى الَّذِي كَانَ يَهْدِيهَا
لَهُ لَيْسَتْ سُودَ الْمُسُوحِ نَوَاحِيهَا ^(٣)
يُدَافِعُ عَنْهَا كُلَّ خَطْبٍ وَيَحْمِيهَا
وَفِي مَرْقَبِ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ يُعْلِيهَا
وَقَدْ أَبْعَدَ الْفَتْحُ الْمُبِينِ مَرَامِيهَا
وَمَا ضَمَّ مِنْ دَانِي الْبِلَادِ وَقَاصِيهَا
وَتُرْسِلُ دَمْعَ الْغَيْثِ حُزْنًا مَا قَبِيهَا
وَتَلْبَسُ جِلْبَابَ الظَّلَامِ جَوَارِيهَا
مَقَادِيرُ رَبِّ الْخَلْقِ فِي الْخَلْقِ يُجْرِيهَا
أَوَاخِرُهَا تَقْفُو سَبِيلَ أَوَالِيهَا
أَلَا هَكَذَا سَوَى الْبَرِيَّةِ بَارِيهَا

(١) في ط : « هو » وهو تحريف .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « رواسيها » . وهو تحريف .

(٣) كذا في ط . وفي م : « لبالها » .

وَفِي مَوْتٍ خَيْرٍ الْخَلْقِ أَكْبَرُ أُسْوَةٍ
 أَمْوَالَى لَوْ كَانَ الْفِدَاءُ مُسَوِّغًا
 أَمْوَالَى كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَنَا
 أَمْوَالَى خَلَقْتَ الْعَبِيدَ إِلَى الْأَمَى
 وَقَدْ مَاتَ مِنَّا الصَّبْرُ إِلَّا صَبَابَةً
 أَمْوَالَى يَا مَوْلَايَ هَلْ أَنْتَ سَامِعِي
 تَحَنَّنْتَ بِي حَتَّى نَصَوْتُ شَبِيبَتِي
 وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ تَكُونَ جَنَازَتِي
 [وَقَدْ عِشْتُ حَتَّى ذُقْتُ فَقْدَكَ قَلَمًا
 وَلَوْلَا أَبُو الْحَجَّاجِ نَجَلُكَ لَمْ يَكُنْ
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهُ يُجَمِّلُ^(٢) صَبْرَهُ
 فَخَلَقْتَنَا مِنْهُ لَا كَرَمٍ كَافِلٍ
 سِرِّيَّتُهُ الرُّحْمَى وَسِيرَتُهُ الرِّضَا
 وَسِلَّتُكَ الْمُظْمَى وَظِلُّكَ فَوْقَنَا
 فَمَا كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ لَنَا
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا الْمِسْكُ إِنْ تَخَفَ ذَاتُهُ
 إِلَّا قَدَسَ الرَّحْمَنُ نَفْسًا كَرِيمَةً
 وَبُشْرَى لَنَا أَنَّ السَّعَادَةَ نَزَلَهَا
 وَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ تَضَيِّعَ وَسَائِلَ

تَصَبَّرُ أَحْرَارَ النُّفُوسِ وَتُسَلِّهَا
 فَدَيْنَاكَ بِالدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا فِيهَا
 إِذَا نَحْنُ رُمْنَا حَضْرَهَا لَيْسَ نُخْصِيهَا
 يُنَاجِيكَ مِنْ قَرِطِ الشَّجُونِ مَنَاجِيهَا
 بِذِكْرِكَ فِي جُنْحِ الدُّجْنَةِ نُخْصِيهَا
 أَثْنُكَ مَا يُشْجِي الْقُلُوبَ وَيُدْمِيهَا
 عَزِيزًا وَجِيهًا حَيْثُمَا رُمْتُ تَوْجِيهَا
 يُشِيعُهَا مِنْكَ الرِّضَا وَيُؤَارِيهَا^(١)
 تُبْلَغُ نَفْسٌ مَا تُرِيدُ أَمَانِيهَا
 لِدِينِ الْهُدَى كِرَاتُ بَحْرِ يُزَجِّبُهَا
 مَنَاقِبُكَ الْغُرَّ الْكَرَامَ سَيُخْصِيهَا
 يُجَمِّلُ أَعْبَاءَ الْخِلَافَةِ كَافِيهَا
 وَأَخْلَاقُهُ الْغُرَّ الْكَرِيمَةُ تَدْرِيهَا
 وَعُدَّتُنَا وَاللَّهُ فِي الْعِزِّ يُبْقِيهَا
 وَأَنْوَارُهَا بَدْرُ الْقَمَامِ يُجَلِّبُهَا
 يَنْبِغُ بِهَا الْعَرَفُ الذِّكْرُ فَيُفْشِيهَا
 بِكُلِّ عَزِيزٍ فِي الْوُجُودِ نُفَدِّيهَا
 وَأَنْ رِضَا اللَّهِ الْكَرِيمِ يُرَضِّيَهَا
 سَيَذْخَرُهَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ وَيُنْفِشِيهَا

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « وَيُؤَارِيهَا » .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « يُعَمِّدُ » .

فَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ رَفَعَتْ بُنُودَهُ
كَسَرَتْ تَمَائِيلَ الصَّلِيبِ وَأَخْرَسَتْ
وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ قَدْ أَعْدَتْ أَذَانَهُ
وَكَمْ مِنْ رِيَاضٍ لِلْكَتَائِبِ قَدْ غَدَتْ
وَمُلْتَفَّ زَرْعٍ بِالْأَسِنَّةِ مُزْهِرٍ
إِذَا ظَلِمَتْ مِنْهَا الدَّوَابِلُ فِي الْوَعَى
غِرَاسُ زَكِيٍّ لِلْجِهَادِ غَرَسَتْهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِنِينَ قَطَعَتْهَا
صَبَرَتْ لَهَا صَبْرَ الْكِرَامِ وَإِنَّمَا
أَمَّا لَكَ فِي الْأَنْصَارِ خَيْرٌ وَسَيَلَةٌ
وَحَسْبُكَ بِالْمُخْتَارِ أَكْرَمُ ^(١) شَافِعٍ
عَلَى عِلْمِ الدُّنْيَا وَفَخْرٍ مُلُوكِهَا
سَابِكِيهِ مَا دَامَ الْحَمَامُ مُطَوَّقًا
وَأَهْدِيهِ مِنْ طِيبِ السَّلَامِ مُعْطَرًا
وَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ ^(٢) سُحْبَ كَرَامَةٍ
وَنَسْأَلُ فَتَحًا لِلْخَلِيفَةِ يُوسُفَ

وَقَدْ أَثْمَرَتْ فِيهَا الصَّمَالِي ^(١) عَوَالِيهَا
نَوَاقِيسُ كَانَتْ بِالضَّلَالِ تُفَاغِيهَا
وَأَعْلَنَ فِيهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ دَاعِيهَا
تَضَيَّقُ بِمُسْتَنِّ الْجِيَادِ نَوَاحِيهَا
وَلَكِنْ بَوَّالُ الْهَرَمِ أَنْ تَخْلُوَ بِجَانِبِهَا
جَدَاوِلُ أَنْهَارِ السُّيُوفِ تَرْوِيهَا
فَصَبَرَتْ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ تَجْنِيهَا
رَهْنِ شَكَاةٍ لَا تَزَالُ تُعَانِيهَا
ذَخَرَتْ أَجُورًا فَضْلَ رَبِّكَ جَازِيهَا
وَقَدْ كُنْتَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ تُحْيِيهَا
وَسُنَّتُهُ وَاللَّهِ لَا زِلَّةَ تُحْيِيهَا
تَحِيَّةُ رَبِّ لَا يَزَالُ يُوَالِيهَا
وَمَا سَجَعَتْ تَبْكِي الْهَدِيلَ قَارِيهَا
كَمَا فَتَقَتْ أَيْدِي التَّجَارِ غَوَالِيهَا
تَسُحُّ عَلَى ذَاكَ الظَّرِيجِ غَوَادِيهَا
بِمَلِكِهِ أَهْمَى الْبِلَادِ وَمَنْ فِيهَا

ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك في السلطان أبي الحجاج واستعطافه ، وما يهز له الرضا من شمائل أعطافه ، ومنها :

بِمَا قَدْ حُرِّزَتْ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ وَثْبِ الْجَلَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « الموال » .

(٢) في م : « أكبر » .

(٣) في م : « وأسأل رب العرش » .

٢٢٥]

بِمَا خُوِّلَتْ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا بِمَا قَدْ حُزَّتْ مِنْ شَرَفِ الْعَالِي^(١)
بِمَا أُولِيَتْ مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ يُطَابِقُ لَفْظُهُ مَعْنَى الْكَمَالِ
تَعَمَّدَنِي بِفَضْلِكَ وَاعْتَفِرْهَا ذُنُوبًا فِي الْفِعَالِ وَفِي الْمَقَالِ

ثم قال : ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، متوسلاً بقديم ذمامه ، والخِدم المتعددة من نظامه :

وله في خطاب
السلطان
أبي عبد الله

أَنْعَطَشُ أَوْلَادِي وَأَنْتَ عِمَامَةٌ تَعْمُ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِالنَّفْعِ وَالشُّمُيَا
وَتُظَلِّمُ أَوْقَاتِي وَوَجْهُكَ نَيْرٌ تَفِيضُهُ بِهَ الْأَنْوَارِ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا
وَجَدُّكَ قَدْ سَمَّاكَ رَبَّكَ بِاسْمِهِ وَأَوْزَتْكَ الرَّحْمَنُ رُبَّتَهُ الْعُلْيَا
وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي الَّذِي أَنَا سَائِلٌ وَسَوَّغَنِي مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثَنِيَا^(٢)
وَشِعْرِي فِي غُرِّ الْمَصَانِعِ خَالِدٌ يُحْيِيهِ عَنِّي فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْمَحْيَا
وَمَا زِلْتُ أَهْدِي الدُّخَانَ مِسْكَاً مُفْتَقاً فَتَحْمِلُهُ الْأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّيَا
وَقَدْ أَكْثَرَ الْعَبْدُ^(٣) التَّشْكِيَّ وَإِنَّهُ وَحَقُّكَ يَافِخِرُ الْمُلُوكِ قَدْ اسْتَحْيَا
وَمَا الْجُودُ إِلَّا مَيِّتٌ غَيْرُ أَنَّهُ إِذَا نَفَخَتْ يُمْنَاكَ فِي رُوحِهِ يَحْيَا
فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ فَيَدْعُوَ لِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ بِالْبُقْيَا

ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات في مدحه لأخيه أبي عبد الله ، إلى أن قال :

ومن شعره في
أبي عبد الله

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة .
مَنْزِلُ الْيُمْنِ وَالرَّضَا وَالسُّعُودِ أَنْجَزَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْوُعُودِ

(١) في فتح الطيب : « الجمال » .

(٢) ولا ثنيا : أى من غير استثناء .

(٣) في الأصلين : « أضر » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

كُلَّ يَوْمٍ نَزَاهَةٌ إِنْ تَقَضَّتْ أَنْشَدَتْهَا السُّعُودُ بِاللَّهِ عُودِي
جَمَعَ الْمُسْتَعِينُ وَصَفَ كَالِ بَيْنَ بَأْسِ عَمِّ الْمُلُوكِ وَجُودِ
فَاهِنٍ فِي غِبْطَةٍ وَعِزَّةٍ مُلْكٍ أَنْتَ وَاللَّهِ فَخْرُ هَذَا الْوُجُودِ
وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة :

لَكَ غُرَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ جَمَالَهَا وَحَاسَنُ تَهْوَى الْبُدُورُ كَمَالَهَا
وَشَمَائِلُ تَحْكِي الرِّيَاضُ خِلَالَهَا وَأَنَامِلُ تَرْجُو الْأَنَامُ خِلَالَهَا^(١)
لِلْمُسْتَعِينِ خِلَافَةٌ^(٢) نَعْرِيَّةٌ عَرَفَتْ مُلُوكَ الْعَالَمِينَ جَمَالَهَا^(٣)
وَأَنَا الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْكَ مَعَالِيَا تَهْوَى النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَنَالَهَا
تَهْدِيهِ مَا قَدْ نِلْتَهُ مِنْ بَعْضِهَا وَالْفَخْرُ كُلُّ الْفَخْرِ فِيمَنْ نَالَهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ مِنْهُ مُنْعِمٌ لَوْ طَاوَلَتْ سَمَكُ الْعَلَا^(٤) مَا طَاوَلَهَا
بَلَّغْتَ آمَالَ الْعَبِيدِ فَبَلَّغْتَ فَيْكَ الْعَبِيدُ مِنْ الْبَقَا آمَالَهَا

[٣٣٦]

ثم قال : وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أَيَا مَلِكًا لَمْ يُبْدِ لِلْعَيْنِ حُسْنُهُ سِوَى مَلِكٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ
لَكَ الْخَيْرُ خُذْهَا كَالْأَنَامِلِ^(٥) خَمْسَةٌ تَعُوذُ مَرَّةً أَكَّ الْمُكَمَّلِ بِالْخَمْسِ
فَمَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مَرَّةً أَكَّ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ أَوْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ

ثم قال بعد ذكر قصيدة : وقال يخاطب مولانا الوالد — رحمة الله عليه — وله في خطاب مولاه الوالد

- (١) في م : « ترجى الأنام حلالها » . وفي نفع الطيب : « ترجى الأنام حلالها » .
- (٢) في ط : « جلالة » . وما أبتناه عن م ، ونفع الطيب .
- (٣) في نفع الطيب : « جلالها » .
- (٤) في نفع الطيب : « السبا » .
- (٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « من أنامل » .

وقد سرّ معه بفحص رتبة ، والثلج قد عم أنديته ، وبسط أرديته ، في وجهه
توجّها مولانا الجد — تغمده الله تعالى — برحمته إلى مألقة :

يَا مَنْ بِهِ رَبُّ الْعَالِي ^(١) تَعْتَلِي وَمَعَالِمُ الْفَخْرِ الشَّيْدةِ تَبْتَنِي
ازْجُرْ بِهَذَا الثَّلَجِ فَأَلَا إِنَّهُ ثَلَجُ الْيَقِينِ بِنَصْرِ مَوْلَانَا الْغَنِي
بَسَطَ الْبَيَاضَ كَرَامَةً لِقُدُومِهِ وَافْتَرَّ ثَمَرًا عَنْ مَسَرَّةِ مُعْتَنِي
فَالْأَرْضُ جَوْهَرَةٌ تَلُوحُ لِمُجْتَلِي وَالْدَّوْحُ ^(٢) مَرْهَرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَنِي
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى الْوُجُودَ وَجُودَهُ لِيَذُلَّ مِنْهُ عَلَى الْجَوَادِ الْمُخْسِنِ
وَبَدَائِعِ الْأَكْوَانِ فِي إِتْقَانِهَا أَثَرُهُ يُشِيرُ إِلَى الْبَدِيعِ الْمُتَعِنِ

ثم قال : ومن غير السلطانيات ، مما برز فيه سبقاً وتبريزاً ، وعرضه على
نقّدة البيان ، فرأت منه كل مذهب خَلَصَتْ إبريزاً ، مرثيته للقاضي المعظم الشريف
أبي القاسم الحسني من شيوخه ، أنجزها الوعد السابق في المقدمة بها :

أَغْرَى سَرَاةَ الْحَيِّ بِالْإِطْرَاقِ تَبَاً أَمَّ مَسَامِعَ الْآفَاقِ
أَمْسَى بِهِ لَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيَا وَالصَّبِيحُ أَصْبَحَ كَاسِفَ الْإِشْرَاقِ
فُجِعَ الْجَمِيعُ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ شَتَى الْعُلَا وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
هُبُّوا لِحُكْمِكُمُ الرِّصِينِ فَإِنَّهُ مَرُفُ الْقَضَاءِ فَمَا لَهُ مِنْ وَاقِ
نَقَشَ ^(٣) الزَّمَانُ بِصَرْفِهِ فِي صَفْحِهِ كُلُّ اجْتِمَاعٍ مُؤَذَّبٌ بِفِرَاقِ
مَاذَا تَرَجَّى مِنْ زَمَانِكَ بَعْدَمَا عَلِقَ الْفَنَاءُ بِأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
مَنْ تَحْسُدُ السَّبْعَ الطَّبَاقُ عِلَاءَهُ عَالُوا عَلَيْهِ فِي الثَّرَى بِطَبَاقِ

مرثيته
لأبي القاسم
الحسني

(١) في نفع الطيب المخطوط : « الإمامة » . وفي المطبوع : « الإمارة » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والأرض » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « نهر » .

إِنَّ الصَّيَابَا لِلْبَرَايَا غَايَةً
لَمَّا حَسِبْنَا^(١) أَنْ نُحَوِّلَ أَبُو سَا
مَا كَانَ إِلَّا الْبَدْرَ طَالَ سِرَارُهُ
[أَنِفَ الْمُقَامِ مَعَ الْفَنَاءِ نَزَاهَةً
عَدِمَ الْمَوَافِقَ فِي مُرَافَقَةِ الدُّنَا
أَسْفَا عَلَى ذَاكَ الْجَلَالِ تَقَلَّصَتْ
يَا أَمْرِي بِالصَّبْرِ عَيْلَ تَصَبَّرِي
وَذِرْ^(٢) الْيَرَاعَ تَتَشَى بِدَمْعٍ مِدَادِهَا
يَا حَسْرَتِي لِلْعِلْمِ أَفْقَرُ رَبُّهُ
رَكَدَتْ رِيَّاحُ الْمُعْلُوباتِ لِفَقْدِهَا
كَمْ مِنْ غَوَامِضَ قَدْ صَدَعَتْ بِفَهْمِهَا
كَمْ قَاعِدٍ فِي الْبَيْدِ فَوْقَ قَمُودِهِ
لِيَنِ الرَّكَّابُ بَعْدَ بُسْدِكَ تُنْقَضَى
تَقْلِي الْفَلَا بِمَنَاسِمٍ مَقْلُولَةٍ
كَانَتْ إِذَا اشْتَكَّتِ الْوَجَى وَتَوَقَّفَتْ
فَإِذَا تَنَسَّمَتِ الثَّنَاءَ أَمَامَهَا
يَا مُزَجِّجِي الْبُذْنِ الْقِلَاصِ خَوَافِقَا

سَبَقَ الْكِرَامُ لِخَصْلِهَا سِبْقًا
كَشَفَتْ عَوَانَ حُرُوبِهَا عَنْ سَاقِ
حَتَّى رَمَتْهُ يَدُ الرَّدَى^(٣) بِمَحَاقِ
فَنَوَى الرَّحِيلَ إِلَى مُقَامِهِ بَاقِ
فَتَنَى^(٤) الرَّكَّابَ إِلَى الرَّفِيقِ الْبَاقِ
أَفْيَاؤُهُ وَعُهُدَنَ خَيْرَ رَوَاقِ
دَغْنَى عَدْنِكَ لَوَاعِجُ الْأَشْوَاقِ
وَتَشَى الْقَرِيبُ يَرُوقُ فِي الْأَوْرَاقِ
وَالْعَدْلُ جُرْدٌ أَجْمَلُ الْأَطْوَاقِ
كَسَدَتْ بِهِ الْأَدَابُ بَعْدَ نَفَاقِ
خَفِيتْ مَدَارِكُهَا عَلَى الْحُذَاقِ
قَعَدَتْ بِهِ الْأَمَالُ دُونَ لَحَاقِ
مَا بَيْنَ شَأْمٍ تَرْتَنِي وَعِرَاقِ
نَسِيمُ الْحَصَى بِنَجِيبِهَا الرِّقَاقِ
يَهْفُو نَسِيمُ ثَنَائِكَ الْخِفَاقِ
مَدَّتْ لَهَا الْأَعْنَاقُ فِي الْإِعْنَاقِ
رَقَقَا بِهَا فَالسَّفَى فِي إِخْفَاقِ

(١) في م : « لما خفينا » . وفي النسخ المخطوط : « حسبنا » .

(٢) في ط : « الدجى » .

(٣) في م والنسخ المخطوط : « فنضا » .

(٤) في م : « ودع » .

مَاتَ الَّذِي وَرِثَ الْعُلَا عَنْ مَشْرِ
رُفِعَتْ لَهُمُ رَايَاتُ كُلِّ جَلَالَةٍ
عَلَّمَ الْهُدَاةَ وَقُطِبُ أَعْلَامِ الْوَرَى^(١)
رَقَّتْ سَجَايَاهُ وَرَأَقَتْ مُجْتَلَى
كَالْزَهْرِ فِي لَأَلَائِهِ وَالْبَدْرِ فِي
مَهْمَا مَدَخَتْ سِوَاهُ قَيْدَ وَصْفِهِ
يَا وَارِثَا نَسَبِ النُّبُوَّةِ جَامِعًا
يَابْنَ الرُّسُولِ وَإِنَّمَا لَوْ سَبِيلُهُ
وَرَدَّ الْكِتَابُ بِفَضْلِكُمْ وَكَلَامِكُمْ
مَوْلَايَ إِنِّي فِي عُقْلِكَ مُقَصِّرٌ
وَمَنْ الَّذِي يُجْحِي مَنَاقِبَ فَضْلِكُمْ^(٢)
يَهْنِي قُبُورًا زُرَّتْهَا فَلَقَدْ تَوَتَّ
خَطُّ الرَّدَى مِنْهَا سَطُورًا نَصَّهَا^(٣) :
وَلَحِثَتْ تَرْجَمَةَ الْكِتَابِ وَصَدْرُهُ
كَمْ مِنْ مَرَاةٍ فِي الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ
قُلُوبٌ لِلْمَعَابِ اسْتَعَبَ ذُبُولُكَ نَحْوَهُ
أَوْ دَى النَّيِّ غَيْثُ الْعِبَادِ بِكَفِّهِ

وَرِثُوا تَرَاثَ الْمَجْدِ بِاسْتِحْقَاقِ
فَتَمَيَّزُوا فِي حَلَبَةِ السَّبَاقِ
حَرَمُ الْعُفَاةِ لِمُجْتَنَى الْأَرْزَاقِ
كَالشَّمْسِ فِي بُعْدِ وَفَى إِشْرَاقِ
عَلَيَّائِهِ وَالزُّهْرِ فِي الْإِبْرَاقِ
وَصِفَاتِهِ حَمْدٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ [٢٣٨]
فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ
يَرْقَى بِهَا أَوْجَ الْمَصَاعِدِ رَاقِ
فَكَتَنَى ثَنَاءَ الْوَاحِدِ الْخَلَاقِ
قَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِ^(٢) النُّجُومِ نِطَاقِ
عَدُّ الْعَصَى وَالرَّمْلِ غَيْرُ مُطَاقِ
مِنَّا مَصُونٌ جَوَاحِرُ وَحْدَانِ
لَا بُدَّ أَنَّكَ لِلْفَنَاءِ مُلَاقِ
وَفَوَائِدُ الْمَكْتُوبِ فِي الْإِلْحَاقِ
فِي بَطْنِهَا دُرٌّ ثَوَى حِقَاقِ
وَالْعَبِّ بِصَارِمِ بَرَقِكَ الْخَفَاقِ
يُزْرِى بِوَاكِفِ غَيْثِكَ الْغَيْدَاقِ

(١) في م ونفع الطيب : « التهي » .

(٢) في م ونفع الطيب : « حصر » .

(٣) في نفع الطيب : « مجدكم » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « قبور زرتها » .

إِنَّ كَانَ صَوْبُكَ بِالْمِيَاهِ فَدَرَّهَا دُرٌّ يُرَوِّضُ مَا حِلَّ الْإِمْلَاقِ
 بَشَرُهُ كَثِيرٌ قَدْ نَعُوا لَنَا نَعِي^(١) قَارِضِ الْقُضَاةِ وَغَابَ فِي الْأَطْبَاقِ
 أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الْكَرَامَةِ ضَافِيَا وَأَرْحَتَ مِنْ كَدِّهِ وَمِنْ إِزْهَاقِ
 يَتَفَيِّمُونَ ظِلَالَ جَاهِكَ كُلَّمَا لَفَحَتْ سَمُومُ النَّخْلِ بِالْإِخْرَاقِ
 عَدِمُوا الْمَوَافِقَ فِي فِرَاقِكَ وَانْطَوَى عَنْهُمْ بِسَاطُ الرِّفْقِ وَالْإِزْفَاقِ
 رَفَعُوا سِرِّيَّكَ خَافِضِينَ رُءُوسَهُمْ مَا مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيفُ سِيَّاقِ^(٢)
 لَكِنْ مَصِيرُكَ لِلنَّعِيمِ مُخْلَدًا كَانَ الَّذِي أَبْقَى عَلَى الْأَرْمَاقِ
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُرَى بِحَرِّ النَّدَى طَوْدُ الْهُدَى يَسْرِي عَلَى الْأَعْنَاقِ
 إِنْ يَحْمِلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مَحْمُولًا عَلَى الْأَحْدَاقِ
 أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا رُفِعْتَ ظَهَرَ مَنَابِرٍ وَعِثَاقِ
 وَلَئِنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجَنَانِ فَإِنَّا نَضَلَى بِنَارِ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
 لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَقْتَهُ كَشَفَى عَيْنَاكَ كَثْرَةُ الْإِشْفَاقِ
 إِنْ جَنَّ لَيْلٌ جَنَّ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى وَسَوَى كَلَامِكَ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
 فَابْعَثْ خَيْالَكَ فِي الْكَرَى يَبْعَثُ بِهِ مَيِّتَ السَّرُورِ^(٣) لِنَاكِ كُلِّ مُشْتَاقِ
 أَغْلَيْتَ يَا رُزْءَ التَّصَبُّرِ مِثْلَمَا أَرْخَضْتَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي الْآمَاقِ
 إِنْ يُخْلِفِ الْأَرْضَ الْفَسَامُ فَإِنِّي أَسْقَى الضَّرِيحَ بِدَمْعِي الْمُهْرَاقِ

[٣٣٩]

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « قضى » .

(٢) يقال : ساق المريض سبًا : إذا أخذ في نزع الروح ، والمراد هنا الجهد والحزن .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « النشور » .

وله في مدح
شيخه ابن الخطيب

ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله
تعالى مادحا ، قوله من قصيدة مطلعها :

* أَمَا وَانْصِدَاعِ النُّورِ مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ *

يقول فيها بعد أبيات :

لَكَ اللَّهُ مِنْ فَذِّ الْجَلَالَةِ أَوْحِدِ تُطَاوِعُهُ الْأَمَالُ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي طَالَ فَخْرُهُ عَلَى الْمُرْهَفَاتِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ السُّمْرِ
يُقَلِّدُ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ تَمَامًا بِصِنْفِي لَآلٍ مِنْ نِظَامٍ وَمِنْ نَثْرٍ
تَهَيَّبَكَ الْفِرْعَاسُ فَأَحْمَرَتْ إِذْ غَدَا يُعْرِزُهُ وَشَى الْمِذَارِ مِنَ الْخَبْرِ
كَأَنَّ رِيَاضَ الطُّرُوسِ خَدَّ مُورَدٍ بِأَلْوَبَةٍ خُمِرٍ وَبِالصُّحُفِ الْخُمَرِ
فَشَارَةً هَذَا الْمُلْكِ رَائِقَةُ الْحَلَى تَحُوكُ بِهَا وَشَى الرَّبِيعِ يَدُ الْقَطْرِ
وَمَا رَوْضَةً غَنَاءَ عَاهِدَهَا الْحَيَا فَيُرْقِضُنْ غُصْنِ الْبَانِ فِي حُلَلِ خُضَرٍ
تُفَنِّي قِيَانُ الطَّيْرِ فِي جَنَابَاتِهَا مِنْ السَّوْسَنِ الْفَضِّ الْمُخْتَمِ بِالْتَّبَرِ
تَمُدُّ لِأَكْوَاسِ^(١) الْعَرَارِ أُنَامِلًا وَيُمنَعُ ثَغَرُ النُّورِ بِالذَّائِلِ النَّصْرِ
وَيَعْرِسُ خَدَّ الْوَرْدِ صَارِمُ نَهْرِهَا فَتُزْرَى^(٢) نُجُومُ الزَّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزُّهْرِ
يُفَاخِرُ مَرَاَهَا السَّمَاءُ مُحَاسِنًا تَنْفَسُ ثَغَرُ الزَّهْرِ عَنْ عَنَبِ الشَّجَرِ
إِذَا مَسَحَتْ كَفَّ الصَّبَاجُفْنَ نَوْرَهَا وَأَبْهَرَ حُسْنًا مِنْ شَمَائِلِكَ الْفَرِ
بَأَغْطَرَ مِنْ رَيَّا ثَنَانِكَ فِي الشَّرَى وَتَفَرَّقُ مِنْهُ الْأُسْدُ فِي مَوْقِفِ الدَّعْرِ

(١) كذا في الأصلين ونفع الطيب ، ولم نجد الأكواس جمعا للكأس في معاجم اللغة .

(٢) في نفع الطيب : « وتزرى » .

إِذَا أَضْرَمْتَ مِنْ بَأْسِهَا الْخَرْبُ جَاحِمًا
وَإِنْ كَلَحَ الْأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
لَكَ الْحَسْبُ الْوَضَاحُ وَالشُّوْدُودُ الَّذِي
تَشْرَفُ أَفْقُهُ أَنْتَ بَذْرُ كَمَالِهِ
تَكَلَّلَ تَاجُ الْمُلْكِ مِنْكَ مُحَاسِنًا
بِعِزَّةٍ مَضْمُونِ السَّعَادَةِ أَوْحَدٍ
طَلَوَى الْحَيْفَ مَنْشُورَ الْهَوَاءِ مُوَيِّدًا [٣٤٠]
وَمَدَّ ظِلَالُ الْأَمْنِ إِذْ قَصَرَ ^(٢) الْعِدَا
إِذَا احْتَقَلَ الْإِبْوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ
صَدَعَتْ بِفَضْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مُنَازِعٍ
فَإِنْ تَطَفَّرَ الْخَلِيلُ الْمَغِيرَةُ بِالضَحَى
فَلَا زِلْتَ لِلْعَلِيَاءِ تَحْمِي ذِمَارَهَا
وَلِلْعِلْمِ فَخْرُ الدِّينِ وَالْفَتْكَ بِالْعِدَا
يُهَنِّيكَ عِيدُ الْفِطْرِ مَنْ أَنْتَ عَيْدُهُ
جَبَرَتْ مَهِيضًا مِنْ جَنَاحِي وَرَشْتُهُ
وَبَوَّأَتْنِي مِنْ ذِرْوَةِ الْعِزِّ مُعْتَلًى
وَسَوَّغَتْنِي الْآمَالَ عَذَابًا مُسْلَسَلًا
فَدَهَرِي عَيْدُ بِالْأَسْرُورِ وَبِالْمُنَى
تَأْجَجَ مِنْهُ الْعَضْبُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
تَرَفَّرَقَ مَاءُ الْبَشْرِ فِي صَفْحَةِ الْبَذْرِ
يَضِيقُ نِطَاقُ الْوَصْفِ فِيهِ عَنِ الْخَضِرِ
فَفَرَّ نَاطِلُهُ تَخْتَالُ تَيْهَا عَلَى مِضِرٍ
وَفَاخَرَتْ الْأَمْلاكَ مِنْكَ بَنُو نَضِرٍ
وَعُرَّةٌ وَضَاحُ الْمَكَارِمِ وَالنَّجَرِ ^(١)
فَعَزَّ حِمَى الْإِسْلَامِ بِالطَى وَالنَّشْرِ
فَيُنْتَلَى ثَنَاءُ الْمُلْكِ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ
وَتَضَطَّرِبُ الْآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ
وَأُطْلَعَتْ آرَاءُ قُبَسَنَ مِنَ الْفَجْرِ
فَعَنْ رَأْيِكَ الْمَيْمُونِ تَغْفَرُ بِالنَّصْرِ
وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ الْفَخَارِ عَلَى النَّسْرِ
بَأْوَتْ بِهِ يَابْنَ الْخَطِيبِ عَلَى الْفَخْرِ
وَبُنِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعْمٍ غُرَّ
وَسَهَّلْتَ لِي مِنْ جَانِبِ الزَّمَنِ الْوَعْرِ
وَشَرَفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
وَأَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَرَفَعْتَ مِنْ قَدْرِي
وَكُلُّ لِيَالِي الْعُمُرِ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ

(١) في الأصلين : « ومحمود » و « الفخر » موضع : « وعرة » . « والنجر » .

وما أثبتناه عن فتح الطيب .

(٢) و ط : « ومد ظلال المدل إن قصد » .

فَأَصْبَحْتُ مَقْبُوطًا عَلَى خَيْرِ نَفْعَةٍ نَقِلُ لِأَدْنَاهَا الْكَثِيرُ مِنَ الشُّكْرِ

قال :

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها ، صدرها :

* مالى يحمل الهوى يدان *

قال جامع هذا الموضوع ، وفقه الله تعالى :

هذه قد تقدمت في هذا الموضوع ، فراجعها .

نم قال : وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك :

وله مما يخاطب به
ابن الخطيب أيضا

حَيَّتْ صَبَاحًا فَأَحْيَتْ سَاكِنِي الْقَصْبَةِ ^(١)
قَفَى الْبَيَانُ لَهَا أَلَّا نَظِيرَ لَهَا
نَاجَتْ طَلِيحٌ ^(٢) سُرْمِي لَا يَسْتَفِيقُ لَهَا
فَحَرَّ كَتُّهُ عَلَى فَتْكَ الْكَلَالِ بِهِ
وَأَذْكَرَتْ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحْطِ
مَا كُنْتُ أَسْمَحُ مِنْ دَهْرِي بِجَوْهَرِهِ
سَلَّ أَدْمَعَ الْعَصَبِ مَنْ أَغْرَى السَّحَابَ بِهَا
فَاللَّهُ يَحْفَظُ مُهْدِيهَا وَيَشْكُرُهُ
مَنْ كَانَ وَارِثَ آدَابٍ ^(٣) يُشْعِشِعُهَا
هَذَا الْمَلَأُ مَلَأَ النَّاسَ قَاطِبَةً

وَاسْتَرْجَعَتْ أَنْفُسًا بِالشَّوْقِ مُفْتَصِّبَةً
فَأَخْرَزَتْ مِنْ مَعَانِي فَضْلِهِ ^(٤) قَصْبَةً
هَدَّتْ جَوَارِحُهُ وَاسْتَوَهْنَتْ عَصْبَةً
وَأَذْهَبَتْ بِسُرُورٍ الْمُلتَقَى نَصْبَةً
فَعَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ تَذْكَارِهِ وَصْبَةً
لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي بِالْقَلْبِ مَنْ غَصْبَهُ
وَقَلْبُهُ بِجِمَارِ الشَّوْقِ مَنْ حَصْبَهُ
فَوَجَّهَهَا بِعَصَابِ الْحُسْنِ قَدْ عَصْبَهُ
بِالْفَرَضِ إِنِّي فِي إِزْنِي لَهَا عَصْبَةً
سُبْحَانَ مَنْ لِفَيْثِ الْخَلْقِ قَدْ نَصْبَهُ

(١) في ط : « صاحب » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « خصله » ، وهما بمعنى .

(٣) في ط : « نجت طريق » وفيه تحريف ظاهر .

(٤) في نفع الطيب المخطوط : « يحفظ آدابا » .

وخطبه كذلك (١) :

طَأْتَتْهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحًا لَمَّا جَلَّتْ غُرُورَ الْبَيَانِ صَبَاحًا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَحُسْنِهَا وَجْهًا أَغْرَى وَمَنْسِيًا وَضَاحًا
عَذْرَاءَ أَرْضَعَهَا الْبَيَانُ لِبَانَهُ وَأَطَالَ مَنَسْدِي عِنْدَهَا وَمَرَّاحًا
فَأَنْتِ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ نَجِيهَا تُذَكِّي الْحَبَا وَتَنْعَمُ الْأَرْوَاحًا
لَا بَلَّ كَيْتِلِ الرُّوضِ بَاكَرُهُ الْحَيَا وَسَقَى بِهِ زَهْرَ الْكِمَامِ فَنَاحًا
وَطَوَتْ بِسَاطِ الشُّوقِ مِنِّي بَعْدَ مَا نَشَرْتُ عَلَى مِنْ الْقَبُولِ جَنَاحًا

وخطبه كذلك :

يُكَلِّفُنِي مَوْلَايَ رَجْعَ جَوَابِهِ وَمَا لِنَعَاطِي الْمُعْجَزَاتِ وَمَالِيَا
أَحْيَيْتُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفَدْتُ الْأَمَالِيَا
فَأَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مَنَسْرِ وَأَحْيَيْتَ (٢) آمَالِي وَأَكْسَبْتَ مَالِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي أَعْدَى الرِّمَانَ كَمَالَهُ وَصَيَّرْتَ أَحْرَارَ الرِّمَانِ مَوَالِيَا
فَلَا زِلْتَ لِلْفِعْلِ الْجَمِيلِ مُوَاصِلًا وَلَا زِلْتَ لِلشُّكْرِ الْجَزِيلِ مَوَالِيَا

وخطبه كذلك :

ذَرُونِي فَإِنِّي بِالْإِسْلَامِ خَبِيرُ أَسِيرُ فَإِنَّ النَّيِّرَاتِ تَسِيرُ
وَكَمْ بَتُّ أَطْوَى الْأَيْلِ فِي طَلَبِ الْعَلَا كَأَنِّي إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ سَفِيرُ
بِعِزِّهِ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رَوَاتِهِ يَكْرُهُ عَلَى ظُلْمَانِهِ فَيُنِيرُ
أَخُو كَلَفٍ بِالْمَجْدِ لَا يَسْتَفْرِهُ مَهَادٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَثِيرُ
ذَامَاطَوِي يَوْمًا عَلَى الدَّرِّ كَشَحَهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النِّمَاطِ نُشُورُ

(١) هذه القطعة متأخرة في النسخة التيمورية عن التي بعدها .

(٢) في ط وفتح الطيب : « وأحسبت » . وما أثبتناه من م .

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُنْعَجَ جَارُهُ
وَمَا تَعْتَرِينِي فَتْرَةٌ فِي مَدَى الْعَلَا
وَفِي السَّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقْتُ ظَلِيمَةً
وَتَمْنَعُ مَيْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهَوَى
أَسْكَانَ نَجْدٍ جَادَهَا وَكَيْفَ الْحَيَا
وَيَأْسَكُنِي بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مَنَى
ذَكَرْتُكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَالْبُحْدُ بَيْنَنَا
وَأَوْمَضَ خَفَاقَ الدُّوَابَةِ بَارِقُ
وَيَهْفُو فَوَادِي كَلَّمَا هَفْتُ ^(١) الصَّبَا
وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَذِ كُرْكٍ هَزَنِي
فَمَنْ مُبْلِغُ عَنِّي النَّوَى مَا يَسُوهُمَا
بَانَا غَدَا أَوْ بَعْدَهُ سَوْفَ نَلْتَقِي
إِلَى كَمْ أَرَى أَكِنِّي وَوَجْدِي مَضْرَحُ
أُمْنَجِدَ آمَالِي وَمُغْلَى كَاسِدِي
أَأْنَسِي—وَلَا أُنْسِي—مَجَالِسَكَ الَّتِي
نَزُورُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَنَنْشِي
عَلَى أَنْتِي إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ
نَرُوحُ وَنَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا
فَظَلَّكَ فَوْقَ حَيْثُمَا كُنْتُ وَارِفُ

لَتَسْبِي فَوَادِي أَعْيُنُ وَتُفُورُ
إِلَى أَنْ أَرَى لَحْظًا عَلَيْهِ فُتُورُ
تَصُولُ عَلَى أَلْبَابِنَا وَتَغْيِيرُ
وَتَبْخَلُ حَتَّى بِالْخِيَالِ يَزُورُ
هَوَاكُمُ بِقَلْبِي مُنْجِدٍ وَمُغْيِرُ
وَأَبْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِيرُ
فَدَدْتُهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ بِحُورُ
فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّهُ وَزَفِيرُ
أَمَّا لِفَوَادِي فِي هَوَاكِ نَصِيرُ
أَمِ الْكَأْسُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُورُ
وَالْبَسِينِ حُكْمُ يَغْتَدِي وَيَجُورُ
وَنُسِي وَمِنَا زَاثِرُ وَمَزُورُ
وَأَخْفِي أُنْمَ مَنْ أَهْوَاهُ وَهُوَ شَهِيرُ
وَمَصْدَرُ جَامِي وَالْحَدِيثُ كَثِيرُ
بَهَا تَلْتَقِي نَضْرَةً وَسُرُورُ
وَبَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ حَدِيثِكَ نُورُ
لَطَائِفُ لَمْ يُحْجَبْ لَهْنُ سُفُورُ
رَوَاحُ عَلَيْنَا دَائِمُ وَبُكُورُ
وَمَوْرِدُ آمَالِي لَدَيْكَ نَمِيرُ

[٣٤٢]

وَعُذْرًا فَإِنِّي إِن أَطَلْتُ فَإِنَّمَا قُصَارَايَ مِنْ بَعْدِ الْبَيَانِ قُصُورُ

وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وَحَقِّكَ مَا اسْتَطَعْتُ بِعَدِكَ غَمَضَةً
مِنْ النَّوْمِ حَتَّى آذَنَ النَّجْمُ بِالْعُرُوبِ^(١)
وَعَارَضْتُ مَسْرَمَى الرِّيحِ قُلْتُ لَعَلَّهَا
تَنِي بِرِيًّا مِنْكَ عَاطِرَةِ الْهُبُوبِ
إِلَى أَنْ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
مُحْيَاكَ إِذْ تُجَلَّى بِغُرْتِهِ الْخُطُوبِ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي اسْتَشْعِرِ الْإِنْسَ وَابْتَهِجْ
فَإِنْ تَبَعْدُ الْأَجْسَامُ لَمْ تَبَعْدُ الْقُلُوبِ
وَسِرْ فِي ضَمَانِ اللَّهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ
رَكَابُكَ لَا تَخْشَى الْحَوَادِثَ أَنْ تَنْوُبَ

ثم قال : وقال — بعد إيراد جملة من نظمه في النسيب وما يناسبه —
يصف مصباحا :

لَقَدْ زَادَنِي وَجْدًا وَأَعَزَّنِي فِي الْجَوَى
ذُبَالٌ بِأَذْيَالِ الظَّلَامِ قَدِ التَّفَا
تُشِيرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ مِنْهُ بَنَانَةٌ
مُخَضَّبَةٌ وَاللَّيْلُ قَدْ حَجَبَ الْكَفَا
تَلُوحُ سِنَانًا حِينَ لَا تَنْفُخُ الصَّبَا
وَتَبْدُو سَوَارًا حِينَ تَنْثِي لَهُ الْعِطْفَا
قَطَعْتُ بِهَا لَيْلِي بِطَارِحِي الْجَوَى
فَأَوْنَةً يَبْدُو وَأَوْنَةً يَحْفَى
إِذَا قُلْتُ لَا يَبْدُو أَشَالَ لِسَانَهُ
وَإِنْ قُلْتُ لَا يَحْبُو^(٣) الضِّيَاءُ بِهِ كَفَا
إِلَى أَنْ أَفَاقَ الصُّبْحُ مِنْ غَمْرَةِ الدُّجَى
وَأَهْدَى نَسِيمُ الرِّوْضِ مِنْ طَيْبِهِ عَرَفَا
لَكَ اللَّهُ يَا مِصْبَاحُ أَشْبَهْتَ مُهْجَتِي
وَقَدْ شَفَّهَا مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مَا شَفَا

[٣٤٣]

(١) عقب المقرئ على هذه الأبيات في نفع الطيب ج ٣ ص ٤٤٨ طبعة الأزهرية بقوله :
« قلت : هذه غاية في معناها لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومعناها » . والأبيات
من الطويل ، إلا أن التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلات الطويل .
(٢) في م : « الأمن » .
(٣) في نفع الطيب : « لا يخفى » .

وله في صدر
رسالة إلى ابن
الخطيب

ثم قال وكتب له صدر رسالة :

أزورُ بِقَلْبِي مَعَهْدَ الْإِنْسِ وَالْهَوَى
وَمَهْمَا سَأَلْتُ الْبَرْقَ يَهْفُو مِنْ الْحَمَى
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي تَعْلُلُ
وَهَلْ جِيرَتِي الْأُولَى كَمَا قَدْ عَهْدُهُمْ
وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِي النَّسِيمِ رَسَائِلًا
يُبَادِرُ بِهِ دَمْعِي مُجِيبًا وَسَائِلًا
أَبْرَعَى لِي الْحَيُّ الْكَرَامُ الْوَسَائِلَا
يُؤَالُونَ بِالْإِحْسَانِ مَنْ جَاءَ سَائِلَا
ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وقال يصف الزَّرَافَةَ في قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملك المغرب —
رحمه الله — وقد ورد عليه بها وفد الأحابش في هدية من ملكهم ، ونصها :

وله يصف
الزرافة ويمدح
مدح السلطان
أبا سالم

لَوْلَا تَأَلَّقُ بَارِقُ التَّذْكَارِ
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا
عَلَى^(١) الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعَهْدًا
أَمْذَكْرِي غَرْ نَاطَةً حَلَّتْ بِهَا
كَيْفَ التَّخْلُصُ لِلْحَدِيثِ وَدُونَهَا^(٢)
هَذَا عَلَى أَنَّ التَّغْرُبَ مَرَكَبِي
فَلَكُمُ أَقَمْتُ غَدَاةَ زُمْتُ عَيْسُهُمْ
وَطَفِيفْتُ أَسْتَقْرِى الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ
إِنَّا بَنِي الْأَمَالِ تَخْذَعُنَا الْمُنَى
نَتَجَسَّمُ الْأَهْوَالَ فِي طَلَبِ الْمَلَا
مَا صَابَ وَآكَفُ دَمْعِي الْمِدْرَارِ
قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ زَنْدُ أَوَارِي
أَنْ يُغْرِى الْأَجْفَانِ بِاسْتِعْبَارِ
أَيْدِي السَّحَابِ أُرِزَّةَ النَّوَارِ
عَرَضُ الْفَلَاةِ وَطَافِحِ زَخَارِ
وَتَوَلَّجَ الْفَيْحِ الْفَسَاحِ شِعَارِي
أَبْغَى الْقَرَارَ وَلَاتَ حِينَ قَرَارِ
يَمْحُو الْبُكَاهُ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
فَنُخَادِعُ الْآمَالَ بِالتَّسْيَارِ
وَتَرُوعُ سِرْبِ النَّوْمِ بِالْأَفْكَارِ

(١) في نفع الطيب : « وعلى » .

(٢) في نفع الطيب : « وبيننا » .

لَا يُعْزِزُ الْمَجْدَ الْخَطِيرَ سِوَى امْرِئٍ
إِلَّا^(١) يَفَاخِرُ بِالْعِتَادِ فَفَخْرُهُ
مُسْتَبْصِرٌ مَرَمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلٌ
فَاشِدٌ مَا قَادَ الْجَهْلُ إِلَى الرَّدَى
وَلَرُبَّ مُرَبَّدٍ الْجَوَانِحِ مُزِيدٍ
فَتَقَتْ كَمَا تُمْ جُنْحِهِ عَنْ أَنْجُمٍ
مَثَلَتْ عَلَى شَاطِئِ الْمَجَرَّةِ رُجْسًا
فَكَأَنَّمَا بَذَرُ التَّمَامِ بِجُنْحِهِ
وَكَأَنَّمَا خَسُّ الثَّرَيَّا رَاحَةً
أَسْرَجَتْ مِنْ عَزَمِي مَصَائِبَهَا
وَأَرْتَاعَ مِنْ بَارِي الصَّبَاحِ غُرَابُهُ
[ومنها] :

وَعَرِيبَةٌ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الْوَنَى
نَفْسِيهِ طَيْبَتُهُ الَّتِي قَدْ أَمَّا
يَقْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُسْتَمِيلٍ الدُّجَى
تَشْدُو^(٢) بِحَدِّ الْمُسْتَعِينِ خُدَاتُهَا
إِنْ مَسَّهُمْ لَفْحُ الْهَجِيرِ أَبْلَهُهُمْ
خَاصُوا بِهَا لُجَجَ الْفَلَاحِ فَتَخَلَّصَتْ
يَسِيدًا تَبِيدُ بِهَا مُهْومُ السَّارِي
وَالرَّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الْأَخْبَارِ
وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جُذُوءُ نَارٍ
يَتَمَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الْأَكْوَارِ
مِنْهُ نَسِيمُ نَفَائِكَ الْمِطْطَارِ
مِنْهَا خُلُوصَ الْبَذْرِ بَعْدَ سِرَارِ

(١) في ط : « من لا يفاخر » . وفي م وفتح الطيب : « لما يفاخر » ولعله عرف مما أثبتناه .

(٢) في الأصلين : « تحدو » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

سَلِمَتْ بِسَمْعِكَ مِنْ غَوَائِلِ مِثْلِهَا وَكَفَى بِسَمْعِكَ حَامِيًا لِلذِّمَارِ
وَأَنْتَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ غَرِيبَةٌ قَيْدُ النَّوَاطِرِ نَزَاهَةُ الْأَبْصَارِ
مَوْشِيَةُ الْأَغْطَافِ رَائِعَةُ الْحِلْيِ رَقَمَتْ بِدَائِعِهَا يَدُ الْأَقْدَارِ
رَاقِ الْعُمُيُونَ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهُ رَوْضُ تَفْتَحَ عَنْ شَقِيقِ^(١) بَهَارِ
مَا بَيْنَ مُبْيَضٍ وَأَصْفَرٍ فَارِقِ سَأَلَ الْأَلْبِينُ بِهِ خِلَالَ نُضَارِ
يَحْكِي حَدَائِقَ تَرْجِسٍ فِي شَاهِقِ تَنْسَابُ فِيهِ أَرَامُ الْأَنْهَارِ
تَحْدُو^(٢) قَوَائِمُ كَالْجُدُوعِ وَفَوْقَهَا جَبَلٌ أَشْمُ بَنُورِهِ مُتَوَارِ
وَسَمَتْ بِجِيدٍ مِثْلِ جِدْعٍ مَائِلِ سَهْلُ التَّمْطُفِ لَيْلٍ خَوَارِ
تَسْتَشْرِفُ الْجُدْرَانُ مِنْهُ تَرَائِبًا فَكَأَنَّمَا هُوَ قَائِمٌ عِمَارِ
نَاهَتْ بِكَأَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا وَمَشَى بِهَا الْإِعْجَابُ مَشَى وَقَارِ
خَرَجُوا لَهَا الْجِلْمُ الْغَفِيرُ وَكَلَّمُهَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ لُطْفِ صُنْعِ الْبَارِ
كُلٌّ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ الْجِبَالُ تُقَادُّ بِالْأَنْسِيَارِ
أَلْقَتْ بِيَابِكَ رَحْلَهَا وَلَطَالَمَا أَلْقَى الْغَرِيبُ بِهِ عَصَا التَّسْيَارِ
عَلِمَتْ مَلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ^(٣) فِي مِضَارِ
يَتَّبِعُونَ بِهِ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى مِنْ جَاهِكَ الْأَعْلَى أَعَزُّ جَوَارِ
فَارْفَعِ لَوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعِ وَاسْحَبْ ذِيُولَ الْعُسْكَرِ الْجَرَارِ
وَاهْنًا بِأَعْيَادِ الْفُتُوحِ مُحَوَّلًا مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرِ وَ مِنْ أَنْصَارِ
وَالْيَسْكَاهِ مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْعَةً شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ

[٣٤٥]

(١) كذا في الأصلين ونفع الطيب ولعلها : « شتيت » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب .

(٣) في ط : « لملك » .

فِي فَضْلِ مَنْطِقِهَا وَرَوْتِي^(١) رَشِيمَهَا مُسْتَمْتَعُ الْأَتْعَامِ وَالْأَبْصَارِ
وَتُمِيلُ مِنْ أَصْنَى لَهَا فَكَأَنِّي عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كُثُوسَ عُقَارِ

وله يستنجز
كتاب المغرب
ميلادياتهم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك
ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدت قصائدهم ، واستنجز بعد ذلك وعدم
بتقييد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها ، منها :

أَكْتَبَيْتَ الْكِتَابَ أَيْدِ جَمْعِكُمْ بَعْنَانِيَةِ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
لَا تَمْطُلُوا دِينَ الْغَرِيبِ فَإِنِّي مِنْكُمْ وَإِنْ رَغَمْتَ لِذَلِكَ حُسْدِي
زَيَّنْتُمْ حَقْلَ الْبَيَانِ بِسِحْرِكُمْ الْيَوْمَ زَيْنَةُ سِحْرِكُمْ مِنْ مَوْعِدِ
فَلْتَسْمَحُوا لِي بِالْقَصَائِدِ عَاجِلًا وَلِتَبْلُغُوا مِمَّا أُؤْمَلُ مَقْصِدِي
وقال أيضاً :

أَيَا عَلِيَّةَ الْكِتَابِ دَعْوَةَ مُنْصِفٍ عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِي مَقْطَعِ الْحَقِّ يَسْتَعْدِي
مَمْحُومٌ بِنَظْمِ الدَّرِّ فِي لَبَّةِ الْمَلَا فَكَمْ رَاقٍ مِنْ سَمَطِ هُنَاكَ وَمِنْ عَقْدِ
فَكَأَنَّكُمْ أَنْ تَسْمَحُوا لِي بِكِتَابِهَا فَتَسْتَجِزُوا شُكْرِي وَتَسْتَوْجِبُوا أَحْدِي
وقال أيضاً :

مَا عَذَرْتُكُمْ^(٢) أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا مُلِّكْتُكُمْ كَفَّ الْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
فَلْتَبِعُونِي إِلَى كُلِّ بَكْرٍ فَذَّةٌ تَأْتِي بِفَخْرِ خِلَالِهَا وَسَطَ النَّدَى

وله إليهم أيضاً
في المعنى المتقدم

وكتب إليهم في المعنى أيضاً وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من

نظمه [تلك الليلة] :

(١) في نفع الطيب : « ورائق » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « ما ضرركم » .

ظِلَالِكُمْ تَنْدَوُ^(١) وَمَوْرِدُكُمْ عَذْبُ
وَأَنْتُمْ وَمَا أَنْتُمْ غَنَائِمُ رَحْمَةٍ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا وَانْظُرُونَا بِفَضْلِكُمْ
أَلَيْتُ الْهَوَى حَتَّى أَنْسَتْ بِجَوْرِهِ
وَقُلْتُ لِحَسْبِي إِنَّهُ ثَوْبُكَ الضَّنَى
وَقَالُوا صَبَا وَالشَّيْبُ لَاحَ صَبَاحُهُ
نَهَيْتُ عَذَارَى الْحَى كَلِيلَةَ عَرْضِهَا
وَلَمْ أَرْ مِنْهَا غَيْرَ رَجْعِ حَدِيثِهَا
عِرَابٌ إِذَا اسْتَنْتَ بِشَاوٍ بِلَاغَةٍ
وَإِنْ أَسْنَدْتَ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَحَاجِرٍ
فَمَنْعَهُ صِدْقٌ لِلْخِلَافَةِ قَدْ ضَفَّتْ
وَجَوْزٌ صَقِيلٌ قَدْ جَلَّتَهُ يَدُ الصَّبَا
فَلَوْلَا أَلْتِي مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى
وَلَكِنْ نَهَانِي الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى
فَلَا تَمْطُلُوا دِينَ الْمَلَلِ عَنْ غَنَى
وَإِنْ لَمْ تَرَوْنِي كُفَّهِنَّ تَرْفَعًا
فَقَوْلَايَ قَدْ أَهْدَى الْعَمِيدَ عَقِيلَةً
أَدَارَتْ كُثُوسًا مِنْ مُدَامٍ صَبَابَةٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَوْعِدُهُ يَوْمُهُ غَدٌ

وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمَلْحِ لِي شَرْبُ
تَصُوبُ وَأَحْلَامُ الْعُقَاةِ لَهَا تَصْبُو
لِنَقَبِسَ نُورًا لَا يَحْيِبُ وَلَا يَخْبُو
فَكُلُّ عَذَابٍ نَأَلْنِي فِي الْهَوَى عَذْبُ
وَقُلْتُ لِقَلْبِي إِنَّهُ إِلْفُكَ الْحُبُ
فَقُلْتُ بِيْفَيْضٍ كَالصَّبَاحِ أَنَا صَبُ
وَقَدْ جُلَيْتُ مِنْهَا لِمُبْصِرِهَا شُهْبُ
فَتَجَهَّلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونِ اللَّحَاقِ لَهَا الْغُرْبُ
تَقُولُ رُؤَاةُ الشَّرْقِ يَا حَبْدَا الْغُرْبُ
عَلَى مَنْ حَوَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ حُجْبُ
يُسَافِرُ طَرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
لَحَقَتْ بِهِ أَحْوَالِي الْأَبَارِيقِ وَالشَّرْبُ
إِذَا لَمْ يُتَبَخَّ مِنْ أَحَبُّ لِي الْقُرْبُ
فَجَاءَ بَكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ
وَصَدَّكُمْ مِنْ دُونِ خِطْبَتِهَا خُطْبُ
يُكَلِّلُهَا مِنْ لَفْظِهَا الْوُلُوءُ الرُّطْبُ
كَأَمْتَزَجَ الصَّبَاءِ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَوَاجِهُكُمْ مَنَى عَلَى مَطْلَبِي الْعَتْبُ

أَكْتَابَ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ أَحْمَدَ وَحَسَبَكُمْ الْفَخْرُ الْعَمِيمُ بِهِ حَسَبُ
بِهِ اغْتَرَبَ الْآدَابُ وَأَمْتَدَّ بَاعُهَا وَطَالَتْ يَدَاهَا وَأُسْتَخَفَّ بِهَا الْعُجْبُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالْفَضْلِ تَنَفَّقُ سَوْفَهَا لَكَانَ يُقَالُ التَّبَرُّ فِي أَرْضِهِ تَرْبُ
بَقِيَّتُهُ بِهِ فِي ظِلِّ جَاهٍ وَغَبْطَةٍ تَخُبُّ إِلَى لُقْيَا نَجِيحِكُمُ النُّجْبُ

وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبي دلامة منهم ، وقد أجابه رحمة الله تعالى عليه :

وله في مراجعة
الكاتب أبي
زكريا بن أبي
دلامة

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ أَتَنَى مَعَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَأَحْيَيْتَ يَا يَحْيَى بِهَا نَفْسَ مُغْرَمٍ يُجِيلُ جِيَادَ الدَّمْعِ فِي مَلْعَبِ الشَّهْدِ
نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى وَقَائِي وَخَلَّتِي وَأَقْفَرُ رِبْعُ الْقَلْبِ إِلَّا مِنَ الْوَجْدِ
وَمَا أُلْطَلُّ فِي ثَغْرِ مِنَ الزَّهْرِ بِاسْمِهِ بِأَذْكَى وَأَضْفَى مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ وَدِّي
فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِرَا تَنْظَمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِي فِي عِقْدِ
وَكُنْتُ أَطِيلُ الْقَوْلَ لَوْلَا ضَرُورَةٌ دَعَتْنِي إِلَى الْإِيحَازِ فِي سُورَةِ الْحَمْدِ

[٣٤٧]

وأنشد السلطان أبا العباس المذكور في غراب من إنشائه :

وله في السلطان
أبي العباس

إِنْ سَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا يَحْفَكَ مِنْهُ طَائِرُ الْيَمَنِ وَالسَّعْدِ
إِذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّومِ شِرَاعُهُ أَرَاكَ جَنَاحًا مَدًّا لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ
وَأَنْشَدُهُ فِيهِ أَيْضًا :

لَكَ الْخَيْرُ شَأْنُ الْجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ وَهَذَا بَعَيْنِ اللَّهِ يَحْرُسُ دَائِمًا
تَبَيْتُ لَهُ سَخْسُ الثَّرِيًّا مُعِيدَةً تَقْلُدُهُ زَهْرُ النُّجُومِ تَمَائِمًا

فَيَا جَفْنُ لَا تَنْفَكْ فِي الْحِفْظِ دَائِمًا وَإِنْ كُنْتَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ عَائِمًا
انتهى ما انتقيته من هذا التأليف الملوكي مع أني تركت أكثره .

قلت : وإنما أطلت في كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجوه :
أولها : أن الذي ألّفْتُ الكتاب من أجله راغبٌ في ذلك .

للمؤلف في سبب
إطالة الحديث
عن ابن زمرك

الثاني : ولوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدي الإمام
العلامة المؤلف الكبير أبو العباس أحمد الشهير بابا السوداني رحمه الله ، بعد
أن ذكر في التعريف به نحو عشرين سطرًا^(١) : إني لم أقف في أمره على غير
هذا ، ولم أقف على وفاته . وبالجملة فالذي تكلم خواص الناس فيه من أمره هو
ما في الإحاطة والكتيبة ؛ وأما الجم الغفير فهم بمعزل عما في الكتاين فضلا
عن غيره .

الرمح الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندي مقيداً في عدة أوراق ،
نخفت عليه الدروس ، فلذا جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخيال وغير ذلك من الغرائب ،
وليس الخبر كالعيان .

الخامس : ما في بعضه من أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو
المقصود بالذات وغيره تبع ، وهو في مسك ختام هذه الأوجه الخمس ، وليس
يحتاج إلى دليل نور القمر والشمس .

وقد عنّ لي أن أذكر جملة من موشحاته لغرايتها ، ولأن جل ما وقفت عليه
منها ينخرط في سلك المعرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

من موشحات
ابن زمرك

(١) يشير المؤلف إلى كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا ، وهو
تذييل على كتاب الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون .

موشعة له في
الشوق إلى
غمرناطة

فمن ذلك قوله تشوقاً إلى غمرناطة — أعادها الله — ومادحاً الغنى بالله :
 بِاللّٰهِ يَا قَامَةَ الْقَضِيبِ وَتُحْجِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 مَنْ مَلَكَ الْحُسْنَ فِي الْقُلُوبِ وَابْدَأَ اللَّحْظَ بِالْحَوَزِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقًا لَمْ يَذَرِ مَا لَدَهُ الصَّبَا
 قَرُبَ حَرٍّ ^(١) غَدَا رَقِيقًا تَمْلِكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا
 نَشْوَانَ لَمْ يَشْرَبِ الرِّحِيقَا ^(٢) لَكِنْ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا
 فَمَذَّبَ الْقَلْبَ بِالْوَجِيبِ وَنَعَمَ الْعَيْنَ بِالنَّظَرِ
 وَبَاتَ وَالْدَمْعُ فِي صَبِيبِ يَقْدَحُ مِنْ قَلْبِهِ الشَّرَرُ
 أَوَاهٍ ^(٣) مِنْ قَلْبِي الْمَعْنَى يَهْفُو إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ
 لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مَا تَمْنَى لَطَارَ شَوْقًا بِلاَ جَنَاحِ
 وَبُلْبُلُ الدُّوْحِ إِنْ تَعْنَى أَسْهَرُ لَيْلَى إِلَى الصَّبَاحِ
 عَسَاكَ إِنْ زُرْتَ يَا طَبِيبِي بِالطَّيْفِ فِي رَقْدَةِ السَّحَرِ
 أَنْ تَجْعَلَ النَّوْمَ مِنْ نَصِيبِي وَالْعَيْنَ تَخْمِي مِنَ السَّهَرِ
 كَمْ شَادِنٍ قَادَ لِي الْحُتُوفَا بِمَرْبَعِ الْقَلْبِ قَدْ سَكَنَ
 يَسْلُ مِنْ لَحْظِهِ سَيُوفَا فَالْقَلْبُ بِالرَّوْعِ مَا سَكَنَ
 خَلَقْتُ مِنْ عَادَتِي أَلُوفَا أَحْنُ لِلْإِلْفِ وَالسَّكَنِ
 غَرْنَاطَةً مَنَزِلُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهَا السُّؤْلُ وَالْوَطَرُ

(١) في الأصلين : « من قد » مكان قوله : « حر » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٢) في الأصلين : « الرقيقا » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٣) في نفع الطيب : « عجبت » مكان قوله : « أواه » .

تَبَهَّرُ بِالْمَنْظَرِ الْمَجِيبِ فَلَا عَدَا رَبْعًا مَطَرُ
عَرُوسَةٌ^(١) تَأْتِيهَا السَّبِيكَةُ وَزَهْرُهَا الْحَلَى وَالْحُلَلُ
لَمْ تَرْضَ مِنْ عِزِّهَا شَرِيكَهَ بِحُسْنِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ
أَبَدَهَا اللَّهُ مِنْ مَلِيكَهَ تَمْلِكُهَا أَشْرَفُ الدُّوَلِ
بِدَوْلَةِ الْمَرْتَجَى الْمَهِيْبِ^(٢) الْمَلِكِ الطَّاهِرِ الْأَغْرَ
تَخْتَالُ مِنْ بُرْدِهَا الْقَشِيبِ فِي حُلَّةِ الثَّوْرِ وَالزَّهْرِ
كَرْسِيهَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ مِرَاتِنَا صَفْحَةُ الْقَدِيرِ
وَجَوْهَرُ الطَّلِّ فِي^(٣) شُنُوفِ تُحْكِمُهُ صَنْعَةُ الْقَدِيرِ
وَالْأَنْسُ فِيهَا عَلَى صُنُوفِ فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ
كَمْ خَرَقَ الزَّهْرُ مِنْ جُبُوبِ^(٤) وَكَلَّلَ الْقُضْبَ بِالذَّرَرِ
فَالْفَضْنُ كَالْكَاعِبِ اللَّعُوبِ وَالطَّيْرُ تَشْدُو بِلَا وَتَرِ
وَلَا نَمُ النَّصْرِ فِي أَحْتِفَالِ وَفَرَحُ دَيْنِ الْهَدَى^(٥) جَدِيدِ
سُلْطَانِهَا مُعْمِلُ^(٦) الْعَوَالِي مُحَمَّدُ الظَّافِرُ السَّعِيدِ
وَتُخْجَلُ الْبَذْرِ فِي الْكَمَالِ سُلْطَانُهَا الْمُجْتَبَى الْفَرِيدِ
أَصْفَحُ مَوْلَى عَنِ الذُّنُوبِ أَسْرَمُ عَافٍ إِذَا قَدَرِ
وَشَمْسُ هَدْيٍ بِلَا مَغِيبِ وَبَحْرُ جُودٍ بِلَا حَسَرِ

(١) في ط : « فهي عروس » . وما أبتناه عن م ونفع الطيب المطبوع .

(٢) في نفع الطيب المخطوط : « المجيب » .

(٣) في ط ونفع الطيب « عن » .

(٤) في ط : « مرق » .

(٥) في نفع الطيب : « الهوى » .

(٦) في ط : « يعمل » .

مَوْلَايَ يَا عَاقِدَ الْبُنُودِ تُظَلِّلُ الْأَوْجُهَ الصَّبَاحُ
أَوْحَشْتَ يَا نُخْبَةَ الْوُجُودِ غَرَنَاطَةً هَالَةً السَّمَاحُ
سَافَرْتَ بِالْيَمِينِ وَالشُّعُودِ وَعُدْتَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحُ
يَا مُلْهَمَ الْقَلْبِ لِلْغُيُوبِ وَمُطْعَمَ ^(١) النَّصْرِ وَالظَّفَرِ
أَسْمَعَكَ اللَّهُ عَنْ قَرِيبٍ : « عَلَى السَّلَامَا مِنَ السَّفَرِ »

وقال أيضاً من الموشحات الفاتحة ^(٢) ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار
إلى محاسن من وُصف « الرِّشَاد » :

نَسِيمُ غَرَنَاطَةٍ عَلِيلُ لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلِ
وَرَوْضُهَا زَاهِرٌ بَلِيلُ ^(٣) وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْغَلِيلِ
سَقَى بِبَنَجِدٍ رَبًّا الْمُصَلَّى مُبَاكِراً رَوْضَهَا ^(٤) الْعَمَامِ
فَجَفَّنُهُ كُلَّمَا اسْتَهَلَّا تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكِمَامِ
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى ^(٥) وَجَرَّدَ النَّهْرُ عَنْ حُسَامِ
وَدَوَّحُهَا ظِلُّهُ ظَلِيلُ يَحْسُنُ فِي رَبْعِهِ اللَّقِيلِ
وَالْبَرْقُ وَالْجَوْ مُسْتَطِيلُ يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلِ
عَقِيلَةٌ تَاجُهَا السَّبِيكَةُ تُظِلُّ ^(٦) بِالْمَرْقَبِ الْمَنِيفِ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَةُ كُرْسِيَّهَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ

(١) كذا في ط ونفع الطيب المطبوع . وفي م : « مطعم » .

(٢) في نفع الطيب : « الراتقة » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « مزهر جليل » . وفي نفع الطيب : « زهره بليل » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « روضة » ، وفي نفع الطيب : « روضه » .

(٥) في نفع الطيب المخطوط : « تحلى » .

(٦) كذا في نفع الطيب المطبوع . والذي في الأصلين والنفع المخطوط : « تظل » .

ومن موشحاته
في وصف مبنى
الرشاد

تُطْلِعُ^(١) مِنْ عَسَجِدٍ سَبِيكَةٍ شَمُوسُهَا كُلَّمَا تُطِيفُ
أَبْدَعَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ يَا مَنْظَرًا كُلَّهُ جَمِيلُ
قَلْبِي إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ وَقَبْلَنَا قَدْ صَبَا جَمِيلُ
وَزَادَ لِلْحُسْنِ فِيكَ حُسْنًا مُحَمَّدُ الْحَمْدِ وَالسَّامِحُ
جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَغْنًى^(٢) فِي طَالِعِ الْيَمَنِ وَالْمَجَاحُ
تُدْعَى رَشَادًا^(٣) وَفِيكَ مَغْنًى يَخْصُكَ الْقَالُ بِافْتِتَاحُ
فَالنَّصْرُ وَالسَّعْدُ لَا يَزُولُ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلُ
سَعْدٌ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ آبَاؤُهُ عِزَّةُ الرَّسُولِ
أَبْدَى بِهِ حِكْمَةَ الْقَدِيرِ وَتَوَجَّحَ الرَّوْضَ بِالْقَبَابِ
وَدَّرَعَ الزَّهْرَ بِالْغَدِيرِ وَزَيْنَ النَّهْرِ^(٤) بِالْحَبَابِ
فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ مَا أَوْلَعَ الْحُسْنَ بِالسَّبَابِ
هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا الْقَبُولُ وَطَرَفُهَا^(٥) بِالشَّرَى كَلِيلُ
فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهَا يَجُولُ حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولُ
لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُقُومُ تَلُوحُ لِلْعَيْنِ كَالنَّجُومِ
وَاللَّيْلِ بَيْنَهَا رُسُومُ عَقْدُ النَّدَى فَوْقَهُ نَظِيمُ
وَكُلُّ وَادٍ بِهَا يَهِيمُ وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومُ

(١) في نفع الطيب : « تطيع » .

(٢) في نفع الطيب المطبوع : « مبنى » .

(٣) في ط (هنا) : « دثارا » .

(٤) في ط : « الزرع » وفي م : « الدرع » . وما أنبتناه عن نفع الطيب .

(٥) في نفع الطيب المخطوط : « وروضها » .

شَبَّلَهَا مَدَّ مِنْهُ نَيْلُ وَالشَّيْنُ أَلْفُ لُئْسَتَيْنِ
وَعَيْنُ وَادٍ بِهَا ^(١) تَسِيلُ مِنْ فَوْقِ خَدِّ لَهُ أَسِيلُ
كَمْ مِنْ ظِلَالٍ بِهِ تَرْفُ تَضْفُو لَهَا فَوْقَهُ سُتُورُ
وَمِنْ زُجَاجٍ بِهِ يَشِفُ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نَوْرُ
وَمِنْ شُمُوسٍ بِهَا تُصَفُّ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا الْبُودُورُ
مِرَاجُهَا الْعَذْبُ سَلَسِيلُ يَأْهَلُ إِلَى رَشْفِهَا سَبِيلُ
وَكَيْفَ وَالشَّيْبُ لِي عَذُولُ وَصِبْغُهُ صُفْرَةُ الْأَصِيلُ
يَا سَرَحَةً فِي الْحِمَى ظَلِيلَهُ كَمْ نِلْتُ فِي ظِلَالِ الْمُنَى
رَوْضَكَ اللَّهُ مِنْ خَيْلِهِ يُجَنِّي بِهَا أَطْيَبُ الْجَنَى
وَبَرَقُهَا صَادِقُ الْمَخِيلَهُ مَا زَالَ بِالْغَيْثِ مُحْسِنَا
أُنْجَزَ لِي وَعِنْدَكَ الْقَبُولُ فَلَمْ أَقُلْ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ
«يَا سَرَحَةً الْحَيَّ يَا مَطُولُ شَرَحُ الَّذِي بَيْنَنَا يَطُولُ» ^(٢)

ومن ذلك ما كتب به للغنى بالله :

[٣٥١]

أَبْلَغُ لِفِرْنَاطَةٍ سَلَامِي وَصِفْ لَهَا عَهْدِي السَّلِيمُ
فَلَوْ رَعَى طَيْفُهَا ذِمَامِي مَا بَثَّ فِي لَيْلَةِ السَّلِيمِ
كَمْ بَثَّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحِ أَعْلَى مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابِ
أَدِيرُ مِنْهَا كُتُوسَ رَاحِ قَدْ زَانَتْ ^(٣) الثَّغَرَ بِالْحَبَابِ

ومن موشحاته
إلى الغنى بالله

(١) كذا في نفع الطيب المطبوع . وفي الأصلين والنفع المخطوط : « به » .
(٢) هذا البيت مطلع مقطوعة للسان الدين بن الخطيب ، أوردها المقرئ في نفع الطيب (ج ٤ ص ٦٠) طبعة الأزهرية .
(٣) في م ونفع الطيب : « زانها » .

أَخْتَلَّ كَالْمُهْرِ فِي الْجَمَاحِ نَشَوَانٌ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ
أَصْلَحَ الزَّهْرُ فِي الْكِتَامِ مُبَاهِيًا رَوْضَهُ الْوَسِيمِ
وَأَفْضَحَ النَّصْنُ فِي الْقَوَامِ ابْنُ هَبٍّ مِنْ جَوْهَا نَسِيمِ
بَيْنَنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافِي وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَسْدِيدِ
وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافِي وَبُرْدُهُ ^(١) رَائِقٌ جَدِيدِ
إِذْ لَاحَ فِي الْقَوْدِ غَيْرَ خَافِي صُبْحٌ بِهِ نُبَّةُ الْوَلِيدِ
أَبْقَطَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْعَمَامِ فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمِ
يَا جَبِرَةَ عَهْدُهُمْ كَرِيمِ وَفَعِلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلِ ^(٢)
لَا تَعْذِلُوا الصَّبَّ ^(٣) إِذْ يَهِيمُ فَقَبْلَهُ قَدْ صَبَا جَمِيلِ
الْقُرْبُ مِنْ رَبِّعِكُمْ نَعِيمِ وَنَعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلِ
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وَسَامِ يُزْهِى بِهَا الرَّائِدُ ^(٤) الْمُسِيمِ ^(٥)
غَدِيرُهَا أَرْزَقُ الْجَمَامِ وَنَبْتُهَا كُلُّهُ جَمِيمِ ^(٦)
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي بِفَاسِ أَكَابِدُ الشَّوْقِ وَالْحَنِينِ
أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَائِي فَالْيَوْمُ فِي الطُّولِ كَالسَّنِينِ

(١) في الأصلين : « وبرقه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) في م : « وكل فعل لهم جميل » .

(٣) في م : « القلب » .

(٤) في نفح الطيب : « الرائض » .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي م : « السليم » وفي ط : « الوسيم » .

(٦) كذا في نفح الطيب المطبوع . وفي ط : « تميم » ، وفي م : « بهيم » .

اللَّهُ حَسْبِي فَكَمْ أَقَامِي مِنْ وَخْشَةِ الصَّخْبِ وَالْبَيْنِ
 مُطَارِحًا سَاجِعَ الْحَمَامِ شَوْقًا إِلَى الْإِلْفِ وَالْحَمِيمِ
 وَالذَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي انسِجَامِ وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمِ
 يَا سَاكِنِي جَنَّةِ الْعَرِيفِ أَسْكَنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ
 كَمْ نَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفِ قَدْ حُفَّ بِالْيَمَنِ وَالشُّعُودِ
 وَرُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ أَدْوَاهُ الْخَضِرُ كَالْبُنُودِ
 وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَالْحُسَامِ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمِ
 وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ مُقَبَّلًا رَاحَةَ النَّدِيمِ
 بَلَغَ عُيُودَ الْمَقَامِ صَحْبِي لَا زِلْتُمْ الدَّهْرَ فِي هَنَا
 لِقَاكُمْ بُغْيَةُ الْمُحِبِّ وَقُرْبُكُمْ غَايَةُ الْمُنَى
 فَعِنْدَكُمْ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي فَجَدَّدَ اللَّهُ عَنْدَنَا
 وَدَارَكَ الشَّمْلَ بِانْتِظَامِ مِنْ مُرْتَجَى ^(١) فَضْلِهِ الْعَمِيمِ
 فِي ظِلِّ سُلْطَانِنَا الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ الْحَلِيمِ ^(٢)
 مُؤَمِّنِ الْمُدَوَّنِينَ مِمَّا يُخَافُ مِنْ سَطْوَةِ الْعِدَا
 وَفَارِجِ الْكَرْبِ إِنْ أَلَمَّا وَمُذْهِبِ الْخَطْبِ ^(٣) وَالرَّدَى
 قَدْ رَاقَ حُسْنًا وَفَاقَ حِلْمًا وَمَا عَادَا غَيْرَ مَا بَدَا
 مَوْلَايَ يَا نُجْبَةَ الْأَنَامِ وَحَازَرَ الْفَخْرَ فِي الْقَدِيمِ
 كَمْ أَرْقُبُ الْبَدْرَ فِي التَّمَامِ شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ

[٢٠٢]

(١) كذا في ط. وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط: «من يرتجى».

(٢) في م ونفع الطيب: «الحليم».

(٣) في م: «الكرب».

ومن موشحاته
معارضا ابن سهل

ومن موشحاته في غير المخلع ، موطئا على موشحة ابن سهل التي أولها :

« ليل الهوى يقظان »

قوله :

تَوَاسِمُ البُسْتَانَ	تَنْتُرُ سِلَكَ الزَّهَرِ
وَالطَّلُ فِي الْأَغْصَانِ	يَنْظِمُهُ بِالْجَوْهَرِ
وَرَايَهُ ^(١) الإصْبَاحُ	أَضَاءَ مِنْهَا الْمَشْرِقُ
تَنْشُرُهَا الْأَرْوَاحُ	فَلَا تَزَالُ تَخْفِقُ
وَالزَّهْرُ زَهْرُ فَاحٍ	لَهَا عَيُونَ تَزْمُقُ
فَأَيِّظُ الثُّدَمَانَ	تُبْصِرُ مَا لَمْ يُبْصِرِ
جَوَاهِرَ الشَّهْبَانَ ^(٢)	قَدْ عُرِضَتْ لِلْمُشْتَرَى
قَدَحْتُ لِي ^(٣) زَنْدًا	يَأْيُئْهَذَا الْبَارِقُ
أَذْكُرْتَنِي عَهْدًا	إِذِ الشَّبَابُ رَائِقُ
فَالشَّوْقُ لَا يَهْدَا	وَلَا الْفَوَادُ الْخَافِقُ
وَكَيْفَ بِالشَّلْوَانِ	وَالْقَلْبُ رَهْنُ الْفِكْرِ
وَسُحْبُ الْمَجْرَانِ	تَحْجُبُ وَجْهَ الْقَمَرِ
لَوْلَا شُمُوسُ الْكَأَمِ	نُدِيرُهَا بَيْنَ الْبُدُورِ
وَعَرَجَ الْإِنْسَانِ	مِنَّا عَلَى رَبْعِ الصُّدُورِ

[٣٠٣]

(١) في نفع الطيب : « وراحة » .

(٢) كذا في م . والقمبان : جمع قباب . وفي نفع الطيب : « الشبان » ، وهو تحريف .
وفي ط : « الهليان » .

(٣) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « له » .

لَكِنَّ لَهَا وَشَوَاسِنَ يُغْرِى بَرَبَاتِ الْخُدُوزِ
كَمْ وَالِهِ هَيْئَانُ بِصُبْحِ وَجْهِ مُسْفِرِ
ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانَ مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُقْمِرِ
يَا مَطْلَعَ الْأَنْوَارِ كَمْ فِيكَ مِنْ مَرَأَى حَمِيلِ
وَنُزْهَةِ الْأَبْصَارِ مَا ضَرَّ لَوْ تَشْنَى الْعَلِيلِ
يَا رَوْضَةَ الْأَزْهَارِ وَعَرَفُهَا يُبْرِى الْعَلِيلِ
قَضِيبُكَ الْفَيْنَانُ يُسْقَى بِدَمْعٍ هَمِيرِ
فَلَا عِجُ الْأَشْجَانِ فَيُضِ الدُّمُوعُ يُجْرِي (١)
هَلْ فِي الْهَوَى نَاصِرُ أَوْ هَلْ يُجَارُ الْهَائِمُ
لَوْ كَانَ لِي زَائِرُ طَائِفُ الْخَيَالِ الْحَائِمِ
مَا بَتَ بِالسَّاهِرِ وَدَمْعُ عَيْنِي سَاجِمُ
وَالْحُبُّ ذُو عُدْوَانِ يَجْهَدُ فِي ظُلْمِ الْبَرَى
وَصَارِمُ الْأَجْفَانِ مُؤَيَّدٌ بِالْحَوَرِ
رُحْمَاكَ فِي صَبٍّ أَذْكَرْتَهُ عَهْدَ الصَّبَا
بَوَاعِثُ الْحُوبِ قَادَتْ إِلَيْهِ الْوَصْبَا
لَمْ تَهْفُ بِالْقَلْبِ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا (٢)
بَلِيلَةَ الْأَزْدَانِ قَدْ ضَمَعَتْ بِالْعَنْبَرِ
يُشِيرُ غُصْنُ الْبَانِ مِنْهَا بِفَضْلِ الْمُنْزَرِ

(١) في ط: « يعتر ». ولعلها محرفة عن: « يعمر ».

(٢) في نفع الطيب: « هبا ».

طَيِّبَهَا خَذَ فَخَرَّ الْمُلُوكُ الْمُجْتَبَى
 مَنْ يَرْجُحُ الطَّوْدَ مِنْ حِلْمِهِ إِذَا احْتَبَى
 قَدْ جَرَّدَ السَّفَدَ مِنْهُ حُسَامًا مُذْهَبًا
 فَالْبَاسُ وَالْإِحْسَانُ وَالْفَوْتُ الْمُسْتَنْصِرُ
 تَحْمِلُهُ الرُّكْبَانُ تَحِيَّةً لِلْمُنِيرِ
 عِصَابَةُ الْكُتَّابِ حَقٌّ لَهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
 تَخْتَالُ فِي أَثْوَابِ أَلْبَسَهَا الطَّوْلُ الْجَسِيمُ
 فَحَسَبُهَا الْإِطْنَابُ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعِيمُ
 خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ لَا زِلْتَ زَاهِيًا^(١) الْمَظْهَرُ
 يَا مَوْرِدَ الظُّمَانِ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ
 خُذْهَا بِلَا دَعْوَى تُزْهِى عَلَى الرُّوضِ الْوَسِيمِ
 جَاءَتْ كَمَا تَهْوَى أَرْقَ مِنْ لَدُنِ النَّسِيمِ
 قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٢)
 «لَيْلُ الْهَوَى يَفْظَانُ وَالْحُبُّ تَرْبُ السَّهَرِ
 وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرَى»

ومن موشعاته
في الصبوحيات

ومن مُخَلِّع البسيط في الصَّبُوحِيَّاتِ قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضى عنه :
 رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطْلَتْ خَضِرَاءَ بِالزُّهْرِ تَزْهَرُ

(١) في م ونفع الطيب : « سَامِي » .

(٢) في ط : « النَّسِيمِ » . وما أنبتاه عن م ونفع الطيب .

ورَايَةُ الصُّبْحِ إِذْ (١) أَظَلَّتْ فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ (٢) تُنْشَرُ
فَالشُّهْبُ مِنْ غَارَةِ الصَّبَاحِ تَرَعَدُ خَوْفًا وَتَحْفَقُ
وَأَذْهَمُ اللَّيْلِ فِي جِمَاحِ أَعْنَّةَ الْبَرْقِ يُطْلِقُ
وَالْأَفَقُ فِي مُلْتَقَى الرِّيَّاحِ بِأَذْمَعِ الْغَيْثِ يَشْرِقُ
وَالسَّحْبُ بِالْجَوْهَرِ اسْتَهَلَّتْ فَالْبَرْقُ سَيْفُ جَوْهَرِ
صِفَاحُهُ الْمَذْهَبَاتُ حَلَّتْ فِي رَاحَةِ الْجَوِّ تُشْهَرُ
كَمْ لِلصَّبَا نَمٍّ مِنْ مَقِيلِ بِطَيْبِهِ الزَّهْرُ يَشْهَدُ
وَالنَّهْرُ كَالصَّارِمِ الصَّقِيلِ فِي حَلِيَّةِ (٣) النَّوْرِ يُغْمَدُ
وَرُبَّ قَالٍ بِهِ وَقِيلِ لِلطَّيْرِ فِي حِينِ تُنْشَدُ
فَالسُّنُّ الْوُزْقِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَائِحًا عَنْهُ تَشْكُرُ (٤)
وَأَسْمَةُ الصُّبْحِ حِينَ كَلَّتْ (٥) فِي سُنْدُسِ الرُّوضِ تَعْتَرُ
وَالْكَاسُ فِي رَاحَةِ النَّدِيمِ يَجْلُو بِهَا غَيْبَ الْهُمُومِ
أَقْبَسَتْ النَّارُ (٦) فِي الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ الْكُرُومِ
وَالْغُصْنُ (٧) فِي مَلْعَبِ النَّسِيمِ لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهِ رُقُومِ
فَلَبَّةُ الْقَضْبِ قَدْ تَحَلَّتْ وَالظَّلُّ فِي الْحَلِيِّ جَوْهَرِ

(١) في نفع الطيب : « قد » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الصبح » . وفي نفع الطيب : « الشمس » .

(٣) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « في حلبة » .

(٤) في ط ونفع الطيب : « تسكر » .

(٥) في نفع الطيب : « قد تجلت » .

(٦) في رواية : « النور » .

(٧) في نفع الطيب المطبوع : « والنهر » .

وَبَهْجَةِ الْكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ يَبْهَرُ
 يُذَكِّرُنِي وَجَنَةَ الْحَبِيبِ وَالْأَسَى فِي صَفْحَةِ الْعِذَارِ
 وَشَارِبَ الشَّارِبِ الْعَجِيبِ بَيْنَ أَقْلَاحٍ وَجُلْنَازِ
 يُدِيرُ مِنْ ثَغْرِ الشَّيْبِ سُلَاقَةً دُونَهَا الْعُقَارُ
 حَلَّتْ لِأَهْلِ الْهَوَى وَجَلَّتْ بِالذِّكْرِ وَالْوَهْمِ تُسَكِرُ
 كَمْ مِنْ نَفُوسٍ بِهَا تَسَلَّتْ فَمَا لَهَا الدَّهْرُ مُسَكِرُ
 يَا غُصْنَ بَابِ يَمِيلُ زَهْوَا رِيَّانَ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ
 لَوْ كُنْتَ تُضْفِي لِرَفْعِ شَكْوَى أَطَلْتُ مِنْ قِصَّةِ الْعِتَابِ
 وَمَنْ لِيْنِ بَيْتٍ نَجْوَى لِلْبَدْرِ^(١) فِي رَفْرِفِ السَّحَابِ
 عَزَاؤُ الصَّبْرِ فَيْكَ حُلَّتْ وَعُقْدَةُ الصَّبْرِ تَذَخَّرُ
 قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْكَ مَا اسْتَقَلَّتْ وَلَيْتَ لَوْ كُنْتَ تَشْمُرُ
 كَمْ لَيْلَةٍ بَثَّهَا وَبَثَا ضِدِّينَ فِي الشَّهْدِ وَالرُّقَادِ
 أَسَامِرُ النَّجْمِ فَيْكَ حَتَّى عَلِمْتُ أَجْفَانَهُ^(٢) الشَّهَادِ
 أَزْقُبُ بَدْرَ الدُّجَى وَأَنْتَا قَدْ لَحْتَ فِي هَالَةِ الْفُؤَادِ
 نَفْسِي وَلَيْتَ مَا تَوَلَّتْ دَعَهَا عَلَى الشَّوْقِ تَصِيرُ
 لَوْ سُمِّتَ الْهَجْرَ مَا تَوَلَّتْ وَلَمْ تَكُنْ عَنْكَ تَنْفِرُ
 عَلَّمَهَا الصَّبْرَ فِي الْحُرُوبِ سُلْطَانَنَا عَاقِدُ الْبُنُودِ
 مُعَقِّرُ الصَّيْدِ لِلْجُنُوبِ أَعَزُّ مَنْ حَفَّ بِالْجُنُودِ

(١) في نسخ الطيب المخطوط : « لبرق » .

(٢) في م : « أجفانها » .

نُصِرْتَ بِالرُّغْبِ فِي الْقُلُوبِ وَالْبَيْضُ لَمْ تَبْرَحِ الْعُمُودُ
عِنَايَةُ اللَّهِ فِيهِ حَلَّتْ^(١) بِسَعْدِهِ الدِّينُ يُنْصَرُ
وَالْخَلْقُ فِي عَصْرِهِ تَمَلَّتْ غَدَائِمًا لَيْسَ تُحْصَرُ
مَوْلَايَ يَا نُكْتَةَ الزَّمَانِ دَارَ بِمَا تَرْتَضَى الْفَلَكَ
جَلَّتْ بِالْيَمِينِ وَالْأَمَانِ كُلَّ مَلِيكَ وَمَا مَلَكَ
لَمْ يَدْرِ وَصْنِي وَلَا عِيَانِي أُمْلِكُ^(٢) أَنْتَ أَمْ مَلَكَ
جُنُودُكَ الْغُلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ تُخْفَرُ
وَعَادَةُ اللَّهِ فِيكَ دَلَّتْ أَنَّكَ بِالْكَفْرِ تَظْفَرُ
يَا آيَةَ اللَّهِ فِي الْكَمَالِ وَنُحْجِلَ الْبَدْرُ فِي التَّمَامِ
قَدِمْتَ بِالْمِزِّ وَالْجَلَالِ وَالذَّهْرُ فِي ثَعْرِهِ أُبْتَسَامِ
يَحْتَالُ فِي حُلَّةِ الْجَمَالِ وَالْبَدْنُ قَدْ عَادَ فِي اخْتِمَامِ
رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطْلَتْ خَضِرَاءَ بِالزُّهْرِ تَزْهَرُ
وَرَايَةُ الصُّبْحِ إِذْ أَظَلَّتْ فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُنْشَرُ

وقال رحمه الله تعالى وسامحه :

قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ وَآذَنَ اللَّيْلُ بِالرَّحِيلِ
فَبَاكَرِ الرُّؤُوسَ بِاضْطِبَاحِ وَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِهِ الْبَلِيلِ
فَالْوُزُقُ هَبَّتْ مِنَ السَّنَاتِ^(٣) لِمَنْبَرِ الدَّوْحِ^(٤) تَخْطُبُ

ومن موشحاته
في الصبوحيات
أيضا

(١) في نفع الطيب : « جات » .

(٢) في ط : « أملك » .

(٣) في م والنفع المخطوط : « الثبات » . وظاهر أنها محرفة عن « السبات » .

(٤) في ط : « الروض » .

تَسْجَعُ مُفْتَنَّةَ اللُّغَاتِ كُلُّ عَنِ الشَّقِّ يُعْرِبُ
وَالْعُضُنُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَأْتِي لِأَكُوْسِ الطَّلِّ يَشْرَبُ
وَأَذْمَعُ السُّحْبِ فِي أَنْسِيَا فِي كُلِّ رَوْضٍ لَهَا سَبِيلُ^(١)
وَالْجَوُّ مُسْتَبْشِرُ النَّوَاحِي يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلِ
قُمْ فَاغْتَنِمِ بِهِجَةَ النُّفُوسِ مَا بَيْنَ نَوْرِ وَبَيْنَ نَوْرٍ
وَشَفَّعِ الصَّبْحِ بِالشُّمُوسِ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا الْبُودُورُ
وَنَبِّهِ الشَّرْبَ لِلْكُؤُوسِ تَمْزِجُ مِنْ رَيْقِهِ الثُّغُورُ
مَا أَجْمَلَ الرَّاحَ فَوْقَ رَاحِ صَفَرَاءُ كَالشَّمْسِ فِي الْأَصِيلِ
تُعَادِرُ الصَّدْرَ ذَا انْشِرَاحِ لِلْأَنْسِ فِي طَيْفِهِ^(٢) مَقِيلِ
وَلَا تَذَرِ خَمْرَةَ الْجُفُوفِ فَسُكْرُهَا فِي الْهَوَى جُنُونُ
وَلَتَخْشَ مِنْ أَشْهَمِ الْعُيُونِ فَإِنَّهَا رَائِدُ الْمُنُونِ
عَرَّضْتُ مِنْهَا إِلَى الْفُتُونِ وَكُلُّ خَطْبٍ لَهَا يَهُونُ
أَهْمُ بِالْفَادَةِ الرَّدَّاحِ وَالْجِسْمُ مِنْ حُبِّهَا عَلِيلُ
لَوْ بَتَّ مِنْهَا عَلَى اقْتِرَاحِ نَقَعْتُ مِنْ رَيْقِهَا الْغَلِيلُ
أَوَاعِدُ الطَّيْفِ لِلْمَنَامِ وَمَنْ لِعَيْنِي بِالْمَنَامِ
أَسْهَرُ فِي لَيْلِهِ التَّمَامِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ فِي التَّمَامِ
وَأَلْهِمُ الزَّهَرَ فِي الْكِمَامِ عَلَيْهِ مِنْ ثَعْرِكَ ابْتِسَامِ

(١) كذا في النسخ المطبوع والمخطوط . وفي ط : « مثيل » . وفي م : « ميل » .
وظاهر أن كلتا الروايتين محرف عما أبتناه .

(٢) كذا في ط . وفي م : « طبعه » . وفي النسخ المطبوع والمخطوط : « طيه » .

سَفَرْتُ عَنْ مَبِيسِمِ الْأَقَاحِ وَرَيْقِكَ الْعَذْبُ سَلْسَبِيلُ
قُلْ لِي يَا رَبَّةَ الْوِشَاحِ هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ مِنْ سَبِيلِ
يَا كَعْبَةَ الْحُسْنِ زِدْتِ حُسْنًا وَلِلْهَوَى حَوْلَكَ الْمَطَافِ
وَعُضْنَ بَانَ إِذَا تَتَقَّى لَوْ حَانَ^(١) مِنْ زَهْرِكَ الْقِطَافِ
أَلَا انْعِطَافٌ عَلَى الْمَعْنَى فَالْعُضْنُ يَزْهُو بِالْانْعِطَافِ
أَصْبَحْتَ تَزْهُو عَلَى الْمَلَايحِ بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ
وَوَجْهَكَ الشَّمْسُ فِي اتِّضَاحِ^(٢) لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمِيلُ
مَا الزَّهْرُ إِلَّا بِنِظْمِ دُرٍّ تَحْسُدُ^(٣) فِي حُسْنِهِ الْعُقُودُ
لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ الْأَغْسَرِ أَكْرَمَ مَنْ حَفَّ بِالسُّعُودِ
مُحَمَّدٍ الْحَمْدِ وَابْنِ نَضْرٍ وَبَاسِطِ الْعَدْلِ فِي الْوُجُودِ
مُسَاجِلِ السُّحُبِ فِي السَّمَاحِ بِالْغَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ^(٤) الْجَلِيلِ
وَمُخْجِلِ الْبَدْرِ فِي اللَّيَاحِ بِغُرَّةٍ مَا هِيَ مَثِيلُ
يَا مُشْرِبَ الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ وَوَاهِبَ الصَّفْحِ لِلصَّفَاحِ
نُصِرْتَ بِالرُّعْبِ فِي الْحُرُوبِ وَالرُّعْبُ أَجْدَى^(٥) مِنَ السَّلَاحِ
قَدْ لُحِتَ مِنْ عَالَمِ الْغُيُوبِ لَمْ تَعْلَمْ الْفُوزَ وَالنَّجَاحِ^(٦)
مَرَّاكُشُ نُهْبَةٍ افْتِتَاحِ وَالصَّنْعُ فِي فَتْحِهَا جَلِيلُ

[٣٧٥]

(١) في ط : « كان » .

(٢) في م : « في اتضاح » .

(٣) في ط « تسكر » وهو تحريف .

ط : « ربه » وهو تحريف .

(٥) في الأصلين : « أجرى » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٦) في م ونفع الطيب المطبوع : « والفلاح » .

بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ وَالشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ

ومن غير الخلق قوله في الهناء بالشفاء من مرض :

ومن موشحاته
التهنئة بالشفاء
من مرض

فِي كُثُوسِ الثَّنِيرِ مِنْ خَمْرِ اللَّعْسِ^(١) رَاحَةُ الْأَزْوَاحِ
وَتَغَشَّى^(٢) الرِّوَضَ مِسْكِي النَّفْسِ عَاطِرُ الْأَزْوَاحِ
قَدْ كَسَا الْأَذْوَاحَ وَشَيْئًا^(٣) مُذْهَبًا يَمَهِّرُ الشَّمْسَا
عَسَجْدٌ قَدْ حَلَّ^(٤) مِنْ فَوْقِ الرُّبَا يُنْهَجُ النَّفْسَا
فَاتَّخَذَ لِلَّهِ فِيهِ مَرْكَبًا تَلْحَقُ الْأَنْسَا
مِنْبَرُ الْغُضَنِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسَ سَاجِدُ الْأَذْوَاحِ
حُلَّ السُّنْدُسِ خُضْرًا قَدْ لَبَسَ عِطْفُهُ الْمُرْنَاخِ
فَمُ تَرَى هَذَا الْأَصِيلَ شَاحِبًا حُسْنُهُ قَدْ رَاقِ
وَلَاذِيَالِ الْغُصُونِ سَاحِبًا فِي حِلَى الْأَوْرَاقِ
وَتَدِيمِي قَالَ لِي مُحَاطِبًا قَوْلَ ذِي إِشْفَاقِ
عَادَةً^(٥) الشَّمْسِ بِغَرْبٍ تُخْتَلَسُ هَاتِ شَمْسَ الرَّاحِ
إِنْ أَرَانَا الْجَوَّ وَجْهًا قَدْ عَبَسَ أَوْ قَدِ الْمِصْبَاحِ
وَوُجُوهُ الشَّرْبِ تُغْنِي عَنْ شُمُوسِ كُلَّمَا تَجَلَّى
بِلِحَاطٍ أَسْكَرَتْنَا عَنْ كُثُوسِ خَمْرَهَا أَخْلَى

(١) في نفع الطيب : « في كُثُوس ... من ذاك اللعس » .

(٢) في ط : « وعشى » .

(٣) في ط : « مسكا » .

(٤) في م : « عسجدي حل » .

(٥) في م : « عادة » . بالغين المعجمة .

مُظْهِرَاتٍ مِنْ خَبَايَا ^(١) فِي النُّفُوسِ	سُورًا ^(٢) تُتْلَى
مَا زَمَانُ الْإِنْسِ إِلَّا تُخْتَلَسُ	فَاغْتَنِمِ يَا صَاحُ
وَعُمُيُونَ الشُّهْبِ تَذَكَّى عَنْ حَرَسِ	تَخْفِمْ النُّصَاحُ
مَا تَرَى ثَغَرَ الْوَمِيزِ بَاسِمًا	يُظْهِرُ الْبِشْرَا
وَتَنَاءِ الرُّوضِ هَبَّ نَاسِمًا	عَاطِرَا نَشْرَا
بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا	قَائِلَا بُشْرَى
رَكِبَ الْمَوْلَى مَعَ الظَّهِرِ الْفَرَسِ	وَشَفَى ^(٣) وَارْتَاخَ
بِجَنُودِ اللَّهِ دَابًّا يُخْتَرَسُ	إِنْ عَدَا أَوْ رَاحَ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا وَالْهَنَا	بَعْضَنَا بَعْضَا
فَزَمَانُ السَّعْدِ وَضَاحُ السَّيِّ	وَجْهَهُ الْأَرْضَى
أَثْمَرَتْ فِيهِ الْقَوَالِي بِالْمُنَى ^(٤)	ثَمَرًا غَضَا
يَجْتَنِي الْإِسْلَامُ مِنْهَا مَا اغْتَرَسَ	سَيْفُهُ السِّفَاحُ
فِي ضَمِيرِ النَّفْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسَ	شُهْبُ ثَلَاثِ
يَا إِمَامًا بِالْحَسَامِ الْمُتَنَفَّى	نَصَرَ الْحَقَّا
ثَغْرُكَ الْوَضَاحُ مَهْمَا أَوْ مَضَا	أَخْبَلَ الْبَرْقَا
وَدُبُونُ السَّعْدِ مِنْهُ تُقْتَنَفَى	تُوسِعُ الْحَقَّا
لَكَ وَجْهٌ مِنْ صَبَاحِ مُقْتَبَسِ	بِشْرُهُ وَضَاحُ

(١) في نفع الطيب : « خفايا » .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « سورة » .

(٣) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « وسقى » .

(٤) في الأصلين : « بالهنا » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

وَجَمِيلُ الصَّنْعِ مِنْهُ مُلْتَمَسٌ مُنِمْ صَفَاحٌ
هَا كَمَا تُمَزَّجُ لُطْفًا بِالنَّسِيمِ كُلَّمَا هَبَّ
قَدْ أَنْتَ بِالْبُرْءِ وَالصَّنْعِ الْجَسِيمِ تَشْكُرُ الرَّبَّ
أَخْجَلَتْ مَنْ قَالَ فِي الصُّبْحِ الْوَسِيمِ مُغْرَمًا صَبَا
«عَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَّهَ مَنْ نَعَسَ» يَأْمُدِيرُ الرَّاحَ
«وَتَعَرَّى الْفَجْرُ عَنْ ثَوْبِ الْفَلَسِ»^(١) وَانْجَلَى الْإِصْبَاحُ

وقال في الهناء بالشفاء أيضاً ، من مَخْلَعِ البسيط :

موشحة له أخرى
في الهناء بالشفاء

[٣٥٩]

قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالشِّفَاءِ وَاسْتَكَمَلَتْ رَاحَةُ الْإِمَامِ
فَلْتَنْطَلِقِ الطَّيْرُ بِالْهِنَاءِ وَلْيَضْحَكِ الزَّهْرُ فِي الْكِتَامِ
وُجُودُهُ بِهَجَّةِ الْوُجُودِ وَبُرُؤُهُ رَاحَةُ النُّفُوسِ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ السُّعُودِ وَاسْتَبَشَّرَتْ أَوْجُهُ الشُّمُوسِ
فَالْدَّوْحُ يَوْمِي إِلَى السُّجُودِ أَكَلَامُهُ حَطَّتِ^(٢) الرُّيُوسِ
وَالزَّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ كَالزَّهْرِ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ
وَالصُّبْحُ مُسْتَشْرِفُ اللَّوَاءِ وَالبَدْرُ مُسْتَقْبِلُ التَّامِ
مَحَاسِنُ الْكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ جَمَالُهَا الْعَقْلُ يَبْهَرُ
عَرَائِيسُ بِالْبَهَا تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الْحَلَى جَوْهَرُ
وَأَلْسُنُ الْوَرَقِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَامَحًا عَنْهُ تَشْكُرُ
تَسْتَوْقِفُ الْخَلْقَ بِالْغِنَاءِ كَانَهَا تُحْسِنُ الْكَلَامِ

(١) هذا الشطر والذي فوقه من بيتين لابن وكيع في مقطوعة له أوردها ابن منظور في

كتاب « ثمار الأزهار في الليل والنهار » ، ونس البيت في (صفحة ٤٨ طبعة الجوائب) :

« غرد الطير فنبه من نعس وأدر كاسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من نهد الدجى وتعرى الصبح من قص الفلس »

(٢) في الأصلين ونفع الطيب : « غطت » ، ولعلها محرفة عما أبنتاه .

تُطِيبُ اللَّهُ فِي الثَّنَاءِ تَقُولُ : سَلَّمْتَ يَا سَلَامَ
كَمْ مِنْ مُنْعُورٍ لَهَا مُنْعُورُ تَبَسُّمُ إِذْ جَاءَهَا الْبَشِيرُ
وَمِنْ خُذُورٍ بِهَا بُدُورُ يُشِيرُ مِنْهَا لَهُ الْمُشِيرُ
تَقُولُ إِذْ حَقَّهَا الشُّرُورُ تَبَارَكَ الْمُنْعِمُ الْقَدِيرُ
قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ فِي ظِلِّ مَوْلَى بِهِ اغْتِصَامُ
قَدْ صَادَفَ التَّجَحُّجَ فِي الدَّوَاءِ فَالِدَاءِ عَنَّا لَهُ انْقِصَامُ
يَهْنِيكَ مَوْلَايَ بَلْ يَهْنَأُ بِبُرْنِكَ الدِّينُ وَالْهَدَى
فَالْغَرْبُ وَالشَّرْقُ مِنْكَ يُعْنَى بِمَذْهَبِ الْخَطْبِ وَالرَّدَى
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ مَا تَهَنَّا مَنْ فِيهِ مِنْ سَطْوَةِ الرَّدَى
يَا مُورِدَ الْأَنْفُسِ الظَّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفِيهَا الْأَوَامُ
وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالْبَهَاءِ رَدَدْتَ لِلْأَعْيُنِ النَّمَامُ
لَوْ أَبْذُلُ الرُّوحِ فِي الْبِشَارَةِ بِذَلَّتْ بَعْضَ الَّذِي مَلَكَ
فَأَنْتَ يَا نَفْسُ مُسْتَعَارَةٌ مَوْلَاكَ بِالْفَضْلِ جَلَّكَ
لَمْ أَدْرِ إِذْ أَسْطَرُ الْمِبَارَةِ أَمَلِكُ هُوَ أَمْ مَلَكَ
لَا زِلْتَ مَوْلَايَ فِي هَنَاءِ تَبْلَغُ الْقَصْدَ وَالْعَرَامُ
وَدُمْتَ لِلْمَلِكِ فِي اغْتِلَاءِ تَسْعَبُ أَذْيَالُهُ الْفَمَامُ

[٣٦٠]

وقال أيضاً يصف مألقة ويمدح النقي بالله :

عَلَيْكَ يَا رَبِّي السَّلَامُ وَلَا عَدَا رَبِّكَ الْمَطَرُ
مُذْ حَلَّ فِي قَصْرِكَ الْإِتَامُ فَقَرَّبَكَ السُّؤْلُ وَالْوَطَرُ
كَمْ فِيكَ لِلْغُرَمِ الْمَشُوقِ مِنْ مَنَظَرٍ يُنْهِيهِ النُّفُوسُ

موشحة له في
وصف مألقة
ومدح النقي بالله

وَالدَّوْحُ فِي رَوْضِكَ الْأَنِيقِ لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّهُوسُ
وَالْجَوْثُ مِنْ وَجْهِكَ الشَّرِيقِ نَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسُ
وَأَعْيُنُ الزُّهْرِ لَا تَنَامُ تَسْتَعَذِبُ الشَّهْدَ وَالسَّهْرَ
تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا الْغَمَامُ تَرْقِيكَ مِنْ أَعْيُنِ الزَّهْرِ^(١)
عَرُوسَةٌ أَنْتِ يَا عَقِيلَةَ تُجَلِّي عَلَى مَظْهَرِ الْكَمَالِ
مُدَّتْ لَكَ الْكَفَّ مُسْتَقِيلَةَ تَمْسَحُ أَعْطَافَكَ الشَّمَالِ
وَالْبَحْرُ مِنْ آتِكَ الصَّقِيلَةَ تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ
وَالْحَلَى زَهْرُهُ لَهُ انْتِظَامُ يُكَالِلُ الْقُضْبَ بِالذَّرَرِ
قَدْ رَاقَ مِنْ ثَغَرِهِ ابْتِسَامُ وَالْوَرْدُ فِي خَدِّهَا خَفَرُ
إِنْ قِيلَ مَنْ بَعْلُهَا الْمُفْدَى وَمَنْ لَهُ وَصْلُهَا مُبَاحُ
أَقُولُ أَمْنِي^(٢) الْمُلُوكِ رِفْدَا مُحَلَّدُ الْفَخْرِ بِالصَّفَاحِ
مُحَمَّدُ الْحَمْدِ حِينَ يَهْدَى ثَنَاؤُهُ عَاطِرَ الرِّيَّاحِ
تُخَبِّرُ عَنْ طِيبِهِ الْكِمَامُ وَالْخَبَرُ يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ
فَالسَّعْدُ وَالرَّغْبُ وَالْحُسَامُ وَالنَّصْرُ آيَاتُهُ الْكُبَرِ
ذُو غُرَّةٍ تَسَحَّرُ الْبُدُورَا وَطَلَعَةٍ تُخَجِّلُ الصَّبَاحِ
كَمْ رَايَةٍ سَامَهَا ظُهُورَا تُظَلِّلُ الْأَوْجُهُ الصَّبَاحِ
وَكَمْ ظَلَامٍ^(٣) جَلَاهُ نُورَا أَظْفَرُ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ
الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْهُمَامُ أَعَزُّ مَنْ صَالَ وَافْتَخَرَ

(١) في م : « البشر » .

(٢) في ط : « أمننا » .

(٣) في فتح الطيب : « جهاد » .

لِسَيْفِهِ فِي الْعِدَا اخْتِكَامُ جَرَى بِهِ سَابِقُ الْقَدَرِ
يَا مُرْسِلَ الْخَيْلِ فِي الْغَوَارِ (١) لَوْ تَطَلَّبُ الْبَرْقَ تَلَحُّقُ
لَكَ الْجَوَارِي إِذَا تُجَارَى سَوَابِقُ الشُّهُبِ تَسْبِقُ
تَسْنِيْنُ فِي لُجَّةِ الْبَحَارِ فَالْكُفْرُ مِنْهُمْ يَفْرَقُ
فَالذِّينُ وَلِيَقْصَرَ الْكَلَامُ بِسَيْفِكَ اعْتَزَّ وَانْتَصَرَ
كَذَاكَ أَسْلَافُكَ الْكِرَامُ هُمْ نَصَرُوا سَيِّدَ الْبَشَرِ

وقال من غير هذا البحر في المحدث (٢) بمالقة :

قَدْ نَظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامٍ وَاعْتَمَّ الْأَحْبَابُ قُرْبَ الْحَبِيبِ
وَاسْتَضْحَكَ الرُّوضُ ثُغُورَ الْكِمَامِ (٣) عَنْ مَيْسَمِ الزَّهْرِ الْبُرُودِ الشَّنِيبِ
وَعَمَّمَ النُّورُ رُءُوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ النُّورُ صُدُورَ الْبِطَاحِ
وَصَافَحَ الْقُضْبَ نَسِيمُ الصَّبَا فَالزَّهْرُ يَرْنُو عَنْ عُيُونٍ وَقَاحِ
وَعَادَ لِلرُّوضِ زَمَانُ الصَّبَا فَقَلَدَ النَّهْرُ (٤) مَكَانَ الْوِشَاحِ
وَأَطْلَعَ الْقَصْرُ بُدُورَ التَّمَامِ فِي طَالِعِ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ الْغَرِيبِ
خُدُورُهَا قَامَتْ مَقَامَ الْغَمَامِ لَا أَشْتَكِي مِنْ بَعْدِهَا بِالْمَغِيبِ
أَصْبَحْتَ يَا رِيَّةُ مَجْلَى الشُّؤْسِ جَمَالَكَ الْعَيْنُ بِهِ تُبْهَرُ
وَالْبِشْرُ يَسْرِي فِي جَمِيعِ النَّفُوسِ وَرَايَةُ الْآنَسِ بِهَا تُنْشَرُ
وَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحْطُّ الرُّءُوسُ وَأَنْجُمُ الزَّهْرِ بِهَا تَزْهَرُ

(١) الغوار (بالكسر) : الإغارة .

(٢) المحدث : اسم مبنى عجيب كان بمالقة .

(٣) في الأصلين ونفع الطيب : « الغمام » . ولعلها محرفة عما أبتناه .

(٤) في الأصلين ونفع الطيب : « وعاود النهار » . فقلد الزهر ، وما أبتناه

أولى بالسباق .

موشعة له في
وصف بناء
المحدث بمالقة

وَرَجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الْعَمَامِ وَقَدْ شَدَّتْ تَسْجَعُ سَجْعَ الْخَطِيبِ
بِمَنْبَرِ الْفُضْنِ الرَّشِيقِ الْقَوَامِ لَمَّا انْتَفَى يَهْنُفُو بِقَدْرِ رَطِيبِ
يَا حَبَّذَا مَبْنَاكَ فَخَرُ الْقُصُورِ بِدَوِّهِ طَالَتْ بُرُوجُ السَّمَاءِ
مَا مِثْلُهُ فِي سَالِفَاتِ الْعُصُورِ وَلَا الَّذِي شَادَ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ
كَمْ فِيهِ مِنْ مَرَّأَى بِهِجٍ ^(١) وَنُورِ فِي مُرْتَقَى الْجَوْ بِهٍ قَدْ سَمَاءِ
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنِعَمَ الْإِمَامِ أَنْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصُنْعِ عَجِيبِ
يَهْنِيكَ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي التَّثَامِ مُمَهَّدٌ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبِ
نَوَاسِمُ الْوَادِي عِمْسِكَ تَفُوحِ وَتَفَحُّ النَّدَى بِهِ تَغْبِقُ [٣٦٢]
وَبَهْجَةُ الشُّكَّانِ فِيهِ تَلُوحِ وَجَوْهُ مِنْ نُورِهِمْ ^(٢) يُشْرِقُ
وَرَوْضُهُ بِالسَّرِّ مِنْهُ تَبُوحِ بَلَابِلُ عَنْ وَجْهِهِ تَنْطِقُ
لَوْ أَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهَا الْكَلَامِ فَغَى تَهْنِيكَ هَنَاءَ الْأَدِيبِ
وَنَهْرُهُ قَدْ سُلَّ مِنْهُ الْحُسَامِ يَلْحَظُهُ التَّرْجِسُ لَحَظَ الْمُرِيبِ
فَأَجْمَلُ الْأَيَّامِ عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَجْمَلُ الْأَجْمَلِ يَوْمُ الْقَا
بَادِرَةُ الْقَصْرِ وَشَمْسُ الْقِبَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ فِي الْمُلتَقَى
بَشْرَكَ الرَّبِّ بِحُسْنِ الْمَابِ مَتَمَّكَ اللَّهُ بِطُولِ الْبَقَا
وَلَا يَزَالُ الْقَصْرُ قَصْرُ السَّلَامِ يَحْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
يَتَلَوُّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامٍ : « نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »

(١) في ط : « جميل » .

(٢) في م : « وبهجة المشكاة ... نوها » .

(٣) في م : « ما أجل » .

وقال — رحمه الله — من المخلع في الشفاء :

فِي طَالِبِ الْهَيْئِ وَالسُّعُودِ قَدْ كَمَلْتَ رَاحَةَ الْإِمَامِ
 فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوُجُودِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ فِي الْكِتَابِ
 قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ النَّجَاحِ وَانْهَزَمَ الْبَأْسُ وَالْعَنَاءُ
 وَقَالَ حَتَّى عَلَى الْقَلَاحِ مُؤَذِّنُ الْقَوَازِ^(١) بِالْثَنَاءِ
 فَالْهَرُ يَأْتِي بِالْإِفْرَاحِ مُسْتَقْبِلًا أَوْجَةَ الْمَنَاءِ
 تَخْفِقُ مَشْهُورَةُ الْبُودِ وَالسَّعْدُ يَقْدُمُ مِنَ أَمَامِ
 وَالْأَنْسُ مُسْتَجْمَعُ الْوُقُودِ وَاللُّطْفُ مَسْتَعْدِبُ الْجِمَامِ
 وَأَكْوَسُ الطَّلِّ مُزْعَاةً بِأَنْمُلِ السَّوْسَنِ الْقَدِي
 وَالطَّيْرُ مُنْتَنَّةُ اللَّغَاةِ تَشْدُو بِأَصْوَاتٍ مَعْبِدِ
 وَالْفَضْنُ يَذْهَبُ ثَمَّ يَاتِ بِالسُّنْدُسِ الْغَضَّ مُرْتَدِي
 وَالذُّوْحُ يُؤَيُّ إِلَى السُّجُودِ شُكْرًا لِلَّذِي الْأَنْمُ الْجَسَامِ
 وَالرَّيْحُ خَمَاقَةُ الْهُنُودِ ثَبَاكِرُ الرُّوضِ بِالْقَمَامِ
 مَظَاهِرُ الْجَمَالِ تُجَلَّى قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا السَّرُورُ
 وَبَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى مَا بَيْنَ نَوْرِ وَبَيْنَ نُورِ
 قَدْ هَتَأَتْ بِالشَّفَاءِ مَوَلَى بِمَضَرِهِ تَفَحَّرُ الْعُصُورُ
 مَا بَيْنَ بَأْسٍ وَبَيْنَ جُودِ قَدْ مَهَّدَ الْأَمْنُ لِلْأَنَامِ
 فَالَّذِينَ ذُو أَغْيُنٍ رُقُودِ وَكَانَ لَا يَطْعُمُ النَّامِ
 وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ الشَّقَاةِ تَرُوحُ طَوْرًا وَتَفْتَدِي

موشحة له أخرى
في الهناء بالشفاء

[٣٦٣]

يُهْدِيكُمَا رَائِقُ السَّمَاتِ مَا بَيْنَ بَرَقٍ وَفَرَقٍ
وَالشَّمْسُ تَذْهَبُ لِلْبَيَاتِ قَدْ لَبَسَتْ ثَوْبَ عَسَجِدٍ
وَالزَّهْرُ فِي الْيَانِعِ الْمَجُودِ يُقَابِلُ الشَّرْبَ بِابْتِسَامٍ
وَالرَّوْضُ مِنْ حِلْيَةِ الْقُمُودِ قَدْ جَرَدَ النَّهْرَ عَنْ حُكَامٍ
مَوْلَايَ يَا أَشْرَفَ الْمُلُوكِ وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ
أَهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ السُّلُوكِ يَقْذِفُهُ بِحُرْكَ الْمَعِينِ
جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُلُوكِي وَأَنْتَ لِي الْمُنْجِدُ الْمُعِينِ
تَعِيَةُ الْوَاحِدِ الْحَمِيدِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودٍ يَا مُخْجِلَ الْبَدْرِ فِي التَّمَامِ

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الرَّمْلِ الْمَجْزُوءِ :

وَجْهٌ هَذَا الْيَوْمَ بِأَسْمٍ وَشَدَا الْأَزْهَارِ نَاسِمٍ
هَاتِيهَا [صَاحٍ] ^(١) كُتُوسًا جَالِبَاتٍ لِلْسُرُورِ
وَارْتَقِبْ مِنْهَا شُمُوسًا طَالِعَاتٍ فِي بُدُورِ
مَاتَرَى الرُّوضِ عَرُوسًا فِي حُلَى نَوْرِ وَنُورِ
وَأَنْتَ رُسُلُ النَّوَاسِمِ تَجْتَلِي هَذِي الْمَوَاسِمِ
قَدْ أَهْلَتْ بِالْبَشَائِرِ أَضْحَكْتَ ثَغَرَ الْأَزَاهِرِ
سَنَحَتْ فِي يُمْنٍ طَائِرِ وَنُظْمَنَ كَالْجَوَاهِرِ
فَانْشُرُوهَا فِي الْعَشَائِرِ إِنْ هَذَا الصَّنْعَ بَاهِرِ
وَأَشِيعُوا فِي الْعَوَالِمِ الْغَنَى بِاللَّهِ سَالِمِ

موشحة له أخرى
في الهناء بالشفاء

أَيُّ نُورِيَتَوْ قَدْ أَيُّ بَدْرِ يَتَلَا
 أَيُّ فَخْرِ يَتَخَلَّدُ أَيُّ غَيْثٍ يَتَوَالِي
 إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
 كَفَّهُ بِحَرِّ الْمَقَاسِمِ وَبِهَا حِجُّ الْمَبَاسِمِ
 خَيْرُ أَمْلَاجِ الزَّمَانِ مِنْ بَنِي سَعْدِ وَنَصْرِ
 مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي فِي صَعِيدِ الْبَرِّ^(١) تَجْرِي
 قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بَحْرِي وَبَحْرِ
 مُذْ رَأَتْ بِحَرِّ النَّعَائِمِ كُلُّهَا جَارٍ وَعَائِمِ
 فَهَنِيئًا بِالشِّفَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَنَا حَقُّ الْهَنَاءِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ^(٢)
 إِنْ جَرَرْنَا بِالْذِّعَاءِ يَنْطِقُ الدَّهْرُ أَمِينُ
 دُمْتَ مَحْرُوسَ الْكَارِمِ بِطُيِّبِ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ

[٣٦٤]

وَقَالَ يُسَيِّئُ السُّلْطَانُ مُوسَى بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي عِنَانٍ وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ
 الْغَنَى بِاللَّهِ أُمُّهُ وَعَيَالُهُ عِنْدَ تَمَلُّكِهِ الْمَغْرِبِ مِنْ قَبْلِهِ :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ أَنْظَامٍ وَلَا حَتَّ الْأَقْمَارُ بَعْدَ الْغَيْبِ
 وَأَضْحَكَ الرُّوضُ تُغَوَّرَ الْكِمَامِ عَنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ^(٣) الْبَرُودِ الشَّنِيبِ

(١) في نفع الطب المخطوط : « النجر » .

(٢) في نفع الطب : « العالمين » .

(٣) في م : « الثفر » مكان : « الزهر » .

ومن موشحاته
 في تهنئة السلطان
 موسى بن أبي عنان
 المربني

وَعَاوَدَ الْفُضْنَ زَمَانُ الصَّبَا وَأُشْرِبَ الْإِنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسِ
وَعَمَّ ^(١) النَّوْزُ رُيُوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ ^(٢) النَّوْزُ وَجُوهَ الشُّمُوسِ
وَأَطْرَبَ الْفُضْنَ نَسِيمُ الصَّبَا فَالْدَّوْحُ لِلشُّكْرِ ^(٣) بِحُطِّ الرُّيُوسِ
وَأَسْتَقْبَلَ الْبَذْرُ لِيَاكِي التَّمَامِ وَصَافَحَ الصُّبْحَ بِكَفِّ خَضِيبِ
وَرَاَجَعَ الْأَطْيَارُ سَجَعَ الْحَمَامِ بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بَدِيعِ غَرِيبِ
نَوَاسِيمُ الْوَادِي عِمْسِكِ تَفُوحِ وَنَفَحَ النَّسْدُ بِهِ تَعْبِقِ
وَبَهَجَهُ السُّكَّانُ مِنْهُ تَلُوحِ وَجُوهُهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقِ
وَعَرَفَهُ بِالطَّيِّبِ مِنْهُمْ يَفُوحِ كَأَنَّهُ عَنْ عَنَابٍ يُفْتَقِ
وَالنَّهْرُ قَدْ سَلَ كَيْثِلِ الْحُسَامِ حَبَابُهُ تَطْفُو وَطَوْرًا تَغِيبِ
وَتَفَرُّهَا قَدْ رَاقَ مِنْهُ ابْتِسَامِ يُهَيِّئُ الْأَحْبَابَ قُرْبَ الْحَبِيبِ
كَوَاكِبُ أَبْرَاجِهِنَّ الْخُدُوزِ يَلُوحُ عَنْهَا كُلُّ بَذْرِ لِيَاكِ
جَوَاهِرُ أَصْدَاقِهِنَّ الْقُصُوزِ نَظَمَهَا السَّعْدُ كَنْظَ الْوِشَاحِ
يَا حَبَّذَا وَاللَّهِ رَكْبُ السَّرُوزِ يُبَشِّرُ الْمَوْلَى بِنَيْلِ اقْتِرَاحِ
ابْتِهَاجِ السَّكُونِ بِمُومَى الْإِمَامِ وَاخْتَالَ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
وَعَادَهُ يَخْدُمُ مِثْلَ الْفُلَامِ شَبَابُهُ قَدْ عَادَ بَعْدَ الْمَشِيبِ
أَكْرَمَ بِهِ وَاللَّهِ وَفْدَ الْكَرِيمِ مَوْلَانَا « الْحُرَّةُ » فِي مَقْدَمِ
مَرْضَاتِهَا ^(٤) تُحْظَى بِدَارِ النِّعَمِ وَتُوجِبُ التَّوْفِيقَ مِنْ مُنْعِمِ

(١) في نفع الطيب : « وجم » .

(٢) في ط : « جل » وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

(٣) كذا في الأصلين والنفع المطبوع . وفي النفع المخطوط : « لسكر » .

(٤) في ط : « مرضاته » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

بَشَرَ بِالنَّصْرِ^(١) وَفَتَحَ جَسِيمَ وَخَيْرُهُ أَتَمَّجُ فِي مَقْدَمِهِ
لِقَاؤَهَا الْمَبْرُورُ مِسْكُ الْخِتَامِ بَشَرَكَ اللَّهُ بِصُنْعٍ عَجِيبِ
وَقَصْرُكَ الْمَيْمُونُ قَصْرُ السَّلَامِ خُصَّ بِحِفْظٍ مِنْ سَمِيعِ مُجِيبِ
مَوْلَايَ يَهْنِيكَ وَحَقَّ الْهَمَا قَدْ نَظِمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودِ
قَدْ فُزْتَ بِالْفَخْرِ وَنِيلِ الْمُنَى وَأُنْجَزَ السَّعْدُ جَمِيعِ الْوُعُودِ
وَقَرَّتِ الْعَيْنُ وَزَالَ الْعَنَاءُ وَكَلَّمَا مَرَّ صَنِيعُ يَعُودِ
فَلَا يَزَلْ مُلْكُكَ حِلْفَ الدَّوَامِ يَحُوزُ فِي التَّغْلِيدِ أَوْ فِي نَصِيبِ
يَتَلَوُّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ بَعْدَ السَّلَامِ : « نَصَرَ مِنْ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبِ »

وقال رحمه الله في وصف غرناطة والطرْد وغيرهما :

لِلَّهِ مَا أَجْمَلَ رَوْضَ الشَّبَابِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْتَحَ زَهْرُ السَّيْبِ
فِي عَهْدِهِ أَدْرَتْ كَأْسَ الرِّضَابِ حَبَابُهَا الدُّرُ يَنْغُرُ الْحَبِيبِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يُخْجَلُ بِذَرِّ التَّمَامِ مَهْمَا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِلْمَيْمُونِ
وَيَنْفُضُ النُّصْنَ بِلَيْنِ الْقَوَامِ وَأَيْنَ مِنْهُ لَيْنٌ قَدْ أُلْفُصُونِ
وَلَحْظُهُ يَمْضِي مَضَاءَ الْعُسَامِ وَيُبْذِلُ الْقَلْبَ بِسَعْرِ الْجُفُونِ
أَبْصَرْتُ مِنْهُ إِذْ يَحْطُ النَّقَابِ شَمْسًا وَلَكِنْ مَانَا مِنْ مَيْفِيبِ
إِذَا تَجَلَّتْ بَعْدَ طُولِ ارْتِقَابِ صَرَفَتْ عَنْهَا الْأَحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبِ
مَنْ عَاذِرِي مِنْهُ فَوَادٍ صَبَا لِلْأَمْسِ الْهَرَقِ وَخَفَقَ الرِّيَّاحِ
يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا تُعِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقَ الْجَنَاحِ

(١) في ط : « بالنصح » . والتصويب من م ومع الطيب .

مَا أَوْلَعَ الصَّبَّ بَعْدَ الصَّبَا وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاحٍ
فَقَلْبُهُ مِنْ شَوْقِهِ فِي أَلْهَابِ قَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ مِنْهُ الْوَجِيبِ
وَأَلْجَفْنُ مِنْهُ سُحْبُهُ فِي أَنْسَاكِ قَدْ رَوَّضَ الْخَدَّ بِدَمْعِ سَكِيبِ
غَرَنَاطَةٌ رَنْجُ الْهَنَّا وَالْثَمَى وَقُرْبُهَا السُّؤْلُ وَنَيْلُ الْوَطَرِ
وَطَيْبُهَا بِالْوَضَلِ لَوْ أُنْكَنَا لَمْ أَقْطَعْ اللَّيْلَ بِطُولِ السَّهَرِ
عَمَّا قَرِيبٍ حَقٌّ فِيهِ الْهَنَّا يَبْمُنْ ذِي الْعَوْدَةِ بَعْدَ السَّفَرِ
وَيَحْمَدُ النَّاسُ نَجَاحَ الْإِيَابِ بِكُلِّ صُنْعٍ مُسْتَجَدٍّ غَرِيبِ
وَيَكْتُبُ الْقَالَ عَلَى كُلِّ بَابٍ : « نَصْرُ مَنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »
مَالِدُهُ الْأَمْلَاكِ إِلَّا الْقَنْصَ لِأَنَّهُ الْقَالَ بِصَيْدِ الْعِدَا
كَمْ شَارِدٍ جُرِّعَ فِيهِ الْفُصْصَ وَأُورِدَ الْحَرْوِبُ وَرَدَ الرَّدَى
وَكَمْ بَدَأَ^(١) الْفُحْصَ لِنَا مِنْ حِصْنِ قَدْ جُمِعَ الْبَأْسُ بِهَا وَالنَّدَى
وَمِنْهَا بَعْدَ أَيْتَابٍ سَقَطَتْ :

مَوْلَايَ مَوْلَايَ وَأَنْتَ الَّذِي جَدَّدْتَ لِلْأَمْلَاكِ عَهْدَ الْجَلَالِ
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنَ الْعُودِ لَمَّا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الْجَمَالِ
وَالرَّوْضُ فِي نَعْمَتِهِ يَفْتَنِي بِطَيْبِ مَا قَدْ حَزَنَتْهُ مِنْ خِلَالِ
بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ بِحُسْنِ الْمَابِ تَسْتَضْحِكُ الرَّوْضَ بِشَفْرِ شَنِيبِ
وَدُمْتَ مَحْرُوسَ الْعُلَا وَالْجَنَابِ بِعِصْمَةِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْمُجِيبِ

(١) في الأصلين ونفع الطيب : « بدا » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

آخر موشحاته
وهي في مدح
الرسول صلى الله
عليه وسلم

وقد طال الكلام ؛ ولنَجْعَلَ آخَرَ مُوشِحَةٍ لَهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى زَهْرِيَّةً
في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تكونُ مِسْكُ الْخِتَامِ ، وهي :

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَشْوَاقُ ذِكْرِي حَبِيبِ
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبحِ اللَّشِيبِ
يَارَا كِبَ الْعَجْزِ أَلَا نَهْضَةُ قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ
لَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فِيءِ الظَّلَالِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدى يَقْظَةٌ وَلِلَّهِ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ
وَأَنْتَ تَخْدُوعٌ يَلْمَعُ السَّرَابُ ^(١) تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبِ
وَاللَّهِ مَا الْكَوْنُ بِمَا قَدْ حَوَى إِلَّا ظِلَالٌ تُوهِمُ الْفَافِلَا
وَعَادَةُ الظَّلِّ إِذَا مَا اسْتَوَى تُبْصِرُهُ مُنْتَقِلًا زَائِلَا
إِنَّا إِلَى اللَّهِ عَمِيدُ الْهَوَى لَمْ نَعْرِفِ الْحَقَّ وَلَا الْبَاطِلَا
فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو سِوَى اللَّهِ خَابَ وَإِنَّمَا الْقَوْزُ لِعَبْدٍ مُنِيبِ
يَسْتَقْبِلُ الرُّجْعَى بِصِدْقِ الْمَتَابِ وَيَرْقُبُ اللَّهُ الشَّهِيدَ الْقَرِيبِ
يَا حَسْرَتَا مَرَّ الصَّبَا وَانْقَضَى وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَقْصُ الْأَثَرِ
وَاجْتَلَا وَالرَّحْلُ قَدْ قَوَّضَا وَمَا بَقِيَ فِي الْغُبْرِ غَيْرُ الْخَبَرِ
وَلَيْفَنِي لَوْ كُنْتُ فِيهَا مَضَى أَدْخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرِ
قَدْ حَانَ مِنْ رَكْبِ التَّصَابِي إِيَابُ وَرَائِدُ الرُّشْدِ أَطَالَ الْغَيْبِ
يَا أَكْمَةَ الْقَلْبِ بِغَيْنِ الْحِجَابِ كَمْ ذَا أَنَادِيكَ فَلَا تَسْتَجِيبِ

[٣٦٧]

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدارِ الْكَرِيمِ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي شَفِيعُ مُطَاعٍ
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ وَحُبُّهُ زَادِي وَنِعَمَ الْمَتَاعِ
وَاللَّهُ سَمَاءُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَجَارُهُ الْمَكْفُولُ مَا إِنْ يُضَاعِ
عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَلْجَأُ الْخَلْقِ لِدَفْعِ الْكُرُوبِ
يُلَحِّقُنِي مِنْهُ قَبُولُ مُجَابِ يَشْفَعُ لِي فِي مُوَبَقَاتِ الذَّنُوبِ
يَا مُصْطَفَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْقَدَمِ وَالْكُونُ لَمْ يَفْتَقِ كِلَامَ الْوُجُودِ
مَزِيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقَدَمِ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسْوَدُ
مَوْلِدُكَ الْمَرْقُوبُ لَمَّا نَجَمُ أُنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَعَدُ السُّعُودِ
نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَحُ لِي بِالْجَوَابِ شَهْرَ رَبِيعٍ : يَارَبِّيعَ الْقُلُوبِ
أُطْلَقْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ اخْتِجَابِ شَمْسًا وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ غُرُوبِ
وَلَيْكُنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْنَا ، وَقَصْدُنَا مِنْ شَأْنِ ابْنِ زَمْرِكَ وَمَرَدْنَاهُ .

وَسَنَحُ لِي أَنْ أُنْتَقِي بَعْضَ كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونِ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ فِي ذِكْرِ
الْمَوْشَحَاتِ وَالْأَزْجَالِ ، فنقول :

كلام ابن خلدون
في الموشحات
والأزجال

قال رحمه الله : وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قُطْرَمِ وتهذَّبَتْ
مناحيه وفنونه ، وبلغ التَّمَيُّقُ فِيهِ الْقَايَةَ ، اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءً مِنْهُ ،
وَسَمَوْهُ «بِالْمَوْشَحِ» ، يَنْظُمُونَهُ أَسْمَاطًا أَسْمَاطًا ، وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا ، يَكْثُرُونَ مِنْهَا وَمِنْ
أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلَفَةِ ، وَيَسْمُونَ الْمُتَعَدِّدَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا ، وَيَلْتَزِمُونَ عِدَدَ قَوَافِي [٢٦٨]
تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُتَتَالِيًا فِيمَا بَعْدَ ، إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَنْتَهِي
عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَيْيَاتٍ ، وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ ، عِدْدُهَا بِحَسَبِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَذَاهِبِ ، وَيَنْتَسِبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ ، وَتَجَاوَزُوا

في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس مُجَلَّةً ^(١) الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله ، وقرب طريقه .

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقَدِّمُ بن مُعَاوِي القَبْرِي ^(٢) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المَرْوَانِي ؛ وأخذ عنه ذلك ابنُ عبدِ رَبِّه صاحبُ كتاب العقد ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن بعدها عُبَادَةُ القَزَّاز ، شاعر المعتصم بن صُمَادِح صاحب التَّوْبَةِ ؛ وقد ذكر الأَعْلَمُ البَطْلِيُّ ^(٣) أنه سمع أبا بكر بن زُهْر يقول : كل الوشاحين عيال على عبادة القَزَّاز فيما اتفق له من قوله :

بَذَرْتُ شَمْسَ ضُحَى غُصْنُ نَقَا مِسْكُ شَمِ
مَا أَتَمَّ مَا أَوْضَحَا مَا أَوْزَقَا مَا أَتَمَّ
لَا جَرَمَ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمَ

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه ، الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ؛ وجاء مُصَلِّيًا خلفه منهم ابن ارفع رأسه ^(٤) شاعر المأمون بن ذِي النون صاحب طُلَيْطَلَةَ ^(٥) . قالوا : وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول :

-
- (١) في الأصلين وبعض المراجع : « وحله » .
 (٢) كذا في ط وبغية اللئيم . وهو شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر أيضا . والقبري (بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة) : نسبة إلى قبرة ، بلدة بالأندلس بقرب قرطبة . (انظر فتح الطيب ج ١ ص ٦٠٤ طبعة أوربة) .
 وفي م : « العبري » . وظاهر أنه مصنف عما أثبتناه .
 (٣) هو أبو بكر محمد بن ارفع رأسه (انظر فتح الطيب ج ٢ ص ٥١٣ طبعة أوربة) .
 (٤) اسم بلد كبير بالأندلس ، ضبطه صاحب القاموس والصاغاني بضم الطاءين ، وخطأه الشارح فضبطه بضم الأولى وكسر الثانية ، وصوبه قلا عن مؤرخي المغرب وابن السمعاني وغيرهم .

الْعُودُ قَدْ تَرَنَّمَ بِأَبْدَعِ تَلْحِينِ
وَسَقَتْ^(١) الْمَذَانِبَ رِيَاضَ الْبَسَاتِينِ

وفي انتهائه حيث يقول :

تَخْطِرُ وَلَا تُسَلِّمُ عَسَاكَ الْعَامُورُ
مُرُوعُ الْكُتَابِ يَحْيَى بْنُ ذِي الْقُنُونِ

ثم جاءت الحُلبَةُ التي كانت في مدة المُلمَّمين ، فظهرت لهم البدائع ؛
وفُرسان حُلِبَتِهم الأعمى التُّطِيلِي^(٢) ، ثم يحيى بن بَقِيٍّ ، ولتُّطِيلِي من الموشَّحات
المُذهَّبة^(٣) قوله :

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي وَفِي الْعَالَمِ أَشْجَابُ
وَالرُّكْبُ وَسَطُ الْفَلَاكِ بِالْخَرْدِ النَّوَاعِمِ قَدْ بَانُوا

وذ كر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن
جماعة من الوشَّاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية ، وكان كل واحد منهم قد
صنع موشحة ، وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى التُّطِيلِي للإنشاد ، فلما افتتح موشحته
المشهورة بقوله :

صَاحِكٌ عَنْ جُبَانِ سَافِرٍ عَنْ بَدْرِ
صَاقَ عَنْهُ الزَّمانُ وَحَوَاهُ صَدْرِي

خَرَقَ^(٤) ابن بَقِيٍّ مَوْشَحَتَهُ ، وتبعه الباقيون .

(١) كذا في ط . وفي م ونفع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « وشقت » .

(٢) كذا في م ونفع الطيب ؛ وهو منسوب إلى تطيلة « بضم فكسر وياء سا كنة ولام »
مدينة بالأندلس في شرق قرطبة « راجع معجم البلدان لياقوت . وفي ط والمقدمة :
« الطليل » .

(٣) في م : « المذهبية » .

(٤) في م : « مزق » .

وذكر الأعمى البطلاني أنه سمع ابن زهر يقول : ما حسدت قط وشاحا على قول إلا ابن بقي حين وقع له :

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ

أَطْلَعَهُ الْمَغْرِبَ فَأَرْنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقَ

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر بن الأبيض^(١) ، وكان في عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سر قسطة ، فألقى على بعض [قيناه]^(٢) موشحته [التي أولها]^(٣) :

جَرَّ الزَّيْلَ أَيُّمَا جَرٍّ

فَطَرَبَ الْمَدُوحَ لَذَلِكَ ، وختمها بقوله :

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَبِي بَكْرٍ

فلما طرق ذلك التلاحين سمع ابن تيفلويت صاح : واطرباه ! وشق ثيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ! وحلف بالإيمان المغلظة^(٤) ألا يمشى ابن باجة إلى داره إلا على الذهب ، يخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ، ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف . ثم قال : وابن هرودس^(٥) الذي له :

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَالشُّعُودِ بِاللَّهِ هُوْدِي

(١) كذا في م . وفي ط والمقدمة : « أبو بكر الأبيض » .

(٢) ما بين القوسين عن مقدمة ابن خلدون .

(٣) في ط : « المغلظة » .

(٤) في مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق : « ابن هرودس » .

وابن موهل^(١) الذي له :

مَا الْعِيدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقٍ وَشَمَّ طِيبٌ
وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِ مَعَ الْعَصِيبِ

وأبو إسحق الدؤيني . قال ابن سعيد : سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زهر وقد أَسَنَّ وعليه زى البادية ، إذ كان يسكن بحصن إِسْتَبَه^(٢) ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كُحِّلُ الدَّجَى يَجْرَى مِنْ مُقَلَّةِ الْفَجْرِ طَلَى الْعَبَّاحِ
وَمِنْهُمْ النَّهْرُ فِي حُلِّ خُضِرٍ مِنْ الْبَطَّاحِ

فتحرك ابن زهر ، وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر ؛ قال : ومن تكون ؟ فعرّفه ، فقال : ارتفع ، فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ . قال ابن سعيد : وسابق العَلْبَةِ التي أدركت هؤلاء أبو بكر ابن زهر ، وقد شرقت موشحاته وَغَرَبَتْ . قال : وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : قيل لابن زهر : لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

مَا لِلْمَوَلَّةِ مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ يَالَهُ سَكْرَانُ !
[مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ مَا لِلْكَثِيبِ التَّشْوِقُ يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ]^(٣)
هَلْ نُسْتَعَاذُ أَيَّامُنَا بِالْخَلِيجِ وَلِيَالَيْنَا
إِذْ يُسْتَفَادُ مِنَ النَّسَمِ الْأَرِيجِ مِسْكُ دَارِينَا

(١) في نفع الطيب المطبوع : « مؤهل » بالهمز .

(٢) كذا في مقدمة ابن خلدون . وهي من أعمال إشبيلية . وفي ط : « سبتة » .

وفي م : « أشبه » . وهو تحريف .

(٣) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .

وَإِذْ يَكَاذُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ أَنْ يُحْيِيَنَا
نَهْرٌ أَظْلَمَ دَوْحٌ عَلَيْهِ أَنْبِقُ مُورِقٌ فَيَنْكُنُ
وَالْمَاءُ يَجْرِي وَعِصَامٌ وَغَرِيقٌ مِنْ جَنَى الرِّيحَانِ

واشتهر بعده ابن حَيُّون . إلى أن قال ابن خلدون : وبعد هؤلاء ابنُ
حَزْمُونِ بْمُرْسِيَّةَ . ذكر ابن الراس أن يحيى الخزرجي^(١) دخل عليه في مجلسه ،
فأنشده موشحة لنفسه ، فقال له ابن حزمون : ما المَوْشَحُ بموشح حتى يكون
عاريا عن التكلف ؟ فقال : على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولي :

يَا هَاجِرِي^(٢) هَلْ إِلَى الْوِصَالِ مِنْكَ سَبِيلُ
أَوْ هَلْ تَرَى عَنْ هَوَاكَ سَالِي قَلْبَ الْعَلِيلِ

[٣٧١] وأبو الحسن سهل بن مالك بفرناطة . قال ابن سعيد : كان والدي
يُعْجَبُ بقوله :

إِنْ سَيْلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَتْجَعِ الْأَفْقِ
فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الْوُزْقِ أَتْرَاهَا خَافَتْ مِنْ الْفَرْقِ
فَبَكَتْ سُحْرَةً عَلَى الْوَزْقِ

واشتهر بإشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل . قال ابن سعيد عن
والده : سمعت سهل بن مالك يقول له : يا ابن الفضل ، لك على الوشاحين
الفضل بقولك :

وَأَحْسَرَتَا لِزَمَانٍ مَضَى عَشِيَّةَ بَنَى الْهَوَى وَانْقَضَى
وَأَفْرَدَتْ بِالرَّغْمِ لَا بِالرِّضَا وَبِتُّ عَلَى جَمَرَاتِ النَّفَى

(١) ف م : « يحيى بن الخزرجي » .

(٢) ف ط : « ياساخرى » .

أَعَانِقُ بِالْفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُوبَ وَأَنْزِمُ بِالنَّوْمِ تِلْكَ الرُّسُومَ
قال : وسمعت أبا بكر بن الصابوني يُنشد الأستاذ أبا الحسن الدَّبَّاجَ
موشحاته غير ما مرة ، فما سمعته يقول : اللَّهُ دَرْكٌ إِلَّا فِي قَوْلِهِ :

قَسَمًا بِالْهَوَى لِنَدَى حَجَرٍ مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرِ
جَمَدِ الصَّبْحِ لَيْسَ يَطْرُدُ مَا لِلَّيْلِ — فِيمَا أَظُنُّ — غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلُ أَنْكَ الْأَبَدُ

أَوْ قُصَّتْ^(١) قَوَادِمُ النَّسْرِ فَجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِ
ومن [محاسن] ^(٢) موشحات ابن الصابوني قوله :

مَا حَالُ صَبِّ ذِي ضَنْفٍ وَكِتَابٍ أَمْرَضَهُ يَا وَيْلَتَاهُ الطَّبِيبُ
عَامِلُهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابِ ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرَى بِالْحَبِيبِ
جَفَا جُفُونِي النَّوْمُ لَكِنِّي لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لِقَدِّ الْخِيَالِ
وَذَا الْوِصَالِ الْيَوْمَ قَدْ عَزَّنِي مِنْهُ كَمَا شَاءَ وَشَاءَ الْوِصَالِ
فَلَسْتُ بِاللَّائِمِ مَنْ صَدَّنِي بِصُورَةِ الْحَقِّ وَلَا بِالْمُحَالِ

واشتهر ببيت العُدوة ابنُ خَلْفِ الجَزَائِرِيِّ صاحب الموشحة المشهورة :

يَدُ الْإِصْبَاحِ قَدَحَتْ زِنَادَ الْأَنْوَارِ مِنْ تَجَامِرِ الزَّهْرِ

وابنُ خَزَرِ^(٣) البِجَائِيُّ ، وله من موشحة :

تَفَرُّ الزَّمَانِ مُوَافِقُ حَيَّاكَ مِنْهُ بِابْتِسَامِ

(١) كذا في إحدى روايات المقدمة طبعة باريس ؛ وقد وردت هذه الكلمة مضطربة في الأصلين ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٣) في المقدمة طبعة بلاي : « ابن خزر » . وفي نفع الطيب : « خزر » .

ومن محاسن الموشحات [للمتأخرين] ^(١) ، موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبته من بعدها ، [فنها قوله] ^(٢) :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّ عَنْ مَكْنَسِ
فَهْوٍ فِي نَارٍ ^(٣) وَخَفَقَ مِنْهَا لَمَبْتُ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس [والقرب لعصره] ^(٤) ، قال :

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلَسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلُمًا فِي الْكَرَى أَوْ خُلْسَةِ الْمُخْتَلَسِ
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمَنَى تَنْقُلُ الْخَطْوَ حَلَى مَا يَرْسُمُ
زُمَرًا بَيْنَ فِرَادَى وَتُنَى مِنْهَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْسِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضَ سِنَى فَتَغُورُ الزَّهْرُ ^(٥) فِيهِ تَبَسُّمُ
وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ الْمَاءِ كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنْسِ
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعَلَّمًا يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيَالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى بِالذَّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْغَرَرِ
مَالَ نَجْمُ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَفَدَ الْأَثَرِ
وَطَرًا مَا فِيهِ مِنْ عَيْبِ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحٍ الْبَصَرِ
حِينَ لَدَّ النَّوْمُ ^(٦) مَعَ حُلُولِ اللَّيْلِ

(١) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون .

(٢) في نفع الطيب : « في حر » . (٣) الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) في الأصلين ومقدمة ابن خلدون : « فسي الأزهار » وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٥) كذا في الأصلين ومقدمة ابن خلدون طبعة بلاق ؛ وفي النفع المطبوع والمخطوط ، والمقدمة طبعة باريس : « الأنس » .

(٦) كذا في كتاب « المذاري المائسات في الأرجال والموشحات » . والقي في الأصلين ونفع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « شينا أو كما » .

غَارَتِ الشَّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّزْجِسِ
 أَيُّ شَيْءٍ لَامَرِي قَدْ خَلَصَا فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَسْكَنٌ ^(١) فِيهِ
 تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْفُرَصَا أَمِنَتْ مِنْ مَسْكَرِهِ مَا تَنْقِيهِ
 فَإِذَا أَلْتَاهُ تَنَاجَى وَالْحَصَى وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
 تُبْصِرُ الْوُزْدَ غَيُورًا بَرِمَا يَكْتُمِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتُمِي
 وَتَرَى الْأَسَّ لَبِيبًا فَهَمَا يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي فَرَسِ
 بِأَهْمِلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْغَمَى وَيَقْلُبِي مَسْكَنٌ ^(٢) أَتَمُّ بِهِ
 ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
 فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
 وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأُخَيُّوا مُفْرَمَا يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ
 حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمَا أَفْتَرِضُونَ عَفَاءً ^(٣) الْحَبْسِ
 وَيَقْلُبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ أَلْمَنَى وَهُوَ بَعِيدُ
 قَمَرُهُ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شِقْوَةَ الْمُغْرَى بِهِ وَهُوَ سَمِيدُ
 قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ
 سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالِ النَّفْسِ
 سَدَّدَ السَّهْمَ وَتَمَّى وَرَمَى فُفُوَادِي نُهْبَةُ الْمُفْتَرِسِ
 إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَلَبِ الْأَمَلُ وَفُوَادُ الصَّبِّ بِالشَّقِيقِ يَذُوبُ

[٣٧٣]

(١) في الأصلين : « كن » . وما أثبتناه عن نفع الطيب والمقدمة طبعة باريس .

كفا في م ونفع الطيب المخطوط والمقدمة . وفي ط : « سكن » .

(٢) في المقدمة طبعة بلاق : « خراب » .

فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِحُبوبٍ ذُنُوبُ
أَمْرُهُ مُعْتَمَدٌ^(١) مُعْتَمِلُ فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّاهَا وَقُلُوبُ
حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَأَحْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ
مُنْصِفَ الظُّلُومِ مِمَّنْ ظَلَا وَمُجَازِي الْبَرِّ مِنْهَا وَالْمُسَى
مَا لِقَلْبِي كَلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ
كَانَ فِي اللُّوحِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ : « إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدُ »
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصَبَا فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَمِيدُ
لَا عِجَّ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبَسِ
لَمْ يَدْعُ فِي مُنْجَقِي إِلَّا ذَمَّا كِبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْعَلَسِ
سَلَّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا وَأَعْمَرِي الْوَقْتَ بِرُجْمِي وَمَتَابِ
دَهْلِكِ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُتْبِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعَتَابِ
وَأَضْرِي الْقَوْلَ إِلَى التَّوَلَّى الرِّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
الْكَرِيمِ الْمُتَنَهَى وَالْمُنْتَمَى أَسَدِ السَّرَجِ^(٢) وَبَذْرِ التَّجْلِيسِ
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

قال : وأما المشاركة فالتكافؤ ظاهر على ما عاتوه من الموشحات . ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري ، التي اشتهرت شرقاً وغرباً ، أولها :

حَبِيبِي أَرْفَعُ حِجَابَ النُّسُورِ عَنِ الْعِذَازِ

[٣٧٤]

(١) في النفع والمقدمة : « معتمِل » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « السراج » .

نَنْظُرُ الْمِسْكَ عَلَى الْكَافُورِ فِي جُلْنَازٍ
كَكَلِّ يَا سُحْبُ رَيْجَانَ الرُّبَا بِالْعُلَى
وَأَجْمَلِي سِوَارَهَا^(١) مُنْعَطَفَ الْجَدُولِ

ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتثيق كلامه ، وتضريع أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ، ونظّموا على طريقته بلفتهم الحَضَرِيَّة ، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا ، واستحدثوا فناً سموه بالزَّجَل ، والتزموا النظم فيه على منحهم إلى هذا العهد ، فجاءوا فيه بالفرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال ، بحسب لغتهم المستعجمة .

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزَّجَلِيَّة أبو بكر بن قُزْمان ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ، لكن لم تظهر جلاها ، ولا انسبكت معانيها ، ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه ، وكان لعهد المُلُثَمِينَ^(٢) ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق . قال ابن سعيّد : ورأيت أزجاله مَرْوِيَّة ببغداد أكثر مما رأيتها بمواضر المغرب . قال : وسمعت أبا الحسن^(٣) بن جَحْدَر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قُزْمان شيخ الصناعة ، وقد خرج إلى منزله مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رُخَام يَصُبُّ الماء من فيه على صفائح من الحجر ، فقال :

وَعَرِيشٌ قَدْ قَامَ عَلَى دُكَّانٍ بِحَالٍ رَوَاقٍ
وَأَسَدٌ قَدْ ابْتَلَعَ ثُعْبَانٌ فِي غِلْظِ سَاقٍ

(١) كذا في م وط . وفي كثير من الأصول الأخرى : « سوارك » . ولا يستقيم

به المعنى ، لأن المراد أن تجعل السحب النهر المنعطف سواراً للربا .

(٢) هو أبو بكر محمد بن قُزْمان ، توفي سنة ٥٥٥ هـ .

(٣) في م ونجح الطيب المخطوط : « أبا الحسين » .

وَفَتَحَ فَنَوَّ بِحَالِ إِنْسَانٍ بِهِ الْفُوقِ
وَانْطَلَقَ بِجَرَى^(١) عَلَى الصَّفَاحِ وَأَلْقَى الصَّبَاحَ^(٢)
وكان ابن قزمان مع أنه قُرْطُبِيُّ الدار كثيرا ما يتردد إلى إشبيلية ، رينتاب
نهرها .

ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاما ، إلى أن قال : وجاءت
بعدم حَلْبَةِ كان سابقها مَدْعَلَيْس ، وقعت له العجائب في هذه الطريقة ،
فن قوله في زَجَلِه المشهور :

وَرَدَّاذِ دِقِّ يَنْزِلُ وَشُعَاعِ الشَّمْسِ يَضْرِبُ
فَتَرَى الْوَاحِدَ يَفْضُضُ وَتَرَى الْآخَرَ يَذْهَبُ
وَالنَّبَاتُ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَالْفُصُونُ تَرْقُصُ وَتَطْرَبُ
وَتَرِيدُ تَجِي إِلَيْنَا ثُمَّ تَسْتَحِي وَتَهْرَبُ^(٣)
ومن محاسن أزجاله قوله :

* لَاحَ الضِّيَا وَالنَّجُومَ حَيَارَى^(٤) *

ثم قال ابن خلدون : وظهر بعد هؤلاء في إشبيلية ابن جَحْدَر ، الذي فُضِّلَ
على الزجالين في فتح مَيُوزَقَةَ بِالزَّجَلِ المشهور الذي أوله :
مَنْ عَانَدَ التَّوْحِيدَ بِالسَّيْفِ يُمَحَقُّ أَنَا بَرِي مِمَّنْ يُعَانِدُ الْحَقَّ
قال ابن سعيد : لقيته ولقيت تلميذه البعيع^(٥) صاحب الزجل المشهور
الذي أوله :

- (١) كذا في المقدمة طبعة بلاق . والذي في الأصلين وسائر المراجع : « ثم » .
(٢) في بعض المراجع : « ولقي » . كما أن في بعضها « الصباح » .
(٣) في الأصلين : « وترجع » . والتصويب عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .
(٤) في م والنفع « سكارى » .
(٥) كذا في الأصلين ونفع الطيب . وفي المقدمة طبعة باريس : « البعيع » . وبهامشها
روايات آخر . وفي المقدمة طبعة بلاق : « الممع » .

يَا لَيْتَنِي إِنْ رَيْتُ^(١) حَبِيبِي أَفْتَلِ^(٢) اذْنُو بِالرُّسَيْلَا^(٣)
لَيْشَ أَخَذَ عُنُقَ الْفُزَيْلِ وَسَرَقَ فَمَ الْحَجِيلَا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهيل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم
لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب ، إمام النظم والنثر في الملة
الإسلامية غير مدافع ، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

امزج الأكواس وإملا لي نجدد ما خلق السال إلا أن يُبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منهج الشُّشُورِيِّ منهم :

بَيْنَ طُلُوعٍ وَبَيْنَ زُرُوفٍ اخْتَلَطَتِ النُّزُولُ
وَمَضَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَزُولُ

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى :

الْبُعْدُ عَنْكَ يَا بَنِي أَعْظَمَ مَصَائِبِي
وَحِينَ حَصَلَ لِي قُرْبُكَ نَسِيتُ أَقَارِبِي

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم ، من أهل

وادي آش ، وكان إماما في هذه الطريقة ، وله من زجل يعارض به مَدْعَلِيسَ [٣٧٦] في قوله :

* لَاحِ الضِّيَا وَالنُّجُومُ حَيَارَى *

بقوله :

حَلَّ الْمُجُونُ يَا أَهْلَ الشُّطَارَا مُذْ جَلَّتِ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ

(١) كذا في م . وفي المقدمة طبعة بلاق : « رأيت » . وفي النسخ المخطوط : « لقيت » .

(٢) في الأصلين : « أقبل » . وما أثبتناه عن المقدمة طبعة باريس .

(٣) الرسيلا (في الأصل) : الرسالة ، معصر الرسالة (بالكسر) ، وهي التؤدة والرفق .

يريد أنه يترك أذن حبيبه في لين ورفق .

ثم ذكر ابن خلدون جملة من هذا الزجل ، وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة
الزجلية لهذا العهد ، هي فنّ العامة بالأندلس من الشعر ، وفيها نظمهم ، حتى
إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ، لكن بلغتهم العامية ، ويستمنونه
الشعر الزجل . إلى أن قال : وكان من المجيدين في هذه الطريقة لأول هذه
الملتة ، الأديب أبو عبد الله اللؤثي ، وله من قصيدة يمدح فيها السلطان
ابن الأحمر :

طَلَّ الصَّبَاحُ قُمْ يَا نَدِيمُ نَشْرِبُ وَنَضْحَكُو مِنْ بَعْدِ مَا نَظَرُبُ
ثم سردها ابن خلدون ، وهي طويلة جدًا .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنًا آخر من الشعر ، في
أعاريض مُزدوجة كالوشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضارية أيضا ، وسَمَوْهُ عَرُوض
البلد ، وكان أول من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس ،
يُعرف بابن عُمر ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ، ولم يخرج فيها عن مذهب
الإعراب [إلا قليلا] ^(١) ، مطلعها :

أَبْكَانِي ^(٢) بِشَاطِئِ النَّهْرِ نَوْحَ الْحَمَامِ عَلَى الْفُضْنِ فِي الْبُسْتَانِ قَرِيبَ الصَّبَاحِ
وَكَفَّ السَّحَرُ تَمْحُو مِدَادَ الظَّلَامِ وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي بِشَفْرِ الْأَقَاحِ
بَاكَرْتُ الرِّبَاضَ وَالطَّلَّ فِيهِ افْتِرَاقُ ^(٣) مَرَّ الْجَوَاهِرُ فِي نُحُورِ الْجَوَازِ
وَدَمَعُ النَّوَاعِرِ يَنْهَرِقُ انْهَرِاقُ يَحَاكِي ثَعَابِينَ حَلَقَتْ بِالشَّمَازِ
لَوُوا ^(٤) بِالْفُصُونِ خَلْجَالٌ عَلَى كُلِّ سَاقٍ وَدَارَ الْجَمِيعُ بِالرُّوضِ دَوْرَ السَّوَارِ

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٢) في م : « بكانى » .

(٣) كذا في المقدمة طبعة بلاق . وفي ط والمقدمة طبعة باريس : « كثير » . وفي م :

« كلن » .

(٤) في م : « لوترى » .

وَأَيْدِي النَّدَى تَخْرُقُ جُيُوبَ الْكِتَامِ
وَعَاجِ الضُّيَا يُطْلِي بِمَسْكِ الْغَمَامِ
رَأَيْتِ الْحَمَامَ بَيْنَ الْوَرَقِ فِي الْقَضِيبِ
يَنْوَحُ مِثْلَ ذَاكَ الْمُسْتَهَامِ الْغَرِيبِ
وَلَكِنْ بَفَاهِ أَنْحَرِ وَسَاقِ خَضِيبِ
جَلَسَ بَيْنَ الْأَغْصَانِ جِلْسَةُ الْمُسْتَهَامِ
وَصَارَ يَشْتَكِي مَافِي الْفُؤَادِ مِنْ غَرَامِ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ أَحْرَمْتُ عَيْنِي الْهُجُوعُ
قَالَ لِي بَكَيْتِ حَتَّى صَفَتْ لِي الدُّمُوعُ
عَلَى فَرْخِ طَارِ لِي لَمْ يَكُنْ لَوْ رُجُوعُ
كَذَاكَ هُوَ الْوَفَا كَذَا هُوَ الدَّمَامُ^(١)
وَأَنْتُمْ مَنْ بَكَى مِنْكُمْ إِذَا تَمَّ عَامُ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ لَوْ خُضْتُ بَحْرَ الضَّنَى
وَلَوْ كَانَ بِقَلْبِكَ مَا بِقَلْبِي أَنَا
الْيَوْمَ لِي تُقَاسِي الْهَجْرَ كَمْ مِنْ سَنَاءِ
وَمِمَّا كَسَا [جِسْمِي] النُّحُولُ وَالسَّقَامُ
وَتَحْمِلُ نَسِيمَ الْمِسْكِ عَنْهَا رِيَّاحُ
وَجَرَ النَّسِيمِ ذَبُلُوا عَلَيْهَا وَقَاحُ
قَدْ أَبْتَلَتْ أُرْيَاشُو بِقَطْرِ النَّدَى
قَدْ أَلْتَفَ مِنْ ثُوبِ الْجَدِيدِ فِي رَدَا
يَنْظُمُ سُلُوكُ جَوْهَرٍ وَيَنْتَقِلُهَا
جَنَاحًا تَوَسَّدَ وَالتَّوَى فِي جَنَاحِ
مِنْهَا خَمٌ مِثْقَارُو لِيَصْدُرُوا وَصَاحُ
أَدَى مَا تَرَال^(٢) يَنْبِكِي بِدَمْعٍ سَفُوحُ
بَلَا دَمْعٍ نَبْقَى طُولَ حَيَاتِي نِنُوحُ
أَلَيْتِ الْبُكَاءَ وَالْحُزْنَ مِنْ عَهْدِ نُوحِ
أُنْظُرُ لِلْجُفُونِ صَارَتْ بِحَالِ الْجِرَاحِ
يَقُولُ قَدْ عَيَانِي^(٣) ذَا الْبُكَاءِ وَالنُّوْحِ
كَانَ يَنْبِكِي وَتَرَنِي لِي بِدَمْعٍ هَتُونُ
رَمَادُ كَانَ بِصِيرٍ تَحْتِكَ فُرُوعُ الْفُصُونِ
حَتَّى لَا سَبِيلَ مُجْلَهَ تَرَانِي الْغُيُونِ
أَخْفَانِي نُحُولِي عَنْ عُيُونِ اللَّوَاخِ

(١) كذا في م . وفي بعض المراجع : « أراك ما تزال » .

(٢) كذا في ط . وفي المقدمة طبعة باريس : « كذا هو الوفا قلت كذا هو الدمام » ،

وكذا ورد في المقدمة طبعة بلاق بنقص كلمة : « قلت » . وفي م : كذا هو الوفا

قل لم كذا هو الدمام » .

(٣) في المقدمة طبعة بلاق : « عناني » .

لَوْ جَعَنِي الْمَنَاءُ كَانَ نِمُوتٌ فِي الْمَقَامِ وَمَنْ مَاتَ بَعْدَ يَأْ قَوْمٌ لَقَدْ اسْتَرَاخَ
ثم قال ابن خلدون : فاستحسنه أهل فاس ، وَوَلِعُوا بِهِ ، وَنَظَّمُوا عَلَى
طريقته ، وتركوا الإعراب الذي [لَيْسَ] ^(١) من شأنهم ، وكثر شِيعَاةُ بينهم ،
واستفحل فيه كثير منهم ، ونوعوه أصنافا ، إلى المزدوج ، [والكازي] ^(٢) ،
والمُلبَّبة ، والفَزَل ؛ واختلقت أسماءها باختلاف ازدواجها ، وملاحظاتهم فيها .
فن المزدوج ما قاله ابن شعاع ، من فحولهم ، وهو من أهل تازا :

الْمَالُ زِينَةُ الدُّنْيَا وَعِزُّ النَّفُوسِ	يَنْهَى وَجُوهَهَا لَيْسَ هِيَ بَاهِيَا
فَهَا كُلٌّ مَنْ هُوَ كَثِيرُ الْقُلُوسِ	وَلَوْه ^(٢) الْكَلَامِ وَالرُّتْبَةِ الْعَالِيَا
يَكْبَرُوا مِنْ كَثْرَتِ مَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ صَغِيرَ	وَيَصْغُرُوا عَزِيزِ الْقَوْمِ إِذَا يَفْتَقِرُ
مِنْ ذَا يَنْطَبِقُ صَدْرِي وَمِنْ ذَا يَنْفِرُ	وِكَادُ يَنْفَقِعُ لَوْ لَا الرُّجُوعُ لِلْقَدَرِ
حَتَّى ^(٣) يَلْتَجِي مَنْ هُوَ فِي قَوْمِهِ كَبِيرُ	لِمَنْ لَا أَصْلَ عِنْدُو وَلَا لَوْ خَطَرَ
لَقَدْ يَنْبَغِي نَحْزَنَ عَلَى ذِي الْمَكُوسِ	وَنُصْبُغُ عَلَيْهِ تُوبِي مِنْ رَأْسِ ^(٤) خَابِيَا
أَدَى صَارَتِ الْأَذْنَابُ أَمَامَ الرُّهُوسِ	وَصَارَ يَسْتَفِيدُ الْوَادُ مِنَ السَّاقِيَا
ضَعُفَ النَّاسُ عَمَلُ ذَا أَوْ فَسَادَ الزَّمَانُ	مَا يَنْذِرُ عَلَى مَنْ نِكَثُوا ذَا الْعِتَابِ
أَدَى [صَارَ] فَلَانَ الْيَوْمَ يَصْبَحُ بُوْ فَلَانَ	وَلَوْ رَيْتَ وَكَيْفَ حَتَّى يَرُدَّ الْجَوَابِ

[٣٧٨]

(١) هذه الكلمة زيادة عن المقدمة .

(٢) كذا في مقدمة ابن خلدون طبعة بلاي . وفي الأصلين : « ألوه » .

(٣) في المقدمة طبعة باريس : « أدى » .

(٤) في م والمقدمة طبعة باريس : « فراس » .

(٥) هذه الكلمة عن المقدمة .

هَسْنَا وَالسَّلَامُ ^(١) حَتَّى رَأَيْنَا عِيَانَ أَنْفَاسِ السَّلَاطِينِ ^(٢) فِي جُلُودِ الْكِلَابِ
كِبَارِ النُّفُوسِ جِدًّا ضِعَافِ الْأُسُوسِ هُمْ فِي نَاحِيَا وَالْمَجْدِ فِي نَاحِيَا
يُرَوِّا أَنَّهُمْ - وَالنَّاسُ يَرَوُّهُمْ تُيُوسُ - وَجُوهَ الْبَلَدِ وَالْعَمَدِ ^(٣) الرَّاسِيَا

ثم ذكر ابن خلدون كلاما آخر لابن شجاع . ثم قال : وكان منهم على بن
المؤذن يَتَلَمَّسَان . [وكان] ^(٤) لهذه العصور القريبة من غولم بزروهون من نواحي
مكناسة ^(٥) رجل يعرف بالكفيف ، أبدع في مذاهب هذا الفن ؛ ومن أحسن
ما علق له بمحفوظي قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبنى مرين إلى إفريقية ،
يصف هزيمتهم بالقيروان ، ويعزيهم عنها ، ويؤنسهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن
غَيَّبَهُمْ ^(٦) على غزاتهم إلى إفريقية في مَلْعَبَةٍ من فتون هذه الطريقة ، يقول في
مُفَتِّحِهَا ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة في الإشعار بالمقصد في مطلع الكلام
وافتحاه ، ويسمى براعة الاستهلال :

سُبْحَانَ مَالِكِ خَوَاطِرِ الْأَمْرَا بِنَوَاصِيهَا فِي كُلِّ حِينٍ ^(٧) وَزَمَانٍ
إِنْ طِعْنَاهُ أَعْظَمَ لَنَا نَصْرًا وَإِنْ عَصَيْنَاهُ عَاقِبٌ بِكُلِّ هَوَانٍ ^(٨)

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كُنْ مَرْغِي قُلْ وَلَا تَكُنْ رَاعِي فَالرَّاعِي هَنْ رَعِيَّتُهُ مَسْتَوِلٌ

(١) كذا في المقدمة . وفي ط : « يبخل بالسَّلام » . وفي م : « يبخل بالجواب » .

(٢) كذا في المقدمة . وفي ط « الشياطين » . وفي م : « شياطين » .

(٣) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي الأصلين والمقدمة طبعة بلاق : « والعمدة » .

(٤) هذه الكلمة عن المقدمة .

(٥) في م . والمقدمة طبع بلاق : « ضواحي » .

(٦) في المقدمة طبعة باريس : « عتبه »

(٧) في م : « فكل » .

(٨) كذا في المقدمة طبعة باريس . وقد ورد هذا البيت مضطربا في الأصلين .

وَاسْتَفْتَحْ بِالصَّلَاةِ عَلَى الدَّاعِي لِلْإِسْلَامِ وَالرَّضَى السَّيِّئِ الْمَكْمُولِ
لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَتْبَاعِ وَاذْكُرْ بَعْدَهُمْ إِذَا تَحَبَّ وَقَوْلِ
أَحْجَابًا تَخَلَّلُوا الصَّحْصَحْرَا وَدَرُّوا شَرْحَ الْبِلَادِ مَعَ السَّكَّانِ
عَسْكَرُ فَاكِسَ الْمَنِيرَةِ الْفَرَا أَيْنَ سَارَتْ بِهِ عَزَائِمُ السُّلْطَانِ
أَحْجَابُ النَّبِيِّ الَّذِي زُرْتُمْ وَقَطَعْتُمْ لَوْ كَلَّاكِلَ الْبَيْدَا
عَنْ جَيْشِ الْغَرْبِ جَيْتِ نِسَائِكُمْ الْمَتْلُوفِ فِي أَفْرِيقِيَا السُّودَا
وَأَمِيرُ كَانَ بِالْعَمَّا يَزُودُكُمْ وَيَدْعُ بَرِّيَّةَ الْحِجَازِ رَغْدَا
قَامَ كُلُّ^(١) كَلَسْدَ صَادَفَ الْجَزَرَا وَيَمَجِّرُ^(٢) شُوْطُ بَعْدَ مَا لِيَحْقَانِ^(٣)
وَتَرَكُوا دَمَ وَلَهَبٍ فِي الْفَسْبَرَا أَدَى صَارَ إِذْ غَارَ لَهُ سَيْحَانِ^(٤)
لَوْ كَانَ مَا بَيْنَ نُوَيْسِ الْغَرْبَا وَبِلَادِ الْغَرْبِ سَدَّ الْإِسْكَندَرِ
مَنْبِي مِنْ شَرْفِهَا إِلَى غَرْبَا طَبَقًا بِحَيْدِ وَثَانِيَا بَصْفَرِ^(٥)
لَا بُدَّ لِلطَّيْزِ كَانَ يَحْيَى بِنْبَا أَوْ يَأْتِي الرِّيحُ عَنْهُمْ بَفَرْدِ خَبَرِ
مَا أَعْوَضَهَا مِنْ أُمُوزٍ وَمَا شَرَا لَوْ تُقْرَأُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى الْوَيْدَانِ^(٦)
لَجَرَتْ بِالْدَّمِ وَأَنْصَدَعَ حَجَرَا وَهَوَتْ الْأَجْرَافُ وَجَفَّتِ الْغُدْرَانُ
إِذْ رَى لِي بِعَقْلِكَ الْفَحَاصُ وَتَفَسَّكَرَ لِي بِخَاطِرِكَ جَمَا

[٣٧٩]

(١) كذا في ط . وفي م والمقدمة : « قل » .

(٢) كذا في المقدمة طبعة بلاق . وفي الأصلين والمقدمة طبعة باريس : « وتفجر » .

(٣) كذا في م والمقدمة طبعة باريس . وفي ط : « يحقان » . وفي المقدمة طبعة بلاق : « يحقان » .

(٤) ورد هذا البيت مضطربا في ط والمقدمة . وما أثبتناه عن م .

(٥) يريد الصفر (بضم الصاد وسكون الفاء) وهو نوع من النحاس .

(٦) كذا في الأصلين والمقدمة طبعة باريس . وفي المقدمة طبعة بلاق : « الديوان » .

ولعله يريد : « الوديان » ليستقيم المعنى بها في البيت الآتي .

إن كان يعلم^(١) حمام ولا رقاص
 بكتاب عبد المهيم القواص^(٢)
 إلا قوم عازيين بلا ستر
 لم يذريوا كيف يصوروا الكسرا
 أمولاي بو الحسن خطينا الباب
 في غنى كنا عن الجريد والزاب
 ما بلغك عن عمر بن الخطاب
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى
 كان إذا تذكر له كره ذكره
 هذا الفاروق زمرؤد الأكوان
 وبقت حى إلى زمن عثمان
 لما دخلت غنائمها الديوان
 وافترق الناس على ثلاث أمرا
 إذا كان ذا في مدة البررا
 وأصحاب الجفر في كتيبانا
 عن السلطان شهر وقبله سبعا
 وعلامات تنشر على الصنما^(٣)
 مجهولين لا مكان ولا إمكان
 أو كيف دخلوا مدينة القيروان
 بقضية سيرا إلى تونس
 وايش لك برب إفريقيا القونس^(٤)
 الفاروق فاتح القرى الثونس^(٥)
 ولم يفتح من أفريقيا دكان
 ويقول اسمها^(٦) يفرق الإخوان
 صرخ في أفريقيا بذا التصريح
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح
 مات عثمان وانتكبت علينا الریح
 وبقي ما هو الشكوت عنوان^(٧)
 ايش نعمل في أواخر الأزمان
 وفي تاريخ كاتبنا وكيوانا^(٨)

(١) في ط : « توجد » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « القواص » . وفي طبعة بلاق : « القواص » .

(٣) يريد الصومعة .

(٤) كذا في م : « القونس » وفي ط : « القونس » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط والمقدمة طبعة بلاق : « المولس » . وفي

م : « البولس » .

(٦) في ط : « فيها تفرق » مكان قوله : « اسمها يفرق » .

(٧) في ط والمقدمة طبعة بلاق : « وتبقى ما هو للشكوت عنوان » .

(٨) كاتب : عطارد . وكيوان : زحل .

تذكر في صُحُفِهَا^(١) وأَيَّانَا شِقِّ وَسِطِيجِ وابنِ مَرَّانَا^(٢)
 ابنِ مَرِّينَ إِذَا انْكَبَّتْ بِرَايَاتَا^(٣) لِحْدَاؤِ تُونِسْ . فَقَدْ سَقَطَ شَانَا
 قَدْ ذَكَّرْنَا مَا قَالَ سَيِّدُ الْوُزَرَا عِيَمَى بْنِ الْحَسَنِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
 قَالَ لِي رَيْنَا وَانَا بِهَا أَدْرَى لَكِنْ إِذَا جَا لِلْقَضَا عِمْتَ الْأَجْفَانِ
 وَيَقُولُ لَكَ مَا رَمَى التَّرِينِيَا مِنْ حَضْرَةِ فَاسٍ إِلَى عَرَبِ دِيَابِ^(٤)
 رَاذُ التَّوَلَّى يَمُوتُ أَبُو يَحْيَى سُلْطَانُ تُونِسْ وَصَاحِبُ الْعُنَابِ^(٥)
 وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَا الْأَشْيَا جَعَلَ أَوْلَادَ أَبُو الْحَسَنِ أَنْسَابَ

ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ، ومنتهى أمره مع
 أعراب إفريقية ، وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع .

وأما أهل تونس فاستحدثوا فن الملعبة أيضا على لغتهم الحضرية ، إلا أن
 أكثره ردى ، ولم يعلق بمحفوظي [منه شيء]^(٦) لرداءته .

وكان لعامة بغداد أيضا فن من الشعر يسمونه المواليا ، وتحتة فنون كثيرة ،
 يُسَمُّونَ مِنْهَا الْقُومَا ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَ[مِنْهُ مَفْرَدٌ ، وَمِنْهُ فِي بَيْتَيْنِ ، وَيَسْمُونَهُ]^(٧)
 دُوبَيْتٌ ، عَلَى اخْتِلَافِ الْمَوَازِينِ الْمَعْتَبَرَةِ عِنْدَهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، وَغَالِبُهَا مُزْدَوِجَةٌ
 مِنْ أَرْبَعَةِ أَغْصَانٍ ، وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، وَأَتَوْا فِيهَا بِالْغُرَائِبِ ،

(١) كذا في ط والمقدمة . وفي م : « شعرها » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « مروانا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « نكس » .

(٤) في المقدمة طبعة باريس : « ذباب » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط : « العتاب » . ولعله يريد : الأعتاب .

وفي المقدمة طبعة بلاق : « الأبواب » .

(٦) التكملة عن المقدمة .

وتجاروا^(١) فيها بأساليب البلاغة ، بمقتضى لغتهم الحضرية ، فجاءوا بالعجائب .
ورأيت في ديوان الصّفيّ الحليّ من كلامه^(٢) أن المواليتا من بحر البسيط ، وهو
ذو أربعة أغصان وأربع قواف ، ويسمى صوتا وبيتين ، وأنه من مخترعات أهل
واسط ، وأن « كان وكان » في قافية واحدة ، وأوزان مختلفة في أشطاره ، والشطر
الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ، ولا تكون قافيته إلا مُردّفة^(٣) بحرف
العة ، وأنه من مخترعات البغداديين ، وأنشد فيه .

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من المواليتا ، ومنها :

نَادَيْتُهَا وَمَسَّيْ قَدْ طَوَّانِي طَى جُودِي عَلَى بَقْبَلَةٍ فِي الْهَوَى يَا مَيَّ [٣٨١]
قَالَتْ وَقَدْ تَرَكْتُ^(٤) دَاخِلَ فَوَّادِي كَيَّ مَاظُنْ ذَا الْقُطْنِ يَغْشَى^(٥) فَمَنْ هُوَ حَيَّ

ومنها :

يَا حَادِي الْعَيْسِ أَرْجُرْ بِالْمَطَالَا زَجْرُ وَقَفْ عَلَى مَنَزِلِ أَحِبَّائِي قُبَيْلِ الْفَجْرِ
وَصِخْ فِي حَيْثُمْ يَا مَنْ يُرِيدُ الْأَجْرُ يَنْهَضُ يَصِلُّ عَلَى مَيِّتٍ قَتِيلِ الْهَجْرِ

ومنها :

عَيْنِي الَّتِي كُنْتُ أَرْعَاكُمْ^(٦) بِهَا بَاتَتْ تَرَعَى الثُّجُومَ وَبِالتَّسْهِيدِ اقْتَاتَتْ
وَأَسْهَمُ الْبَيْتِ صَابِقَتِي وَلَا فَاتَتْ وَسَلَوْتِي^(٧) - عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ - مَاتَتْ

(١) في م والمقدمة طبعة بلاق : « تجاروا » .

(٢) راجعنا ديوان صفي الدين الحلي المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٢ م ، فلم نجد ذكرنا
لما أشار إليه ابن خلدون هنا .

(٣) في ط : « مزدوجة » . وما أثبتناه عن م والمقدمة طبعة باريس .

(٤) في المقدمة طبعة بلاق : « كوت » .

(٥) في المقدمة طبعة بلاق : « يحشى » .

(٦) في ط : « أنظركم » .

(٧) في ط : « ومهجتي » .

ثم قال : ومن الذى يسمونه دُوبيت :

قَدْ أَفْهَمَ مَنْ أَحْبَبَهُ بِالْبَارِي أَنْ يَبْعَثَ طَيْفَهُ مَعَ الْأَسْحَارِ
يَا نَارَ أَشْوَاقِي^(١) بِهِ فَاتَّقِدِي لَيْلًا عَسَاهُ يَهْتَدِي بِالنَّارِ

واعلم أن الذوق فى معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استعماله لها ، ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يُحَصِّلَ ملكتها ، كما^(٢) قلناه فى اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب ، ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والشرق ، ولا الشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب ؛ لأن اللسان الحضرى وتراكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته ، وذائق محاسن الشعر من أهل بلده ، وفى خلق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ آيَاتٌ لِّلْعَالَمِينَ .

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر ، ببعض الاختصار .

اعتذار المؤلف
عن ذكره
الأزجال

قلت : كأن بمنقذ ليس له خير ، يُسَدِّدُ سهام الاعتراض ويتولى كبره ، ويقول : ما لنا وإدخال الهزل فى معرض الجد الضراح ؟ وما الذى أحوجنا إلى ذكر هذا المنحى والأليق طرحة كل الأطراح ؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف : لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف ، وليس مرادهم إيثار الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسلف فى مثل ذلك حكايات يطول جلبها ، ولا يَقْدَحُ ذلك فى سكينتهم ، ولا يُتَوَهَّمُ لسببه سلبها ، ويرحم الله تعالى عياضا إذ قال :

قُلْ لِلْأَحِبَّةِ وَالْحَدِيثِ شُجُونٌ مَا ضَرَّ أَنْ شَابَ الْوَقَارُ مُجُونٌ

الآيات الآتية فى محلها .

(١) فى الأصلين : « شوقى » . وما أثبتناه عن المقدمة . (٢) فى م : « لا » .

وليس قصدنا نحن بهذا ، عِلْمَ الله ، غَرَضًا فاسدًا ، نُنْفِقُ منه في سُوقِ الهزل
كاسدا ، وإنما غَرَضُنَا صحيح ، وزَنَدُنَا غير صحيح . على أن المقصود الأعظم
مدح النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأوزان ، وكلُّ ما سيق وسيلةً إلى ذلك
مما راق أوزان .

واعلم أيها الناظر ، أذهبَ اللهُ عن ساحتك الأشجان ، أن كثيرا من الأئمة
مَدَحُوا بذلك البعوثَ رحمةً إلى الإنس والجان ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه ، صلاةً وسلاماً يتضوع نشرهما في المشرق والمغرب ، ويتألق نورهما ،
فيهتدى به قائلهما لقضاء الأغراض والمآرب . فمن ذلك قول بعض مَنْ كَرَعَ من
مَنَهَلِ حبه العذب المشارب ، من مُوشَّحٍ لم أقف منه إلا على قوله :

موشحان
غير منسوبين
في مدح الرسول

بِالْقَوْلِ شَدَا	الْبُلْبُلُ فِي الرِّيَاضِ لَمَّا نَشَدَا
مِمَّا وَجَدَا	وَالْغُصْنُ لَهُ يَمِيلُ حَتَّى سَجَدَا
يَمْتَسِحُ نَدَى	قَدْ مَدَّ لَهُ الْأَكْفُ مِنْ غَيْرِ نَدَا
دُونَ الْعَلَقِ ^(١)	وَالْوُزُقُ شَدَتْ بِصَوْتِهَا الْمَلْحَانَ
رَبُّ الْفَلَقِ	لَمَّا ذُكِرَ بِأَطْيَبِ ^(٢) الْأَلْحَانِ
مَنْ رَامَ هُدَى	يَا أَشْرَفَ مُرْسَلٍ بِهِ اللهُ هُدَى
بِرَجُوكَ غَدَا	بِالْمَدْحِ لَدَيْكَ عَبْدُ وَهَابٍ غَدَا
يَمْنٍ رَصَدَا ^(٣)	يَا مَنْ مَدِيحُهُ جَلَا كُلَّ صَدَا
بِالدَّنْبِ شَقِي	يَا مَلْجَأَ كُلِّ خَائِفٍ أَوْ جَانِي

(١) العلق : الهوى .

(٢) كذا في م . وفي ط : « بطيب » .

(٣) كذا في ط . يريد اتجه إليك وقصدك . وفي م : « صدا » .

لَا زَالَ حِمَاكَ رَوْضَةً لِلْجَانِي وَالْمُنْتَشِقِ
يَا غُرْبَ تِهَامَةٍ حِمَاكُمْ أَرَبِي فِيهِ الْعَرَبِي
فَالسَّغَى لِفَيْرِ أَرْضِكُمْ لَمْ يُجِبْ حَثَّ الثُّجُبِ
فَالْفَضْلُ لَكُمْ مَعَ كَالِ الْحَسْبِ عِنْدَ النَّسَبِ
مِنْ مَدْحِكُمْ^(١) تَصَرَّمَتْ أَخْزَانِي وَالْفَرْحُ بَقِيَ
عِنْدِي أَبَدًا وَفَوَّحَتْ أَوْزَانِي مِنْكَ الصَّبَقِ

ومن ذلك قول بعض العُدُول من أهل العصر القريب من عصرنا ، رحمهم

الله تعالى :

يَا غُرْبَ الْحَيِّ مِنْ حَيِّ الْحَمَى أَتَمُّ عِيْدِي وَأَتَمُّ عُرْوَتِي
لَمْ يَحُلْ عَنْكُمْ وَدَادِي بَعْدَمَا حُلُمٌ ، لَا وَحْيَاةِ الْأَنْفُسِ
مَنْ عَذِيرِي فِي الذِّي أَحْبَبْتُهُ مَلِكُ الْقَلْبِ شَدِيدَ الْبُرْحَا^(٢)
بَدْرُ نَيْمٍ أَرْسَلَتْ مُقْلَتُهُ سَهْمَ لَحْظٍ لِفُؤَادِي جَرَحَا
إِنْ تَبَدَّى أَوْ تَنَقَّى خِلْتُهُ غُضْنُ بَانَ فَوْقَهُ شَمْسُ ضُحَى
تَطْلُعُ الشَّمْسُ عِشَاءً عِنْدَمَا تَتَحَلَّى مِنْهُ أَبْهَى مَلْبَسِ^(٣)
وَتَرَى اللَّيْلَ أَضَا مُنْهَرِمًا وَتَرَى الصُّبْحَ أَضَا فِي الْقَلْبِ
يَا حَيَاةَ النَّفْسِ صِلْ بَعْدَ النَّوَى وَالْهَا مُضَيَّ شَدِيدَ الشَّفَفِ
قَدْ بَرَّاهُ الشُّمُّ حَتَّى ذَا الْهَوَى كَادَ أَنْ يُفْضِيَ بِهِ لِلتَّلَفِ
آهٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ بِاللَّوَى وَزَمَانٍ بِالْمَنَى لَمْ يُسْعِفِ

(١) ف ط : « مددكم » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « منكم قلبي قبل هذلي البرحا » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) كذا في م . وفي ط : « تتجلى منه بأبهى ملابس » .

كُنْتُ أَرْجُو الطَّيْفَ يَأْتِي حُلْمًا عَائِدًا يَا نَفْسُ مِنْ ذَا قَابَأَمِي
 هَلْ يَعُودُ الطَّيْفُ صَبًّا مُغْرَمًا سَاهِرًا أَجْفَانُهُ لَمْ تَنْفَسْ
 هِمْتُ فِي أَطْلَالٍ لَيْلٍ وَأَنَا لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبِ
 مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنْحَى لَا وَلَا لَيْلٍ وَسُعْدَى مَطْلَبِي
 إِنَّمَا سَوْلي وَقَعْدَى وَالْمَنَى سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ
 [أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ طَهَ مَنْ سَمَا الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفِ الْكَئْسِ] ^(١)
 خَاتَمُ الرُّسُلِ الْكَرِيمُ لِمُنْتَمَى طَاهِرُ الْأَصْلِ زَكِيُّ النَّفْسِ
 ولم أقف من هذه الموشحة على غير هذا القدر ، وهو عجيب ، عارض
 موشحتي ابن سهل وابن الخطيب السابقين الذكر .

ومن ذلك جملة موشحات ، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكي ^[٢٨٤]
 الصوفي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الصَّبَّاحِ الجُدَامِيِّ ، وقد ألف ذلك
 بعضُ الأئمة في تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراکش ، وأطال فيه
 من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمهم ، ولم أذكر من موشحاته هنا إلا الغرر ^(٢) ،
 على أنها كلها غرر ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

موشحات لابن
 الصَّبَّاحِ الجُدَامِيِّ
 في مدح الرسول
 أيضا

أَلِفَ الْمُضَى الشَّجُونَا وَارْتَضَى الْأَحْزَانَ دِينَا
 فَوْقَ صَفْحِ الْوَجْنَتَيْنِ أَهْمَلَ الدَّمْعَ الْهَثُونَا
 يَقْطَعُ الْأَيَّامَ حُزْنَا وَبُكَاءَ وَعُويلا
 فَارْحَمُوا صَبًّا مُعْنَى قَلْبُهُ يُذَكِّي غَلِيلَا

(١) هذا البيت عن تفتح الطيب .

(٢) كذا في م . وقط : « هنا على القدر » .

مُلْهَبَ الْأَخْشَاءِ مُضْنَى بِالنَّوَى أَضْحَى عَلِيلاً
 ذَابَ شَوْقًا وَحَيْنًا وَسَقَامًا^(١) وَأَيْنَا
 يَا لَهُ مِنْ حِلْفِ بَيْنٍ يَرْتَضَى فِيكَ الْمُنُونَا
 أَتَرَى عَهْدًا تَقْضَى مِنْكُمْ هَلْ لِي يَعُودُ
 قَمَتِي عَنِّي تَرْضَى قَدْ بَرَى جِسْمِي الصُّدُودُ
 لَمْ أَطِقْ وَاللَّهِ نَهْضَا فَبِحَقِّ الْحَقِّ جُودُوا
 وَارْجِعُوا صَبًّا مَيِّنَا كَمْ شَكَا الْبَيْنَ سَيْنَا
 وَشُنُونُ الْمُقْلَتَيْنِ تَسْكُبُ الدَّمْعَ الْمَعِينَا
 قَدْ ذَوَى غُصْنُ الشَّبَابِ وَمَضَى عُمْرِي وَوَلَّى
 أَن لِي وَقْتُ الْإِيَابِ كَمْ أَسْلَى^(٢) النَّفْسَ جَهْلَا
 هَذِهِ عِرْسُ الْمَتَابِ فِي قَبَابِ الْوَصْلِ تُجَلَّى
 حَسَّنُوا فِيهَا الظُّنُونَا وَادْخُلُوهَا آمِنِينَا
 قَدْ وَصَلْنَا كُلَّ بَيْنٍ وَعَفَوْنَا وَرَضِينَا
 نَحْوَ هَانِيكَ الرُّبُوعِ فَاجْهَدُوا كَدَّ الْحُودِلِ
 وَإِلَى قَبْرِ الشَّفِيعِ أَعْمِلُوا سَيْرَ الرَّحِيلِ
 إِنْ تَكُنْ خَلِي مُطِيعِي يَمِّنْ خَيْرَ رَسُولِ
 كُنْ لِي يَا رَبِّ مُعِينَا وَصِلِ الصَّبَّ الْعَزِينَا
 قَبْلَ أَنْ يَحِينَ جَنِي وَأَرَى الْمَوْتَ يَقِينَا

(١) في م : « وبكاه » .

(٢) في م : « أمي » .

نَمَّ رِيحَانُ التَّدَانِي وَسَرَتْ رِيحُ الْوِصَالِ
قَدْ صَفَا وَرْدُ الْأَمَانِي فَانْتَهَضَ نَحْوَ الْمَعَالِي
صَاحِرُكُمْ هَذَا التَّوَانِي فَاسْتَمِعْ عَذَبَ الْمَقَالِ
وَبَلِينَا وَابْتُلِينَا وَاشْنِ يَقُولُ النَّاسِ فِينَا
قُمْ بِنَا يَا نُورَ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا

وقوله في التشوق إلى مكة وطيبة ، على ساكنها الصلاة والسلام :

زَهْرُ شَيْبِ الْمَفَارِقِ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْكِمَامُ
فَابْكِ الزَّمَانَ الْمَفَارِقِ وَحَاكِ فِي التَّوْحِ الْحَمَامُ
عَوَّضْتُ بِالصَّبْحِ الْأَصِيلِ وَقَدْ عَرَا الْبَذَرَ انْكِسَافُ
أَلَمْ بِالْقُصْبِ الذُّبُولِ وَكَانَ لَدُنَّا ذَا انْعِطَافُ
رِيحُ الصَّبَا كَانَ^(١) تُمِيلُ كَانَ سُمِّيَ صِرْفَ الشَّلَافِ^(٢)
حَقِّي^(٣) رَمَى الْقَلْبَ رَاشِقُ وَفُوقَتْ نَحْوَى السَّهَامُ
وَلِسَانُ الْحَالِ نَاطِقُ يُخْبِرُنِي أَنْ لَا دَوَامُ
يَا بَذَرَ أَيَّامِ الشَّبَابِ هَلْ لِلْأَقُولِ مِنْكَ^(٤) طُلُوعُ
أَضْحَى فَوَادِي ذَا الْمَذَابِ حَلِيفَ أَشْجَانِ فَرْوَعُ
وَنَارُ حُزْنِي فِي التَّهَابِ تَذَكَّرِي بِأَحْنَاءِ الصُّلُوعِ
فَإِنْ هَذَا الْبَرْقُ خَافِقُ ذَكَرْتُ عَهْدِي بِالْخِيَامِ

(١) في ط : « فيها » .

(٢) في الأصلين : « الزلال » ، وظاهر أنه خطأ من النسخ .

(٣) في م : « حين » .

(٤) في ط : « من » .

وإن تأوّه عاشق ساجلت في دمعى القمام
ولّى الشّبابُ وانقضى قدّمع عيني في انهمال
وفي الحشى جمرُ الفضا لفقد هاتيك الليال
يا عهد أيام الرضا هل رجعة تُدني الوصال
تحيا بها نفس وامق مضى الفواد مستهام
نحو العذيب وبارق يحذو به حادى القرام
يَهِيْجُهُ لَمْعُ الْبَوَارِقِ مِنْ طَيِّبَةٍ حِينَ نَشَامُ
فإن تعمقنى العوائق ألصقت خدى بالرغام
يا دار هل يدنو المزار فيعقب الليل الصباح
لهنى على بُعد الديار وقص أرياش الجناح
متى أرى أخذو القطار فقد برانى الانتزاع
أشدو المطايا السوابق^(١) مزمر ما عند المقام :
نفر الزمان الموافق حيالك منه بابتسام

[٢٨٦]

وقوله رحمه الله :

رُسُومُ ظَاهِرِ الْبَلَى بِكُلِّ رَسْمٍ طَائِمٍ^(٢) عَنْوَانُ
وَرَبُّهُمْ^(٣) مَا أَشْكَلَا مِنْهَا لِكُلِّ حَازِمٍ نَبِيَّانُ

(١) جاءت هذه « القفلة » في ط دون م . وكان من حقها أن تسبق بدور ذى ستة أغصان على نظام أدوار هذه الموشعة . أو لعلها زائدة .

(٢) في م : « بالسوايق » . .

(٣) في ط : « ظاهر » .

(٤) في م : « وعنهم » .

قِفْ بِالذِّبَارِ وَاعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعَبْرِ
 وَانْظُرْ^(١) لَهَا وَازْدَجِرْ فَإِنَّ فِيهَا الْأَجْرَ
 كَمْ مَقْلَمٍ قَدْ دَثَرَ فَلَمْ يَبَيِّنْ مِنْهُ أَثَرَ
 تَبْكِيهِ وَزُقُ الْقَلَا وَفِي بُكَاءِ الْحَمَامِ أَشْجَانُ
 فَلَنْتَدِبَ إِلَى الطَّلَا فَنَفْوَادِ الْهَائِمِ أَحْزَانُ
 سَمَاعًا مِنَ الْوُجُودِ^(٢) عَنْهُ تَقَامُ الْمُقُولُ^(٣)
 فَفَيْبَسُهُ^(٤) وَشُهُودُ كَلَاهُمَا عَيْنُ الدَّلِيلِ
 حَتَّى مَتَى يَا مُرِيدُ تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الْخُمُولِ
 تَشْكُو لَنَا الْعِلَلَا وَأَنْتَ بِالْمَآئِمِ جَذَلَانُ
 فَلَنْ يَمُزَّ الْعِلَا فَعِنْدَنَا لِلنَّادِمِ إِحْسَانُ
 فَنَاهِ أَهْلَ الطَّرِيقِ هُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ
 فَكُلُّ مَعْنَى دَقِيقِ بِوَصْفِهِمْ يُحَقِّقُ
 أَنْوَارُهُمْ فِي شَرِيقِ بِهَا اسْتَضَاءَ الْمَوْفِقُ
 قَدْ أَوْضَحُوا الشُّبْلَا فَهُمْ لَنَا فِي الْعَالَمِ بُرْهَانُ
 فَاجْنَحْ إِلَيْهِمْ وَلَا تُغْفِلْ لِلْفَوَاسِمِ إِبَانُ
 يَا نَاسِيَا لَوْ ضَلْنَا أَبْقِظْ مِنَ النَّوْمِ الْجُفُونُ
 سَلِّمْ إِلَيْنَا فَعَلْنَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ
 لَأَحْوَلُ إِلَّا حَوْلَنَا فَانْفِ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونُ

(١) في ط : « وانطق » .

(٢) كذا ورد هذا الشطر بالأصلين .

(٣) في م : « عنه نبا فهم المقول » .

يَا غَادِرًا قَدْ سَلَا أَقْصِرْ فَلَيْسَ يَجْمَلُ سُلْوَانُ
 اللَّهُ مَا أَجْمَلَا مَنْ بَاتَ وَهُوَ بِالْهَوَى نَشْوَانُ
 يَا طَالِبًا لِلنَّادَى يَنْفِي السَّمَاحَةَ وَالنَّوَالُ
 يَمُّمٌ - فُذَيْتَ - أَحْمَدَا بَذَرَ الْمَلَأَ شَمْسَ الْكَمَالُ
 وَعَدَّ عَمَّنْ شَدَا وَاسْتَفَرَّقَ الْمَدْحَ وَقَالَ:
 إِنْ جِئْتَ أَرْضَ سَلَا تَلْقَاكَ بِالْكَارِمِ فَتِيَانُ
 هُمْ سَطُورُ الْعَمَلَا وَيُوسُفُ بْنُ الْقَائِمِ عُتْوَانُ

وقوله رحمه الله :

بِأَرْضِ طَنْبَةِ مَعَهْدَ شَوْقِي إِلَيْهِ مُجَدِّدُ
 هَلْ لِي بِتِلْكَ الطَّلُولِ
 مِنْ زَوْزَةٍ وَمَقِيلِ
 بِأَقْبَرِ خَيْرِ رَسُولِ
 مَتَى يَرَاكَ فَيَسْعَدُ صَبَّ بِيْعُدِكَ مُكْمَدُ؟
 مُذْ قَدْ بَرَاهُ انْتِزَاحُ
 وَقُصَّ مِنْهُ الْجَنَاحُ
 لَهُ إِلَيْكَ اِزْتِيَا حُ
 بِالْغَرْبِ أَضْعَى مُقَيَّدُ وَالضَّعْفُ وَالشَّيْبُ يُشْهَدُ
 رَنْجُ التَّوَاصُلِ أَقْوَى
 فَمَنْ عَلَى الْهَجْرِ يَقْوَى
 قَدْ صَيَّرَ الْجِسْمَ نِضْوَا

سَهْمٌ بِعَادٍ مُسَدَّدٌ لَقَدْ^(١) رَمَانِي فَأَقْصِدْ
 مَتَى يُتَّحَاحُ التَّدَانِي
 لِمُكْنَدِ الْقَلْبِ عَانِي
 يَشْدُو بِكُلِّ لِسَانٍ
 عَمَى الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُ مِمَّا تَقْضَى يُجَدِّدُ
 يَا بُغْيَتِي يَا مُرَادِي
 أَشْكُوكَ فَرْطَ بَعَادِي
 فِي كُلِّ وَادٍ أَنَادِي :
 مَالِي غَيْرُكَ مَقْصِدُ فَكَيْفَ بِالْهَجْرِ أَقْصِدُ
 فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ
 فَذَاكَ وَقْتُ عَلَيْكَ
 مَالِي شَفِيعٌ لَدَيْكَ
 إِلَّا بُكَائِي سَرْمَدُ فَمَنْ عَلَى الْحُسْنِ^(٢) يُسْعِدُ
 بِي فَأَفْعَلْ مَا تَشَاءُ
 أَنْصَحِي لِي مِنْكَ الرَّجَاءُ
 فَكُلُّ دَاءٍ دَوَاءُ
 وَكُلُّ رَأْيٍ^(٣) مُسَدَّدٌ وَكُلُّ أَمْرٍ مُرْشَدٌ

(١) في ط : « حين » .

(٢) كذا في الأصلين ؛ ولعلها : « الحزن » .

(٣) في م : « رأي » .

وقوله رحمه الله :

قُمْ وَنَاجِ اللَّهَ فِي دَاجِي الْفَلَسِ تَنْتَشِي الْأَرْوَاحُ^(١)
وَالْتَمِسِ الْغُفُورَ فِيهِ مُلْتَمَسِ وَانْتَبِهْ قَدْ فَاحَ
عَرَفُ أَزْهَارِ الرِّضَا ثُمَّ اقْتَبَسِ نُورَ رُشْدٍ لَاحَ
وَانتَشِقْ يَا صَاحِ أَرْوَاحِ السَّحَرِ يَا لَهَا مَشْمُومَ
عَرَفُهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهَرِ يُنْعِشُ الزَّكُومَ
مَرَّغِ الْخَدَّ وَنَادِ بِالنَّحِيبِ وَاهِلِ الْأَجْقَانِ
قِفْ بِمَفَنَّاؤِهِمْ وَقُوفَ مُسْتَرِيبِ حَالَفِ الْأَشْجَانِ
وَاشْكُ إِنْ وَافَقْتَ إِصْغَاءَ الطَّبِيبِ عَلَّةَ الْهَجْرَانِ
فَقَسَى بِالْوَصْلِ تُخَيِّ مَا دَرَّ وَيَطِيبُ النِّعَمِ
فَالنَّوَى مَا إِنْ عَلَيْهِ مُضْطَبَّرُ وَالْبِعَادُ أَلِيمِ
يَا رَحِيمَ الْخَلْقِ رُحْمًا كَفَقَدُ حِثُّ مَغْنَى رَحِيبِ
لَيْسَ لِلْعَبْدِ عَلَى النَّارِ جَـلْدُ وَهُوَ عَبْدٌ مُرِيبِ
عَبْدٌ سِوَهُ [لِحَاك] ^(٢) قَدْ قَصَدُ يَشْتَكِي بِالذُّنُوبِ
مَنْ لَهُ يَوْمَ تَرَامِي بِالشَّرِّ زَفَرَاتُ الْجَحِيمِ
فِيهَا بُ الْخَلْقِ ^(٣) مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ عَافِي يَا رَحِيمِ
أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مُقِيمِ أَوْرَثَانِي شَجَا

[٣٨٨]

(١) في م : « تنتشى الأرواح » .

(٢) السياق ووزن البيت يقتضيان هذه الكلمة أو ما في معناها .

(٣) في ط : « فيها ندا الخلق » .

فِي فُؤَادِي مِنْ دُمُوعِي كُلُّومٍ قَلَّما تُرْتَجَى
 وَاعْتِلَاقِي بِجَنَابِ الْكَرِيمِ مُشْعِرٌ بِالنَّجَا
 هَا أَنَا فِي الْعَالَتَيْنِ فِي خَطَرٍ وَالْفُؤَادُ سَلِيمٌ
 سَلَكَ التَّوْحِيدُ فِيهِ بِالنَّظَرِ سُبُلَ نَهْجِ قَوِيمٍ
 أَحْلَيْفَ الْحُزَنِ تَشْكُو بِالْعَبَادِ لَذِ الْمَجْدِ ^(١) أَثِيلُ
 فِي قِبَابِ الْمَجْدِ تَحْطَى بِالْمَرَادِ ^(٢) حَيْثُ حَلَّ الرَّسُولُ
 عِنْدَهُ يَشْفِي صَدَاهُ الْفُؤَادِ وَاسْأَلْنِ مَنْ يَقُولُ: ^(٣)
 «لَيْتَنِي رَمَلْتُ الْحَرَّةَ» ^(٤)

وقوله رحمه الله :

نَأَتْ بِي الْأَوْطَانُ عَنْ حَضْرَةِ الْإِحْسَانِ وَلَا مُعِينِ
 فَمَنْ لِيذَى أَحْزَانُ لَطِيبَةٍ قَدْ كَانَتْ لَهُ حَنِينِ
 شَطَّتْ بِي الدَّارُ فَيَا شَوْقَاهُ لِيَثْرِبِ
 أَحْبَابُهُ ^(٥) سَارُوا وَالْبَيْنُ أَقْصَاهُ بِالْمَغْرِبِ
 فِي قَلْبِهِ نَارُ تَذْكِيهِ أَمْوَاهُ فَلْتَفْجَبِ
 لَوْ سَابَقَ الْإِخْوَانُ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ أَضْحَى مَكِينِ

(١) كذا في ط . وفي م : « لذي بني مجد » .

(٢) في م : « حيثما حل » .

(٣) في ط : « واسأل من » . وفي م : « وسل مما » . ولعلهما مبدلتان عما

أثبتناه ، ليجري الوزن مع ما سبق .

(٤) كذا وردت هذه العبارة في م ، ولم ترد في ط .

(٥) في ط : « أخذانه » .

فَحَالَفَ^(١) الْأَشْجَانَ وَاضْغَبَ مَعَ الْأَحْيَانِ^(٢) قَلْبًا حَزِينٍ
لِلْمَوْرِدِ الْعَذْبِ وَالْمَنْهَلِ السَّلْسَلِ شَدُّوا الرَّحِيلِ [٢٨٩]
فَيَا ظَلَمًا قَلْبِي لِذَلِكَ الْمَنْهَلِ هَلْ مِنْ مَقِيلٍ
بِسَاحَةِ الْقُرْبِ فَيُبْرِدُ السَّلْسَلِ حَرَّ الْغَلِيلِ
إِنْ أُمَكَّنَ الْإِمْكَانُ أَنْ يَكْرَعَ الظَّمَانُ مِنْ الْمَعِينِ
فِي مَشْرَبِ الرِّضْوَانِ فَذَاكَ سَعْدٌ دَانٍ لِلرَّائِدِينَ
يَا حَادِي الظُّنَنِ وَسَائِقَ الرَّكْبِ إِلَى الْعَمِيقِ
أَسِفْتُ لِلْبَيْنِ فَهَلْ إِلَى الْقُرْبِ يُبْلَغُ طَرِيقُ
مَتَى النَّوَى تُدْنِي مِنْ مَطْلَعِ الشُّهْبِ قَلْبًا خَفِيقُ
فَيَنْتَرِبُ بُسْتَانُ لِلرُّوحِ وَالرَّبْحَانِ فِيهِ فُنُونُ
وَدَوْحُهُ الْمَرْدَانُ تَحْيَا بِهِ الْأَكْوَانُ فِي كُلِّ حِينِ
يَا خَيْرَ مَرْسُولٍ لِلْحُرِّ وَالْعَبْدِ بِالْمُعْجَزَاتِ
نِدَاهُ مَخْبُولٍ نَادَى عَلَى بُعْدِ خَوْفِ الْمَمَاتِ
أَتُمُّ مَتَى سُولِي وَأَتُمُّ قَضْدِي وَلِي صِفَاتِ
تَمْجُهَا الْأَذَانُ وَتَقْتَعِي الْمِجْرَانَ فَمَا يَكُونُ
مِنْ ذِي شُجُونٍ عَانَ يَحْكِي بِدَوْحِ الْبَانَ شَادِي النُّصُونِ
يَا صَاحِرَ الْقَضْدِ أَنْ يَظْفَرَ الْأَوَاهِ بِقَضْدِهِ

(١) في ط : « فخالف » .

(٢) في ط : « الأعيان » .

إِنْ شَفَّكَ الْبُعْدُ فَتَقِ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْ عَمِيدِهِ
وَدَعْ فَتَى يَشْدُو وَاللَّهُوَ قَدْ أَلَمَاهُ عَنْ رُشْدِهِ
جَنَّانُ يَا جَنَّانُ إِحْنِ مِنَ الْبُسْتَانِ الْيَاسَمِينِ
وَحَلِّ الرِّيحَانِ بِحُرمَةِ الرَّحْمَنِ لِلْمَاشِقِينَ

وقوله (١) رحمه الله تعالى :

لَا أَحْمَدَ الْمُضْطَفَى مَقَامُ
جَلَّ عُلَا فَلَا يُرَامُ
بُنُورِهِ يَهْتَدِي الْأَنَامُ
فَأَيُّ شَمْسٍ وَأَيُّ بَذَرٍ قَدْ أَطْلَعَتْهُ لَنَا الشُّعُودُ
بُنُورِهِ تُشْرِقُ الشُّمُوسُ
فِي حُبِّهِ تُخْلَعُ النُّفُوسُ
يَأْيُهَا الْمُسْمِعُ الرَّئِيسُ
أَدِرْ عَلَيْنَا كُتُوسَ فَخْرٍ مِنْ ذِكْرِهِ تُعْطَى مَا تُرِيدُ
أَمْدَاحُ خَيْرِ الْوَرَى نَعِيمُ
نَحْنُ أَنْاسٌ بِهَا نَهِيمُ
يَا مَا دَحِيصِهِ بِاللَّهِ قَوْمُوا
خُوضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ شَهِيدُ
الشَّطْحُ فِي حُبِّهِ مُبَاحُ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا أَرْتِيَا حُ
قُلُوبُنَا حَشَوَهَا جِرَاحُ

مِنْ نَأْيِ مَغْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَرَى قَبْرَهُ الْعَمِيدُ
 إِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالْوُصُولِ
 لِقَبْرِ خَيْرِ الْوَرَى الرَّسُولِ
 السَّيِّدِ الْأَرْفَعِ الْجَلِيلِ
 فَمَنْ نَحْلَعُ ثِيَابَ طَهْرٍ وَتُوْفِي رُوحِي لِمَنْ تُرِيدُ
 وقوله أيضا :

لَهْفِي عَلَى عُمرِي ^(١) مَضَى وَالشَّيْبُ فِي الْفَوْدِ بَدَا وَمَا قَضَيْتُ الْفَرَضَا
 أَيَّامُ رِيْعَانِ السَّيَابِ وَلَتَ وَلَمْ تَنْوِ الْإِيَابِ
 فَنَارُ حُزْنِي فِي التَّهَابِ وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْسِكَابِ
 يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجَعْتُ تَشْفِي الصَّدَى حَقًّا وَتَنْفِي الرِّضَا
 إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا دَعِ عَنْكَ أَوْصَافَ الْجَفَا
 وَأَذْكَرُ لِرِئَسِهِمْ قَدْ عَفَا وَهَمٌ بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى
 الْمَاهِئِي الْمُرْتَضَى تَاجَ الْعُلَاسْمِ الْهُدَى لَا تَبْغِ مِنْهُ عِوَضَا
 وَرِشْمُ رُبُوعَا لِلْحَبِيبِ وَأَنْزِلِ بِمَغْنَاهُ الرَّحِيبِ
 وَلَئِنْ بَمِرْعَاهُ أَخْلَصِيبِ فَهَوَ لِمَا تَشْكُو الْعَطِيبِ
 نَادِ بِهِ مُعْرَضَا هَلْ تَقْبَلُونَ مُكَمَدَا قَدْ كَانَ عَنْكُمْ أَعْرَضَا
 رَمَتْ فَوَادِي النَّوَى وَغُضِنُ عُمرِي قَدْ ذَوَى
 وَالشَّوْقُ قَلْبِي قَدْ كَوَى وَاهَا عَلَى فَقْدِي الْقَوَى

[٣٩٠]

قَفَى النُّوَى مَا قَدْ نَفَى هَلْ يَسْتَطِيعُ الْجَلَا
قَلْبٌ عَلَى جَرِّ النَفَى
لَقَدْ تَنَاءَتِ الدِّيَارُ وَشَطَّ بِى عَنْهَا الْعَزَارُ
لَوْ كَانَ لِي حُكْمُ اخْتِيَارُ مَا قَرَّ بِى عَنْهَا قَرَارُ
مَا شَاءَهُ حُكْمُ الْقَضَا يَجْرَى وَلَوْ طَالَ الْمَدَى
فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضًا
وقوله رحمه الله :

أُطْلِعَ الشُّبَّاحُ رَابِعَ الْفَجْرِ	فَتَبَدَّى الْكُتُومُ مِنْ سِرِّى
إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الْأَسْرَارِ	فَانْتَشِقْ صَاحِ نَفْعَةِ الْأَسْعَارِ
وَأُطِلْ فِي الْأَصَائِلِ الْأَذْكَارُ	فَهَى أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الْأَزْهَارِ
أَيْنَ طِيبُ الْمِسْكِ وَشَذَا ^(١) الزَّهْرِ	فِي دُجَى اللَّيْلِ مِنْ شَذَا الذِّكْرِ
أَوْ مِنْ أَدْمِى وَمِنْ حُزْنِي	فَجَعَةُ الْبَيْنِ كَمْ تَرَى تُغْنِي
جِسْمَ مُشْتَقِي دَمِي الْجَفْنِ	يَا عَذُولِي عَلَيْهِمْ عِشْيُ ^(٢)
عَبْرَاتِي تَنْهَلُ كَالْقَطْرِ	وَفُؤَادِي يُذَكِّي عَلَى الْجَنْبِ
شَفَنِي الْوَجْدُ فَاجْبُرُوا صَدْعِي	يَوْمَ بِنْتُمْ عَنْ سَاحَتِي سَلْعِ
خَدَّدَ الْخَدَّ سَاكِبُ الدَّمْعِ	إِنْ تَعُودُوا مُتِمِّمَ الْجَزَعِ
بُدِّلَ الْعُسْرُ مِنْهُ بِالْيُسْرِ	وَأَتَتْهُ الشُّعُودُ بِالْبُشْرِ
لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْكُمْ بُدٌّ	قَدْ بَرَّانِي وَشَفَنِي الْبُعْدُ

(١) كذا في الأصلين . والصواب : « شذا » بدون واو العطف ، ليجرى مع

الطلم ، وهو من الحنيف .

(٢) كذا في ط . وفي م : « غنى » .

مَنْ لَصَبَ أَدَابَهُ الْوَجْدُ بَاتَ فِي دَوْحِ حَزْنِهِ يَشْدُو
فِي هَوَاكُمُ لَقَدْ فِي عُمْرِي فَالْطُفُوا بِي وَأَمْنُوا دُعْرِي
سَيِّدِي أَنْتَ مَلَجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنْيِ التَّوَى قَلْبِي
إِنْ تَكُنْ لِي أَوْ إِنْ تَكُنْ حَسْبِي فَيْكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِي عُجْبٍ:
(١) جَرَّرَ الذِّلَّ أَيْتَا جَرَّ وَصِلَ الشُّكْرُ مِنْكَ بِالشُّكْرِ (٢)

وقوله رحمه الله تعالى :

[٣٩١]

لَا أَحَدٍ بَهَجَةٍ كَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ فِي أَرْجِ السَّعْدِ
عَلَاؤَهَا يَسْبِي بِنُورِهِ الْبَاهِرِ كُلَّ سَنَى تَجْدِ
فِي عَالَمِ الْقُدْسِ قُدْسَ عَلَيْهِ فَفَاقَ فِي الْخُنْدِ
بِالْبَذْرِ وَالشَّمْسِ يَزْرِي مُحْيَاهُ فَجَلَّ عَنْ نَدِّ
لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
أَذَلَّ بِالْحُجْبَةِ وَأَمْرِهِ الظَّاهِرِ (٣) مَنْ خَانَ لِلْعَهْدِ
بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ تَنَاوَاهُ الْقَاطِرُ أَنْدَى مِنَ النَّدِّ
يَا خَيْرَ مَرْسُولٍ مِنْ خَيْرَةِ الْخَلْقِ أَذَابَنِي الْبُعْدُ
إِلَيْكَ يَا سُوْلِي قَدْ قَادَنِي شَوْقِي فَكَمْ أَرَى أَشْدُو
بِصَوْتِ تَحْبُولٍ حَكَى غِنَا وَزُقِي هَيَّجَهَا الْوَجْدُ
غَرِقْتُ فِي لُجَّةٍ وَلَيْسَ لِي نَاصِرُ عَلَى جَوَى الْبُعْدِ

(١) هذا مطلع موشحة لأبي بكر بن باجة .

(٢) في رواية : « وصل السكر منك بالسكر » .

(٣) في م : « الفاهر » .

إِلَّاكَ يَا حَسْبِي	وَأَدْمَعُ النَّاطِرُ	تَهَلُّ فِي الْخَلْدِ
إِنْ عَاتَى ذَنْبِي	عَنِ ذَلِكَ الْمَغْنَى	فَلَيْسَ لِي حَوْلُ
وَكَيْفَ بِالْقُرْبِ	لِلْهَائِمِ الْمَضَى	وَيَبْنِنَا سُبُلُ
تَذِيبُ بِالْكَرْبِ	جِنْمًا ذَوَى حُرْنَا	وَشَفَهُ الْخُبْلُ
إِلَيْكُمْ وَجَّهَ	وَجَّهًا غَدَا حَاوِرَ	وَالدَّمَغُ فِي الْخَلْدِ
يَهْلُ كَالشَّحْبِ	وَزَفَرَةُ الْخَاطِرِ	تَلْهَبُ بِالْوَقْدِ
يَا سَامِعَ النُّجْوَى	إِلَيْكَ أَوْصَايَ	تَشْكُو بِأَوْجَالِي
تَرَكْتَنِي نِضْوَا	أَلُوذُ بِالْبَابِ	مُقَسَّمِ الْبَالِ
إِنْ كَانَ بِالْبَلْوَى	لِطُولِ أَغْيَابِي	أَسَأْتُمْ حَالِي
فَقَلْبُكُمْ ^(١) رَجَّةَ	بِهَا أَرَى حَاسِرَ ^(٢)	إِنْ لَمْ تَكُنْ نِدَى ^(٣)
أَعُوذُ بِالْحُبِّ	مِنْ أَمْرِكَ الْآمِرِ	بِالْبُعْدِ لِلْعَبْدِ
يَحِبُّ مَنْ تُحْدَى	لِقَبْرِهِ النُّجْبِ	السَّيِّدِ الطَّاهِرِ
هَمٌّ دَائِمًا وَجَدَا	يَأْيُهَا الصَّبُّ	وَعَدَّ عَنْ خَاطِرِ
مَنْ قَالَ إِذْ أَوْدَى	بِقَلْبِهِ الْحُبُّ	قَوْلًا غَدَا سَارِ
بِدَائِعِ ^(٤) الْبَهْجَةِ	وَزُرْهَهُ النَّاطِرُ	وَجَنَّهُ الْخُلْدِ
وَبُغْيَةِ الْقَلْبِ	وَرَاغَةَ الْخَاطِرِ	فِي ذَلِكَ الْغَدِّ

(١) كذا في م . وفي ط : « قبلكم » . والمعنى — على كلتا الروايتين — غير واضح .

(٢) في ط : « حاسر » .

(٣) في م : « رفدي » .

(٤) في الأصول : « براكم » . ولعلها معرفة عما أبتناه .

وقوله ، رحمه الله تعالى :

لَا أَحْمَدُ تَعْنُو الْأَقْمَارِ فَمَدُّ فَخَّارَةٍ

وَأَنْظِمُ ثَنَاهُ أَشَقَّارِ وَلَا زِمَ وَقَارَةٍ

لَا أَحْمَدُ بَذَرِ الْأُفُقِ وَشَمْسِ الْمَعَالِي

تَأَجَّجُ نَارُ الشُّوقِ وَكَيْفَ أَحْتِيَائِي

لَنْ فَارَ أَهْلُ السَّبْقِ بِذَاكَ الْكَمَالِ

وَحَلُّوا بِهَاتِيكَ الدَّارِ وَحَارُوا جِوَارَةٍ

فَبِى الْقَلْبِ نَارُ الْأَفْكَارِ قَدْ أَذْكَتْ أَوَارَةٍ

سَادِي الرُّكْبِ يَلْغُ عَنِّي سَلَامًا كَثِيرًا ^(١)

وَقُلْ مُغْرَمٌ ذُو حُزْنٍ قَدْ أَضْحَى أَسِيرًا

أَصْمَتُهُ سِهَامُ الْبَيْنِ لَمْ يَلْفِ نَصِيرًا

وَقَدْ أَبْهَدَتْهُ الْأَقْدَارُ وَالْحُزْنُ أَثَارَةٌ

فِي الْقَلْبِ تَنَائِي الْأَقْطَارِ يُضْرِمُ نَارَةً

إِذَا لَاحَ لَمْعُ الْبَرْقِ مِنْ أَكْثَافِ نَجْدِ

دَعَايَ إِلَيْهِ شَوْقِي وَإِفْرَاطُ وَجْدِي

إِلَى قَبْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ سَاجِدُ جَهْدِي

لَمَلِّي أَقْصَى الْأَوْطَارِ وَأَعْطَى مَزَارَةً

(١) كذا في م . وفي ط : « أسيرا » . ولعلها هذه الأخيرة محرقة عن « أميرا » .

فَقَنَى تَنْعَى الْأَوْزَارَ	إِذَا زُرْتُ دَارَهُ
يَا حَادِي شَوْقِي زَمِزِمَ	بِذِكْرِ الْحَبِيبِ
يَا حَرَّ وَجْدِي ضَرَّمْ	نِيرَانَ الْوَجِيبِ
يَا دَمْعَ عَيْنِي أَرْثَمُ	بِحَدِّ الْكَثِيبِ
رُسُومَ سَطُورِ التَّدْكَازِ	تَرْبَعِ أُنَارَهُ
سَنَا نُورِ وَجْهِ الْمُخْتَارِ	قَدْ أَعْلَى ^(١) مَنَارَهُ
أَيَا رَبِّ بِالْمُخْتَارِ	وَالصَّخْبِ الْكِرَامِ
قُرْبَ قُرْبِ نَائِي الدَّارِ ^(٢)	مِنْ ذَاكَ الْمَقَامِ
وَأَغْفِرَ قَوْلِ ^(٣) ذِي إِصْرَارِ	غَفَى فِي هَيْامِ
مَنْ يُرُونِي دَارَ الْعَطَّارِ	بِذُرَا الْمَنَارَةِ
ثِيَابِي وَمَا تَحْوِي الدَّارُ ^(٤)	نُعْطِيهِ الْبِشَارَةَ

وقوله ، رحمه الله تعالى :

أَهْ مِنْ فَرْطِ الْوَجِيبِ	أُورِثَتْ قَلْبِي خَبْلًا
زَفَرَاتُ شَوْقٍ مُذْنَفٍ	مِنْكُمْ لَمْ يَنْقُطَ وَصْلًا
قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ	وَالْبُكَاءُ
نَحْوَكُمْ لَهُ حَنِينُ	أَبَدًا بِهِ
	وَالْأَيْنِ
	يَدَيْنِ

(١) في م : « ضياء » .

(٢) في م : « قرب نائي الديار » .

(٣) في ط : « قوى » .

(٤) رواية هذا الشطر في ط : « وما تحتوى الدار » . والتصويب عن م .

دَمَعُ خَدَّيْهِ الْهَتُونُ دَمِيتُ مِنْهُ ^(١) الْجُفُونُ
يَا سَقَامِي ^(٢) يَا طَبِيبِي عَفَوُكُمْ عَنِّي أُولَى
لَمْ تَزَلْ ^(٣) بِاللُّطْفِ تُوصَفُ فَأَنْلِ عَبْدَكَ فَضْلاً
لَمْ تَزَلْ بِي فِي أُمُورِي سَيِّدِي مَوْلَى لَعَلِّفَا
أَنْتَ مَوْلَايَ نَصِيرِي فَاجْبُرِ الْعَبْدَ الضَّعِيفَا
مَنْ عَذِيرِي أَوْ مُجِيرِي إِنْ أَطَلْتَ بِي الْوُقُوفَا
يَا لِيَوْمِي الْعَصِيبِ وَسِجِلُّ الْمُخْضَفِ يُتَلَى
وَقُلُوبُ الْخَلْقِ تَرْجُفُ وَلِنَارِ الْخَوْفِ تَصَلَى
بِالنَّبِيِّ بِالْعَلِيِّ ^(٤) [بِالرَّفِيعِ] الْقَدَرِ أَحَدَ
وَعَتِيقِ الرِّضِيِّ وَأَبِي حَنْصِ الْمَجْدِ
وَالشَّهِيدِ وَعَلَى غُرَرِ الْفَخْرِ الْمُؤَبَّدِ
نَحْوَ سَاحَاتِ الْحَبِيبِ فَلْتَبَسَّرْ لِي سُبُلَا
فَمَتَى بِالْقُرْبِ أُنْعَفُ أَوْ أَرَى لِدَاكَ أَهْلَا
يَا خِدَاةَ الْعِيسِ عَنِّي فَاحْلُوا نَحْوَ الْعَقِيقِ
أَسْنِي وَطُولَ حُزْنِي وَبُكَائِي وَشَهْبِي
عَلَنِي بِالْخَيْفِ ^(٥) أَجْنِي زَهَرَ إِبَّانِ الْحُقُوفِ

[٣٩٤]

(١) في ط هنا : « به الجفون » وفي مجز البيت الذي قبله : « منه يدين » . ولعل

الناسخ وضع كلا من حرفي الجر مكان الآخر .

(٢) كذا في م . وفي ط : « يا شقائي » .

(٣) في ط : « لا تزال » . وما أثبتناه من م .

(٤) هذه الكلمة أو ما في معناها يقتضيها السياق .

(٥) في ط : « بالخوف » .

هَلْ رَاصِبٌ مِنْ نَصِيبٍ فَيَعُودَ الْهَجْرُ وَصَلَا
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ اعْطِفْ وَأَنْلِ مُضْنَاكَ شَمْلًا^(١)
سَيِّدِي قَدْ ذُبْتُ حُزْنًا لَا تُغَيِّبْ فِيكَ قَصْدِي
وَأَنْلِي مِنْكَ حُسْنِي^(٢) قَدْ بَرَانِي طُولُ بُعْدِي
وَاعْتَفِرْ قَوْلَ مُعَفَى هَائِمًا يَشْكُو بَوْجْدِي
يَا فُلَانُ إِنْ زُرْتَ حَبِي افْتِلِ أَذْنُو بِالرُّسَيْلَا
لَيْشَ أَخَذَ عُنُقَ الْخُشَيْفِ وَمَرَّقَ فَمَّ الْحَجِيلَا^(٣)

انتهى ما قصدته من موشحات هذا الشيخ النبوية .

وأما نظمه في غير الموشحات ، فنه قوله رحمه الله :

نظم للجنائى في
غير للموشحات

هَبِ النَّسِيمُ بِطِيبِ ذِكْرِ الْمَادِي فَتَأَرَّجَتْ نَفَحَاتُ حَرْفِ النَّادِي
يَا شَادِيَا يَشْدُو بِمَدَحِ مُحَمَّدٍ كَرَّرَ قَدَيْتُكَ مَدَحَهُ يَا شَادِي
كَرَّرَ عَلَى الْأَسْمَاعِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فَلَذِكْرِهِ بَرْدٌ عَلَى الْأَكْبَادِ
وَأَعِذْ عَلَيْنَا نَظْمَ فَخْرِ هِلَالٍ مَنْ بَهَرَ الْوَرَى مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
هُوَ ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الْأَيْلِ وَقُطْبُهُ هُوَ صَفْوَةُ الْأَشْرَافِ وَالْأَعْبَادِ
هُوَ بَحْرُ جُودٍ فَاضَ عَذْبُ نَوَالِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَدَى الْوَرَادِ
هُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ مِنْ أَعْلَى نِجَارٍ^(٤) جَلَّ عَنْ أَنْدَادِ

(١) في م : « نيل » .

(٢) في الأصلين : « حسنا » . وما أثبتناه أول .

(٣) هذه المخرجة من زجل البصير ، وقد وردت في صفحة ٢١٨ من هذا الجزء باختلاف في بعض الكلمات ، فلتراجع .

(٤) في الأصلين « غفار » . وما أثبتناه أحق بالسياق .

هُوَ مُنْتَهَى أَمَلٍ وَمَلَجَأُ مَفْرَعِي
هُوَ عِصْمَتِي مِمَّا أَخَافُ وَحُبُّهُ
إِشْرَاقُ كُلِّ النَّيِّرَاتِ وَحُسْنُهَا
لَا تَعْجَبُوا فَعِنَايَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ
شَوَّقِي إِلَى ذَاكَ الْمَقَامِ أَثَارُهُ
يَا وَيْحَ مُكْتَتِبٍ وَمَا قَدْ شَفَعُهُ
كَمْ رَامَ قُرْبَ الدَّارِ مِنْ أَحْبَابِهِ
كَمْ رَامَ أَنْ يَشْفِيَ بِيْزُورَتِهِ ظُلْمًا
أَيَّامَ أَطْلَعَ بِذُرِّ حُسْنِ شَبَابِهِ
فَالآنَ قَدْ لَعِبَتْ بِهِ أَيَّامُهُ
شَيْبٌ وَصَفَفٌ وَانْتِزَاحُ مَوَاطِنِ
لَوْفِي عَلَى عُمرٍ تَصَرَّمٌ وَأَنْقَضَى
فَلَا تَزَحْنِ مَدَامِي أَسَفًا عَلَى
يَا حَادِي الْأَطْعَانِ بِأَمَلِ طَيِّبَةٍ
وَانْزِلْ بِهَاتِيكَ الرُّبُوعِ وَقِفْ عَلَى
هَذَا أَسِيرٍ بِعَادِكُمْ أَجْفَانُهُ
فَمَتَى عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَشَحْطِهَا (١)
فَعَلَيْكُمْ مِنِّي سَلَامٌ طَيِّبٌ
وقوله رحمه الله :

[٢٩٥]

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْبَى جَدِيدُ نِظَامِهَا

سَأُنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

تَضَوُّعٌ طَيْبًا عَرَفُهَا فَكَانَهُ تَضَوُّعٌ أَزْهَارٍ بَدَتْ مِنْ كِيَامِهَا
 سَجَايَا أَبَتْ إِلَّا السَّمَاءَ كَيْنَ مَنْزِلَا فَفَاقَ عَلَى الْعُلْيَاءِ عِلْقُ^(١) مَقَامِهَا
 خِلَالُ إِذَا لَاحَتْ قِبَابُ لَدَى عَلَا تُنْفِئُ فَتَعْلُوهَا قِبَابُ خِيَامِهَا
 إِذَا يَمْمُوا يَوْمًا إِمَامَ مَسْكَارِمِ فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِمَامِهَا
 فَكَمْ ذُو عَلَا أَوْ مَا لَدَرْكَ مَقَامِهَا فَمَرَّ وَلَمْ يَذْرِكْ مَرَامِي مَرَامِهَا
 وَكَمْ ظَلَمِي قَدْ رَامَ يُرَوِّى بِرِيهَا قَابَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلُ^(٢) أَوَامِهَا
 لِدَاكَ الْعَلَا قَلْبِي مَشُوقٌ بِحُبِّهِمْ وَقَدْ شَوْقَتْ^(٣) نَفْسِي بِطُولِ مَقَامِهَا
 فَاللهُ عَيْنٌ لَا تَمَلُّ بُسْكَاءَهَا وَقَدْ حُرِمَتْ فِيهِ لَدِيدُ مَنَامِهَا
 وَنَفْسٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيحَةٌ تُطَارِحُ فِي الْبَلَوَى حَمَامَ حَامِهَا
 وَعَمْرٌ مَضَتْ أَيَّامُ شَرْخِ شَبَابِهِ وَقَدْ قَدَّصَرَفُ الدَّهْرِ غُضْنَ قَوَامِهَا
 فَيَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبِ أَلَمِي بِنَفْسٍ قَدْ ذَوَتْ بِضِرَامِهَا
 وَيَا حَادِي الْأَطْلَعَانِ نَحْوِ قِبَابِهِمْ أَلَا فَاخْصُصِ الْعُلْيَا بِطَيْبِ سَلَامِهَا^(٤)

ومن ذلك قوله رحمه الله مُحَمَّسًا شعراً لغيره :

ومن تخمسه

أَلَا هَلْ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ طَرِيقُ
 فَقَدْ هَاجَ شَوْقًا^(٥) لِلدِّيَارِ مَشُوقُ
 يَقُولُ وَفِي الْأَكْبَادِ مِنْهُ خُفُوقُ

دُمُوعِي عَلَى وَادِي الْعَقِيقِ عَقِيقُ وَلِي زَفْرَةٌ تَحْدُو بِهَا وَتَسُوقُ [٣٩٦]

(١) كذا في م . وفي ط : « علو » .

(٢) في ط : « غليل » .

(٣) في ط : « سولت » .

(٤) في ط : « بطول » .

(٥) في م : « شوق » .

إِذَا مَا حَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَاجٍ
 تُحَرِّكُنِي نَحْوَ الْعَمِيقِ لَوَاعِجُ
 وَعِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبَرَّحِ هَاجُ
 وَفِي كَبِدِي مِنْ لَوَعَةِ الْبَيْنِ لَاعِجُ يَهِيحُ بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ حَرِيقُ
 وَلَمَّا جَرَتْ بِي نَحْوَ طَيِّبَةِ أَسْعَدِي
 وَبُلَّغْتُ آمَالِي وَأَوْتَيْتُ مَقْصِدِي
 وَأَوْرَدَنِي التَّوْفِيقُ أَعْظَمَ مَوْرِدِ
 نَظَرْتُ فَقَالُوا إِنَّ ذَا قَبْرِ أَحْمَدٍ وَذَاكَ أَبُو حَنْصِلٍ وَذَاكَ عَتِيقُ
 فَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي شِمْتُ بَارِقًا
 فَكُنْتُ^(١) الْجَوَى مِّنِّي ضُلُوعًا خَوَافِقًا
 وَأُبْدَيْتُ وَجْدًا لِلْعَوَائِدِ خَارِقًا
 فَمَا مَلَكَتْ عَيْنِي دُمُوعًا سَوَاقِقًا وَلَا هَدَأَتْ لِي زَفَرَةٌ وَشَهِيقُ
 بِذِكْرِكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَلَذُّدِي
 وَبِاسْمِكَ مِنْ خَطْبِ الْبِعَادِ تَعَوُّدِي
 وَمَا زَالَ قَلْبِي بِامْتِدَاحِكَ يَغْتَذِي
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حُبُّكَ مُنْقَذِي وَإِنِّي لَنِي بِحَرْ الذُّنُوبِ غَرِيقُ
 عَلَيْكَ مَدَى^(٢) الْأَحْيَانِ تَنْهَلُ أَدْمُعِي
 وَفِيكَ وَإِنْ أَبْعَدْتُ مَا زَالَ مَطْمَعِي
 شَفِيعِي حُبِّي لِلنَّبِيِّ الْمَرْفَعِ
 وَهَلْ تُحَرِّقَنَّ النَّارُ قَلْبِي وَأَضْلُمِي وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ رَفِيقُ

(١) كذا في م . وفي ط : « فحرت » . (٢) في م : « مع » .

ثَنَّاؤُكَ رَبِّحَانِي وَمِيسِكِي وَمَنْدَلِي
عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ كُلُّ مُعْوَلِي
حَنَانِيكَ لِلْقَلْبِ الْمُتَمِّمِ فَاذْهَلِي
فَكَمْ فِيهِ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ وَرَبُّكَ بِالْوَعْدِ الْكَرِيمِ حَقِيقُ
قُلْتُ : ولنجعل آخر ما أوردنا ^(١) من أمداحه النبوية قوله :

من نظمه في
مدح النبي

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ الْعَالَمِينَ وَلَذْتُ مِنْ مَدَامِحِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْمُرُوءَةِ الْوُثْقَى
سَأَجْعَلُهَا كَهَنِي وَحِصْنِي وَمَلَجَنِي لَعَلِّي بِالْأَمْدَاحِ أُسْتَوْجِبُ الْعِتْقَا
نسأل الله ، بجاه هذا النبي الشريف القدر ، العظيم المزية ، أن يُفَتِّقَنَا
من النار ، ويُجِيرَنَا في الدنيا والآخرة من كل مصيبة ورزية ، وأن يُسَهِّلَ
علينا زيارته العظيمة البركات ، وأن يُلَطِّفَ بنا في السكّنات والحرّكات .

وقد عَنَّا لِي لَسَا ذَكَرْتُ كَلَامَ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الْمَوْشَعَاتِ أَنْ أَذْكَرَ كَلَامَ
الإمام ابن خاتمة .

لابن خاتمة في
الموشعات

قال رحمه الله تعالى في كتابه « مَزِيَّةُ الْمَرِيَّةِ » في باب محمد ، مانصه :

« مُحَمَّدٌ ^(٢) بَنُ عُبَادَةَ ، يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَيُعْرَفُ بِالْقَزَّازِ ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ أَهْلِ
مَالَقَةِ ، كَانَ مِنْ صُدُورِ الْأُدْبَاءِ ، وَمَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ الْأَلْيَاءِ ؛ وَبِمَنْ لَهُ بَاعٌ فَسِيحٌ ،
فِي طَرِيقَةِ التَّوْشِيحِ ؛ حَتَّى طَارَ اسْمُهُ فِيهَا كُلِّ مَطَارٍ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا نَظْمُهُ أَيْ
اشْتَهَارَ . وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مَخْتَرَعَاتِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَمُبْتَدَعَاتِهِمُ الْآخِذَةِ

(١) في ط : « أردناه » .

(٢) انظر ترجمة محمد بن عبادة هذا في القسم الثاني من النخبة لابن بسام .

بالأنفس؛ هم الذين نهَجُوا^(١) سبيلها، ووضعوا محصُولها.

قال أبو الحسن بن بَسَّام: وأول [من صنع أوزان هذه الموشحات بأقننا، واخترع طريقها] ^(٢)، فيما بلغني، محمد بن محمود^(٣) القَبْرِيّ الفَرير، وكان يصنعها^(٤) على أعاريض أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة، غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو المعجبي، يسميه المَرَكَز، ويضع عليه الموشحة، من غير تضمين فيها ولا أغصان. وقيل إن أبا عمر أحمد بن عبد ربّه، صاحب كتاب «العقد» هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات.

وحكى الكاتب أبو الحسن علي بن سعيد العنسي في كتابه «المقتطف من أزهار الطرف»: أن الحِجَارِيّ ذَكَر في كتابه «المُسَهَّب في غرائب المغرب» أن المخترع لها بجزيرة الأندلس المُقَدِّم بن مُعَاثِي^(٥) القَبْرِيّ، من شعراء الأمير عبد الله الرواني، وأخذه عنه أبو عمَرَ بن عبد ربّه، صاحب «العقد»، ثم غلبهما عليه المتأخرون. وأول من برع فيه منهم عبادة بن القَزَّاز، شاعر المعتصم صاحب المَريّة.

قال الأستاذ أبو الحسن علي بن سعد الخير البلنسي في كتابه: «نزهة الأنفس»، وروضة التأنّس، في توشيح أهل الأندلس «ضمنه عشرين وشاحاً، على طريقتهم في الإجابة والإحسان:

العُبادِيُّون ثلاثه: ابنُ ماء السماء؛ وهو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة

(١) في م: «نحوا».

(٢) مكان ما بين القوسين في الأصلين: «وأول من اخترعها» وما أثبتناه من القليلة

لابن بَسَّام، طبعة الجامعة المصرية (ج ٢ ص ١).

(٣) في النسخة: «حمود».

(٤) في م: «يضعها».

(٥) في الأصلين هنا: «المقدم أبو معاذ».

[٣٩٨] ابن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، من أهل مالقة . وعبادة بن محمد بن عبادة الأقرع ، ومحمد بن^(١) عبادة القرزاز هذا .

قال الأستاذ أبو جعفر : وكان محمد بن عبادة من شعراء المعتصم ، فوشعه منها بكل دُرٍ مُنتظم ، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة مُلتئم . ومن أظرف ما وقع له في المديح من التوشيح ، موشحته التي أولها :

كَمْ فِي الْقُدُودِ اللَّيَانُ تَحْتَ اللَّئِمِ مِنْ أَقْمَرِ عَوَاطِي

ومن أظرف ما وقع له في خلاهما من حسن الالتئام ، ومهولة النظام ، ما يندُر وجود مثله في منشور الكلام ، وذلك في أحد مرأ كزها حيث يقول :

لَمَّا غَدَا قَادِرًا أَضْحَى قَلِيلَ^(٢) الْمَعْدَلَةِ

يَا حَاكِمًا جَائِرًا قَتَلْتَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

سَطَوْتَ بِالْهَيْمَانِ^(٣) ظُلُمًا وَلَمْ تَسْتَبْصِرِ يَا سَاطِي

خَفَ سَطْوَةُ الرَّحْمَنِ إِذَا حَكَمَ بَيْنَ الْبَرِيِّ وَالْخَاطِي

ويخرج في هذه الموشحة على قوله :

مَا أَمْلَحَ الْمِهْرَجَانُ وَفُلُ يَنْبِ كَالْمَنْبَرِ لِلِسَاطِي

وَالْفُلُكَ كَالْعِمْبَانِ وَالْمَعْتَصِمِ بِالْمُسْكِرِ فِي الشَّاطِي

ثم قال ابن خاتمة : « ومن شعره ما أنشده الأديب أبو أحمد ، جعفر بن إبراهيم ابن الحاج المَعَارِي فِي كِتَابِهِ « مَحْكُ^(٤) الشَّعْر » وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ :

(١) فيأمر من عبارة ابن سعيد « ... عبادة بن القرزاز » . وفيما قل عن ابن خلدون

في هذا الجزء (ص ٢٠٧) : « عبادة القرزاز » .

(٢) في ط « مزيز » ، وهي بمعنىها .

(٣) في ط : « بالهيتان » .

(٤) في م : « مجد »

أَوْدِعْ فُوَادِي حُرْقًا أَوْ دَعِ ذَانِكَ تَرَدَى أَنْتَ فِي أَضْلَعِي
وَأَزِمِ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ كُنْهَا أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابُ مَعِي
مَوْقِعَهَا قَلْبِي وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكِنُهُ فِي ذَلِكَ التَّوَضُّعِ
وله رحمه الله :

أَنْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي لَاحَ لَكَ فِي وَسْطِ اللَّجَّةِ تَحْتَ الْحَلَكِ
قَدْ جَعَلَ الْبَحْرَ سَمَاءَ لَهُ وَاتَّخَذَ الْفَلَكَ مَكَانَ الْفَلَكَ

[٣٩٩]

وحضر مجلس المعتصم ابن صمادح وبين أيديهم ورد مصبوب ، فبرز من داخل ورده منها الحيوان الأخضر ، الموجود في الورد ، وتسميه العرب القيقزان^(١) فقال له المعتصم : صفه ، فقال :

وَأَخْضَرَ حَمَادِي^(٢) فِي الْوَرْدِ لَأْمَحُ عَلَى صَفْحِ وَرْدٍ حُسْنُهُ مُتَنَاهِي
كَمَا أَخَذْتُ حَسَنَاءَ فَصٍّ زُمُرْدٍ بِصُفْرَةٍ مِسْوَالِكٍ وَحُمْرٍ شِفَاهِ

وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صلات شعرائه :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعِلَالَ مَعْنُ أَبُوهُ وَحَالُهُ الْمَنْصُورُ
بِفَنَاءٍ قَصْرِكَ عُصْبَةُ أَدِيبَةٍ لَا زَالَ وَهُوَ بِشَمْلِهِمْ مَعْمُورُ
زَفُّوا إِلَيْكَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَاسْتَبْطَنُوا فَهْمَ لَهْنٍ قُصُورُ

انتهى كلام ابن خاتمة ، رحمه الله تعالى :

(١) كذا في ط . وفي م : « القيقوان » . ولم نجد في المعاجم اسم دويبة تكون في الورد بأحد هذين اللفظين . وجدنا لفظة « قشبان » اسما لدويبة كالخنفساء تكون في النبات .

(٢) كذا في ط . وفي م : « سماوي » . والمعنى غير ظاهر على الروايتين .

رجع

وحيث اتهمنا إلى هذا المقدار ، من الخروج عن أصل الترجمة ، فَلَنَسْتَنْ
العِنان إلى ما أَلَمْنَا به أولاً من ذكر سَبْتَةِ ، أعادها الله ، فنقول :

إن بعض الفقهاء يذكرون في شأن سَبْتَةِ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اختلف الناس في أمره ، وقد حَدَّثَ به الفقيه أبو عبد الله محمد [بن محمد] ^(١) ابن يحيى السَّرَّاج ، عن جده العلامة أبي زكريا السَّرَّاج ، قال أخبرنا أبو البركات محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إبراهيم بن أحمد الغافقي ^(٢) ، حدثنا ^(٣) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي ، حدثنا محمد ^(٤) بن حسن بن عطية ، هو ابن غازي ، حدثنا أبو الفضل عياض ، [حدثنا] ^(١) أحمد بن قاسم أبو العباس الصَّنْهَاجِي ، شيخ لا بأس به ، أنبأنا أبو علي بن خالد ، وأبو عبد الله محمد بن عيسى ، قال [حدثنا] ^(١) أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ ، [حدثنا] ^(١) وهب بن مَيْسَرَةَ ، عن محمد بن وَضَّاح ، عن سُحُنُون ، عن ابن القاسم ، عن [١٠٠] مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

بعض ما ورد
من الأثر في
سبته

« مَدِينَةُ الْمَغْرِبِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهَا عَلَى جَمْعِ بَحْرَيْنِ الْمَغْرِبِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بَنَاهَا سَبْتُ بْنُ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، فَهِيَ سَبْتَةُ ، وَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ وَالنَّصْرِ ، فَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ بِهَا سُوءًا إِلَّا رَدَّ اللَّهُ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِ » .

(١) التَّكْلِفَةُ عَنْ م .

(٢) فِي م : « الشَّافِعِيُّ » .

(٣) فِي ط « ابْنِ » مَكَانَ قَوْلِهِ حَدَّثَنَا . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ م .

(٤) فِي ط : « بِنِ عَمْرِ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ » :

هكذا ذكره الشيخ الإمام الحافظ ، سيدى أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم الربانى ، سيدى الحسن بن مخلوف التلمسانى — رحمه الله — فى شرحه للشفاء ، ورواه عن شيخه أبى عبد الله السراج المذكور ، بالسند المذكور ، وقال إثره : تَرَدَّدَ رَأَى الْقَاضِي عِيَاضُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي الْغُنْيَةِ^(١) : « أَنَا بَرَاءُ »^(٢) مِنْ عُمْدَةٍ هَذَا الْحَدِيثِ . وفيه : « هَذَا حَدِيثٌ مُضَوِّعٌ . وَابْنُ الشَّيْخِ لَا يُثَبِّهُ ، وَلَا أَدْرَى مِنْ [أَيْنَ] »^(٣) دَخَلَ عَلَيْهِ^(٤) هَذَا . وَفِي الْمَدَارِكِ^(٥) : « هُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ ابْنُ الشَّيْخِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، يَرْفَعُهُ إِلَى مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمر : أَنَّ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، عَلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، مَدِينَةٌ تَسْمَى سَبْتَةَ ، أَسَمَهَا رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ سَبْتٌ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، وَدَعَا لَهَا بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، فَمَا رَامَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ بِأَسْهٍ عَلَيْهِ . »

وذكر أشياء على من رَامَهَا بِسُوءٍ ، ثم قال : وهذا كله يَصَدِّقُ هَذَا الْحَدِيثَ . انتهى .

وكانت سَبْتَةُ مَطْمَحَ هَمِّ ملوك العُدَوْتَيْنِ ، وقد كان للناصر المَرْوَانِيَّ صاحب الأندلس عنايةً واهتمامًا بدخولها فى إِيَالَتِهِ ، حَتَّى حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ ، وَمِنْهَا مَلَكُ الْمَغْرِبِ ، حَسْبُهَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِهِ ، وَكَانَ تَمْلِكُهُ إِيَاهَا سَنَةً تَعِشُ عَشْرَةَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ ، وَبِهَا اشْتَدَّ سُلْطَانُهُ ، وَمَلَكَ الْبَحْرَ بَعْدَوْتِيهِ ، وَصَارَ الْمَجَازُ فِي يَدِهِ ، وَتَوَطَّأَتْ طَاعَتُهُ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَمَّا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أُمْلَاكِ [٤٠١]

(١) الفنية : كتاب لعياض ، وقد سبقت إشارة المؤلف إليه فى مقدمة الجزء الأول وسيأتى الكلام عليه عند ذكر مؤلفات عياض .

(٢) كذا فى ط . وفى م : « أبرأ » .

(٣) التكملة عن م . (٤) فى ط : « عليهم » .

(٥) كذا فى م . يريد كتاب المدارك لعياض . وفى ط : « المذكور » . وهو تحريف .

الأندلس ، منذ سكنها الإسلام ، فاستظهر بها هلى أمره ، وخلفها ^(١) ميراثاً لمن بعده من ولادة الأندلس ، وأكرم وجوه أهل سبته الذين جنحوا إلى طاعته ، ورفع منازلهم ، وقضى حوائجهم ، ووصلهم ، وخلع عليهم وعلى قاضيهـم حسين ابن فتح .

خلافة الناصر

والناصر أول من تسمى بأمر المؤمنين من بنى أمية بالأندلس ، لأن الدولة عظمت في أيامه ، حين اختل ^(٢) نظام ملك العباسيين بالمشرق ، وتغلبت عليه الأعاجم ، ولم يتسم أحد من سلفه ^(٣) بالأندلس إلا بالأمير . وكان ملكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة ^(٤) ورفع الشأن ، وهادته الروم ، وأزدلفت إليه ، تطلب مهادنته ومُتاحفته بمظلم الذخائر ، ولم تبق أمة صممت به من ملوك الروم والإفرنجية والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إليه ، أو وفدت خاضعة راجبة ، وانصرفت عنه راضية . وقد سرّد الإمام ابن حيان من ذلك في تاريخه الكبير ما هو معلوم ، وذكر هو وغيره أن صاحب مدينة القُسطنطينية العظمى هاداه ، ورغب في موادعته .

رسل ملك
الروم إليه

وكان وُصول أرسال صاحب القسطنطينية عظيم الروم قُسطنطين بن ليون في شهر صفر سنة ثمان وثلاثين ^(٥) وثلاث مئة ، وتأهب الناصر لورودهم ، وأمر أن يتلقوا أعظم تلقٍ وأغفم ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم ببجانة يحيى بن محمد بن الليث وغيره ، لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة ، خرج إلى إلقاءهم القواد ، في العدد والعدة

(١) في ط : « وخلاما » . (٢) في ط : « اختلط » .

(٣) في ط : « بمن سلف » . (٤) في ط : « الضخامة » .

(٥) كذا في م ونجح الطيب ، وفيه أيضاً نقل عن ابن خلدون ، أنها كانت سنة ست

وثلاثين ، ولم يرجع المؤلف إحدى الروايتين . وفي ط : « ثلاث وثلاثين » .

والتعبية ، فتلقَّوْهُمُ قائداً بعد قائد ، وكَمَّل اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج إليهم الفتَّينَ الكبيرين الخصَّيين : ياسرا وتمَّاماً ، إبلاغاً في الاحتفاء بهم ، فلقياهم بعد القوَّاد ، فاستبان لهم بخروج الفتَّيين إليهم بسَطُ الناصر وإكرامه^(١) ، وأنزلوا بمنية ولي العهد الحَكَم ، المنسوبة إلى نصير^(٢) ، بعددوة قُرْطبة في الرَبَض ، ومنعوا وحوا من لقاء الخاصة والعامة ، وملابسة الناس جملة ، ورُتَّب لحجابهم رجال تُخَيِّروا من الموالى ووجوه الحشم^(٣) ، فصَيَّرُوا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً ، لأربع دُول ، لكل دولة أربعة منهم ، ورحل الناصر لدين الله من قصر الزَّهراء إلى قصر قُرْطبة ، لدخول وفود الروم عليه ، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، من السنة المذكورة ، في بهو المجلس الزاهر ، فعوداً حسناً نبيلاً ؛ فقعد عن يمينه من بنيه ، ولي العهد الحَكَم ، ثم عبد الله ، ثم عبد العزيز ، ثم الأصبغ ، ثم مروان ؛ وقعد عن يساره المُنذر ، ثم عبد الجبَّار ، ثم سايمان ؛ وتَخافَّ عبد الملك ، لأنه كان عليلًا لم يُطَق الحضور ؛ وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحُجَّاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار أجمع بعِطاق البُسْط وكرائم الدَّرانك^(٤) ، وظلَّت أبواب الدار وحناياها بِظُلِّل الديباج ورَفِيع الشُّتور ، فوصل [رُسُل] ^(٥) ملك الروم حائرين مما^(٦) رأوه

(١) ذكر المقرئ بعد هذا في النسخ هذه العبارة : « لأن الفتَّين حينئذٍ عظماء الدولة ،

لأنهم أصحاب الخلوَّة مع الناصر وحرمة ، ويبدِّم القصر السلطاني . »

(٢) كذا في نسخ الطيب . وفي م « نصر » . وفي ط « مضر » .

(٣) في ط : « الشيخة » .

(٤) الدرانك : ضروب من البسط .

(٥) هذه الكلمة عن نسخ الطيب .

(٦) في ط : « حائرين لمنة ما رأوه » . وفي م : « حائرين لمنة ما رأوه » . وما

أثبتناه عن نسخ الطيب .

من بهجة الملك ، وفخامة السلطان ، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية ، وهو في رَقّ مَصْبُوغ لَوْنًا سَمَويًا ، ومكتوب بالذهب بالخط الإغريقي ، وداخل الكتاب مُدرّجَة مصبوغة أيضا ، مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضا ، فيها وصف هديته التي أرسل بها وعدّها ، وعلى الكتاب طابع ذهب ، وزنه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده . وكان الكتاب بداخل دُرْجِ فَضّة منقوش ، عليه غطاء ذهب ، فيه صورة قسطنطين الملك ، مغمولة من الزجاج الملون البديع ، وكان الدُرْج داخل جَعَبَةٍ^(١) مُلبّسة بالدِّيَبَاج ، وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه :

« قُسْطَنْطِين ورُومَانُس^(٢) ، المؤمنان بالمسيح ، اللّيكان العظيمان ، مِلِكَا

الروم » .

وفي سطر آخر :

« العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب ، عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ، أطال الله تعالى بقاءه » .

وفي خمس بقين منه نُقِلَ هؤلاء الرُّسُل من منزلهم بِمُنيّة نُصِير^(٣) بالرَّبَض ، إلى دار إبراهيم الفتي ، بداخل قُرْطُبة .

وفي آخر هذا الشهر أعاد الناصر لدين الله القُعود الثاني لِرُسُل مَلِك الروم ، بقصر الزهراء ، فاحتفل لذلك أيضا ، واستكمل له الأُهبَة ، وبالع في الزينة ، وقعد على باب السُدة صاحب المدينة ، مع من ضُمَّ إليه من العُرَفَاء والشُّرَط والحرّس ، وهم صفوف قِيام ، وقام مع سُور القصر سِماط من الموالي ، في

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وفي م : « جفنة » .

(٢) كذا في إحدى روايات نفع الطيب (طبعة أوربة) . وقد ورد هذا الاسم مضطربا

في الاصلين وكثير من المراجع ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) انظر الحاشية رقم (٣) صفحة (٢٥٧) من هذا الجزء .

الملابس الحسان والسلاح الشاك ، وألزم^(١) الفضلان^(٢) كلها جُلامن العبيد والحشم والبوايين وغيرهم ، في أشكل زيبهم .

ثم أعاد القعود لهم بالزهراء ، وهذا^(٣) القعود الثالث ، كان يوم الخميس لثلاث بقين منه ، على ما تقدم في^(٤) الأُهبة والاحتفال في الزينة .

وفي النصف من جمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه ، في مجلس خاص ، قعد لهم فيه بقصر الزهراء ، في المجلس المشرف على الرياض ، فلما خرجوا من عنده ، أدخلوا في^(٥) ديار الصناعات والمُدة بأكناف الزهراء ودار السكة ، وطيف بهم بأرجائها ، ثم صُرفوا إلى دار تزولهم ، فاتصل مقامهم بقُرطبة في كرامة موصولة ، وعطايا متوالية ، إلى أن كملت الهدية التي كوفي بها الطاغية مُرسِلهم ، وأسلمت إليهم ، مع أجوبتهم ، وأمرُوا بالرحيل .

[٤٠٤]

وجلس لهم الناصر لدين الله في النصف من شوال من السنة بعدها ، فدخلوا للوداع ، وجُددت لهم الخلع ، وانطلقوا السبيلهم ، متعجبين مमारُوا من عز الإسلام . وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة ، لثمان خلون من شهر جمادى الأولى ، وردت على الناصر لدين الله هدية وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، العظيمة الشأن ، التي اشتهر ذكرها إلى الآن ، ووقع الإجماع على أنه لم يُهاد أحد من ملوك الأندلس بمثلها ، فأعجبت الناصر وأهل مملكته جميعاً ، وأقروا أن نَقصاً

هدية ابن شهيد
إلى الناصر

(١) كذا في م . وفي ط : « والروم » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الفضلان ، كما في كتب اللغة : جمع فصيل ، وهو حائط قصير دون الحصن أو دون سور البلد . وقد توسع المغاربة في استعماله ، فأطلقوه على ما نسميه « الجناح » وهو القسم المستقل من بناء يجمع عدة أقسام . وسترده هذه الكلمة بهذا المعنى بعد قليل في هذا الجزء .

(٣) في ط : « وهو » . (٤) في م : « من » .

(٥) زادت م هنا : « رياض » .

لم تسمح بإخراج مثلها ضربة عن^(١) يدها ، وكتب مع هديته هذه رسالة حسنة ، بالاعتراف للناصر لدين الله بالنعمة ، والشكر عليها ، استحسنها الناس وكتبوها . وزاد الناصر وزيره هذا حُظوةً واختصاصاً ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، فأضعف له رِزق الوزارة ، وبلغه ثمانين ديناراً في الشهر ، وباغ مصروفه إلى ألف دينار في السنة^(٢) ، وَثَّقَ له العظمة ، لتثنيته له الرزق ، فسماه ذا الوزارتين لذلك ، وكان أولَ مَنْ سُمِّيَ بذلك بالأندلس ، امتثالاً لاسم صاعد بن مُحَمَّد الوزير ، وزير بني العباس ببغداد ، وأمر بتصدير فراشه في البيت ، وتقديم اسمه في زِمَام^(٣) الارتزاق في أول التسمية ، فعظم مقداره في الدولة جِدّاً .

وتفسير هديته هذه ، على ما ثبت في كتابه للناصر : وذلك من المال العَيْن خمسُ مِئَةِ ألفِ دينار ؛ ومن العُود المرتفع أربعُ مِئَةِ رِطَل ، منها في قطعة [٤٠٠] واحدة مئة وثمانون رطلاً ؛ ومن المسك الذكي المفضل في جنسه مِئَتَا أوقية واثنتا عشرة أوقية ؛ ومن العنبر الأشهب الذي بقي على خلقته ولم تدخله صناعة مِئَةِ أوقية ، منها قطعة عجيبة الشكل أربعون أوقية ؛ ومن الكافور المرتفع النقي الذكي ثلاث مِئَةِ أوقية ؛ ومن أنواع الثياب ثلاثون شُقَّة ، وَبُقَج^(٤) خاصية للباسه ، بيضا وملونة ، وخمس ظهائر شُعَيْبِيَّة^(٥) خاصية له ، وعشرة فراء من على الفَنَك ، منها سبعة بيض خُرَاسانية ، وثلاثة مُلَوَّنة ، وستة مَطَارِف عراقية خاصية له ، وثمانى وأربعون مِلْحَفَةً زَهْرِيَّة لِكُسُوتِه ، ومِئَةِ مِلْحَفَةٍ زَهْرِيَّة

(١) في م والنفع طبعة أوربة : « على » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « وبلغه ثمانين ألف دينار في السنة » ، ومن هذه العبارة

في جميع نسخ النفع التي تحت أيدينا : « وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية » ، وبلغ

معروفه إلى ألف دينار . (٣) في نفع الطيب : « في دفتر » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « فتح » . وفي جميع نسخ نفع الطيب : « خنج » ،

ولله محرف عما أثبتناه . (٥) كذا في الأصلين ونفع الطيب .

لرقاده ، وعشرة قناطير شُدَّ فيها مئة جلد سمُور ، وأربعة آلاف رطل من الحرير المنزول ، وألف رطل من لون الحرير ، قبض جميع ذلك صاحب الطراز ، وثلاثون بساطاً من صوف مختلفة الصناعات ، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً ، ومئة مُصَلَّى من وجوه الفُرُش المختلفة الصناعات ، من جنس البُسُط ، وخمسة عشر نِخاً^(١) من عمل الخبز المقطوع شَطَرها ، وسائرُها من جنس البُسُط الوجوه ؛ ومن السلاح والعُدَّة مِئَةَ تَجْفاف^(٢) ، بأبدع الصناعات^(٣) وأغربها وأكملها ، وألف تُرْس سُلْطانية ، ومِئَةُ ألف سهم ؛ ومن الخيل مِئَةُ فرس ، منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرساً ، وخمسة من عُرض هذه الخيل مسرجة ملبجة ، لمراكب الخلافة ، مجالس^(٤) سروجها خزر عراقي ، وثمانون فرساً مما يصلح للوُصْفاء والحشَم ، وخمسة أبغل عالية الركاب ، وأربعون وصيفاً ، وعشرون جارية من مُتَخَيَّر الرقيق ، بكسوتهم وجميع آلاتهم .

وفي الكتاب : كان قد أمرني أيده الله بابتياعهم من مال الأخماس قبلُ ، فابتعتهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من بيتي^(٥) ، ومع ذلك عشرة قناطير سُكَّر طَبْرَزْد ، لا سُحاق^(٦) فيه .

[٤٠٦]

وفي آخر الكتاب : ولما علمت تطلع مولاي — أيده الله تعالى — إلى قرية كذا بالعقباتية^(٧) المنقطعة الفرس في شَرَفها ، وترداده — أيده الله

(١) في الأصاين والنفح المخطوط « نوحا » . وفي النفح المطبوع « نخاخا » ، والكلمة محرفة عما أئتمناه .

(٢) التجفاف (بالكسر) : آلة للحرب ، يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . وفي م : « الصباغات » .

(٤) كذا في جميع نسخ نفح الطيب . وفي الأصاين : « ملابس » .

(٥) في ط : « وبيتى » .

(٦) يريد بالسحاق (السكر الناعم) . ولم نجد هذه الكلمة في معاجم اللغة .

(٧) كذا في الأصاين . وفي نفح الطيب طبعة أوربة : « العقباتية » . وفي النفح المخطوط وطبعة القاهرة : « العقباتية » .

تعالى — لذكرها ، لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها ، وأكثبت وكيله ابن بقتية الوثيقة فيها باسمه ، وضممتها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر^(١) جزيان ، عندما اتصل بي من وصفه لها ، وتطلعه إليها ، فمازلت أتصدى لمسرته بها ، حتى ابتعتها الآن بأحوازها ، وجميع منازلها وروبوعها^(٢) ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقتية ، وصار في يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى . ولما علمت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى — في البنيان ، وكلفه به ، وفكرت في عدد الأماكن التي تطلع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره في بنيانها ، مد الله في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمل ، علمت أن أسه وقوامه الصخر ، والاستكثار منه ، فأنارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة أحكمها سعدك وجدك ، اللذان يبعثان ما لا يتوهم علمه ، حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما ، وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا ، أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي يبديه العيان ، إن شاء الله تعالى ؛ وكذلك ما تاب إلى في أمر الخشب لهذه الثمنية المكرمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ما يحتاج إليه ، ثلاث مئة ألف عود ، وتيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه في السنة إلا نحو الألف عود ، ففتح لي سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هذه الخشب العام على كماله ، بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الحسين ألفا إلى الستين^(٣) ألفا .

[٤٠٧]

(١) كذا في جميع نسخ نفع الطيب . وفي الأصلين : « قطر » .

(٢) في الأصلين : « وزروعها » . وما أنبتاه من نفع الطيب .

(٣) كذا في ط . وفي م والنفع : « والستين » .

اتمى ما بعث به الوزير ابن شهيد ملخصاً^(١) .

الناصر وقد
أراد القصص
يوماً

ومن غريب ما يحكى أن أمير المؤمنين أراد القصص ، فقعده في البهو بالمجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك ، وأخذ الطبيب المِبَضْع ، وجَسَّ عَضُدَ^(٢) الناصر ، فبينما هو كذلك إذ أطلَّ زُرُور ، فصعد على إناء ذهب بالمجلس ، وأنشد :

أَيُّهَا الْفَاصِدُ رِقَّةً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّمَا تَقْصِدُ عِرْقًا فِيهِ نَحْيَا الْعَالَمِينَ

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وسُرَّ به غاية السرور ، وسأل عن اهتمامه إلى ذلك وعَلِمَ الزُّرُور ، فذكر له أن السيدة الكبرى مرَّجانة ، أم ولده ولَّى عهده الحكم المستنصر بالله ، صنعت ذلك ، وأعدته لذلك الأمر ؛ فوهب لها ما يُنْفِى على ثلاثين ألف دينار .

بناء الناصر
جامع الزهراء

والناصر المذكور هو الباني لمدينة الزهراء العظيمة المقدار . وكان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حُذِّقَ الفَعْلَةُ كلَّ يوم ألف نَسَمَةً ، منها ثلاث مئة بَنَاء ، ومِئَتَا نِجَار ، وخمس مئة من الأجراء وسائر أهل الصنائع ، فاستتم بنيانه وإتقانه في مدة ثمانية وأربعين يوماً ، وجاء في غاية الإتقان ، من خمسة أبهاء عجيبية الصنعة . وطوله من القبلة إلى الجوف ، حاشى المقصورة ، ثلاثون ذراعاً ، وعرض البهو الأوسط من أبهائه ، من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعاً ، وعرض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنتا عشرة ذراعاً ، وطول

(١) ورد الخبر عن هدية ابن شهيد لعبد الرحمن الناصر في نفع الطيب نقلاً عن تاريخي ابن خلدون وابن الفرضى ، فارجع إليه .
(٢) في م ونفع الطيب : « يد » .

صحته المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعا ، وجميعه مفروش بالرخام العُجْرى ؛ وفي وسطه قَوَّارَةٌ يجري فيها الماء ؛ فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف — سوى المحراب — سبع وتسعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعا ، وطول صَوْمَعَتِهِ في الهواء أربعون ذراعا ، وعرضها عشر أذرع في مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ، فصُنع في نهاية من الحسن ، ووضع في مكانه منه ، وحُطِرَتْ حوله مقصورة عجيبة الصنعة . وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند إكماله ، وذلك يوم الخميس لسبع بَقِيَّين من شعبان من سنة تسع وعشرين وثلاث مئة .

جناؤه القنائة

وكان في صدر هذه السنة كمل الناصر بُنيان القنائة الغربية الصنعة ، التي أُجْرِىَ فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة ، في المناهر المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة ، يجري ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة غريبة محكمة ، إلى بركة عظيمة ، عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يُشَاهَد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر ، مطلى بذهب إبريز ، وعيناه جوهرتان ، لهما وميض شديد . يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد ، فيمجه في تلك البركة من فيه ، فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره ، وثجاجة^(١) صَبَّهِ ؛ فتُسْقَى من مُجَاجِهِ جِئَان هذا القصر على سعتها ، ويستفيض على ساحاته وجَنَابَاتِهِ ، ويُعَدُّ النهر الأعظم بما فَضَلَ منه ، فكانت هذه القنائة وبركتها ، والتمثال الذهب الذي يصب فيها ، من أعظم آثار الملوك في

(١) لم نجد هذه الكلمة من مصادر : فج الماء ، بمعنى انصب .

غابر الدهر ، لبعده مساقمتها ، واختلاف مسالكها ، ونخامة بنيانها ، وُسُموْ أبراجها ، التي يترقى الماء فيها ، ويتصوّب من أعاليها .

[٤٠٩] وكان مدة العمل فيها ، من يومَ ابْتَدِئْتُ من الجبل إلى أن وصلت [أعنى القناة] ^(١) إلى هذه البركة ، أربعة عشر شهرا . وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر ، يومَ الخميس عُمره جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة ، أفضل فيها على عامة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقوّام بالعمل بصِلات حسنة جزيلة . واستمر العمل في مدينة الزّهراء من عام خمسة وعشرين وثلاث مئة [إلى آخر دولة الناصر وابنه الحَكَم ، وذلك نحو من أربعين سنة] ^(١) .

تشيد الناصر
مدينة الزهراء

ولما فرغ من بناء مسجد الزّهراء على ما ذكرناه آنفاً ، كانت أول جماعة صَلَّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ، وكان الإمام لها فيه القاضي [أبا عبد الله] ^(١) محمد بن عبد الله بن أبي عيسى . ومن الغد صَلَّى الناصر فيه الجمعة ؛ وأول خطيب خَطَبَ به القاضي المذكور .

ولما بنى الناصر قصر الزّهراء المتناهى في الجلالة والفخامة ، أطبق الناس على أنه لم يُبْنِ مثله في الإسلام أَلْبَتَّةَ ، وما دخل إليه أحد قط من سائر البلاد النائية ، والنَّحْلِ المختلفة ، من ملك وارد ، ورسول وافد ، وتاجر ، وجِهِيذ ، وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكلهم قطع أنه لم ير له شبيها ، بل لم يَسْمَعْ به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس في تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ؛ والأخبار عن هذا تتسع جدا ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح المُتَرَدِّد ،

(١) التكملة من نفع الطيب .

المشرف على الروضة ، المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجائب ما تضمنته من
 إتقان الصنعة ، ونخامة الهمة ، وحسن المستشرف ، وبراعة الملبس والحلة ،
 ما بين مَرَمَسَنون ، وذهب مَوْضون ، وعمد كائما أفرغت في القوالب ، [١٠٠] ،
 ونقوش كالرياض ، وبرك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياض وتماثيل عجبية
 الأشخاص ، لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ؛ فسبحان
 الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة ،
 كما يرى الغافلين عنه من عباده ، مثالا لما أعده لأهل السعادة في دار المقامة ،
 التي لا يتسلط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الزم ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .
 وذكر المؤرخ أبو عمر وان بن حيّان صاحب الشرطة ، أن مبانى قصر الزهراء
 اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ،
 وتيف على ثلاث مئة سارية زائدة ؛ وفسر بعضهم هذا التيف بثلاث عشرة ،
 منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ؛ وأن
 مصاريع أبوابها ، صفارها وكبارها ، كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها
 ملبسة بالحديد والنحاس الموه ، والله أعلم ، فإنها كانت من أهول ما بناه
 الإنس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا .

وقال بعض المؤرخين : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى ، وسبع
 مئة وخسين فتى ، ودخالتهم^(١) من اللحم كل يوم ، حاشى أنواع الطير والحوت ،
 ثلاثة عشر ألف رطل ؛ وعدة النساء بقصر الزهراء ، الصغار والكبار وخدم
 الخدمة ، ستة آلاف وثلاث مئة امرأة وأربع عشرة . ورأيت في بعض الدواوين

(١) السخالة بمعنى الراتب : لفظة أندلسية مولدة لم تذكرها المعاجم العربية ، وذكرها
 دوزى في تكملة المعاجم العربية .

— وهو الصواب إن شاء الله — أن عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسون ، [وجعل بعضهم مكان الخمسين سبعة وثمانين] ^(١) ، وعدد النساء بقصر الزهراء مثل ما ذكرنا أولاً .

[٢١١] ثم قال بإثره : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان . والله تعالى أعلم .

وقال ابن حيان : ألفت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المنصرف في التبليط ، فإنه لم يدخل في هذا العدد . وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربع مئة بغل ، منها أربع مئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر ، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال . وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومئة حبل ^(٢) ، وكان فيها حمامان ، واحدة للقصر ، وثانية للعامة .

وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه قدّر النفقة فيها في كل عام بثلاث مئة ألف دينار ، مدة خمسة وعشرين عاماً [التي بقيت من دولة الناصر ، من حين ابتدائها ، لأنه توفّي سنة خمسين] ^(٣) ، وحصل جميع الإنفاق فيها ، فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

(١) التسكلة عن نفح الطيب .

(٢) كذا في نفح الطيب : وفي الأصلين : « جل » .

قال : وجلب إليها الرُّخام من قَرطاجنة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدُ الله بن يونس عَرِيف البنائين ، وحسنٌ وعلي^(١) ابنا جعفر الإسكندراني . وكان الناصر يصلهم على كل رخامة ، صغيرة أو كبيرة بمشرة دنانير .

وقال بعض المؤرخين الأثبات : كان يصلهم على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلجاسية^(٢) ، وكان عدد السَّواري المجلوبة من إفريقية ألف سارية ، وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية . وأهدى إليه ملك الروم مئة وأربعين سارية ، وسأثرها من [٤١٢] مقاطع الأندلس : طرَّ كونة وغيرها ، فالرُّخام المجزَّع من رِيَّة ، والأبيض من غيرها ، والوردى والأخضر من إفريقية ، من كنيسة سَفَاقُس . وأما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل ، الغالى القيمة ، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القُسطنطينية ، مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء ؛ وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتأثيل الإنسان ، فجلبه أحمد من الشام ، وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا ، وقالوا إنه لا قيمة له ، لفرط غرابته وجماله ، وحُمل من مكان إلى مكان ، حتى وصل في البحر ، ونصبه الناصر في بيت المنام ، في المجلس المستشرف الشرقي ، المعروف بالمؤنس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر النفيس الغالى ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعُقاب ، وفي

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « عامر » .

(٢) في ط : « سلجاسية » وفي م : « سلجساتية » . وظاهر أنهما محرفان عما أئتمناه .

المُجَنَّبَتَيْنِ حَمَامَةً ، وشاهين ، وطاوس ، ودَجَاجَةً ، وديك ، والثاني عشر^(١) لم يحضرني اسمه الآن ؛ وكل هذا من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ، [ويخرج الماء من أفواهها]^(٢) . وكان المتولى لهذا البنيان المذكور ابنه الحَكَم ، لم يتكلم فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يُخبز في أيامه كل يوم برسم حِيتَانِ البحيرة^(٣) ثمان مِثَّة خُبْزَةٍ [وقيل أكثر]^(٤) ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه^(٥) .

وكان الناصر قد قسَّم الجباية أثلاثاً ، ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مُدَّخَر . وكانت جباية الأندلس يومئذ من السُكُور والقُرَى خمسة آلاف ألف^(٦) ، وأربع مئة ألف ، وثمانين ألف [دينار]^(٧) ، ومن السُّتُوق والمستخلص سبع مئة ألف ، وخمسة وستين ألف دينار ؛ وأما أخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان . وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة في بُنيان الزهراء مِثَّة مُدَى^(٨) [٤١٣] من الدراهم القاسمية ، بكيل قُرْطَبَةٍ . وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالسكيل المذكور ثمانون مُدَيًّا وستة^(٩) أَقْفَزة ، من الدراهم المذكورة . واتصل بُنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة ، شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحَكَم كلها ، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرها . فسبحان الباقي بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو .

(١) لم يذكر المؤلف (هنا) غير عشرة ، وقد ذكرها في نفع الطيب وزاد على ما ذكره

هنا : الفيل ، والحداة ، والفسر .

(٢) الحكمة عن نفع الطيب .

(٣) في نفع الطيب : « البحيرات » .

(٤) ورد في كتاب « إعمال الأعلام » لسان الدين بن الخطيب (قسم ثان) في ترجمة

عبد الرحمن الناصر ذكر بناء الزهراء باختلاف في بعض التفاصيل .

(٥) في نفع الطيب : « خمسة آلاف ألف ألف » .

(٦) المدى : مكيال ، وهو غير المد .

(٧) في نفع الطيب : « سبعة » .

شيء عن عمران
قرطبة

وكانت قرطبة إذ ذاك أم المدائن ، وقاعدة الأندلس ، وقرارة الملك . وكان عدد شُرطاتها أربعة آلاف وثلاث مئة ، وكانت عِدَّة الدور التي في القصر الكبير أربع مئة دار [ونيفا وثلاثين] ^(١) ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها ، الواجب على أهلها المبيت في السور ، مئة ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار ، حاشى دور الوزراء وأكابر الناس والبياض ^(٢) ، وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل أحد وعشرون ؛ ومبلغ ^(٣) المساجد بها ثلاثة آلاف وثمان مئة وسبعة وثلاثون مسجدا ؛ وعدد الحمامات المُبَرَّزة للناس سبع مئة حمام ، وقيل ثلاث مئة ؛ ووسط الأرباض قَصَبَة ^(٤) قرطبة ، التي تختص بالسور دونها . وأما اليتيمة التي كانت في القصر في المجلس البديع ، فإنها كانت من تحف ^(٥) قصر اليونانيين ، بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية .

وكان القاضي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُّوطِيٍّ ممن يُكْرِمُهُ الناصر ويُبَجِّلُهُ ، وولاه قضاء جماعته ؛ وكان أول الأسباب في معرفته بالناصر ، وزُلفاه لديه ، أَنَّ الناصر لما احتفل بالجلوس لدخول [رسل] ^(٦) ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية عليه بقصر قرطبة ، الاحتفال الذي اشتهر ذكره في الناس ، حسبما تقدم بعض [٤١٤] الإلماع به ، أحبَّ أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكرُ جلالة مَقْعَدِهِ ، وعظيم سُلْطَانِهِ ، وتَصِفَ ما تهيأ له من توطيد الخلافة في دولته . وتقدَّم إلى الأمير الحكم ابنه ووليَّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد

احتفال الناصر
لقدّم ملك الروم
وظهور البلوطي
على سائر
الخطباء

(١) التكملة عن نفح الطيب .

(٢) يريد بالبياض : خاصة الناس ، وهو في مقابل السواد والجمهور .

(٣) كذا في م ونفح الطيب . وفي ط : « وبلغ » .

(٤) في نفح الطيب : « قبة قرطبة التي تحيط بالسور » ، وفي العبارة تحريف ظاهر .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « فكانها كانت تحف »

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

الشعراء ، فأمر الحكم صنيعة^(١) الفقيه محمد بن عبد البر الكُستِبانى بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعى من المقدرة على تأليف الكلام ما ليس فى وسع غيره ، وحضر المجلس السلطانى ؛ فلما قام يحاول التكلم بما رآه ، بهره هول المقام ، وأبْهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظه ، بل غشى عليه ، وسقط إلى الأرض ؛ فقبل لأبى على البغدادى إسماعيل بن القاسم القالى ، صاحب الأمانى والنوادر ، وهو [حينئذ]^(٢) ضيف الخليفة ، الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة : قُم فارق هذا الوشى ؛ فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكتاً مُفكِّراً فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك مُنذر بن سعيد ، وكان ممن حضر فى زمره الفقهاء ، قام من ذاته ، [بدرجة من مِرقاته]^(٣) ، فوصل افتتاح أبى على لأول خطبته بكلام عجيب ، وفصل مصيب^(٤) ، يَسُحُّهُ سَحًّا^(٥) ، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذى انتهى إليه أبو على البغدادى ، فقال :

أَمَّا بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة على محمد وصفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ؛ ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ؛ وإني^(٥) قمت فى مقام كريم ، بين يدي ملك [٤١٥]

(١) فى ط : « ضيفه » . والتصويب عن م ونفع الطيب .

(٢) التكملة عن نفع الطيب .

(٣) مكان هذه العبارة : « وفصل مصيب » فى نفع الطيب : « ونادى من الإحسان فى ذلك المقام كل عجيب » .

(٤) فى م : « نسجه نسجاً » .

(٥) فى ط : « فقد » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

عظيم ، فأصفوا إلى معشر الملأ بأسماعكم ، والقنوا ^(١) عني بأفئدتكم ؛ إن من الحق أن يقال للمحق صدقت ، وللمبطل كذبت ؛ وإن الجليل تعالى في سماه ، وتقدس بصفاته وأسمائه ، أمر كلمه موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكروا قومه بأيام الله عز وجل عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ وإني أذكركم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التي لمت شعبتكم ، وأمنت سربكم ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولآه الله رعايتكم ، وأسند إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شغل النفاق ، حتى صرتم في مثل حذقة البعير ^(٢) ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتقتير ^(٣) ، فاستبدلتكم بخلافته من الشدة الرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد [كنف] ^(٤) العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم بالله معاشر الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة لحقها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتزمة فخماها ونصرها ، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفي صدوركم ، وصرتكم يدا على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ، ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى باشره [بالقوة] ^(٤) والمهجة

(١) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « وأتقنوا » .

(٢) في م : « العين » .

(٣) في نفع الطيب : « التفتير » .

(٤) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدعة وهي محبوبة ، وترك
الرؤكون إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطوية صحيحة ، وعزيمة صريحة . وبصيرة
نافذة ثاقبة ، وريح هابة غالبة ، ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ،
وجد ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحملاً للنصب ، مستقلاً لما
نال في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت
شوكة الفتنة عند جدتها ، ولم يبق لها غارب إلا جبّه ، ولا نجم لأهلها قرن إلا
جدّه ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا ،
حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب [الخيرات و] (١)
البركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصين والأدنين
مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فج عميق ، وبلد سمح ، لأخذ حبل بينه
وبينكم ، جملة وتفصيلاً ، « ليقضى الله أمراً كان مفعولاً » ، ولن يخلف الله
وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة
خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية .
وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولكل نبي مستقر ، ولكل أجل
كتاب ، فاحمدوا الله ، أيها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد
أصبحتم في خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه بخالص
التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالا ، وأعزهم قراراً ،
وأمنهم داراً ، وأكثفهم جماعاً ، وأجلهم صنفاً ، لا تهاجون ولا تذاذون ،
وأتم بحمد الله على أعدائكم فاهرون ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ، بالمناسبة

لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَّق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها [والتمسك بعُروتها] ^(١) ، حفظ الأموال وحَقْن الدماء ، وصلاح الخاصة والدَّهَاء ، وأن بقاء الطاعة تقام الحدود ، وتُوقَى العُهود ، وبها وُصِلت الأرحام ، ووضَحَت الأحكام ، وبها سَدَّ الله الخَلَلَ ، وأَمِنَ السُّبُلَ ، وَوَطَّأَ الأَكْنَافَ ، ورفع الاختلاف ، وبها طابَ لكم القَرَارُ ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الآية . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضُروب المُشْرِكِينَ ، وصُنُوفِ المُلْحِدِينَ ، الساعين في شَقِّ عَصَاكُمْ ، وتفريق مَلَيْكِكُمْ ، الآخذين في محاذلة دينكم ، وهتِك حَرِيمِكُمْ ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا ، وأختم بحمد الله رب العالمين ، وأستغفر الله الغفور الرحيم ، فإنه خير الغافرين .

[٤١٨] فخرج الناس يتحدثون عن حسن مقام مُنذر ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ^(٢) . وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدَّهم تعجباً منه ، فأقبل على ولي عهده ابنه الحَكَمَ يسأله عنه ، ولم يكن يُثَبِّت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال له الحَكَمُ : هو منذر بن سعيد البَلُوطِي ^(٣) . فقال : والله ^(٤) لقد أحسن ما شاء ؛ فَلَمَّا كَانَ حَبَرَ خطبته هذه وأعدّها ، مخافة أن يدور ما دار ، فيتلاقى الوهي ،

(١) هذه العبارة عن نفح الطيب .

(٢) كذا في م ونفح الطيب . وفي ط : « منطقته » .

(٣) نسبة إلى خص البلوط قرب قرطبة .

(٤) كذا في م ونفح الطيب . وفي ط : « له » .

فإنه لبديع من قدرته واحتياظه ؛ ولئن كان أتى بها على البديهة لوقتته ، إنه لأعجب وأغرب ؛ فكان ذلك سبب اتصاله به ، واستعماله له .

من خطبة
البلوطي

وذكر ابن أصبغ المهداني عن منذر القاضي ، أنه خطب يوماً وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال :

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أَعْظَ غَيْرِي ^(١) وَلَا أَتَعْظُ ، وَأَزْجُرُ وَلَا أَزْدَجُرُ ، أَدُلُّ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْتَدْلِينَ ^(٢) ، وَأُبْقِي مُقِيمًا مَعَ الْخَائِرِينَ ، كَلًّا ، إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، « إِنْ هِيَ إِلَّا فَتْنَتُكَ تَضِلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ » الْآيَةُ . اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ . وَلَا تَشْعَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ، وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . قَالَ :

بينه وبين
الناصر في
التزهيد في
تنميق البناء

وكان الخليفة الناصر لدين الله كلفاً بعمارة الأرض ، وإقامة معاملها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك ، وعزّة السُلطان ، فأفصى به الإغراق في ذلك إلى أن ابني مدينة الزَّهراء ، البناء الذي شاع ذكره ، واستفرغ وسعته في تنميقها ، وإتقان قُصورها ، وزخرفة مصانعها ^(٣) ؛ فأراد القاضي منذر أن يَعْضَّ منه ، بما يتناوله من الموعظة ، بفصل الخطاب والحكمة ، والتذكير بالإنيابة والرجوع ^(٤) ، فأدخل في خطبته فصلاً ، مبتدئاً بقوله تعالى : « أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبُوهُ . وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَعْنَامٍ وَبَنِينَ .

[٤١٩]

(١) هذه الكلمة ساقطة من نفع الطيب .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في الأصلين ونفع الطيب .

(٣) زاد المقرئ في نفع الطيب (هنا) العبارة الآتية : « وانهمك في ذلك حتى عطل

شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذ ، ثلاث جمع متواليات » وقد آثرنا إثباتهما

هنا توضيحاً لل مقام .

(٤) في ط : « والرجعة » .

وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » . ولا تقولوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ » . « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ؛ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى » ؛ وهي دار القرار ، ومكان الجزاء .

ووصل ذلك بكلام جَزَلٍ ، وقول فَصْلٍ ، ومضى في ذم تشييد البنيان ، والاستغراق في زخرفته ، والإسراف في الإنفاق [عليه] ^(١) ؛ فجرى طَلَقًا ، وانتزع فيه قوله ^(٢) تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ » الآية ؛ وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فِجَائِهِ ، والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية ، والحض على اعتزالها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها ، والإقصار عن طلب اللذات ، ونهى النفس عن اتباع هواها ؛ فأشهب في ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى ادَّكر من حضره من الناس ، وخضعوا ورَّقُوا ، واعترفوا وبَكُوا ، وضجُّوا ودَعَوْا ، وأعلنوا التضرع إلى الله والتوبة ، والابتهاال في المغفرة ، وأخذ خليفَتُهُم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود ، فبكى ونَدِمَ على ما سلف له [من فَرَطِهِ] ^(٣) ، واستعاذ بالله من سُخْطِهِ ؛ إلا أنه وَجَدَ على مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، لَغْلَظَ ما تَقَرَّعَهُ به ، فشكا ذلك إلى ولده الْحَكَمِ بعد انصرافه ، وقال : والله لقد تَعَمَّدَنِي مُنْذِرٌ بِخُطْبَتِهِ ، وما عَنَى بها غيرى ؛ فأسرف على ، وأفرط في تقريبي ، ولم يُحَسِّنِ السياسة في وعظي ، فزعرع قلبي ، وكاد بمصاه يَقرَعَنِي ^(٤) ؛ واستشاط غيظًا عليه ، فأقسم ألاَّ يُصَلِّيَ [٤٢٠]

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « بقوله » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

(٣) الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « بصرعني » . وما أثبتناه عن م والنفع .

خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف^(١) ، صاحب الصلاة بقرطبة ، ويُجانب الصلاة بالزَّهراء ؛ وقال له الحكم : وما الذي يمنعك من عزل المنذر من الصلاة بك ، والاستبدال منه إذ كرهته ؟ فزجره واتهره ، وقال له : أمثل مُنذر بن سعيد في خيره وفضله وعلمه — لا أم لك — يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، [سالكه غير القصد] ^(٢) ؟ هذا ما لا يكون ؛ وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيما مثل مُنذر ، في ورعه وصدقه ، ولكنه قد أخرجني فأقسمت ؛ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كَفَّارَةِ يَمِينِي بِمَلِكِي ؛ بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى .

خطبة لمنذر في
الاستسقاء

وقحط الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضي المذكور منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فتأهب لذلك ، وصام بين يديه أياما [ثلاثة] ^(٣) ، تنفلا وإبابة ورهبة ، فاجتمع له الناس في مصلى الرِّبَض بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ، ليشarf ^(٤) الناس ، ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى ، والضراعة له ؛ فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس ، وعَصَّتْ بهم ساحة المصلى ؛ ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا ، مُخْبِتًا متخشعا ، وقام ليخطب ، فلما رأى يدار الناس إلى ارتقائه ^(٥) ، واستسكانهم من خيفة الله ، وإخباتهم له ، وابتهالم إليه ، رقت نفسه ، وغلبته عيناه ؛ فاستعبر وبكى حينًا ، ثم افتتح خطبته بأن قال :

يأيها الناس ، سلام عليكم . ثم سكت ، ووقف شبيهة الحَصِر ، ولم يك من

(١) في ط : « معترف » . وما أثبتناه من م والنفع .

(٢) التكملة عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « ليمرر الناس » . وما أثبتناه من م والنفع .

(٤) كذا في م . وفي ط : « ارتفاه » . وفي النفع : « ارتقائه » .

عاداته ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عراه ، ولا ما أراد بقوله ؛ ثم اندفع تاليا لقوله تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ؛ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه .

قال الحاكى : فضجَّ الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء ؛ ومضى على تمام خطبته ، ففرغَ النفوس^(١) بوعظه ، وانبعث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء مُنْهَمِرٍ ، روى الثرى ، وطرَدَ المَحْلَ ، وسكَّنَ الأزل ، والله لطيف بعباده .

وكان له في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ؛ ومنه أن قال يوما وقد سَرَّحَ طَرَفُهُ في مَلَأُ الناس ، عند ما شَخَّصُوا إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كالمنادى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » ، وكررها [عليهم]^(٢) ، مشيرا بيده في نواحيهم : « أَنْتُمْ أَلْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » . فاشتد وجد الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ، ومضى في خطبته .

من خطبة له
أخرى في ذلك

قال القاضي أبو الحسن^(٣) : ومن أخبار مُنْذِرِ المحفوظة له مع الخليفة الناصر ، في إنكاره عليه الإصراف في البناء ، أن الناصر كان اتخذ لسطح القُبَيْبَةِ ، المصغرة الاسم للخصوصية ، التي كانت ماثلة على الصَّرْحِ الممرّد المشهور شأنه بقصر الزهراء ، قراميدَ مُغَشَّاةَ ذهباً وفضة ، أنفق عليها مالا جسيما ، وقرَّ مَدَ

بعض أخباره
مع الناصر
وحديث القُبَيْبَةِ

(١) كذا في م . وفي ط والنفع : « الناس » .

(٢) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٣) هو القاضي أبو الحسن بن الحسن النباهي ، وقد مر التعريف به في صدر هذا الجزء .

سقفها به ، وجعل سقفها صفراء فاقمة ، إلى بيضاء ناصعة ، قستلب الأبصار بأشعة أنوارها ، وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته ، فقال لقربته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة ، مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك : هل رأيتم أو سمعتم مَلِكًا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنك لأوحدُ في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ، ولا انتهى إلينا خبرُه ، فأبهجه قولهم وسره . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي مُنذِر بن سعيد واجما ناكس الرأس ، فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذي قال لوزرائه ، من ذكر السقف المذهب ، واقتداره على إبداعه ، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته ، وقال له : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان اعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تتمكن من قيادك^(١) هذا التمكن ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفضلك به على العالمين ، حتى يُنزلك منازل الكافرين . قال : فافعل عبد الرحمن لقوله ، وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلتني منزلتهم . فقال له : نعم ، أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » . فوجم الخليفة ، وأطرق مليا ، ودموعه تتساقط ، خشوعا لله سبحانه . ثم أقبل على منذر ، وقال له : جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا ، وعن الدين والمسلمين أجل جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو الحق . وقام عن مجلسه ذلك [وهو يستغفر الله

(١) في م : « قلبك » .

تعالى [١] ، وأمر بنقض سقف القُبَيْبَةِ ؛ وأعاد قمرمدها (٢) تراباً على صفةٍ غيرها . انتهى .

الناصر وأيام
سروره

وحكى غير واحد أنه وُجِدَ بخط الناصر رحمه الله : أيامُ السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا . وعُدَّت تلك الأيام ، فكانت أربعة عشر يوماً .

فأعجب أيها المساقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها . هذا الخليفة الناصر حَلَفَ السعود ، المضروب به المثل في الارتقاء [٤٢٣] في الدنيا والصعود ؛ ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تُصَفْ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسُبْحان ذى العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، تبارك اسمه وتعالى ، لا إله إلا هو .

وحكى أنه — أعنى الناصر — لما أَعْدَرَ لأولاد ابنه أبى مَرْوانَ الأكبر عبيد الله ، اتخذ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء ، لم يتخلف عنه أحد من أهل مملكته ، وأمر أن يُنْذَرَ لشهوده الفقهاء المشاورون ، ومن يليهم من العلماء والعدول ، ووجوه الناس ، فتخلف من بينهم الفقيه المشاور أبو إبراهيم المذكور الذكر في كتب النوادر (٣) والأحكام ، واقتُتِدَ مكانه ، لارتفاع منزلته ، فساء ذلك الخليفة الناصر ، ووَجِدَ على أبى إبراهيم ، وأمر ابنه ولّى العهد الحكم بالكتاب إليه ، والتفنيذ له (٤) ، فكتب إليه الحكم رقعة ، نسختها :

إعذار الناصر
لأولاد ابنه وما
كان بينه وبين
الفقيه أبى إبراهيم
لتخلفه

(١) الزيادة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي إعمال الأعلام لابن الخطيب : « وإعادة قراميدها تراباً على غير تلك الصفة » . وفي ط : « وأعاد سقفها ... الخ » .

(٣) في ط : « النوازل » . وما أُنْبِتاه عن م .

(٤) في م : « والتفنيذ إليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله وتولأك ، وسددك ورعاك ، لما امتعن أمير المؤمنين مولاى وسيدى أبقاه الله الأولياء الذين يستعدُّ بهم ، وجَدَّكَ متقدما فى الولاية ، متأخرا عن الصَّلَّة ، على أنه قد أُنذِرَكَ ، أبقاه الله ، خصوصا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده ، لا أعدمه الله توالى المسرة ؛ ثم انذرت من قبلُ إبلاغا فى التكرمة ، فكان ، على ذلك كله ، من التخلف ما ضاقت عليك فيه العذرة ، واستبلغ أمير المؤمنين فى إنكاره ، ومعاتبتك عليه ، فأُعيتُ عليك عنك الحجة . ففرغنى أكرمك الله ، ما العذر الذى أوجب توقُّفَكَ عن إجابة دعوته ، ومشاهدة السرور الذى سُرَّ به ، ورغب المشاركة فيه [لنعرِّفه] ^(١) ، أبقاه الله بذلك ، فتسكن نفسه العزيزة إليه ، إن شاء الله تعالى . [٤٢٤]

فأجابه أبو إبراهيم :

« سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

قرأت ، أبقى الله سيدى ، هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقُّفى لنفسى ، إنما كان لأمر المؤمنين سيِّدنا ، أبقاه الله ولسلطانه ، لعلمى بمذهبه ، واسكونى إلى تقواه ؛ واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يستنبقون من هذه الطبقة بقيَّة ، لا يمتثلونها بما يشينها ، ولا بما يغض منها ، ويَطْرُق إلى تنقُّصها ، فيستعدُّون بها لدينهم ؛ وَيَتَزَيَّوْنَ ^(٢) بها عند رعاياهم ؛ ومن يَفِدُّ عليهم من قُصَادهم ، فلهذا تخلَّت ، ولعلمى بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى . قال : فلما أقرأ الحَكَمُ أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق ،

(١) النكلة عن فتح الطيب .

(٢) فى م وفتح الطيب : « ويتزَيَّون » .

أعجبه واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه . وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم ، وحقّ لهما أن يعظما .

بين الحكم
والفقيه
أبي إبراهيم

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مفرّج بن محمد بن مفرّج قال : كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم — رحمه الله — فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية ، فإني لعمري في بعض الأيام في مجلسه ، بالمسجد المنسوب لأبي عثمان ، الذي كان يصلي فيه قرب داره ، بجوّف قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة ، وذلك بين الصّلاتين ، إذ دخل عليه خصي^(١) من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة الحكم ؛ فوقف وسلم ، وقال له : يا فقيه ، أجب أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فإن الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أمرت بإعجالك ، فإله الله . فقال له : سمعا وطاعة لأمر المؤمنين ، ولا عجلة ؛ فارجع إليه — وفقه الله — وعرفه عنى أنك وجدتني في بيت من بيوت الله عز وجل ، مع طلاب العلم ، [٤٢٥] أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يقيّدونه عنى ، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتمّ المجلس المهود لهم ، في رضا الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة ، فإذا انقضى أمر من اجتمع إلى من هؤلاء المحتسبين في ذات الله ، الساعين في مرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى .

ثم إنه أقبل على شأنه ، ومضى الخصى يهينهم متضاجرا من توقّفه ؛ فلم يك إلا ريثما أدّى جوابه وانصرف سريعا ساكن الطيش . فقال له : يا فقيه ، أهبّت قولك على نصّسه إلى أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فأصغى إليه وهو يقول [لك] ^(٢) : جزاك الله خيرا عن الدين ، وعن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ،

(١) في م هنا : « الفنى » .

(٢) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

وأمتعهم بك ، وإذا أنت أوعيت ، فامض ^(١) إليه راشدا ، إن شاء الله تعالى ،
فقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقض شغلك ، وأذكرك تمضي معي . فقال له :
حسن جميل ، ولكنني أضئف عن المشي إلى باب السدة ، ويصعب عليّ ركوب
دابة لشيخوختي ، وضعف أعضائي ، وباب الصناعة الذي يقرب إلى من أبواب
القصر المكرم أحوط لي ، وأرفق بي ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله
تعالى ، أن يأمر بفتحه ، لأدخل إليه منه ، هون عليّ المشي ، وودع جسمي ؛
وأحب أن تعود ، فتنهى إليه ذلك عني ، حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود
إليّ ، فإني أراك فتى شديدا ، فكن على الخير معينا .

ومضى عنه الفتى ، ثم رجع بعد حين ، وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير
المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصناعة ، وانتظارك من قبله ، ومنه [٤٢٦]
خرجت إليك ، وأمرت بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك ؛ وقال : افعل
راشدا ؛ وجلس الخصى جانبا ، حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه ، بأكل وأفسح
ما جرت ^(٢) به عادته ، غير منزعج ولا قلق ؛ فلما انقضضنا عنه قام إلى داره ،
فأصلح من شأنه ، ثم مشى إلى الخليفة الحكم ، فوصل إليه من ذلك الباب ،
وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذاك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه .

قال مفرّج : ولقد تعمّدنا في تلك العشية ، إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم ،
المرور بهذا الباب للمهود إغلاقه ، بدير القصر ، لنرى الذي تجسم ^(٣) الخليفة له ،
فوجدناه كما وصف الخصى مفتوحا ، قد حفّه الخدم والأعوان منزعين ، ما بين

(١) في م : « فانهض » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « كأنفسح ما جرت » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « لنرى تحسم » .

كنّاس وفراش، متهيئين لانتظار أبي إبراهيم؛ فاشتد عجبنا لذلك، وطال تحدّثنا عنه. انتهى.

هكذا هكذا تكونُ المَعَالِي طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرُقِ المَزَاحِ

بيعة الحكم
المستنصر

وكان الخليفة الحَكَمُ المستنصر المذكور قد قام بأعباء الملك أحسن قيام، لما توفى والده الناصر في يوم الأربعاء ثلاث — وقيل لاثنتين — مضي^(١) من شهر رمضان، من سنة خمسين وثلث مئة، واستقرت الخلافة به، حتى لم يَعمَدَ من الناصر إلا شخصه، واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه، يوم الخميس، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له، ودعا الناس إلى بيعته، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه، وتثقيف مملكته، وضبط قصوره، وترتيب أجناده. وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره، الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر، كجعفر صاحب الخيل والطرّاز، وغيره من عظمائهم، وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم، من طبقتهم [وغيرهم]^(٢)؛ وأوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء، الأكابر من الكتاب والوصفاء، والمقدمين والعرفاء، فبايعوه؛ فلما كملت بيعتهم وبيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان، بالنهوض في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله، المتخلف لملته، بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة؛ وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حُدَير بالنهوض أيضا في أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني، فمضيا إليهما، كل واحد منهما في قطيع من الجنّد، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء؛ ونفّذَ غيرُهما من وجوه الرجال في الخيل، للإتيان بغيرهما من الإخوة، وكانوا يومئذ ثمانية، فوافي جميعهم الزهراء في الليل، فنزلوا في مراتبهم

(١) في م: «بقين».

(٢) هذه الكلمة عن نفع الطيب.

بفُصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرق والغربي ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية ، التي في السطح المرد ؛ فأول من وصل إليه الإخوة : فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البيعة ، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ؛ ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ، ثم أصحاب الشرطة ، وطبقات أهل الخدمة ؛ وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس ، فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس ؛ وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة ؛ فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يميناً وشمالاً ، إلى آخر البهو ، كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظواهر البيض ، شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفتيان الوُصفاء ، عليهم الدروع السابغة ، والسيوف الحالية ، صفين منتظمين في السطح ، وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الحصيان ، [٤٢٨] لابسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم من دونهم من طبقات الحصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرُماة متنكبين قسيهم وجمعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الحصيان الصقالبة صفوف العبيد الفُحول ، شاكين في الأسلحة الرائقة ، والعُدة الكاملة ، وقامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد ، عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلبية^(١) ، وبأيديهم التُّراس الملونة ، والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفصل^(٢) . وعلى باب السُدة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب السُدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فرسان الحشم ، وطبقات الجند والعبيد والرُماة ، موكباً

(١) في م : « الصقلية » .

(٢) الفصل : واحد الفصلان (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٦١ من هذا الجزء) .

وفي الأصلين والنفع : « الفصل » . وظاهر أنها محرفة عما أبتناه .

إثر موكب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانقضاء ، إلا الإخوة والوزراء و [أهل] (١) الخدمة ، فإنهم مكثوا بقصر الزهراء ، إلى أن احتُمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة ، للدفن هنالك في ترُبة الخلفاء .

وفي ذى الحجة من سنة خمسين المذكورة تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحَكَم من البلاد ، للبيعة والتماس المطالب ، من أهل طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ؛ فتوصلوا إلى مجلس الخليفة ، بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر ابن سعيد والملا ، وأخذت عليهم البيعة ، ووُقعت (٢) الشهادات في نسخها .

وفود أردون
عليه وحديث
ذلك

وفي آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحَكَم المستنصر بالله مولايه محمدا وزيدا ابني أفلح الناصري ، في كتيبة من الحشم والخدم ، لتلقى غالب (٣٩) الناصري ، صاحب مدينة سالم ، المُرَد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث في الدولة ، المتملك على طوائف من أمم الجلالة ، والمنازع لابن عمه المَلَك قبله شانجه بن رُذَير ؛ وتبرَّع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير طالب إذن ، ولا مستظهر بعهد ، وذلك عندما بلغه من اعتزام المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذه في التأهب له ، فاحتال في تأميل المستنصر بالله ، والارتقاء إليه ، وخرج قبل أمانٍ يُعَقِّد له ، أو ذمة تعصمه ، في عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، تكفَّهم غالب الناصري ، الذي خرج إليه ؛ فجاء بهم نحو مولاة الحَكَم ؛ وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور ؛ فأنزلاهم ؛ ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشام بن محمد بن عثمان المُصَحِّق ، في جيش عظيم كامل التعبئة ، وقَدِموا إلى باب قرطبة ،

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب . (٢) في م : « ووثقت » .

فجروا بباب قصرها . فلما انتهى أردون^(١) إلى ما بين السدة وباب الحنان ، سأل عن مكان رَمَس الناصر لدين الله ، فأشير إلى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ؛ فخلع قلنسوته ، وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته إلى رأسه . وأمر المستنصرُ بإتزال أردون في دار^(٢) الناعورة ، وقد كان تقدّم في فرشها بأنواع الغطاء والوطاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ؛ وتوسّع في السكراة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يوم السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه ، بعد إقامة الترتيب ، وتعبية الجيوش ، والاحتفال في ذلك ، من العدد والأسلحة والزينة ؛ وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح ، وقعد الإخوة وبنوهم ، والوزراء ونظراؤهم صفًا^(٣) في المجلس ، فيهم القاضي منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ؛ فأتى محمد بن القاسم بن طملس^(٤) بالملك أردون وأصحابه ، وعلى^(٥) لبوسه ثوب ديباجي رومي أبيض ، وبليوآل من جنسه وفي لونه ؛ وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر ، وقد حَفَّتْه جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس ، يؤنسونه ويصرونه ، فيهم وليد بن حيزون^(٦) قاضي النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة ، وغيرهما^(٧) ؛ فدخل بين صفّي الترتيب ، يقلب الطرف في نظم الصفوف ، ويمجّل النظر^(٨) في كثرتها ، وتظاهر أسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ،

(١) تقدم قريبا هذا الاسم مضبوطا (بفتح الهمزة) . والصواب (بضمها) .

(٢) في م : في منية « الناعورة » .

(٣) في الأصلين : « معاً » . وما أثبتناه عن نفع الطيب طبعة مصر والمخطوط . وفي نفع الطيب طبع أوربة : « جفا » . أى : جماعة .

(٤) كذا في الاستقصا لاسلاوى (ج ١ صفحة ٨٧) وفيما سيأتى من م . وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « طميس » . وفي ط وم هنا : « طملس » .

(٥) في م : « وعلى » . (٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « خيزران » .

(٧) مكان هذه الكلمة « وغيرها » في م : « وأصبح بن نبيل وعبد الرحمن بن لب » .

(٨) في ط : « الفكر » وما أثبتناه عن م والنفع .

وصلُّوا على وجوههم ، وتأمَّلوا ناكسِي رءوسهم ، غاضِينَ من جفونهم ، قد
سُكِّرَتْ أبصارهم ، حتى وصلوا إلى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ،
فترجَّل جميع من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أردون وخاصة قوامِسِه^(١) على
دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُدَّة ، فأمر القوامس بالترجُّل هنالك ، والمشى
على الأقدام ، فترجَّلوا ، ودخل الملك أردون وحده ، راكبا مع محمد بن طماس^(٢) ،
فأنزل في بَرَطَل^(٣) البهو الأوسط ، من الأبهاء القبلية ، التي بدار الجند ، على كرسِيٍّ
مرتفع ، مكسو الأوصال بالفضة ، وفي هذا المكان بعينه نزل قبله عدوُّه ومناوئه
شأنجة بن رُذَيمِر ، الوافد على الناصر لدين الله ، رحمه الله تعالى ، فقعد أردون على
الكرسي ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأردون الملك من المستنصر
بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه ، إلى أن وصل إلى السطح ،
فلما قابل المجلس الشرقي ، الذي فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع
بُرْنُسَه ، وبقي حاسراً ، إعظاما لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستنْهَضَ ، ففضى
بين الصقَّين المرتبَّين في ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح ، وانهى إلى باب
البهو ، فلما قابل السرير خر ساجدا سُويمة ، ثم استوى قائما ، ثم نهض خطوات ،
وعاد إلى السجود ، ووالى ذلك صرارا ، إلى أن قُدِّمَ^(٤) بين يدي الخليفة ، وأهوى
إلى يده ، فناوله إياها ، وكرَّرَ راجعا ، مقهِّرا على عقبه ، إلى وساد ديباج مُنْقَلٍ
بالذهب ، جُمِّلَ له هنالك ، ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس عليه
والبُهرُ قد علاه ؛ وأنهض خلفه من استندنى من قوامسه وأتباعه ، فدَنَوْا ممتثلين

(١) القوامس : الأمراء . الواحد : قومس بوزن جعفر .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٤) صفحة (٢٨٩) من هذا الجزء .

(٣) البرطل (كجعفر وبرثن) : كلمة إسبانية ومعناها : سقيفة عند باب البيت ، أو في أحد جوانب الفناء ، ولا تزال تستعمل في المغرب . (راجع تكملة المعجم العربية لدوزي) .

(٤) في م : « قام » .

فعله في تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده ، فقبلوها وانصرفوا مُقَهِّقِرِينَ ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة ^(١) ، فكان الترجمان عن الملك أردون ذلك اليوم ، وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده [أمامه وقتاً] ^(٢) ريثما ^(٣) يُنْزَخُ رَوْعُهُ ، فلما رأى أن قد خُفِّضَ عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : لَيْسَ رُكَّ إِبْرَاهِيمَ ، وَيُغَبِّطُكَ تَأْمِيلُكَ ، فلدينا لك من حسن رأينا ، ورُحْب قبولنا ، فوق ما قد طلبته .

فلما تَرُجِمَ له [كلامه] ^(٢) إياه ، تطلَّق وجه أردون ، وانحط عن رتبته ، فقبَّل البساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتورك على فضله ، القاصد إلى مجده ، المحكَّم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعني من فضله ، وعوضني من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة . [٤٣٢]

فقال له الخليفة : أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقديمنا لك ، وتفضيلنا إياك على أهل ملتك ، ما يُغَبِّطُكَ ، وتعرف به فضل جنوحك إلينا ، واستغلالك بظل سلطاننا .

فعاد أردون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعياً ، وقال : إن شانجة ابن عمي تقدم إلى الخليفة الماضي مستجيراً به مني ، فكان من إعزازه إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك ، وأكارم الخلفاء ، لمن قصدهم وأملهم ؛ وكان قصده قصد مضطر ، قد شَنَّاه رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتني لمكانه ، من غير سعي مني — علم الله ذلك — ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطراً مضطهداً ؛ فتطول عليه رحمه الله ، بأن صرفه إلى ملكه ،

(١) زادت م بعد هذه الكلمة : « وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة » .

(٢) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « كيا » ، وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

وقوى سلطانه ، وأعز نصره . ومع ذلك فلم يعم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصر في أداء المفروض عليه وحقه وحق أمير المؤمنين مولاي من بعده ؛ وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطاني ، وموضع احتكائي ^(١) ، مُحَكَّمًا له في نفسى ورجالى ومَعَاظِلِي ، ومن تحويه من ريعتي ؛ فشتان ما بيننا من قوة الثقة ، ومطرح الممة .

فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إِيَّاكَ على الخصوصية فوق شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك به أضعاف ما كان من أئبنا رضى الله عنه إلى نِدِّكَ ، وإِن كان له فضل التقدم بالجَنُوح إلينا ، والقصد إلى سلطانتنا ، فليس ذلك مما يؤخرك عنه ، ولا يَنْقُصُك مما أئلفناه ، وسنصرفك مغبوطا إلى بلدك ، [ونشدُّ أواخى ملكك] ^(٢) ، ونملكك جميع من انحاش إليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ، نُقرِّر به حدَّ [٤٣٣] ما بينك وبين ابن عمك ، ونقبضه عن كل ما يُصرفه من البلاد إلى يدك ، وسَيُزَادُف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته . والله على ما نقول وكيل .

فكرر أُرْدُون الخضوع ، وأسهب في الشكر ، وقام للانصراف مقهقرا ، لا يولَّى الخليفة ظهره ، وقد تكفنه الحَفْدَة من جِلَّةِ الْفَتِيَّان ، فأخرجوه إلى المجلس الغربى في السطح ، وقد علاه البُهر ، وأذهله الرَّوع ، من هول ما باشره ، وجلالة ما عاينه ، من نخامة الخليفة ، وبهاء العزة . فلما أن دخل المجلس ، ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه ، انحط ساجداً إعظاماً له ، ثم تقدَّم الْفَتِيَّان به إلى البهو الذى بجوفى هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جمفر ، فلما أَبْصُر به قام إليه ، وخضع له ،

(١) في نفع الطبيب « أحكاي » . (٢) التكلمة عن نفع الطبيب .

وأوماً إلى تقبيل يده ، فقبضها الحاجب عنه ، وانحنى إليه ، فعانقه ، وجلس معه ، فقبَّطه ، ووعدته من إنجاز عِدات الخليفة له بما ضاعف سروره ؛ ثم أمر الحاجب جعفر^١ ، فصبَّت عليه الحِلْمَع التي أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَّاعَة منسوجة بالذهب ، وبرُّنُسا مثلها ، له لوزة مُفرَّغة من خالص التَّبر ، مرصعة بالجواهر والياقوت ، ملأت عين العِلج نَجْمَة ، نخرٌ ساجداً ، وأعلن بالدعاء ؛ ثم دعا الحاجب أصحابه رجلاً رجلاً ، فخلع عليهم ، على قدر استحقاقهم ؛ فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم ، وخرَّ جميعهم خاضعين شاكرين ، ثم انطلق الملك [أردون]^(١) وأصحابه ، وقدَّم لركابه في أول البهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه سرج حَلَى ، ولجام حَلَى مفرَّغ ، وانصرف مع ابن طملس إلى قصر الرُّصافة ، مكان تضييفه ، وقد أُعِدَّ له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفَرش والمساعدون ، واستقر الملك أردون وأصحابه فيما لا كِفَاء له من سَعَة التضييف ، وإرغاد المعاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وغزاة الإسلام فيه ، ما أفاضوا في التبجَّح به ، والتحدث عنه أياماً .

[٤٣٤]

شعر المرادى
في هذا المقام

وكانت للخطباء والشعراء بمجالس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان ، وإنشادات لأشعار محكمة متان ، يطول القول في اختيارها .

فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادى من قصيدة طويلة :

مُلْك الخليفة آية ^(٢) الإقبال	وسُعوده موصولة بنوال
فالمسلمون بعزة وبرفعة	والمشركون بذلة وسِفال
أَلقت بأيديها الأعاجم محوه	متوقِّعين لصَوالة الرئبال
هذا أميرهم أناه آخذاً	منه أواصر ذمَّة وجبال

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « غاية » .

وتتبع مثل هذه الأخبار لا آخر له ؛ والله المستعان .

وكان القاضي مُنذر بن سعيد السابق ذكره ، سمع بالأندلس من عبيد الله [٣٥] ابن يحيى بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجاً سنة ثمان وثلاث مئة ، فسمع من عدة أعلام ، منهم محمد بن المنذر النيسابوري ، سمع عليه كتابه المؤلف في

شيء عن منقذ
ابن سعيد
البلوطي

(١) في نفع الطيب الطبوع والمخطوط : « مخيا » .

(۲) کذا فی م . وفق ط : « غیرت » . وفق نفع الطیب : « حریت عنه » .

(٣) كذا في الأصلين ونفع الطيب المطبوع والمخطوط. (٤) يريد بالجمال : قمر البثر.

(٥) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « قبل التجافيف » . والتجافيف : جمع تجفاف

(بالكسر) وهو آلة للحرب يلبسه الفرسان والإنسان ليقيه في الحرب .

اختلاف العلماء ، المسمى بالإشراف ، وروى بمصر كتاب العين للخليل ، عن أبي العباس بن ولّاد ، وروى عن أبي جعفر بن النحاس . وكان متفنا في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن عليّ الأصبهانيّ ، المعروف بالقياسيّ^(١) وبالظاهريّ ؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ، ويحتج لمقاتله ، ويأخذ به في نفسه وذويه ؛ فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، بالذي استقر عليه العمل في بلدهم ، وحمل عليه السلطان أهل مملكته .

وله تواليف مفيدة ؛ منها كتاب أحكام القرآن ؛ والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك في الفقه والكلام والرد على أهل المذاهب ؛ وكان خطيبا بليغا ، عالما بالجدل ، حاذقا فيه ، شديد العارضة ، حاضر الجواب ، عتيده ، ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ، ومنظر جميل ، وخلّق حميد ، وتواضع لأهل الطلب ، وانحطاط لهم ، وإقبال عليهم ؛ وكان مع وقاره التام فيه دُعابة مستملحة ، وله نوادر مستحسنة ، لولا السامة جلبنا منها طرّفا . وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر ، في شهر ربيع الآخر^(٢) سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة ، ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحَكَم المستنصر ، إلى أن توفّي رحمه الله ، عقب ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ؛ فكانت ولايته لقضاء الجماعة ستة عشر عاما كاملة ، لم يُحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسَم بغير سَوِيّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية ، رحمه الله ورضى عنه . ودُفن بمقبرة قريش ، بالرّبط الغربي من قرطبة ، أعادها الله ، جوفىّ مسجد السيدة الكبرى ، بقرب داره .

(١) في م : « بالباسي » . (٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « الأول » .

بعض ما نورد
كلامه

قال القاضي أبو الحسن^(١) : كان شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عياش الخزرجي يستحسن من كلام القاضي مُنذر قوله في التزكية :

اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ، ومتى حَصَلَتْ ذلك عرفت حالة الشهود ، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضى الله عنهم قوتاً^(٢) عظيماً ، وتبايناً شديداً ؛ وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثلاً ما بين السماء والأرض ؛ وعدالة أهل زماننا على ما هي عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل في هذا عندي ، والله الموفق ، أن من كان الخير أغلب عليه من الشر ، وكان منزهاً عن الكِبَائر ، فواجب أن تُعْمَلَ^(٣) شهادته ، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من ثَقُلَتْ موازينه فهو في عيشة راضية ، وقال في موضع آخر : « فأولئك هم المفلحون » ؛ فمن ثَقُلَتْ موازين حسناته بشيء لم يدخل النار ؛ ومن استوت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة في زمرة الداخلين أولاً ، وهم أصحاب الأعراف ، فذلك عقوبة لهم ، إذ تخافوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله في عباده . ونحن إنما كُلِّفْنَا الحكم بالظاهر ، فمن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله في عباده ، ولم نطالب له علم الباطن ، ولا كُلِّفَ محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه أنه قال : « إنما أنا بَشَرٌ ، وإنكم تحتصمون إليّ ، فلعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحكم له على نحو مما أسمع » . فأحكام الدنيا على ما ظهر ، وأحكام الآخرة على ما بطن ؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن ، ونحن لا نعلم إلا الظاهر ؛ ولأهل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عامتهم ، فبهم تنعقد منا حكمهم ويوِّعهم ، وقد قدموهم في مساجدهم ولجئهم وأعيادهم ، فالواجب على من استُغْفِىَ على

(١) هو أبو الحسن البناهي السابق الذكر .

(٢) في م : « بونا » .

(٣) لإعمال الشهادة : قبولها والعمل بها .

موضع أن يُعْمَلَ شهادة أمثالهم وقهائهم ، وأحباب صلواتهم ، وإلا ضاعت حقوق ضعيفهم وقويهم ، وبطلت أحكامهم . ويجب عليه أن يسأل إن استراب في بعضهم في الظاهر والباطن عنهم ، فمن لم يثبت عنده عليه اشتهاً في كبيرة ، فهو على عدالة ظاهرة ، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

نقد للونشريسي
في تشنيع ابن
الخطيب على
الموتقين

قلت : تذكرت هنا ما رأيته بخط الإمام الحافظ سيدي أحمد الونشريسي رحمه الله على ظهر كتاب ابن الخطيب : « مُثَلَّى الطريقة في ذم الوثيقة » ، وقد مدَّ فيه ابن الخطيب الباع في ذم الموثقين^(١) ، وذكر مثالبهم ، ونصَّ ما ألفيته بخط المذكور :

الحمد لله . جامعُ هذا الكلام المقيّد هنا بأول ورقة منه ، قد كدَّ نفسه في شيء لا يعنى الأفاضل ، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بباطل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره في التماس مساوئ طائفة ، بهم تُستباح الفروج ، وتُملَك مُشَيَّدات الدور والبُروج ، وجعلهم أضحوكة لذوى الفتك والمجانة ، وانتزع عنهم جلاباب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له . قال ذلك وخَطَّه بيُمْنِي يديه عبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي ، خار الله سبحانه له . انتهى .

رجع إلى سبته
وما كان بين
ابن خميس
وبعض طلبتها

ولنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار سبته ، فنقول :

كان أهل سبته في غاية الذكاء والفطنة ، والعلم والمعرفة ؛ وقد حكى الشيخ النظَّار أبو إسحاق الشاطبي في شرحه على ألفية ابن مالك ، عن شيخه أبي عبد الله الفخَّار ، عن بعض أهل سبته ، أن الشيخ أبا عبد الله بن خميس التلمساني لما ورد على سبته بقصد الإقراء بها ، اجتمع عليه عيون طلبتها ؛ فألقوا عليه

[٤٣٨]

مسائل من غوامض باب الاشتغال ، فناد عن الجواب ، بأن قال لهم : أتم عندي كرجل واحد . يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد ، وهو ابن أبي الربيع ؛ فكأنه إنما يخاطب رجلا واحداً ، ازدراء بهم . فاستقبله أصغر القوم سنّاً وعلماً ، بأن قال له : إن كنت بالمكان الذى تزعم ، فأجبنى عن هذه المسائل ، من باب معرفة علامات الإعراب ، التى أذكركها لك ؛ فإن أجبت فيها بالصواب ، لم تحط^(١) بذلك فى نفوسنا ، اصغرها بالنظر إلى تعاطيك من^(٢)

الإدراك والتحصيل ، وإن أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد ؛ وهى عشرة :

الأولى : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَفْزُونَ .

والثانية : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَفْزُونَ .

والثالثة : أَتُمْ يَا زَيْدُونَ وَيَاهِنْدَاتُ تَفْزُونَ .

والرابعة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ .

والخامسة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ .

والسادسة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ .

والسابعة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ .

والثامنة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحَيْنَ [كيف تقول]^(٣)

والثاسعة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أَوْ تَمْحُونَ^(٤) كيف تقول .

والعاشرة : أَنْتُمْ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحِيَانِ ، كيف تقول .

(١) كذا فى م ونفع الطيب . وفى ط : « لم تحط » .

(٢) فى نفع الطيب المخطوط والطبوع : « تعاميك عن » .

(٣) التكملة من نفع الطيب .

(٤) فى هذه الصيغة خطأ سيمرض له ابن مرزوق (فى صفحة ٣٠١) من هذا الجزء .

عند قوله : « وليس ما وقع فى السؤال ... الخ »

وهل هذه الأفعال كلها مَبْنِيَّةٌ أو مُعَرَّبَةٌ ؟ أو بعضها مبنيةٌ وبعضها معرب ؟
 وهل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز ،
 لنعلم الجواب . فبُهِتَ الشيخ وشغلَ المَحَلَّ بأن قال : إنما يُسأل عن هذا صغار
 الولدان . فقال له الفتى : فأنت دونهم إن لم تجب . فانزعج [الشيخ] ^(١) وقال
 هذا سوء أدب ، ونهض منصرفا ، ولم يصبح إلا بمالقة ، متوجها إلى غرناطة ،
 فلم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم ، إلى أن مات . تغمده الله برحمته . انتهى .

[٤٣٩] وأورد هذه الحكاية أيضا عالم الدنيا ، سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ،
 في شرحه على الألفية لابن مالك ، وهو شرح متسع جدا ، وقفت منه على بعضه
 بـيـلـسـان ، وكان آخر السفر الأول اسمُ الإشارة ، وذلك السفر أعظم جرما
 من جميع شرح المرادى ؛ ونص [محل] ^(١) الحاجة منه :

وقد حُكي أن بعض طلبة سَبْتَةَ أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر
 مسائل من هذا النوع ، وهى : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَفْزُونَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ
 تَفْزُونَ ؛ وَأَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ وَيَا هِنْدَاتُ تَفْزُونَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ ؛
 وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ ؛ وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ ، وَأَنْتُنَّ
 يَا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ كيف تقول . وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أو تَمْحِينَ كيف
 تقول ؛ وَأَنْتِ تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ ، على لغة من قال محوت كيف تقول ؟ وهل
 هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة ؟ وهل وزنها واحد أو مختلف ؟
 قالوا : ولم يجب بشئ . قلت : فلعله استسهل أمرها .

فأما المثال الأول فعرب ، ووزنه تَفْعُولُ ^(٢) ، إذ أصله تَفْزُوونَ ،

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) فى الأصلين : « تفعولون » وهو ظاهر التحريف .

كفَنظرون^(١) ، فاستثقلت ضمة الواو ، التي هي لام ، فحذفت ، ثم حُذفت الواو أيضا ، لالتقاءها ساكنة مع واو الضمير ، وكانت أولى بالحذف ، لأن واو الضمير فاعل ، ولغير ذلك مما تقدم بعضه .

وأما الثاني فبنى ، ووزنه تَفْعَلُنْ ، كَتَخْرُجُنْ .

وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً ، لأن فيه تغليبَ المذكر على المؤنث .

وأما الرابع فبنى ، ووزنه تَفْعَلُنْ ، مثل تَفَرَّحُنْ ، لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل ، لإسناده إلى نون جماعة النسوة ، رُدَّت الياء إلى أصلها ، لأنها إنما قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون . [٤٤٠]

وأما الخامس فعرب ، ووزنه تَفْعَيْنْ ، وأصله تَخْشَيْنْ ، كَتَفَرَّحَيْنْ ، فقلبت الياء ألفاً ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت لالتقاءها ساكنة مع ياء الضمير ، وتركت فتحة الشين دالة على الألف .

وأما السادس فعرب ، ووزنه تَفْعَيْنْ . وأصله تَرْمِيْنْ ، كَتَضَرَّبَيْنْ ، حذفت كسرة الياء لاستئصالها ، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير .
وأما السابع فبنى ، ووزنه تَفْعِلُنْ كَتَضَرِبُنْ .

وأما الثامن والتاسع ، فمضارع مَحْيَ ورد بالأوزان الثلاثة ، فمن قال يَمْحُو [قال في المضارع من جماعة النسوة : تَمْحُونْ ، مثله من غزا بناء ووزنا . ومن قال يَمْحِي^(٢)] قال فيه : تَمْحِينَ كَتَرْمِينَ ، بناء ووزنا . ومن قال يَمْحَى قال

(١) وردت هذه الكلمة في الأصاين بعد قوله : « تفعون » على أنها تنظير للوزن .

وهكذا جرى المؤلف في الثالين الخامس والسادس . وقد أخرناها إلى موضعها

الصحيح فيما ساقه المؤلف ليستقيم الكلام .

(٢) الكلمة عن نفح الطيب .

فيه تَمْحِينَ كَتَخَشِينَ، بناء ووزنا . ويقال في مضارع الواحدة على اللغة الأولى تَمْحِينَ كَتَدَعِينَ : إعراباً ووزناً وتصريفاً . وقد تقدم في كلام المصنف . وعلى الثانية ، كما يقال لها من رمى إعراباً ووزناً وتصريفاً . وعلى الثالثة كما يقال لها من تحشى أيضاً ، وقد تقدما .

وليس ما وقع في السؤال كما نُقِلَ من خطِّ بعض الشارحين أنه يقال فيها « تَمْحُونَ » كتَفَرَّحْنَ بشيء .

وأمر التثنية ظاهر . انتهى بحروفه .

قلت : وقد جزم غير واحد بأن ابن خنيس لا يجمل مثل هذه المبادئ ، إذ هو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرهما من أنواع العلوم ؛ وقد نقل بعض من له خبرة بأحواله أنه كان يُحَسِّنُ علم السيمياء والله أعلم .

التعريف بابن
خنيس ، ومقتله

وهو محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن عمر بن محمد الحَجْرِيَّ^(١) (بفتح الحاء وسكون الجيم) ، الرَّعَيْنِي ، نسبة إلى حَجَرٍ ذِي رُعَيْن^(٢) . وهو من أهل تِلْهَسَانَ ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خنيس . [٤٤١]

قال ابن الخطيب في «عائد الصلاة» : كان رحمه الله نسيجاً وَحْدَهُ زهداً وانقباضاً وأدباً وهمة ، حسن الشببة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الرياء والهوى ، عاملاً على السياحة والعزلة ، عارفاً بالمعارف القديمة ، مضطجعاً بتفاريق النحل ، قائماً على العربية والأصليين ، طَبَقَةَ الوقت في الشعر ، وفحل لألوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب .

ثم ذكر ابن الخطيب من أحواله جملة ، إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله

(١) في م : « محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد الحَجْرِيَّ » .

(٢) حجر ذي رعين : أبو قبيلة من اليمن .

ابن الحكيم أنه يروم السفر، فشق ذلك عليه، وكلفه تحريك الحديث بحضرته،
وجرى ذلك فقال الشيخ: أنا كالدلم بطبعي أتحرك في كل ربيع. انتهى.
وقال ابن خاتمة في حقه، بعد أن وصفه بالشاعر المجيد: إنه رحل من تلمسان
بلده إلى سبته، فأقام بها مدة، ومدح رؤساءها من بني العزفي، ثم أجاز البحر إلى
الأندلس، فاحتل بحضرة غرناطة في أواخر سنة ثلاث وسبع مئة، في جوار الوزير
أبي عبد الله بن الحكيم، فتقارضا لحل الجدل. وتباريا في الرقذ والحمد، فأذنى له
ذو الوزارتين أخلاف بره وإكرامه، وخلع عليه ابن خميس أثواب نثره ونظامه،
فله فيه القصائد التي حليت بها لبات الآفاق، وتنفست عنها صدور الرفاقي.

وكان رحمه الله من خول الشعراء، وأعلام البلغاء، يُصَرِّف العويص،
ويرتكب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذوى القوائد الباسقة
والخوافي، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها، له مشاركة في العقليات، واستشراق
على الطالب^(١)؛ وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة، وكان ما ينتحله من العلم
فوق ما يحصله. ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال، والتحلى بمحسن السمات،
وعدم الاسترسال، بعد طي بساط ما فرط له في بلده من الأحوال، وكان صنع
اليدين. حدثني بعض من لقيه^(٢) من الشيوخ أنه صنع قدحا من الشمع على أبداع
ما يكون في شكله، ولطافة جوهره، وإتقان صنعته، وكتب بدائرة شفته:

وما كنت إلا زهرة في حديقة تبسمُ عنى ضاحكاتُ الكلام
فقلبتُ^(٣) من طورٍ لطور فهأنا أقبلُ أفواه الملوك الأعظم
وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم.

وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج وحكى لنا، قال:

(١) في م: «الطب». (٢) في ط: «لقيت».

(٣) كذا في م. وفي ط: «نقلت».

أنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكى لي ، قال : لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين ، يعني أبا محمد عبد الحق بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ، وهو الذي سماه بالفقيرة^(١) ، كتبت على ظهره :

الفقرُ عِنْدِي لَفْظٌ دَقٌّ مَعْنَاهُ من رame من ذوى النايات عَنَاهُ
كَمْ مِنْ غَبَىٍّ بَعِيدٍ عَنْ تَصَوُّرِهِ أَرَادَ كَشْفَ مُعَمَّاهُ فَعَمَّاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة ، قال : سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال إنهما لابن الرومي :

رَبِّ قَوْمٍ فِي مَنَازِلِهِمْ غُرَّرَ صَارُوا بِهَا غُرَّارًا
سِتْرَ الْإِحْسَانِ مَا بِهِمْ سَتَرَى لَوْ زَالَ مَا سَتَرَا

ثم قال ابن خاتمة بعد كلام : وقد جمع شعره ودوَّنه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه : « الدر النفيس من شعر ابن خميس » ، وعرف به صدر الجزء . وقد نقلت منه هنا :

وقدم أبو عبد الله بن خميس المريّة سنة ست وسبع مئة ، فنزل بها في كنف القائد الحاضر^(٢) بها حينئذ ، أبي الحسن بن كماشة ، من خدام الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم ، فوسع له في الإيثار والمبزة ، وبسط له وجه الكرامة طلق الأميرة ؛ وبها قال في مدح الوزير أبي عبد الله بن الحكيم قصيدته التي أولها :

العُشَى تَقِيَا وَالتَّوَابِغُ عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِكَ السَّوَابِغُ
وَوَجْهَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَرِيَّةِ . وَمِنْهَا :

وَدَسَائِعُ ابْنِ كَمَاشَةَ مَعَ كُلِّ بَازِغَةٍ وَبَازِغِ

(١) في م : « الفقيرة » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الحاند » .

تأتى بما تهوى النفا نع من شهيات اللغاف
ويقال إن الوزير أبا عبد الله بن الحكيم اقترح عليه أن ينظم له قصيدة
هائية ، فابتدأ منها مطلعها ، وهو قوله :

لِمَنِ الْمَنَازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا ^(١) حَيَّتْ مَعَالِمَهَا وَصُمَّ صَدَاها

وذلك في أواخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة . ثم لم يزد على ذلك إلى
أن توفي ؛ فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى معناه ، وقد
أذن أولاده بحضور أخراه ، فكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ، ضحوة يوم الفطر ،
مستهل شوال ، سنة ثمان وسبع مئة ، وهو ابن نيف وستين سنة ، وذلك يوم
مقتل مخدمه الوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، أصابه قاتله لحقه على مخدمه .
ويقال إنه لما هم به قاتله قال له : أنا دخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم
يلتفت إليه ، وجعل يجهز عليه . فقال له : لم لم تقبل الدخيل بيني وبينك ؟ فكان
آخر ما سمع منه : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم إنه استفاض بعد ذلك من
حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ؛
فكان يصيح ويستغيث : ابن خميس يطلبنى ، ابن خميس يعذبني ^(٢) ، ابن خميس
يقتلني . وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال .

[٤٤٤]

نعوذ بالله من الورطات ، ومواقعات العثرات . انتهى كلام ابن خاتمة .
وحكى غيره أن مطلع تلك القصيدة نظمها ليهيئ بها ابن الحكيم في ذلك
العيد الذي قتل فيه ، فلم يقدر على زيادة شيء ، فلما قُتل كتب بعضهم بعد قوله :

* لِمَنِ الْمَنَازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا *

لابن الحكيم .

(١) في م هنا وفي سياتي : « صداها » .

(٢) في م : « يضربني » .

وقتل غير واحد في شأن قاتله خلاف ما حكاه ابن خاتمة . والله أعلم .

ومن مشهور نظمه رحمه الله قصيدته التي أولها :

مَشُوقُ زَارَ رَبْعِكَ يَا أُمَامَا نَحَا آثَارَ دِمْنَتِهَا الشَّامَا
تَتَبَعَ رِبْقَةَ الطَّلِّ ارْتِشَافَا فَلَا نَفَعَتْ وَلَا نَفَعَتْ أَوَامَا

وهي طويلة، ولكنها من غرر القصائد، يمدح بها أبا سعيد بن عامر ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطاب .

ومن بديع شعره قوله مطلع قصيدة :

تُرَاجِعُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ وَتَسْأَلُ الْعُقْبَى ^(١) وَهَامِي فَارِكُ
تُؤَمِّلُ بَعْدَ التَّرَكِّ رَجْعَ وِدَادِهَا وَشَرُّ وِدَادٍ مَا تَوَدُّ التَّرَاكُ
خَلَالِكَ ^(٢) مِنْهَا مَا خَلَالِكَ فِي الصَّبَا فَأَنْتَ عَلَى خَلَوَائِهِ مُتَهَالِكُ
تُظَاهِرُ بِالشَّلَوَانِ عَنْهَا تَجَثَّلَا فِقْلُبُكَ مَحْزُونٌ وَتُفْرِكُ ضَاكِكُ
تَنْزَهَتْ عَنْهَا نَخْوَةٌ لَا زَهَادَةٌ وَشَعْرُ عِذَارِي أَسْوَدُ الْوَنِّ حَالِكُ

وهي من القصائد الطنّانة، وتركتها طولها؛ وفي آخرها يقول :

فَلَا تَدْعُونَ غَيْرِي لِدَفْعِ مُلْمَةٍ إِذَا مَا دَمِي مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ دَاهِكُ ^(٣)
فَمَا إِنْ لَذَاكَ الصَّوْتِ غَيْرِي سَامِعُ وَمَا إِنْ لَبِيتِ الْمَجْدَ بَعْدِي سَامِكُ
يَقْصُ وَيَشْجَى نَهْشَلُ وَجُجَاشِعُ بِمَا أَوْرَثَنِي جَمِيرُ وَالسَّكَاسِكُ
تُقَارِقُنِي الرُّوحُ الَّتِي أَسْتُ غَيْرَهَا وَطِيبُ ثَنَائِي لِاصِقُ بِي صَائِكُ

(١) في ط : « العقبي » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « خلالك » .

(٣) كذا في ط . ودعهك (كنهه) : طعنه وكسره . وفي نفع الطيب : « داعك »

وماذا عسى ترجو لدائي وأرتجى وقد شيمت مني اللحي والأفانك^(١)
يعود لنا شرح الشباب الذي مفي إذا عاد للذنيا عقيل ومالك
وبما اشتهر من نظمه قوله :

أرق عيني بارق من أثال كأنه في جئح ليلى ذبال
أنا شوقاً من صميم^(٢) الحشى وعبرني في صحن خدى أسال
حكي فؤادي قلقتا واشتعال وجفن عيني أرقاً وانهمال
جوانح تلغ نيرانها وأدمع تهلل مثل الغزال^(٣)
قولوا وشاة الحب ما شئتم^(٤) ما لدة الحب سوى أن يقال
أعذر لوائي^(٥) ولا عذر لي فزلة العالم ما إن يقال
قم نظرد اللهم بمشولة تقصر الليل إذا الليل طال
وعاطها صفراء ذميمة تمنعها الذمة من^(٦) أن يقال
كالمسك ريحا واللوى مطمما والتبر لونا والهوا في اعتدال
عقمتها في الدن خاؤها والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تتقب المصباح لا واسقني على سنى البرق وضوء الهلال

(١) الأفانك : جمع إنبك ، وهو يجم العينين أو طرفهما عند العنفقة . وفي الأصل

« الأفانك » بالهاء بدل النون ؛ وفي نفع الطيب : « الأفانك » ؛ وظاهر أن

كلتا الروايتين تصحيفا .

(٢) في النفع : « ضمير » .

(٣) الغزال : جمع غزال ، وهي مصب الماء من الراوية ونحوها .

(٤) في ط : « ما شأنكم » . وما أتيتاه عن م ونفع الطيب .

(٥) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « عنرا للواي » .

(٦) في النفع المخطوط : « ما » مكان قوله : « من » .

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدى يَنْفَعُهُ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالنَّخِيلِ
خُذَهَا عَلَى تَنْفِيمِ مُسْطَارِهَا^(١) بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِ
فِي رَوْضَةٍ بَاكِرٍ وَسَمِيحَةٍ أَخْلَ دَارِينَ وَأَنْسَى أَوَالَ^(٢)
كَأَنَّ فَارَّ الْمِسْكِ مَفْتُوقَةً^(٣) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَا أَوْ شَمَالَ
مِنْ كَفِّ سَاجِي الطَّرَفِ الْحَاضِ مَفُوقَاتٍ أَبَدًا لِلتَّنْصَالِ
مَنْ عَازِرِي وَالْكَلِّ لِي عَازِرُ مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
مِنْ خُلْبِي الْوَعْدِ كَذَّابِهِ لِيَا نَ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
أَمَّا تَرَانِي آخِذَا نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(٤) مِنْ مُحَالِ
وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا كَثَلِ مَا عَابَتُهُ^(٥) قَبْلِي رَجَالِ
يَأْبَى ثَرَاءَ الْمَالِ عَلَيَّ وَهَلْ يَجْتَمِعُ الضَّدَّانِ عِلْمٌ وَمَالُ
وَتَأْنَفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
لَوْلَا بَنُو زَيْنَانَ مَا لَدَّى السَّمِيشُ وَلَا هَانَتْ عَلَى اللَّيَالِ
مِنْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَمِنْ خَفَّفُوا عَلَى بَنَى الدُّنْيَا خُطَاهُ الثَّقَالِ
أَلْقَيْتُ^(٦) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا غَمَزَ رِدَاءَ الْحَدِيدِ جَمَّ النَّوَالِ

(١) المسطار (بضم الميم) : الحفرة الصارعة لشاربها ، لشدة حمولتها .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، كان بها سوق للمسك . وأوال (كسحاب) : جزيرة كبيرة بالبحرين ، عندها مناس اللؤلؤ .

(٣) في النسخ المطبوع : « مفتوقة » .

(٤) في النسخ المطبوع : « سوفني » .

(٥) في النسخ المخطوط : « عاتبا ... عاتب » .

(٦) في النسخ وم : « لقيت » .

وَكَعْبَةً لِلجُودِ مَنْصُوبَةً يَسْمَى إِلَيْهَا النَّاسُ فِي (١) كُلِّ حَالٍ (٢)
خُذَهَا أَبَا زَبَّانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَعَذِّبٍ (٣) النَّزْعَةُ عَذْبُ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَاظَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظِمُ الْآلَاءَ نَظْمَ الْآلِ
مُجَارِيًا مِهْيَارًا فِي قَوْلِهِ « مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيَالِ »

وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ مِهْيَارِ الَّتِي عَارَضَهَا ابْنُ خَمِيسٍ هُوَ قَوْلُهُ :

« مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيَالِ أَنْشُدُ لَيْلَى بَيْنَ طُولِ اللَّيَالِ »

وَرَبَّمَا يَهْجِسُ (٤) فِي خَاطِرٍ مِنْ يَرَى وَصْفَ هَؤُلَاءِ الْأُتَمَّةِ لِلخَمْرِ وَغَيْرِهَا ، أَنَّ
ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا مَقْصِدُهُمْ بِذَلِكَ خِلَافُ مَا يُتَوَكَّمُ ،
فَلَا يُسَاءُ بِهِمُ الظَّنُّ ، فَإِنَّ الْمَذْرُومَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بَيِّنٌ ، وَاعْتِقَادُ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ
هَذَا الشَّيْنِ مُتَعَيِّنٌ ؛ وَرَحِمَ اللَّهُ شَيْخَ الشُّيُوخِ ، وَلِيَ اللَّهِ الرَّبَّانِيَّ الشَّهِيرَ الْبَرَكَاتِ ،
سَيِّدِي أَبَا مَدِينٍ شُعْبِيًّا ، أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِهِ إِذْ يَقُولُ ، طَلَى مَا نَسَبَهُ لَهُ
بَعْضُ الْأُتَمَّةِ :

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَضْحَكَتْ لُبُكَايَهَا زَهَرَ الرِّيَاضِ وَفَاضَتْ الْأَنْهَارُ
وَقَدْ أَقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِحُلَّةٍ خَضْرَاءَ وَفِي إِسْرَارِهَا أَسْرَارُ
وَأَتَى الرَّبِيعُ بِجَنَّةٍ وَجُنُودِهِ فَتَمَتَّعْتُ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْوَرْدُ نَادَى بِالْوُرُودِ إِلَى الْجَنَى فَتَسَابَقَ الْأَطْيَارُ وَالْأَشْجَارُ
وَالْكَأْسُ تَرَقُّصٌ وَالْمَقَارِ تَشْفَعَتْ وَالْجَوْ يَضْحَكُ وَالْحَبِيبُ يُرَازُ

شعر صوفي
لأبي مدين

(١) كَذَا فِي النَّفْحِ الْمَخْطُوطِ . وَفِي ط « مِنْ » . وَفِي م وَالنَّفْحِ الْمَطْبُوعِ « مِنْ » .

(٢) فِي النَّفْحِ الْمَطْبُوعِ وَالْمَخْطُوطِ : « بِال »

(٣) فِي نَفْحِ الطَّبِيبِ : « مُسْتَمْلِح » .

(٤) فِي م : « يَنْجَم » .

والعود للغير الحسان مجاب
لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا
والطائر أخفى صوته الزمار
مزمارنا^(١) التسبيح والأذكار
وشرابنا من لطفه وغناؤنا
نعم الحبيب الواحد القهار
والعود عادات الجليل وكأسنا
كأس الكياسة والفقر وقار
فتألفوا وتعليبوا واستغنوا
قبل المات فدهرهم غدار
والله أرحم بالفقير إذا أتى
من الديار فإنه غفار
نم الصلاة على الشفيع المصطفى
مارممت بلغاتها الأطيار

وقد تذكرت بلامية ابن خميس المذكورة ، قصيدة على رويها ووزنها ،
أولها قوله :

ما حال من فارق ذاك الجلال وذاق طعم الهجر بعد الوصال

[٤٤٧] وهي من نظم الشيخ العارف الصالح سيدي إبراهيم النازي ، رضى الله عنه ،
رأيت أن أذكرها هنا كفارة لما يتوهمه السامع في لامية ابن خميس ، وقد
كنت رأيت بتلمسان تخميساً لبعض الأكار على قصيدة سيدي إبراهيم هذه ،
وأنشدته الشيخ مولانا العم ، شيخ الإسلام ، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ
رضوان الله عليه ، فانفعل لذلك غايةً واهتز ، وهأنا أذكر القصيدة ضمن
التخميس ، وهو :

بدت كفصني ناعم في اعتدال
وأبدلت وصلي بصاد ودال
قلت كصب عاشق حيث قال

ما حالٌ من فارقَ ذاكَ الجمالِ وذاقَ طمَ الهجرَ بعدَ الوصالِ
 صبُّ صبا من وجدٍ لحظِ الرشا
 من حُبِّه عن لُبِّه يُنقَشِ^(١)
 وسِرُّه بِدَمْعِهِ قَدْ فَشَا
 والعقلُ منه ذاهبٌ والحمى مُلتَهَبٌ والجسمُ يَخْكِ الخيالِ
 شأني بها ما دُمْتُ في رِقِّها
 راقٍ ولا رَغْبَةً في عِتْقِها
 دُمْتُ لها عَبْدًا ومن حَقِّها
 أبيتُ أرعى النَجْمَ في أَفْقِها وليلُ أهلِ الحُبِّ رَحْبُ طُوالِ
 جاء بها التَّنْصِيعُ في جُمْلَتِي^(٢)
 أَقْضَى بها فَرَضِي وَهِيَ مِلَّتِي
 نَأَتْ بِصَبْرِي صِغْتُ وَاجْهَلْتِي
 والدَّمْعُ كالْمَذْرَارِ مِنْ مُقْلَتِي يَجْرِي عَلَى الْوَجْنَةِ يَا لَرَّجَالِ
 ما عَمِرَتْ لِي بِالْهَوَى رَاحَةٌ
 مِنْ بُعْدِهَا وَلَا خَلَتْ سَاحَةٌ
 مِنْ حُسْنِهَا إِذْ هِيَ وَضَاةٌ
 وَلَيْسَ لِي عَيْشٌ وَلَا رَاحَةٌ والحالُ يُفْنِي ذَا الْحِجَا عَنْ سُؤَالِ
 الْوَصْلُ قَدْ أَبْدَى لَنَا حُسْنَهُ

(١) انتفى : سكر . وفي الأصلين : « يَنْقَشِي » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) في م : « التَنْصِيعُ فِي حُلَّتِي » .

والبُعْدُ^(١) قَدْ أَبَدَى لَنَا شَيْئَهُ^(٢)
 قُولُوا لِمَنْ لَيْلُ الْهَوَى جَنَّهُ
 يَا قَبِّحَ اللَّهُ النَّوَى إِنَّهُ قَتْلٌ بِلَا سَيْفٍ وَدَاةٍ عُضَالُ
 إِلَيْنِي مَذْ حُلٌّ بِقَلْبِي فَضَى^(٣)
 أَعَادَهُ اللَّهُ لَنَا^(٤) بِالرَّضَا
 بِطَالِعِ السَّعْدِ وَنُورِ أَضَا
 وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى بِالْأَنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ
 اللَّهُ أَطْلَالَ بِهَا خَيَّمَتْ
 فَكَمْ بِهَا مِنْ أُمَّةٍ أَحْرَمَتْ
 وَيَا رَعَى اللَّهُ بِهَا مَا حَمَتْ
 ظِلَالُ نَبَاءٍ أَلَّتِي تَيَّمْتُ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نَكَلِ
 نِلْتُ لَذِيذَ الْوَصْلِ فِي تَرْبِهَا
 لَوْ دَامَ مَا غُيِّبْتُ عَنْ قُرْبِهَا
 فَكَيْفَ لَا أُعْلِنُ مِنْ حُبِّهَا
 آهًا لَهَا مَنْ لِي بِأَنْسٍ بِهَا خَوْفُ الْوَجَى^(٥) مَا يِنَّ تِلْكَ الْجِبَالِ
 تِلْكَ رُبُوعٌ فَازَ مَنْ حَلَمَا

(١) في م : « والصد » .

(٢) في الأصلين « سنه » ، والظاهر أنها محرفة عما أبتناه .

(٣) كذا في الأصلين ولعلها : « مضى » .

(٤) في ط : « علينا » .

(٥) في ط : « خوف الرجا » وفي م : « عرف الرجا » ، ولعله عرف مما أبتناه .

وعُمَّدَةَ الإِبَادِ قَدْ حَلَّهَا
 مَنْ لِي بِقَرِيبٍ أُجْتَنِيَ وَصَلَّهَا
 أَلْزَمَهَا أَبْتُ أَمْرِي لَهَا أَنْتُمْ^(١) الطَّرَفَ بِذَلِكَ الْجَمَالَ
 مَا فَازَ إِلَّا مَنْ غَدَا خِلَهَا
 وَمَنْ أَتَاهَا قَاصِدًا أَهْلَهَا
 يَا عَاشِقِينَ اسْتَعِظُوا دَلَّهَا
 اللَّهُ مَا أَحْسَنَ خَالًا لَهَا تَقْبِيلُهُ الْمَحْظُورُ عَيْنُ الْعَلَّالِ
 نَفْسِي فِدَا مَنْ حَلَّ فِي رَكْبِهَا
 وَمَرَّغَ الْخَدَّيْنِ فِي تَرْبِهَا
 وَنَالَ ظِلَّ الْأَمْنِ فِي حِزْبِهَا
 وَمَا أَلَذَّ الْعَيْشَ فِي قُرْبِهَا فِي رَبِّهِ بَذْلُ^(٢) الْعَطَا وَالنَّوَالِ
 يَا أَهْلَ ذَاكَ الْمَنْصِبِ الْمَوْلَوِي
 عَنْ حُبِّكُمْ قَلْبِي مَا يَرَعَوِي
 لِأَنْتِي مِنْ مَائِكُمْ أَزْتَوِي
 يَا سَادَتِي يَا صَفَوَتِي يَا ذَوِي بَرِّي وَشُكْرِي يَا كِرَامَ الْفِعَالِ
 كَمْ بَتْ لَيْلِي^(٣) بِكُمْ سَاهِرًا
 سَامِرَتْ فِيهِ كَوَكْبًا زَاهِرًا

(١) في م : « وأنتم » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « لجذبه بعد » مكان قوله : « في ربه بذل » .

(٣) في م : « من ليل » مكان قوله : « ليلي » .

وَصِرْتُ مِنْ شَوْفَى لَكُمْ ذَاكِرًا
 كَانَ سُرُورِي بِكُمْ وَافِرًا وَبَدْرُ سَعْدِي مُشْرِقًا فِي كَالٍ
 فَهَئِنَا إِلَيَّ يَوْمَ أَغْنَى الْعَنَّا
 وَظِلُّ أُمْنِي كَانَ فِي الْمُنْحَنَى
 وَبَدْرُ سَعْدِي نَازِمٌ كَمَلْنَا
 فَانْحَسَفَ الْبَدْرُ وَرَاحَ الْهَنَا مَا كَانَ ذَا يَخْطُرُ مِنِّي بِيَالٍ [٤٤٩]
 يَا مَنْ غَدَا قَلْبِي بِهِمْ مُعْرِمَا
 مِنْ أَجْلِ خَوْدِ حُسْنِهَا قَدْ سَمَا
 مَنْ لِي بِهَا أَرْشُفُ ذَاكَ اللَّمَى
 يَا جِيرَةَ الْحَيِّ وَأَهْلَ الْحَيِّ أَنْتُمْ مَنَى قَلْبِي عَلَى كُلِّ حَالٍ
 كَانَتْ بِكُمْ لِي فِي الْهَوَى نَزْهَةٌ
 فَصِرْتُ^(١) أَبْكِي إِذْ بَدَتْ وَخْشَةٌ
 وَهَئِنَا لَمْ تَرَقْ لِي دَمْعَةٌ
 وَلَيْسَ بِي صَبْرٌ وَلَا سَلْوَةٌ عَنْكُمْ وَلَوْ شَطَّ الْمَدَى وَاسْتَطَالَ
 يَا مَنْ يَهْمُ قَلْبِي غَدَا مُوَلَعًا
 وَحَقٌّ مَنْ طَافَ وَمَنْ قَدْ سَعَى
 مَا الْعَبْدُ إِلَّا صَادِقٌ مَا ادَّعَى
 فَارْعَوْا ذِمَامِي وَاجْهَدُوا فِي الدَّعَا لِمُذْنَفِ الْمُضْنَى عَسَى ذُو الْجَلَالِ
 مَتَى أَرَى رَكْبِي بِهِمْ قَافِلًا

(١) في ط : « فكنيت » ، وما أثبتناه عن م .

وَرَبَّكُمْ أَضْحَىٰ بِهِ أَهْلًا
 فَاللهُ أَرْجُو دَاعِيًا سَائِلًا
 أَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ بِكُمْ عَاجِلًا فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ الْمِثَالِ
 وَمِنْ نَظْمِ ابْنِ خَبِيسِ التَّلِيسَانِيِّ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي جُودَرٍ وَتَبَسَّتَ عَنْ مِثْلِ سِمْطِي جَوْهَرٍ
 عَنْ نَاصِعِ كَالْدُرِّ أَوْ كَالْبَرْقِ أَوْ كَالطَّلَعِ أَوْ كَالْأَفْحْوَانِ مُؤَشِّرٍ
 تَجَرَّى عَلَيْهِ مِنْ لَمَاسِهَا نَظْفَةٌ بَلْ خَمْرَةٌ لَكِنَّهَا لَمْ تُغَضَّرِ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ خَمْرًا سَلَفًا رِيقُهَا تَزْرِي وَتَلْعَبُ بِالنَّهْيِ لَمْ تُحْطَرِ
 وَكَذَلِكَ سَاجِي جَفْنِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُهَنْدٌ لَحْظُهَا لَمْ يُحْذَرِ
 لَوْ عُجِبْتَ طَرَفَكَ فِي حَدِيقَةِ خَدِّهَا وَأَمِنْتَ سَطْوَةَ صُدْغِهَا الْمُتَنَمِّرِ
 لَرَتَعْتَ مِنْ ذَاكَ الْحِمَى فِي جَنَّةٍ وَكَرَعْتَ مِنْ ذَاكَ اللَّمَى فِي كَوْثَرِ
 طَرَفَتِكَ وَهَنَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا حَضَبَاءُ دُرٍّ فِي بِسَاطٍ أَخْضَرِ
 وَالرُّكْبُ بَيْنَ مُصَعَّدٍ وَمُصَوَّبٍ وَالنَّوْمُ بَيْنَ مُسْكَنٍ وَمُنْفَرِ
 بَيْضًا إِذَا اعْتَكَرَتْ ذَوَائِبُ شَفْرِهَا سَقَرَتْ فَأَزَرَتْ بِالصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 سَرَحَتْ غَلَائِلُهَا ^(١) قُلْتُ سَبِيكَةً مِنْ فِصَّةٍ أَوْ دُمِيَّةٍ مِنْ مَرَمَرِ
 مَنَحْنَكَ مَا مَنَعْتِكَ يَقْظَانًا فَلَمْ تُخْلِفْ مَوَاعِدَهَا وَلَمْ تَتَغَيَّرِ
 وَكَأَنَّمَا خَافَتْ بُغَاةَ وَشَاتِهَا فَأَنْتَكَ مِنْ أَرْذَافِهَا فِي عَسْكَرِ
 وَبِجَزَعِ ذَاكَ الْمُنْحَنَى أَدْمَانَةٌ تَعْطُو فَتَسْطُو بِالْهَزْبِ الْقَسُورِ

(١) سرحت غلائلها : أى خرجت منها .

وتَحِيَّةٌ جَاءَتْكَ فِي طَيِّ الصَّبَا أَزْكَى وَأَعَطَرُ مِنْ شَمِيمِ الْقَنْبَرِ
جَرَّتْ عَلَى وَادِيكَ فَضْلَ رِدَائِهَا فَعَرَفَتْ فِيهَا عَرَفَ ذَاكَ الْإِذْخِرِ
هَاجَتْ بِلَابِلَ نَازِحٍ عَنِ الْفِهِ مُتَشَوِّقٍ ذَاكِ الْحَشَى مُتَسَعِّرِ
وَإِذَا نَسِيتَ لَيْسَالِي الْعَهْدِ الَّتِي سَلَفَتْ لَنَا فَتَذَكَّرِيهَا تَذَكُّرِي
رُحْنَا تُغَيِّبُنَا وَتَرْشُفُ ثَغَرَهَا وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِثْلَ عَيْنِ الْأَخْزَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُعْجَدٍ وَالْجَوْثُ بَيْنَ مُمَسِّكٍ وَمُعْصَرِ

وقد تذكرت بهذه القصيدة قول الأديب ابن مَرْج الكحل :

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْكُتَيْبِ الْأَغْفَرِ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ
وَلَتَغْتَبِقَهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنْ رَاحَتِي أَخْوَى الْمَرَّاشِفِ ^(١) أَخْوَرِ
وَعَشِيَّةٌ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُ وَقَتَهَا سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
فَلِنَا بِهَا آمَالُنَا فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لِنَاشِئَتِهَا شَمِيمَ الْقَنْبَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ قِدَمٍ يُعَفِّهُ رَأْيُهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بَغِيرِ تَكْدُرِ ^(٢)
وَالْوُزْقُ تَشْدُو وَالْأَرَاكَةُ تَنْثَنِي وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَيْصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُعْجَدٍ وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْزَهْمٍ وَمُدْنَرِ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا ^(٣) بِمُصْنَدِلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْصَرِ
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خُضْرَةَ شَطْلِهِ سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بِسَاطِ أَخْضَرِ

قصيدة لابن
مرج الكحل
نسبه قصيدة
لابن خيس

(١) كذا في ط والإحاطة (ج ٢ ص ٢٥٣) . وفي م : « الدامع » .

(٢) كذا في الإحاطة . وفي الأصلين :

« والدهر من ندم ... * فيما صفا ... الخ »

(٣) في ط : « بالربا » . وما أثبتناه عن م .

وَكَاثِمًا ذَاكَ الْحَبَابُ فَرِنْدُهُ مَهَابُطًا^(١) فِي صَفْحِهِ كَالْجَوْهَرِ
وَكَاثِمُهُ وَجِهَانُهُ^(٢) مُحْفُوفَةٌ بِالْأَسَى وَالنُّعْمَانِ خَذُ مَعْدَرٍ
نَهَزَ بِهِمْ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَمْ وَيُجِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا اصْفَرَ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لِفَرْقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ

وما أحسن قول ابن مَرْج الكحل المذكور :

ولابن مرج
الكحل

رَأَوْا بِالْجِزْعِ بَرَقًا فَاسْتَهَامُوا وَنَامَ الْعَاذِلُونَ وَلَمْ يَنَامُوا
وَعِنْدِي مِنْ مَرَاشِفِهَا^(٣) حَدِيثٌ يُخْبِرُ أَنَّ رِبْقَتَهَا مُدَامٌ
وَفِي أَجْفَانِهَا السَّكْرَى دَلِيلٌ وَمَا ذُقْنَا وَلَا زَعَمَ اللَّهُمَامُ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي إِذَا عَرَضَتْ^(٤) لِمُقَلَّتِي الْخِيَامُ
وَأَشْجَانِي إِذَا لَاحَتْ بُرُوقُ وَأَطْرَبَنِي إِذَا غَنَى الْحَمَامُ

[٤٥١]

وكان السلطان أبو عَنَانِ التَّيْنِي رحمه الله كثير الاعتناء بنظم الشيخ
أبي عبد الله بن خنيس وحفظه وروايته . قال رحمه الله : أنشدني بلفظه الشيخ
الفقيه القاضي المحدث ، الراوية العالم المدرس ، خطيب حضرتنا العلية ، أبو عبد الله
محمد بن الشيخ الأجل ، الصالح المبارك الراوية ، المرحوم أبي الحسن بن عبد الرزاق ،
وذلك بقصر المصارة يَمْنَهُ الله ، في يوم الاثنين خامس عشر من شهر المحرم
المبارك ، مفتتح عام خمسة وخمسين وسبع مئة ؛ قال أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء ،
وخل الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خنيس الحميري ، ثم الحَجْرِي :
حَجْرُ ذِي رُعَيْنِ ، لنفسه ، رحمه الله تعالى :

السلطان أبو عنان
يروى شعر
ابن خنيس

(١) في الأصلين : « صفا » . والتصويب عن الإحاطة .
(٢) في الأصلين : « وكَاثِمًا وَجِهَانُهُ » . والتصويب عن الإحاطة .
(٣) في الأصلين : « معاطفها » ، والتصويب عن الإحاطة .
(٤) في الإحاطة والنفع المطبوع في مصر : « عنت » .

أُنْبَتُ وَلَسْكَنْ بَعْدَ طُولِ عِتَابِ وَفَرَطِ^(١) لِحَاجِرِ ضَاعَ فِيهِ شَبَابِي
وَمَا زِلْتُ وَالْعَلِيَا تُعَقِّي غَرِيمَهَا أُعَلِّلُ نَفْسِي دَائِمًا بِمَتَابِ
وَهِيَّاتٍ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَشَرِّهِ يَلْدُ طَعَامِي أَوْ يَسُوغُ شَرَابِي
خُدِعْتُ بِهَذَا الْعَيْشِ قَبْلَ بِلَانِهِ كَمَا يُخَدِّعُ الصَّادِي بَلْعُ سَرَابِ
تَقُولُ هُوَ الشَّهْدُ الْمَشُورُ جَهَالَةً وَمَا هُوَ إِلَّا السَّمُّ شَيْبَ بَصَابِ
وَمَا صَحِبَ الدُّنْيَا كِبَرَ وَتَغْلِبِ وَلَا كَكُلَيْبٍ رِيءٌ فَحُلُ ضِرَابِ
إِذَا كَمَّتْ الْأَبْطَالُ عَنْهَا تَقَدَّمُوا أَعَارِبَ غُرًّا فِي مُثُونِ عِرَابِ
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ تَقَامَ مُفْضِلٌ تَلْقَاهُ مِنْهُمْ كُلُّ أَضِيدَ نَابِ
تَرَأَتْ لِحَسَّاسٍ تَحْمِلُهُ فُرُصَةٌ تَأْتَتْ لَهُ فِي جَنِينَةٍ وَذَهَابِ
فَجَاءَ بِهَا شَوْهَاءُ تُنْذِرُ قَوْمَهَا بِتَشْيِيدِ أَرْجَامٍ وَمَهْدِ قِبَابِ
وَكَانَ رُغَاهُ السَّقْبِ فِي قَوْمٍ صَالِحِ حَدِيثًا فَأَنَسَاهُ رُغَاهُ سَرَابِ
فَمَا تَسْمَعُ الْآذَانَ فِي عَرَصَاتِهِمْ سِوَى نَوْحٍ تُكَلِّئِي أَوْ نَعِيبِ غُرَابِ
وَمَلَّ عُرْوَةَ الرَّحَالِ عَنْ صِدْقِ بَاسِهِ^(٢) وَعَنْ بَيْتِهِ فِي جَمْفَرِ بْنِ كَلَابِ

(١) في م : « طول » .

(٢) هو عمرو بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، كان سيد هوازن ، ويلقب بالرحال ، وقد قُتِلَ البراض بن قيس الضمري ، فغرت بين هوازن وقريش حرب الفجار الآخر ، وقد شهدها النبي وله من العمر أربع عشرة سنة ، وكان ينزل فيها على أمهاته . وسبب هذه الحرب أن النعمان بن النضر ملك الحيرة ، كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام ، لطيمة في جوار رجل شريف من العرب يبيعها له ، حتى تباع هناك ، ويشتري له بشئها من آدم الطائف ما يحتاج إليه ؛ فجhez النعمان عبد اللطيمة ، ثم قال : من يبيعها ؟ فقال البراض بن قيس الضمري : أنا أجبرها على بني كنانة . فقال له النعمان : ما أريد إلا رجلا يبيعها على أهل نجد وتهامة . فقال عمرو بالرحال وهو يومئذ رجل هوازن كلها : أنا أجبرها لك على أهل الشيع والقيصوم ، في أهل =

[٤٥٢] وكانت على الأملاك منه وفادة
يُجِيرُ على الحَيِّين قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ
زَعَامَةُ مَرْجُوِّ النَّوَالِ مُؤَمِّلٍ
قَمَرٌ يَرْجِيهَا حَوَاسِرَ ظُلُمًا
إِلَى فَدِكَ وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ ^(١) غَايَةً
تَبْرُضُ صَفْوَةَ الْعَيْشِ حَتَّى اسْتَشْفَهُ
فَأَصْبَحَ فِي تِلْكَ الْمَعَاطِفِ نُهْرَةً
وَمَا سَهْمُهُ عِنْدَ النَّضَالِ بِأَهْزَعٍ
وَلَكِنَّمَا الدُّنْيَا تَكْرَهُ عَلَى الْفَتَى
وَعَادَتُهَا أَلَّا تَوْسُطَ عِنْدَهَا
فَلَا تَرْجُحُ مِنْ دُنْيَاكَ وَدَاوِ إِنْ يَكُنْ
وَمَا الْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ إِلَّا اجْتِنَابُهَا
أَبَيَّتْ لَهَا مَا دَامَ شَخْصِي أَنْ تُرَى
فَكَمْ عَطَلْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبٍ
وَكَمْ عَفَرْتُ مِنْ حَاسِرٍ وَمَدَجِّجٍ
إِلَيْكُمْ بَنَى الدُّنْيَا نَضِيجَةً مُشْفِقٍ

إذا آبَ مِنْهَا آبَ خَيْرَ مَآبٍ
بِفَضْلِ بَسَّارٍ أَوْ بِفَضْلِ خِطَابٍ
وَعَزَمُهُ مَسْمُوعِ الدُّعَاءِ مُجَابٍ
بِمَا حَمَلُوهَا مِنْ مَتْنٍ وَرِغَابٍ
وَهَذَا الْمَتْنُ يَأْتِي بِكُلِّ عُجَابٍ
فَدَافَ لَهُ الْبَرَاضُ قَشَبَ حُبَابٍ
لِنَهَبِ ضِبَاعٍ أَوْ لِنَهَشِ ذَنَابٍ
وَلَا سَيْفُهُ عِنْدَ الْمِصَاعِ ^(٢) بِنَابِي
وَإِنْ كَانَ مِنْهَا فِي أَعَزِّ نِصَابٍ
فَأَمَّا سَمَاءُ أَوْ تَخُومُ تَرَابٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ ظِلٍّ سَحَابٍ
فَأَشَقَّى الْوَرَى مَنْ تَصَطَّفَنِي وَتُعَايِي
تَمَرُّ بِبَسَائِي أَوْ تَطُورُ جَنَائِي
وَكَمْ فَرَقْتُ مِنْ أُنْثَرَةٍ وَمِصَابٍ
وَكَمْ أَثَكَلْتُ مِنْ مُعْصِرٍ وَكَلَابٍ
عَلَيْكُمْ بِصِيرٍ بِالْأُمُورِ نِقَابٍ ^(٣)

= نجد وتهامة . فدفعها النعمان إلى عمرو ، فخرج بها وتبعه البراء وعمرو لا يخفى منه شيئا ، لأنه كان بين ظهرائي قومه من غطفان ، إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أواره ، فنزل بها عمرو ، فمرب وغنته قينته ؛ فجاء البراء فدخل عليه وقتله . وإلى هذه القصة تشير الآيات التسعة التي ابتدأت بهذا البيت . (انظر تفصيل الخبر في العقد الفريد لابن عبدربه في أيام العرب ، عند الكلام على يوم «الفجار الآخر» .

(١) في نفع الطيب : «أغرب» . (٢) المصاع : المجادلة بالسيوف . والذي في نفع الطيب : «الصراع» . (٣) النِقَاب (بالكسر) : الرجل العلامة .

طويلٍ مِرَاسٍ الدَّهْرُ جَزَلٍ مُّماحِكٍ عَرِيضٍ مَجَالٍ الهَمُّ حِلْسٍ رِكَابٍ
تَأْتَتْ لَهُ الْأَهْوَالُ أَدَهَمَ سَابِقًا وَغَصَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
وَلَا تَحْسَبُوا أَتَى عَلَى الدَّهْرِ عَاتِبَ فَأَعْظَمُ مَا بِي مِنْهُ أَيْسَرُ مَا بِي
وَمَا أَسْفَى إِلَّا شَبَابٌ خَلَفْتُهُ وَشَيْبٌ أَبَى إِلَّا نُصُولَ خِضَابِ
وَعُمُرٌ مَضَى لَمْ أَحُلْ مِنْهُ بِطَائِلٍ سِوَى مَا خَلَا^(١) مِنْ لَوْعَةٍ وَتَصَابِي
لِيَالِي شَيْطَانِي عَلَى الْقَى قَادِرٌ وَأَعَذِبُ مَا عِنْدِي أَلِيمٌ عَذَابِ
عَكْسَنَا قَضَايَانَا عَلَى حَكَمٍ عَادَنَا وَمَا عَكْسُهَا عِنْدَ النَّهْيِ بَصَوَابِ
عَلَى الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَرْكَى تَحِيَّتِي فَتِلْكَ الَّتِي أَعْتَدَ^(٢) يَوْمَ حِسَابِي
فَتِلْكَ عَتَادِي أَوْ ثَنَاءُ أَصْوَعُهُ كَدَّرَ سَحَابٍ أَوْ كَدَّرَ سِخَابِ

ومن مشهور نظم ابن خميس رحمه الله تعالى :

هَجَبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَعْمٍ وَصَالِهَا مِنْ لَيْسَ يَأْمُلُ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلَّةٍ سَاعَةٍ مِنْهَا وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ ذَادَ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى مُتَأَلَّقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفِيٍّ^(٣) مِطَالِهَا
يَسْمُو لَهُ بَدْرُ الدَّجَى مُتَضَائِلًا كَتَضَاوُلِ الْحَسَنَاءِ فِي أَثْمَالِهَا
وَإِنَّ السَّبِيلَ يَجِيءُ يَقْبِسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَعُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَائِفُ خَيَالِهَا فَتُصِيبُنِي الْخَاطِئُ الْبِئْسَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَاءَتْ بِهِ^(٤) فَكَأَنَّمَا زُفْتُ عَلَى ذُكَاةٍ وَقْتُ زَوَالِهَا

[٤٠٣]

(١) في ط والنسخ : « ما خلا » . وما أبتناه عن م .

(٢) في م : « أعتدت » .

(٣) في م : « في حي » . والحي : السحاب .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « جادت » .

أَمْرِي فَعَطَّلَهَا وَعَطَّلَ شُئْبَهَا بِأَيِّ شَذَا الْمِطَارِ مِنْ مِغْطَالِهَا
وَسَوَادُ طُرُوبِهِ كَجُنْحِ ظَلَامِهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هِلَالِهَا
دَغْنِي أَشِيمٌ بِالْوَهْمِ أَذْنَى لَمَعَةٍ مِنْ نَفْرَاهِ وَأَشْمٌ مِسْكَةٌ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرْفِي فِي حَقِيقَةِ خَدَّهَا إِلَّا لِفَتْتَنَةٍ^(١) بِحَسَنِ دَلَالِهَا
أَنْسِيبَ شِعْرِي رِقًّا مِثْلَ نَسِيمِهَا فَشَمُولُ رَاحِكٍ مِثْلُ رِيحِ شِمَالِهَا
وَأَنْقُلْ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَاشْرَحْ غَرِيبَ لُغَاتِهَا وَأَذْكَرْ ثِقَاتِ رِجَالِهَا
وَإِذَا مَرَزَتْ بَرَامَةَ فَتَوَقَّ مِنْ أَطْلَانِهَا وَتَمَشَّ فِي أَطْلَالِهَا
وَانْصِبْ لِفُزْلِهَا^(٢) حِبَالَةَ قَانِصٍ وَدَعْ الْكَرْسَى شَرَكَاً لَصِيدِ غَزَالِهَا
وَأَسِيلُ جَدَاوِلِهَا بِفَيْضِ دُمُوعِهَا وَانْضَحْ جَوَانِحِهَا بِفَضْلِ سِجَالِهَا
أَنَا مِنْ بَقِيَّةِ مَغْشَرِ عَرَكَتِهِمْ هَذِي النَّوَى عَرَكَ الرَّحَى يَشْفَالِهَا
أَكْرِمَ بِهَا فِتْنَةً أُرِيقَ نَحِيعِهَا بَغْيًا فَرَاقَ الْعَيْنِ حُسْنُ مَا لَهَا
حَلَّتْ مُدَامَةً وَصَلِهَا وَحَلَّتْ لَهُمْ فَإِنْ انْتَشَوْا فَبِحُلُولِهَا وَحَلَالِهَا
بَلَفَتْ بِهَرْمُسٍ غَايَةً مَا نَالَهَا أَحَدٌ وَنَاءَ لَهَا لُبُّهُدٍ مَنَالِهَا
وَعَدَتْ عَلَى سُقْرَاطِ سُورَةٍ كَأَسِهَا فَهَرِيقُ مَا فِي الدَّنِّ مِنْ جَرِيَالِهَا
وَسَرَتْ إِلَى قَارَابٍ مِنْهَا نَفْثَةٌ^(٣) قُدْسِيَّةٌ جَاءَتْ بِخُصْبَةِ آهَالِهَا
لِيَصُوغَ مِنَ الْحَانَةِ فِي حَانِهَا مَا سَوَّغَ الْقِسْيُسُ مِنْ أَرْزَامِهَا
وَتَغْلُفَتْ فِي سُهْرٍ وَرَدَ فَأَشْهَرَتْ عَيْنَا يُوْرَقِهَا طُرُوقُ خِيَالِهَا

(١) في الأصلين : « لفتته » . وما أثبتناه عن نفع الطيب المطبوع .

(٢) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب المطبوع : « لمزها » . وفي المخطوط : « بمزها » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « نمة » .

نغبا شهابُ الدين لما أشرقتْ وخوى^(١) فلم يثبتْ لنورِ جلالِها
ما جُنْ مثْلُ جُنُونِه أَحَدٌ ولا سمحتْ يدُ بيضا^(٢) بمثلِ نوالِها
وبَدَتْ على الشَّوْذِي^(٣) منها نشوةٌ ما لاحَ منها غيرُ لَمْعَةٍ آلاها
بطلتْ حقيقتهُ وحالتْ حاله فيما يُعبّرُ عن حقيقةِ حالِها
هَذِي صُبايَهم تَرَقَّ صَبَابَةٌ فيروقُ شارِبها صفاءُ زُلالِها
اعلم أبا الفضل بن يحيى أني مِنْ بَعْدِهَا أُحْرى على آمالِها^(٤)
فإذا رأيتَ مُدَلَّها مثلي فخذْ في عَذْلِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ عُدَّالِها
لا تَعَجِبَنَّ لِمَا تَرَى مِنْ شَأْنِها في حَلَّها إِنْ كَانَ أَوْ تَرَحَّالِها
فصلاحُها بفسادِها ونعيمُها بعدابِها ورشادُها بضلالِها
ومن العجائب أن أقيمَ ببلدةٍ يومًا وأسلمَ من أذى جُهاَلِها
شُغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ أَمَا شَغَلَتْهُمْ عَنِّي فَكَمْ ضَيِّقَتْ مِنْ أَشْغالِها
حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ فَإِنْ لاحتْ لَهُمْ شمسُ الْهُدَى عَبَثُوا بِضَوْءِها
وإن انتسبتُ فإني من دَوْحةٍ يتفيا الإنسانُ^(٥) بِرَدِّ ظِلِّالِها
من خَيْرٍ مِنْ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ ذَوِي حَجَرٍ مِنْ الْعُظْمَاءِ مِنْ أَقْيالِها
وإذا رَجَعْتُ لَطِينَتِي مَعْنَى فَا سَلْسالُهُ بِأَرْقٍ مِنْ صَلَصالِها
للهِ دَرْكُ أَيِّ نَجَلٍ كَرِيمَةٍ وَلَدَتْهُ فَاسٌ مِنْكَ بَعْدَ حِيالِها

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وضوى » .

(٢) في ط : « سمحت به أبيضاً » . وفي م : « سمحت يد أبيضاً » : وما أثبتناه عن النفع المطبوع .

(٣) كذا في الأصلين ، وهو تحريف . وفي نسخة من نفع الطيب : « المشود » . ولعله محرف أبيضاً عن : « ممشاد » ، وهو ممشاد الدينوري ، صوفي مشهور ، توفي سنة ٢٩٩ هـ .

(٤) كذا في ط . وفي م : « آسألها » . ولعله محرف عن « أمثالها » .

(٥) كذا في ط . وفي م : « تنفيل الأنساب » .

وَلَأَنْتَ لَا عَدَمَتِكَ وَاللَّهُ نَفَرَهَا وَسِمَاكَ سُودُهَا وَبَذَرُ كَالهَا
أَغْلُظَ عَلَى مَنْ عَاثَ مِنْ أَنْذَالِهَا وَاخْشَعَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ أَبْدَالِهَا
وَالْبَسَ بِمَا أَوْلَيْتَهَا مِنْ نِعْمَةٍ حُلَّ الثَّنَاءِ وَجُرٍّ مِنْ أَذْيَالِهَا
خُذْهَا أبا الفضلِ بْنِ يَحْيَى نُحْفَةٍ جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَجِ عَلَى مِئْوَالِهَا
مَا جَاءَ فِي مِضَارِهَا شِعْرٌ وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَةُ شَاعِرٍ بِمِثَالِهَا
وَأَنْزِلْ أبا البركاتِ مِنْ بَرَكَاتِهَا وَادْفَعْ حِمَالَ شُكُوكِهِ مِنْ آلِهَا^(١)

قال السلطان أبو عنان رحمه الله : أخبرنا شيخنا الإمام العالم العلامة ،
وحيد زمانه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي رحمه الله ، قال :

منزلة ابن خيس
عند علماء المشرق

لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التَّنَسِّي من تِلْسان إلى بلاد
المَشْرِق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقي الدين بن دَقِيق العِيد ، فكان من
قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ وجعل يُحَلِّيه بأحسن
الأوصاف ، وَيُطَنِّب في ذكر فضله ؛ فَبَيَّنَّ الشيخ أبو إسحاق مَتَعَجِّبًا ، وقال :
من يكون هذا الذى حَلَّيْتُمُوهُ بهذا الحَلِّ ولا أعرفه ببلدى ؟ فقال له هو القائل :
« عَجَبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَمَ وَصَالِهَا »

قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التى وَصَفْتُمْ ،
إنما هو عندنا شاعر فقط . فقال له : إنكم لم تُنْصِفُوهُ ، وإنه لَحَقِيقٌ بما وَصَفْنَاهُ .
قال السلطان أبو عنان : وأخبرنا شيخنا أبو عبد الله المذكور أن قاضى القضاة
ابن دَقِيق العِيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بِخِزَانَةٍ كانت له ، تَعْلُو مَوْضِعَ
جلوسه للمطالعة ، وكان يُخْرِجُهَا من تلك الخِزَانَةِ ، ويكثر تأملها والنظر فيها .
ثم قال السلطان أبو عنان : قال لنا شيخنا أبو عبد الله الآبلي المذكور :

(١) كذا في م . وفى ط : « بمِثَالِهَا » . مكان قوله : « من آلها » .

ولقد تعرّفت أنه لَمّا وصلت هذه القصيدة إلى قاضى القضاة تقي الدين المذكور، لم يقرأها حتى قام إجلالا لها : انتهى .

وقد وصل ابن خميس رحمه الله هذه القصيدة إلى قاضى القضاة بنثر لم أثبتته هنا لطوله ، ولَمّا قيل إن هذا الرجل مَعَرَّئُ النَّزْعَةِ ، أى نظمه أحسن من نثره ؛ وقد أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة ، وأوردها السلطان أبو عنان فى مَرْوِيَّاته . وكان ابن خميس بعد منارته بلده تِلْغَسَان ، سقى الله أرجاءها أنواء نَيْسَان ^(١) ، كثيرا ما يتشوق لمشاهدتها ، ويتأوه عند تذكره لمعاهدها ، وهى شِيمة الأحرار فى حنينهم إلى أوطانهم ، وللدهر إحلاء وإمرار .

شوق ابن خميس
إلى بلده تِلْغَسَان

فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

[٤٥٦]

تِلْغَسَانُ لَوْ أَنَّ الزَّمانَ بها يَسْخُو	مَتَى النَّفْسِ لادَارُ السَّلامِ ولا الكَرْخُ
ودارى بها الأولى التى حِيلَ دُونُها	مَثَارُ الأَسَى لَوْ أَمَكَنَّ الحَنَقَ اللَّبْخُ ^(٢)
وعهدى بها والعُمُرُ فى عُفْوانِهِ	وماء شَبَابِي لا أَجِينُ ولا مَطْخُ ^(٣)
قَرارة تَهْيَامٍ وَمَغْنَى صَبَابَةٍ	ومَهْدِ أنسٍ لا يَلْدُ به لَطْخُ
إِذِ الدَّهْرُ مَتْنِي العِنانِ مُنْهَنَةٌ	ولا رَدْعُ يَثْنِي مِن عِنائِي ولا رَدْخُ ^(٤)
ليالى لا أَصْغِي إلى عَذْلٍ عاذِلٍ	كَأَنَّ وَقُوعَ العَذْلِ فى أَذُنِي صَمْخُ ^(٥)
مَعاهِدُ أنسٍ عَطَلَتْ فَكائِها	ظواهرُ أَلْفاظٍ تَعَمِّدها النَّشْخُ
وَأَرْبُعُ أَلْفٍ عَفَا بَعْضُ آيِها	كما كان يَعْرِو بِمَعْضِ أَلْواحِنا اللَّطْخُ ^(٦)

(١) كَذَا فى نَفْحِ الطَّيْبِ . وفى وفى الأصْلين . « النِّيسان » .

(٢) اللَّبْخُ : الاحْتِيالُ .

(٣) المَطْخُ : ما يَبْقَى فى الحَوْضِ والغديرِ مِنَ المِاءِ الذى فىهِ الدَّمَائِمُ ، لا يَقْدِرُ على شَرْبِهِ .

(٤) الرَدْعُ : الرَّدْعُ .

(٥) الصَّمْخُ : الضَّرْبُ فى صِلَاحِ الأُذُنِ .

(٦) اللَّطْخُ : التَّلَوِثُ .

فَمِنْ يَكُ سَكْرَانًا مِنَ الْوَجْدِ مَرَّةً فَأَنَّى مِنْهُ طَوْلَ دَهْرِي لَمُلْتَخٍ^(١)
وَمَنْ يَقْتَدِحْ زَنْدًا لِمَوْقِدِ جَذْوَةٍ فَرَنْدُ اشْتِيَاقِي لَا عَفَارٌ وَلَا مَرْنَحٍ^(٢)
أَأَنْمَى وَقُوفِي لَاهِيَا فِي عِرَاصِهَا وَلَا شَاغِلٌ إِلَّا التَّوَدُّعُ وَالسَّبِيخُ^(٣)
وَالْإِخْتِبَالِي مَاشِيًا فِي سِمَاطِهَا رَخِيًّا كَمَا يَمْشِي بِطَرَقَةِ الرُّخِ^(٤)
وَالْإِفْدَوِي مِثْلُ مَا يَنْفِرُ الطَّلَا وَلِيدًا وَحَجَلِي مِثْلُ مَا يَنْهَضُ الْفَرَخُ
كَأَنِّي فِيهَا أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ وَلَا مُلْكٌ لِي إِلَّا الشَّبِيهَةُ وَالشَّرْنَخُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ مِنْ لِدَائِي كَأَنَّهُمْ جَاذِرُ رَمْلٍ لَا عِجَافٌ وَلَا بُرْنَحٍ^(٥)
وَعَاةٌ لَمَّا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْهُدَى وَعَنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ وَمُنْكَرَةٍ صُلُخٍ^(٦)
هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ سَيَّانٍ فِي الْعُلَا شَبَابُهُمُ الْقُرْعَانُ وَالشَّيْخَةُ السَّلُخُ^(٧)
مَضَوْا وَمَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَنْسَهُ وَمَرَّةً الصَّبَا وَالْمَالُ وَالْأَهْلُ وَالْبَذَخُ
كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لَأَقْلَامِهِمْ بِهَا صَرِيرٌ وَلَمْ يُسْمَعْ لَأَكْفِهِمْ جَبْنَحٍ^(٨)
وَلَمْ يَكُ فِي أَرْوَاحِهَا^(٩) مِنْ ثَنَائِهِمْ تَشْمِيمٌ وَلَا فِي الْقَضْبِ مِنْ لَيْنِهِمْ مَلْنَحٍ^(١٠)
وَلَا فِي مُحْيَا الشَّمْسِ مِنْ هَذَبِهِمْ سَنَى وَلَا فِي جَبِينِ الْبَذْرِ مِنْ طَيِّبِهِمْ ضَمْنَحٍ^(١١)

(١) يقال سكران ملتخ : إذا كان لا يفهم شيئاً ، لاختلاط عقله .

(٢) الفغار والمرخ : نوعان من الشجر يسرع اشتغالهما .

(٣) السبخ : الفراغ .

(٤) الرخ : طائر كبير ، يرد ذكره في القصص والحرفات .

(٥) البرنخ (بالحرير) : خروج الصدر ودخول الظهر ، ومنه رجل أبرخ ، وامرأة برخاء ، والجمع برنخ .

(٦) صلخ : جمع أصلخ ، وهو الأصم جداً ، لا يسمع ألبنة .

(٧) السلخ : جمع أسلخ وهو الأصلع الشديد الحمرة .

(٨) الجبخ : لاجالة الكعاب في الميسر .

(٩) في نفح الطيب المخطوط : « في أدواحها » .

(١٠) الملنخ : الثني والتكسر .

(١١) الضمنخ : لطنخ الجسد بالطيب .

سَعَيْتُمْ بَنِي عَمُورٍ فِي شَتِّ شَمْلَانَا فَمَا تَجَرُّكُمْ رِيحٌ وَلَا عَيْشُنَا رِيحٌ ^(١)
 دُعَيْتُمْ إِلَى مَا يُرْتَجَى مِنْ صَلَاحِكُمْ فَرَدَّكُمْ عَنْهُ التَّمَجُّرُفُ وَالْجَمَخُ ^(٢)
 تَعَالَيْتُمْ عُجْبًا فَطَمَّ عَلَيْكُمْ عُبابٌ لَهُ فِي رَأْسِ عَلَيَائِكُمْ جَلَخٌ ^(٣)

وهي طويلة جدا ، ألم فيها بمدح سبّته وملوكها بني العزّاف ، فقال :

تَرَكْتُ لِمَيْنَا سَبْتِي كُلَّ نَجْمَةٍ كَمَا تَرَكْتُ لِلْعِزِّ أَهْضَامَهَا الشَّمَخُ ^(٤)
 وَأَلَيْتُ أَلَّا أَرْتَوَى غَيْرَ مَائِهَا وَلَوْ حَلَّ لِي فِي غَيْرِهِ الْمُنُّ وَالْمَذَخُ ^(٥)
 وَأَلَّا أَحْطَ الدَّهْرَ إِلَّا بِعُقْرِهَا وَلَوْ بَوَّأْتَنِي دَارَ إِمْرِئِهَا بَلَخُ
 فَكَمْ نَفَعَتْ مِنْ عِلَّةٍ تِلْكَمُ الْأَضَا وَكَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةٍ تِلْكَمُ اللَّبَخُ ^(٦)
 وَحَسْبِي مِنْهَا عَدْلُهَا وَاعْتِدَالُهَا وَأَبْجَرُهَا الْعُظْمَى وَأَرْيَافُهَا التَّنْفَخُ ^(٧)
 وَأَمْلَاكُهَا الصِّيدَ الْمُقَاوِلَةَ الْأَلَى إِمْرِئُهَا تَعْنُو الطَّرَاحَةَ الْبَلَخُ ^(٨)
 كَوَاكِبُ هَذَى فِي سَمَاءِ رِيَاسِيَةِ تُضِي ، فَمَا يَذْجُو ضَلَالٌ وَلَا يَطْخُو ^(٩)
 ثَوَاقِبُ أَنْوَارٍ تَرَى كُلَّ غَامِضٍ إِذَا النَّاسُ فِي طَخْيَاءٍ غِيَّبَهُمُ التَّنْخُو ^(١٠)

(١) ريح (كفرح ومنع) : وقع في الشدائد .

(٢) الجمخ : التكبر .

(٣) جلخ السيل الوادي جلخا : قطع أجرافه وملاؤه .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نفخ الطيب : « ... للعزّ أهضامها شمع » .

(٥) المذخ : نوع من العسل يظهر في جلتار الرمان البري ، يتمصه الناس .

(٦) اللبخ (محرّكة) : اسم جنس لشجر معروف . واحده : لبخة (بالتحريك) وسكن الباء لضرورة الشعر .

(٧) التنفخ : جمع نفخاء ، وهي الأرض المرتفعة المسكرة ، ليس فيها رمل ولا حجارة ، أو هي الأرض اللينة فيها ارتفاع . وجمعه : نفاخى ، كصحارى ، لكن الشاعر راعى هنا ما فيه من الوصفية ، فجعله على فعل ، كجمره وجر .

(٨) الطراخه : جمع مطرخم ، وهو المتكبر . والبلخ جمع أبلخ ، وهو المتكبر أيضا .

(٩) يطخو تشتد ظلمته .

(١٠) الطخياء : الظلمة الشديدة . والتنخوا : حاروا والتبس عليهم الأمر .

وَرَوْضَاتُ آدَابٍ إِذَا مَا تَأَرَّجَتْ	تَضَاهَلُ فِي أَفْيَاءِ أَفْنَانِهَا الرُّمُخُ (١)
بَحَامِرُ نَدَى فِي حَدَائِقِ زَرْجِسَ	تَنِيْمٌ وَلَا تَفْحٌ يُصِيبُ وَلَا دَخٌ (٢)
وَأَبْحَرُ عِلْمٍ لَا حِيَاضُ رِوَايَةٍ	فِيكَبَّرَ مِنْهَا النَّضْحُ أَوْ يَعْظُمُ النَّضْحُ
بَنُو الْقَزَقَيْنِ الْأَلَى مِنْ صُدُورِهِمْ	وَأَيْدِيهِمْ تُثَمَلَا الْقَرَاطِيسُ وَالطَّرُخُ (٣)
إِذَا مَا فَتَى مِنْهُمْ تَصَدَّى لَغَايَةٍ	تَأَخَّرَ مَنْ يَنْحُو وَأَقْصَرَ مَنْ يَنْخُو (٤)
رِيَاثَةِ أَخْيَارٍ وَمُلْكُ أَفَاضِلٍ	كِرَامٍ لَهُمْ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ رَضُخٌ (٥)
إِذَا مَا بَدَأَ مِنَّا جَفَاةٌ تَعَطَّفُوا	عَلَيْنَا وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا شِدَّةٌ رَخُوا (٦)
نَزْوَرُهُمْ حُذًّا نَحَافًا فَتَنَنِي	وَأَجَالُنَا دُلْحٌ وَأَبْدَانُنَا دُلْخٌ (٧)
يُرَبُّونَنَا بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّهْيِ	فَمَا خَرَجْنَا بَرًّا وَلَا حَدَّثْنَا بَرْنُخٌ (٨)
وَمَا الزُّهْدُ فِي أَمْلَاكٍ لَنَحْمٍ وَلَا التَّقَى	بِبِدْعٍ وَلِلدُّنْيَا لُزُوقٌ بَيْنَ يَرْخُو (٩)
وَالَا فِي رَبِّ الْخَوَزَنْقِ غُنْيَةٌ	فَمَا يَوْمُهُ سِرٌّ وَلَا صَيْتُهُ رَضُخٌ (١٠)

(١) الرمح : الشجر المجتمع .

(٢) الدخ (يفتح الدال وضهما) : الدخان .

(٣) الطرخ : اسم جنس جمى ، واحده طرخة ، وهي حوض واسع يجمل عند مخرج القناة ليجتمع فيه الماء ، وينصب منه إلى المزرعة .

(٤) ينخو : يفتخر ويتعظم .

(٥) أصل الرضخ : المطاء اليسير . والمراد هنا : المطاء مطلقا ، كما يفهم من السياق .

(٦) رخوا : لانوا .

(٧) حذا : جمع أخذ ، وهو الضامر . والدخ : جمع الدلوخ ، وهو الذي يعقى عمله متقبض الخطو لثقله ، وأصله : دلخ (بضم اللام) ، وسكن للوزن . ودلخ : جمع دلوخ ، أى سمين ، وأصله بضم اللام كذلك .

(٨) البر والابتزاز : أخذ الشيء بحياء وقهر . والبرخ : القهر .

(٩) أملاك اللحم : يريد ملوك اللحميين . والمراد (هنا) بنو العزق أصحاب سبته ، لأنهم لحيون في أنسابهم . ويرخو : يلين .

(١٠) الخوزنق : قصر بجيرة الكوفة ، بناء النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي ، وهو الذي لبس السوح ، وساح في الأرض . والرضخ : خبر تسمعه ولا تسميته .

تَطَلَّعَ يَوْمًا وَالسَّيْرُ أَمَامَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الْعُجْبُ مَا شَاءَ وَالْجَفْنُ^(١)
وَعَنْ لَهُ مِنْ شَيْعَةِ الْحَقِّ قَائِمٌ بِحِجَّةٍ صِدْقٍ لَا عَابَامَ وَلَا وَشْنُ^(٢)
فَأَصْبَحَ يَجْتَسِبُ الْمُسَوِّحَ زَهَادَةً وَقَدْ كَانَ يُؤْذِي بَطْنَ أَخْصِهِ الْفَنُ^(٣)
وَفِي وَاحِدِ الدُّنْيَا أَبِي حَاتِمٍ لَنَا دَوَاءٌ^(٤) وَلَكِنْ مَا لِأَدَوَاتِنَا نَفْنُ^(٥)
تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا تَخَلَّى عَارِفٍ يَرَى أَنَّهَا فِي ثَوْبٍ نَعْوَتِهِ لَفْنُ^(٦)
وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُسْتَهِينًا بِقَدْرِهَا فَلَمْ يَثْنِ مِنْهَا اجْتِدَابٌ وَلَا مَضْنُ^(٧)
فَكَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهَا الْحُبُّ وَالْهُوَى وَكَانَ لَهَا مِنْ كَفِّهِ الطَّرْحُ وَالطَّنُ^(٨)
وَمَا مُعْرِضٌ عَنْهَا وَهِيَ فِي طِلَابِهِ كُنْ فِي يَدَيْهِ مِنْ مَعَانِهَا نَبْنُ^(٩)
وَلَا مُدْرِكٌ مَا شَاءَ مِنْ شَهَوَاتِهَا كُنْ حَظُّهُ مِنْهَا التَّمَجُّعُ^(١٠) وَالنَّبْجُ^(١١)
وَلَكِنَّا نَعْمَى مِرَارًا عَنِ الْهُدَى وَنَصْلِحُ حَتَّى مَا لِأَذَانِنَا صُنْجُ^(١٢)

(١) السدير : نهر بناحية الحيرة . والجفن : الفخر .

(٢) العيام : العي الثقل . والوشن : الردى الضيف .

(٣) المسوح : جمع مسح ، وهو ثوب من الشعر غليظ ، يلبسه الزهاد والمتقشفون . ويجتاب المسوح : يتخذها ملبسا ، والنخ : ضرب من البسط .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بلاغ » .

(٥) تنخ الشيء : انتزعه .

(٦) لنخ الثوب (كنع) : لطنه أو شقه .

(٧) كذا في نفع الطيب ، والمصنع انتزاع الشيء وجذبه عن جوف شيء آخر . وفي م : « فضخ » وهو كسر شيء أجوف . وفي ط : مضخ ، وفيه تحريف .

(٨) كذا في ط . وفي م « طرفه » بدل : « كفه » . والطنخ : ربي الشيء وإبعاده .

(٩) النبج : قروح في اليد بسبب العمل تملئ ماء ، فإذا تفقأت أو يبست مجلت اليد ، فصلبت .

(١٠) كذا في ط ، والتجمع : الاكتفاء بالقليل من التمر اليابس واللبن . وفي م : « التهمج » ، وهو النوم الخفيف .

(١١) النبج : النخعة والسأم ؛ يريد أنه زاهد فيها .

(١٢) نصليج : نعم . والمصنخ : جمع صناع ، وأصله صنخ (بضم الميم) .

وَمَا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَىٰ اللَّهُ مَزْحَلٌ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ تَقْصُ وَلَا نَسْخُ^(١)
أَبَا طَالِبٍ لَمْ تَبْقَ شَيْعَةُ سُودْدٍ يُسَادُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا سِنْخُ
لَسُوغَتْ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ أَيَادِيَا لِدِرَّتِهَا فِي كُلِّ سَامِعَةٍ شَخُ^(٢)
وَأَجْرَيْتَهَا فِيهِمْ عَوَائِدَ سُودْدٍ فَمَا لَهُمْ كَسْبُ سِوَاهَا وَلَا نَخُ^(٣)
عَذَّتْهُمْ غَوَادِيهَا فِيهِ فِي عُرُوفِهِمْ دَمَاءُ فِي أَعْمَاقِ أَعْظَمِهِمْ مُنْخُ
وَعَمَّتْهُمْ حَزَنًا وَسَهْلًا فَأَصْبَحُوا وَمَرَعَاهُمْ وَزَخُ وَمَرَعِيَّتُهُمْ وَلَنْخُ^(٤)
بَنَى الْعَزَفِينَ أَبْلُقُوا مَا أَرَدْتُمْ فَمَا دُونَ مَا تَبْعُونَ وَحُلُّ وَلَا زَلْخُ^(٥)
وَلَا تَقْعُدُوا عَمَّنْ أَرَادَ سِجَالَكُمْ فَاغْرَبُكُمْ جُفَّ^(٦) وَلَا غَرْفَكُمْ وَضَخُ^(٧)
وَاخْلُوا وَرَاءَ كُلِّ طَالِبٍ غَايَةٍ وَتَبْهُوا عَلَى مَنْ رَامَ شَأَوْكُمْ وَانْخُوا^(٨)
وَلَا تَدْرُوا الْجُوزَاءَ تَغْلُو عَلَيْكُمْ فِي رَأْسِهِمَا مِنْ وَطْءٍ أَشْلَافِكُمْ شَدْخُ
لَأَفْوَاهِ أَعْدَائِي وَأَعْيُنِ حُسْدِي إِذَا جُلَيْتِ خَائِبَتِي الْغَصُّ وَالْفَضْخُ
دَعُوهَا تَهَادَى فِي مُلَاءَةٍ حُسْنِهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَدْحٍ أَمْلَاكِهَا مَدْخُ^(٩)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ . وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « فَسَخ » .

(٢) الشَّخْ : صَوْتُ الشَّخْبِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الضَّرْعِ .

(٣) النَّخْ : السَّيْرِ الْعَنِيفُ ، وَسَوْقُ الْإِبِلِ وَزَجْرُهَا وَاحْتِثَاثُهَا ؛ يَرِيدُ أَنَّ الَّذِينَ عَوَّدِمُ عَادَاتِ كَرَمِهِ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرَّحَلَةِ لَا تَتَجَاعُ غَيْرُهُ .

(٤) الْوَزْخُ : شَجَرٌ يَشْبَهُ الْمَرْخَ فِي نَبَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ أَغْبَرُ لَهُ وَرَقٌ دَقِيقٌ . وَالْوَلْخُ مِنَ الْعُشْبِ : الطَّوِيلُ .

(٥) الزَلْخُ : الزَّلْفَةُ تَزُلُّ مِنْهَا الْأَقْدَامُ لِنَدَاوَتِهَا ، لِأَنَّهَا صِفَاةٌ مِلْسَاءُ .

(٦) الْغَرَبُ : الدَّلُو الْعَظِيمَةُ . أَمَّا الْجَفُّ فَمِنْ مَعَانِيهِ الدَّلُو الْعَظِيمَةُ ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ (هَذَا) : الشَّنُّ الْبَالِي يَقْطَعُ مِنْ نَصْفِهِ ، فَيَجْعَلُ كَالدَّلُو .

(٧) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَالْغَرْفُ : أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ بَثْرٍ أَوْ نَحْوِهَا . وَفِي الْأَصْلِينَ « عَرْفَكُمْ » .

(٨) الْوَضْخُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ .

(٩) انْخُوا : مِنَ النَّخْوَةِ ، وَهِيَ الْاِفْتِخَارُ وَالتَّعَظُّمُ . (١٠) الْمَدْخُ : الْعِظْمَةُ .

يَمَانِيَّةٌ زَارَتْ يَمَانِينَ فَانْتَنَتْ وَقَدْ جَدَّ فِيهَا الزَّهْوُ وَاسْتَحْكَمَ الزَّمْنُ (١)

من قصيدة
أخرى له في
الشوق إلى
تلمسان

وَمِنْ مَطْلَعِ قَصِيدَةِ لَابْنِ خَمِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدْحِ بَلَدِهِ تَلْمَسَانَ — حَاطَهَا
اللَّهُ تَعَالَى — قَوْلُهُ :

تَلْمَسَانُ جَادَتْهَا (٢) الْغَوَادِي الرَوَائِحُ وَأَزْسَتْ بَوَادِيهَا (٣) الرِّيَاحُ الْوَوَائِحُ

وَسَحَّ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهَا مُلِثٌ يُصَافِي تَرْبَهَا وَيُصَافِحُ

يَطِيرُ فَوَادِي كُلِّهَا لَاحَ بَارِقٍ وَيَزْدَادُ شَوْقِي كُلِّمَا مَرَّ سَارِحُ

وَلَمْ يَتَلَقَّ بِحَفْظِي مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ سِوَى مَا ذَكَرْتُ . وَكُنْتُ تَرَكْتُهَا
بِتَلْمَسَانَ ، وَلَمْ أَرَهَا الْآنَ بِفَاسَ ، حَمَاهَا اللَّهُ .

قصيدة للثغري
في وصف تلمسان

و « باب جياذ » التي أشار إليها هي إحدى (٤) أبواب تلمسان المحروسة ،
وفيها يقول الفقيه العلامة النازم النائر ، أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري ، من
قصيدة رفعها للسلطان أبي حمو ، رحم الله الجميع :

أَيُّهَا الْخَافِظُونَ عَهْدَ الْوَدَادِ جَدَّدُوا أَنْسَنَا بِيَابِ الْجِيَادِ

وَصِلُّوْهَا أَصْلًا بَلْبَالٍ كَلَالٍ نَظْمُنْ فِي الْأَجْيَادِ

فِي رِيَاضٍ مُنْضَدَاتِ الْحِجَانِ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا وَتِلْكَ الْوِهَادِ

وَبُرُوجِ مُشَيَّدَاتِ الْمَبَانِ بِأَدِيَاتِ السَّنَى كَشْهَبِ بَوَادِي

رَقٍّ فِيهَا النَّسِيمُ مِثْلَ نَسِيمِي (٥) وَصَفَا النَّهْرُ مِثْلَ صَفْوِ وَدَادِي

وَزَهَا الزَّهْرُ وَالْفُصُونُ تَثْنَتْ وَتَغَنَّتْ عَلَيْهِ وَزُقُ شَوَادِي

[٤٥٩]

(١) الزمخ : الكبير . زمخ بأنفه زحما (كنع) : شمع .

(٢) في ط : « جادتك »

(٣) في م : « بمفناها » .

(٤) كذا في الأصلين . والمعروف أن الباب مذكر ، ولكن المغاربة يؤثرونه في
لسانهم العamy .

(٥) في ط : « نسيبي » .

وَانْبَرَى كُلُّ جَدُولٍ كَحُسامٍ
وِظلالُ الفُصونِ تَكْتُبُ فِيهِ
تَذَكُّرُ الوُثْمِ فِي مَعامِمِ خَوْدِ
وَكُثُوسُ المُنَى تُدارُ عَلَيْنَا
واصفرازُ الأصِيلِ فِيها مُدامٌ
كَمْ غَدَوْنَا بِها لَأَنسٍ وَرُحْنًا
وَلَكَمْ رَوْحَةً عَلَى الدَّوْحِ كادَتْ
رَقَّتِ الشَّمْسُ فِي عَشاياهُ حَتَّى
جَدَّدَتْ بِالغُرُوبِ شَجْوَ غَرِيبٍ
يا حَيَّا المُزْنَ حَيَّها مِنْ بِلادٍ^(١)
وَتَعاهَدَ مَعاهِدَ الأَنسِ مِنْها
حَيْثُ مَغْنَى الهوى وَمَلْهُى القَوائِ
وَمَقَرَّ المَلا وَسَرَقَى الأَماني
كُلُّ حُسْنٍ عَلَى تَلَفُّساتٍ وَقَفَّ
ضَحِكُ النُّورِ فِي رُبَّاهَا وَأَزْبَى
وَسَما تاجُها عَلَى كُلِّ تاجٍ

عَارِىَ اللِّغْمِ سُنْدُسى النِّجادِ
أَخْرُفًا سَطَّرَتْ بِفِيهِ مِدَادَ
قُضْبٍ فَوْقَهُ ذَوَاتُ امْتِدَادِ
بِجَنَى عِمَّةٍ وَنَقَلَ اعْتِقَادِ
وَصَفِيرِ الطُّيُورِ نَفْثَةً شادِى
جادَها رانِحٌ مِنَ المُزْنَ غادِى
أَنْ تَرِيحَ الصِّبَا لَنَا وَهُوَ غادِى
أَحْدَثَ^(٢) مِنْهُ رِقَّةً فِي البِجادِ
هاجَهُ الشَّوْقُ بَعْدَ طُولِ البِعادِ
غَرَسَ الحُبُّ غَرَسَها فِي فِوَادِى
وَعُهودَ الصِّبَا بِصَوْبِ العِهادِ
وَسَرادُ^(٣) المُنَى وَنِيلُ المُرادِ
وَمَجَرَّةُ القَنّا وَمَجْرَى الجِياذِ
وَخُصوصًا عَلَى رُبَّاءِ العُبَّادِ^(٤)
كَهَفُ ضَحَّاكِها عَلَى كُلِّ نادِى^(٥)
وَسَطًا سَيِّفُها^(٦) عَلَى كُلِّ وادِى

(١) في م : « حدث » .

(٢) في م : « عراس » .

(٣) في ط : « ومنال » .

(٤) في م : « رباء العباد » .

(٥) في ط : « باد » .

(٦) في ط : « فيضها » .

يَدْعِي غَيْرُهَا الْجَمَالَ فَيَقْضِي حَسَنَهَا أَنْ تِلْكَ دَعْوَى زِيَادٍ^(١)
وَبِشْغَرِي فَهَيْتُ مَعْنَى عُلَاهَا مِنْ حِلَالِهَا فَهَيْتُ فِي كُلِّ وَادِي
حَضْرَةُ زَانِهَا الْخَلِيفَةُ مُوسَى^(٢) زَيْنَةُ الْحَلِيِّ عَاطِلَ الْأَجْيَادِ
وَحَبَابُهَا بِكُلِّ بَذْلٍ وَعَـذْلٍ وَحَمَاهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِي
مَلِكٌ جَاوَزَ الْمَدَى فِي الْمَعَالِي فَالْتِهَاتِ عَنْهُ كَالْمَبَادِي
مَقِيلٌ لِلْهُدَى مَنِيْعُ النَّوَاحِي مَظْهَرٌ لِلْعُـلَا رَفِيعُ الْعِمَادِ
قَاتِلُ الْمَحَلِّ وَالْأَعَادِي جَمِيعَا بَغْرَارِ الظُّلُمَا وَغُرٍّ^(٣) الْأَيَادِي
كَلَّمَا ضَنْتِ السَّحَابُ أَغْنَتْ رَاحَتَاهُ عَنِ السَّحَابِ الْغَوَادِي
كَمْ هَبَاتٍ لَهُ وَكَمْ صَدَقَاتٍ عَائِدَاتٍ عَلَى الْعُقَاةِ الْبَوَادِي
فَأَيَادِي خَلِيفَةِ اللَّهِ مُوسَى أَبْجُرُّ عَزْـذَبَةً عَلَى الْوُرَادِ
رُكْبَ الْجُودِ فِي بَسِيطِ يَدَيْهِ فَتَلَاَفِي بِهِ تِلَافَ الْعِبَادِ
جَلَّ بَارِيهِ مَلَجَجًا لِلْبَرَايَا كَالْحَيَا ضَامِنًا حَيَاةَ الْبِلَادِ
جَلَّ مَنْ خَصَّمَهُ بِتِلْكَ الْمَزَايَا بَاهِرَاتٍ مِنْ طَارِفِ وَتِلَادِ
شَمَّ حُلُوةَ الْجَنَى وَسَجَّـيَا يَشْهَدُ^(٤) الْمَجْدَ أَنَّهَا كَالشَّهَادِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى وَشَمْسَ الْمَعَالِي وَغَمَامَ النَّدى وَبَذْرَ النَّوَادِي
لَكَ بَيْنَ الْمُلُوكِ سِرٌّ خَفِيَ لَيْسَ مَعْنَاهُ لِلْعُقُولِ بِيَادِي

[٤٦٠]

(١) يريد أنها دعوى كاذبة ، كدعوى زياد بن أبيه النسب إلى أبي سفيان .

(٢) موسى : هو أبو هو موسى بن يوسف الزياتي ، من بني عبد الواد ، كانت بينه وبين بني مرين منافسات وحروب ، أدت إلى استيلائه على تلسان وخروجه عنها عدة مرات (انظر الاستقصا للسلوى ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها) .

(٣) في م : « وعن » .

(٤) في م : « شهد » .

فَكَانَ الْبِلَادَ كَفْكَ مَهْمَا كَانَ فِيهَا مِنْ يَنْتَمِي لِلْعِبَادِ^(١)
 قَبِضْتُ كَفْكَ الْبَنَانِ عَلَيْهِ فَأَنْتَنِي بِالْإِذْعَانِ حِلْفَ انْقِيَادِ^(٢)
 وَبِكُمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ جَمِيعًا إِنَّ آرَاءَكُمْ صَالِحُ الْبِلَادِ
 لَمْ تَزَلْ دَائِمًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ كَحَنَنِ السَّقِيمِ لِلْعَوَادِ
 لَوْ أُعِينْتُ بِمَنْطِقٍ شَكَرْتُمْ مِثْلَ شُكْرِ الْعُقَاةِ لِلْأَجْوَادِ
 قَدْ أَطَاعَتْكُمْ الْبِلَادُ جَمِيعًا طَاعَةً أَرَعْتَ أَنْوَفَ الْأَعَادِي
 فَأَرَبَحُوا الْحِيَادَ أَنْعَبْتُمُوهَا وَأَقَرُّوا الشُّيُوفَ فِي الْأَعْمَادِ
 وَاهْتَنُتُوا خَالِدِينَ فِي عِزِّ مَلِكٍ قَائِمِ السَّعْدِ دَائِمِ الْإِسْمَاعِدِ
 وَإِلَيْكُمْ مِنْ مُذْهَبَاتِ الْقَوَافِي حِكْمًا سَهَّلَتْ^(٣) لِيَانِ الْعَقَادِ
 كُلُّ بَيْتٍ مِنَ النِّظَامِ مَشِيدٍ عَطَّرَ الْأَفَقَ بِالثَّنَاءِ الْمُشَادِ^(٤)
 ذُو ابْتِسَامٍ كَزَهْرٍ رَوْضٍ مَجُودٍ وَانْتِظَامٍ كَسِلَاحٍ دُرٍّ مُجَادٍ

ومن قول الثَّغْرِيِّ المذكور في تَلِسانَ وسلطانها أيضا :

تَاهَتْ تَلِسانٌ بِحَسَنِ شَبَابِهَا وَبَدَا طِرَازُ الْحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا
 فَالْبِشْرُ يَبْدُو مِنْ حَبَابِ ثَغُورِهَا مَتَبَسِّمًا أَوْ مِنْ ثَغُورِ حَبَابِهَا
 قَدْ قَابَلَتْ زُهْرَ النُّجُومِ بَزَهْرِهَا وَبَرُوجَهَا يَبْرُوجُهَا وَقِيَابِهَا
 حَسَنْتُ بِحَسَنِ مَلِكِهَا الْمَوْلَى أَبِي حَمُو الَّذِي يَحْمِي حِمَى أَرْبَابِهَا
 مَلِكٌ شِمَائِلُهُ كَزَهْرٍ رِيَاضِهَا وَنَدَاهُ فَاضَ بِهَا كَفَيْضِ عِيَابِهَا

قصيدة أخرى
لثغري في
تلسان

(١) كذا في ط . وفي م : « لعباد » ، ولعلها : « للعناد » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « فَأَتَى بِالْإِذْعَانِ » . ولعلها : « فَأَتَى مَذْعَانًا حِلْفَ انْقِيَادِ » .

(٣) في م : « كَلَّمَا سَهَّلَتْ » : مكان قوله : « حَكَمًا سَهَّلَتْ » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « الشَّادِي » .

أَعْلَى^(١) الْمَلُوكِ الصَّيِّدِ مِنْ أَعْلَامِهَا وَأَجْلَاهُ مِنْ صَفْوَةٍ^(٢) وَلُبَابِهَا
 غَارَتْ بِغُرَّةٍ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى وَتَنْقَبَتْ^(٣) خَجَلًا بِثُوبِ ضَبَابِهَا
 وَالْبَدْرُ حِينَ بَدَتْ أَشَقَّتْهَا لَهُ حُسْنًا تَضَاءَلُ نُورُهُ وَخَبَا بِهَا
 لِلَّهِ حَضْرَتُهُ الَّتِي قَدْ شَرَفَتْ خُدَامَهَا فَسَمَوْا بِخِدْمَةِ بَابِهَا
 فَالَلَّمْ فِي يَمِينِهِ يُبْلِغُهَا الْعَنَى وَالْمَدْحُ فِي عَلَيَّاهُ مِنْ أَسْبَابِهَا
 وَتَذَكَّرْتُ بِقَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَيُّهَا الْحَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْجِيَادِ

قصيدة منديل
 ابن أجروم في
 ذكر فاس

قصيدة أبي المسكارم منديل بن أجروم ، في ذكر فاس المحروسة وباب
 الفتوح منها ، ومواضع من متنزهااتها ؛ ولا شك أن كل واحدة من هاتين
 القصيدتين تنظر إلى الأخرى ، وناظماها متعاصران ، فالله أعلم أيهما أخذ من
 الآخر ؛ على أن الروى مختلف ، وقد يقال إن^(٤) ذلك من باب توارد الخواطر .

ونص قصيدة ابن أجروم المذكور

أَيُّهَا الْعَارِفُونَ قَدَرَ الصُّبُوحِ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْفُتُوحِ^(٥)
 جَدِّدُوا نَمِّمَ أَنْسَنَا نَمِّ جَدِّدُوا نَسْرَحِ الْعُرْفِ فِي مَكَانٍ فَسِيحِ
 حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْرًا وَتَسَاقَطْنَ كَالْجَبِينِ^(٦) الصَّرِيحِ
 وَبَدَا مِنْهُ كُلُّ مَا احْمَرَّ يَحْكِي شَقَقَا مَرْقَتَهُ أَيْدِي الرِّيحِ

(١) في ط : « أعطى » .

(٢) في م : « صفوها » .

(٣) في م : « وتغيب » .

(٤) في الأصلين : « لسان » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) باب الفتوح : أحد أبواب فاس .

(٦) في ط : « كالجبين » .

وَكَاَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ
وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمُصَلِّي
وَبَطَيْنُورَهَا فَطُوفُوا لِكَيْمَا
وَلْتَقِيمُوا هُنَاكَ لَمَحَّةَ طَرْفٍ
ثُمَّ حُطُّوا رِحَالَكُمْ فَوْقَ نَهْرٍ
فَوْقَ حَافَاتِهِ حَدَائِقُ خُضْرٍ
وَكَاَنَّ الطُّيُورَ فِيهَا قِيَانٌ
وَهِيَ تَدْعُوكُمْ إِلَى قُبَّةِ الْجَوْ
فِيهِ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ
وَعُصُونٍ تَهْبِجُ رَقَصًا مَتَى مَا
فَأَجِيبُوا دُعَاءَهَا أَتَيْهَا الشَّرُّ
وَأَجْنَحُوا لِلْمُجُونِ فَهُوَ جَدِيرٌ
وَاخْلَعُوا ثُمَّ لِلتَّصَابِي عِذَارًا
وَإِذَا شِئْتُمْ مَكَانًا سِوَاهُ
فَانْجَمِعُوا أَمْرَكُمْ لِنَحْوِ أُنَى^(١)
عَطَّرَتْ جَانِبَيْهِ كَفَّ النَّوَادِي
قُلْ لِمِهْيَارَ إِنْ شِمِثَتْ شَذَاهَا
أَبْنِ هَذَا الشَّذَا الذِّكْرُ مِنَ الْقِيَمِ
صُومِ وَالرُّنْدِ وَالنُّضَا وَالشَّيْحِ
حَبَّذَا ذَلِكَ الْمِهَادُ مِهَادًا
ثُمَّ مِنْ ذَلِكَ الْمِهَادِ أَفِيضُوا
نَحْوَ هَضْبٍ مِنَ الْهُومِ مُرْجٍ

فيه للحسن دَوْحَةٌ وزوايا^(١) وانشراحٌ لَدَى فُوَادٍ قَرِيحٍ
وحِجَارٌ تُدْعَى حِجَارَ طُبُولٍ غير أنَّ التطبيلَ غيرُ مَحْمِيحٍ
تَشْرُ الشمسُ نَمَّ كُلُّ غُدُوٍّ زَعْفَرَانًا مُبَلَّلًا بِنُضْوَحٍ
وَسُبُوٍّ^(٢) من هُنَاكَ يَسِي عَقُولًا وَيُجَلِّي إِحْظَ طَرْفٍ طَمُوحٍ
وَعُيُونٌ بِهَا تَقَرُّ عُيُونٌ وَكَلَامٌ يَأْسُو كُلوْمَ الْجَرِيحِ
فَرَشَتْ فَوْقَهَا طَنَافِسَ زَهْرٍ لَيْسَ كَالْعِفْنِ نَسْجُهَا وَالْمُسُوحِ
كَلَّمَا مَرَّ فَوْقَهَا طَلِيحٌ عَادَ مِنْ حُسْنِهَا غَيْرَ طَلِيحٍ
فَانْهَضُوا أَيُّهَا الْحُبُّونَ مِثْلِي لَدَى ذَاتِ حُسْنِهَا الْمَلُوحِ^(٣)
هَكَذَا يُرَبِّحُ الزَّمَانُ وَإِلَّا كُلُّ عَيْشٍ سِوَاهُ غَيْرُ رَيْحٍ

رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله

ولابن خميس
يصف تلسان
ويعدح ابن
الحكيم

ومن بديع نظمه قصيدة مدح بها الوزير ابن الحكيم .
قال ابن الخطيب : وهي من مشاهير أمداحه فيه ، وكتب بها إليه من
العرية ، وألم فيها بذكر بلده تِلْمِسَانَ ، وما حلَّ بها من البلاء والحصار^(١) في
ذلك التاريخ ، من قَبْلِ السلطان أبي يعقوب يوسف ابن السلطان المجاهد الكبير

(١) كذا في الأصلين . وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون « رواية » جمع راوية .
والراوية : مزادة للماء ، أو الدابة التي تحملها . ولعل المراد بها : الناعورة التي
يرفع بها الماء .

(٢) « سبو » : نهر معروف في المغرب (قرب فاس) في شرقها .

(٣) في ط : « الملوح » .

(٤) في ط : « والمضار » .

أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(١) ، نَفَعَنَا اللهُ بِبِرْكَاتِهِ ، في أهل تِلْسان المحصورين ، فلم يَقْبَلْ شَفَاعَتَهُمْ ، فقال الشيخ سيدى أبوزيد كلامًا معناه : إن سَعَادَةَ يَقْضَى هذا ، ورجع الشيخ إلى فاس ، فاتفق أن هذا العبد^(٢) كان مع السلطان في الحمام ، وكان له عليه حَقْدٌ ، فاتهز فيه الفُرْصَةُ . ووجأه بِخَنْجَرٍ ، فكان في ذلك حتْفُهُ ، فنَفَسَ اللهُ عن أهل تِلْسان بعد حصارها نحو العشر سنين . ولما وصل الخبر إلى سيدى أبى زيد بموت السلطان قال : وعبد الرحمن يَمُوتُ ، يعنى نَفْسَهُ ؛ و « يَمُوتُ » : بتشديد الميم ، على لغة البربر ؛ فْتَوُفِّيَ رحمه الله ، ودُفِنَ بمسجد الصَّابِرِينَ^(٣) ، وقبره مشهور مقصود الإجابة ، نفعنا الله به ؛ وقد زرته مرارا لا أحصيها ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله .

وقد أشار أبو عبد الله بن خميس في هذه القصيدة إلى ذلك الحِصار ؛ وكان منَ الاتِّفَاقِ الغريب ، سُرْعَةُ وَقُوعِ ما تَمَنَّاهُ ابن خميس لتلسان هذه من الخير ، بعد طول المِحْنَةِ ، واشتداد البلاء ، ولم يتأخر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر .

ونصَّ القصيدة :

سَلِّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السَّفْنَ أَنْوَاهُ فَعِنْدَ صَبَاها من تِلْسانَ أَنْبَاءُ

(١) كَذَا في الْأَصْلِينَ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ في العبارة سَقَطًا ، وَلَعَلَّ الْأَصْلَ : « وَقَدْ رَحَلَ الشَّيْخُ الْوَلِيُّ أَبُو زَيْدٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْهَزْمِيرِيَّ ، نَفَعْنَا اللهُ بِبِرْكَاتِهِ مِنْ بِلَدِهِ أَغْمَاتٍ مَعَ جَمَاعَةٍ ، لِلشَّفَاعَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَبِي يَعْقُوبَ فِي أَهْلِ تِلْسانِ الْمُحْصُورِينَ . . . الخ » (انظر ترجمة الهزميري في نيل الابتهاج بتذليل الديباج لأحمد بابا التنبكي بهامش صفحة ١٦٤) .

(٢) يَرِيدُ بِهِ الْخَصِي « سَعَادَةُ » التَّقْدِيمُ الذِّكْرُ ، وَكَانَ مِنْ مَمَالِكِ السُّلْطَانِ يَوْسُفَ (انظر خبره في الاستقصا للسلوى ج ٢ ص ٤١) .

(٣) كَذَا في م . وفي ط : « الصَّابِرِ » . وفي نيل الابتهاج لأحمد بابا : « الصَّافِرِينَ » .

وفي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَإِنِّي لَأَصْبُؤُ اللَّصْبَا كَمَا سَرَتْ^(٤)
وَأَهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّةً
وَأَسْتَجِلُّ النَّوْمَ الْغِرَارَ وَمَضْجَعِي
لَعَلَّ خِيَالًا مِنْ لَدِينَهَا يَمُرُّ بِي
وَكَيْفَ خُلُوصُ الطَّيْفِ مِنْهَا وَدُونَهَا
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌّ إِلَيْهَا وَمُتَّحِي
وَكَمْ قَائِلٍ تَفَنَّى^(٨) غَرَامًا بِحَبِّهَا
لَعَشْرَةَ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ
يُطَنَّبُ فِيهَا عَاشُونَ وَخُرَبٌ
كَأَنَّ رِمَاحَ النَّاهِبِينَ أُمْلِكُهَا

إِلَيْكَ بِمَا تَنْمِي^(١) إِلَيْكَ^(٢) وَإِيمَاءُ
وَاللَّاذُنْ إِصْفَاءُ وَلَلْعَيْنُ إِكْلَاءُ^(٣)
وَاللَّجْمُ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ إِسْرَاءُ^(٥)
وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءُ^(٦)
فَتَادُ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسَلَاءُ
فَفِي مَرَّةٍ بِي مِنْ جَوَى الشُّوقِ إِبْرَاءُ
عَيُونُ لَهَا فِي كُلِّ طَالِعَةٍ رَاءُ^(٧)
بِبَعْضِ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَكَّنَ إِنْبَاءُ
وَقَدْ أَخْلَفْتُ مِنْهَا مِلَاءً وَأَمْلَاءُ^(٩)
إِذَا مَا مَضَى قِيطُهَا جَاءَ إِهْرَاءُ^(١٠)
وَيَرْحَلُ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَتَنْوَاءُ^(١١)
قِدَاحُ وَأُمُومَالُ الْمَنَازِلِ أَبْدَاءُ^(١٢)

[٤٦٤]

- (١) في م : « تنعى » .
(٢) كذا في م . وفي ط : ونفع الطيب : « إليها » .
(٣) أكلأ بصره في الشيء : رده فيه مصوباً ومصعداً .
(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « سبت » .
(٥) في ط : « إصباء » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .
(٦) كذا في ط . وفي م : « وفي ردها بعد التحية إهداء » .
(٧) كذا وردت هذه الكلمة : « راء » في نفع الطيب . وفي الأصلين : « داء » .
ورواية هذا الشطر في م : « حياة لها من كل طالعة داء » .
(٨) كذا في ط . وفي م والنفع : « يفنى » .
(٩) أخلفت : تفتيت . والملاء : جمع ملء ؛ والأملاء : جمع ملأ ، وم أشراف الناس وعليتهم .
(١٠) هراء البرد وأهراءه : اشتد عليه حتى كاد يقتله .
(١١) في نفع الطيب : « وأحياء » .
(١٢) الأبداء : جمع بدء ، وهو النصيب من الجزور .

فلا تَبْغِينِ فِيهَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ وَقَدْ قَلَصْتُ مِنْهَا ظِلَالٌ وَأَفْيَاءُ
وَمَنْ عَجَبَ أَنْ طَالَ سَقْمِي وَزَعُمَا وَقَسَمَ أَضْنَاءُ عَلَيْنَا وَأَطْنَاءُ^(١)
وَكَمْ أَرْجَفُوا غِيظًا بِهَا ثُمَّ أَرْجَعُوا فَيَكْذِبُ إِرْجَافٌ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءُ
يُرَدِّدُهَا عُيَابُهَا الدَّهْرَ مِثْلَهَا^(٢) يَرُدُّ حَرْفَ الْفَاءِ فِي النُّطْقِ فَأَفَاءُ
فِيَا مَنْزِلَ نَالِ الرَّدَى مِنْهُ مَا اشْتَمَى تُرَى هَلْ لِعَمْرِ الْأُنْسِ بَعْدَكَ إِنْشَاءُ
وَهَلْ لِلظَى الْحَرْبِ الَّتِي فِيكَ تَلْتَظِي إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ بَوْسِكَ إِطْفَاءُ
وَهَلْ لِي زَمَانٌ أَرْتَجِي فِيهِ عَوْدَةً إِلَيْكَ وَوَجْهَ الْبَشَرِ أَزْهَرُ وَضَاءُ
فِيَا هَيَّ مَالِي^(٣) إِنْ هَلَكْتُ وَلَمْ أَقْلُ لَصَحْبِي بِهَا الْفُرَّ الْكِرَامِ أَلَا هَادُوا
وَلَمْ أَطْرُقِ الدَّرْبَ الَّذِي كُنْتُ طَارِقًا^(٤) لِعَادٍ وَبَذَرَ الْأَفْقَ أُسْلَعُ مِشْنَاءُ^(٥)
أَطِيفُ بِهِ حَتَّى تَهَرَّ كِلَابُهُ وَقَدْ نَامَ عُسَّاسٌ وَهُوَ سُبَّاءُ
وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا حُسَامٌ وَلَهْذَمٌ وَطَرَفٌ لَحْدَ اللَّيْلِ مُذْ كَانَ وَطَاءُ
وَأَسْجَمُ قَارِيٌّ كَشَعْرِي حُلَاكَةً تَلَاؤًا فِيهِ مِنْ سَنَى الصَّبْحِ أَضْوَاءُ
فَمَا لَشِرَابِي فِي سَوَاكَ^(٦) مَزَاةً وَلَا لِطَعَامِي دُونَ مَائِكَ إِسْرَاءُ

- (١) الأضناء : جمع ضنى ، وهو المرض . والأطناء : جمع طنة ، وهو الداء .
(٢) كذا في م ونفح الطيب المطبوع . وفي ط : « يرددها غيابها الدهر بعد ما » .
(٣) يقال : يا هَيَّ مَالِي ، ويا قِ مَالِي ، ويا شَيْءَ مَالِي ، تهمز ولا تهمز . وهَيَّ : اسم فعل أمر للمتعجب ، أو للأسف والحزن والتلهف على ما فات ، بمعنى تنبه واستيقظ ، ودخل عليه حرف النداء كما دخل على فعل الأمر ، وبني على حركة للتخلص من النقاء الساكنين ، وخص بالفتحة طلبا للخفة . وقولهم : « مَالِي » بمعنى : أي شيء لي ؟
(٤) في الأصلين : « الدين » ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٥) كذا في ط : وفي م : « لعادي » . ولعله : « كمادي » ، جمع عادة .
(٦) الأسلع : الذي به البرص . والمشناء : الذي يفضنه الناس .
(٧) كذا في م . وفي ط : « هواك » .

ويا دارى الأولى بدرب مغيلةً وقد جدَّ غيث في بلاها وإرداء
أما آن أن يُحمى حماك كعهده ويحتال أحماس عليه وأحماء^(١)
أما آن أن يغشوا لنارك طارقُ جنيب له رفع إليك ودنداء^(٢)
يرجى نوالا أو يؤمل دغوة فما زال قار في ذراك وقراء
أحن لها ما أطت النيب حولها وما عاقها عن مورد الماء أظاء
فما فاتها منى زراع على النوى ولا فاتني منها على القرب إجشاء^(٣)
كذلك جدى في صحابي وأسرتى ومن لي به من أهل وددي إزفاء^(٤)
ولولا جوار ابن الحكيم محمد لما فات نفسي من بنى الدهر إلقاء^(٥)
سماني فلم تنبت محلى نواب بسوء ولم ترزأ فؤادي أزراء
وأكفأ بيتي^(٦) في كفالة جاهه فصاروا عبيدا لي وهم لي أكفاء
يؤمنون^(٨) قصدي طاعة ومحبة فما عفنته عافوا وما شئتته شاءوا
دعاني إلى المجد الذى كنت آملا فلم يك لي عن دعوة المجد إبطاء
وبؤانى من هضبة العز تامة يُنابجى السها منها صمود وطأطاء^(٩)

[٤٦٥]

(١) الأحماس : جمع حس (ككتف) ، وهو الشجاع . والأحماء : جمع حم (حمى) ،
وهم الأقارب والأصهار .

(٢) الرفع : المبالغة في السير ؛ والدنداء : أشد العدو .

(٣) الإجشاء : مصدر أجشأ . يقال : جشأت نفسه من حزن أو فزع : ثارت وجاشت .

(٤) كذا فى ط . والإرقاء : الجنوح والدنو . وفى م ونفع الطيب المطبوع : « إن فاء وا »

(٥) الإلقاء : التصغير والإذلال .

(٦) أكفأ البيت : جعل له ستره من أعلاه إلى أسفله . يريد أن نم ابن الحكيم
شمكت أهل بيته .

(٧) الضمير فى : « صاروا » يعود على بنى الدهر .

(٨) فى م : « يرومون » . (٩) الطأطاء : المنهبط من الأرض . والصمود : ضده .

يُشَيِّعُنِي مِنْهَا إِذَا سِرْتُ حَافِظٌ وَيَكْلُونِي مِنْهَا إِذَا نَمْتُ كَلَامٌ
وَلَا مِثْلَ نَوْحِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ وَلِلذُّبِ إِيَّامٌ وَلِلصِّلِ إِيَّامٌ
بِفَيْضَةِ لَيْثٍ أَوْ بِمَرْقَبِ خَارِبٍ تُبَزُّ كُفَا فِيهِ وَتُقَطَّعُ أَكْسَاءُ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ كَافِلٌ فِي حَيْثُمَا هَوَّمتُ كِنٌّ وَإِدْفَاءُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ يُبَادِرُونِي مِنْهُمْ قِيَامٌ وَإِيَّالَهُ
سِرَاعٌ لَمَّا يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ وَمَنْ كُلِّ مَا يُخْشَى مِنَ الشَّرِّ أَبْرَاءُ
إِلَيْكَ أبا عَبْدِ اللَّهِ صَنَعْتُهَا لِرُومِيَّةٍ فِيهَا لَوْجَدَى إِفْشَاءُ
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَعِيبُ لِرُومَهَا إِذَا عَابَ إِكْفَاءُ سِوَاهَا وَإِيَّاطُ
أَذَعْتُ بِهَا السَّرَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا عَلِمَهُ لَأَخْنَاءُ الْجَوَانِحِ إِضْنَاءُ^(١)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ آمِلًا وَأَعُورَ إِكْلَاءُ فَا عَازَ إِكْمَاءُ^(٢)
وَمَنْ يَتَكَلَّفُ مُنْعَصًا شُكْرَ مَنْنَةٍ فَمَا لِي إِلَى ذَاكَ التَّكَلُّفِ إِجْلَاءُ
إِذَا مُنْشِدٌ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ وَمُنْشَى فَلَا كَانَ إِنْشَادٌ وَلَا كَانَ إِنْشَاءُ

الْحَرِيفُ بَابُ
الْحَكِيمِ

وابن الحكيم المذكور : هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعد^(٣) بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن
محمد اللخمي ، من أهل رُنْدَةَ ، الكاتب الأديب البليغ ، الشهير بالذكر بالأندلس ،
ويُعرَفُ بابن الحكيم .

(١) يريد بالإضناء : كتم السر : ولعله محرف عن : « الإضناء » . يقال : أضبا على الشيء لإضناء : سكت عليه وكنمه .

(٢) يقال : أكلأت الأرض : إذا كثرت كلؤها ، وأكلأت : إذا كثرت كماتها . يريد : إذا لم أجد الكلام أجزأني الكفاة .

(٣) في م : « سعيد » .

أصل سلفه من إشبيلية ، من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة ؛ وأول من انتقل منهم إليها جده محمد بن فتوح ، في دولة بني عبَّاد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطَّبه ، وكانوا قديما يُعرفون ببني فتوح .

قدومه إلى
غرناطة

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُفُوله من الحج ، فألحقه بكتَّابه ، وأقام^(١) يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن تُوُفِّيَ هذا السلطان في ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مئة ، وتقلَّدَ المُلْكَ بعده ولَّى عهده أميرُ المسلمين ، أبو عبد الله محمد الخُلُوع ، فقلده الوزارة والكتَّابة ، وكان مشركا معه في الوزارة الوزير الجليل التتقي ، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدَّاني ، فلما تُوُفِّيَ الوزير أبو سلطان الدَّاني ، أفرده سلطانه بالوزارة ، ولقبه بذى الوزارتين ، وصار صاحب أمره ونهيه ، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا ، غُدوة يوم الفطر ، مُسْتَهْلَ شوال سنة ثمان وسبع مئة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين^(٢) أبي الجيوش مكانه ؛ ومولده ببِلدة رُنْدَة في شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة .

شمائله

وكان رحمه الله علما في الفضيلة والسَّراوة ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحُرْمَة ، عالي الهمة ، كاتباً بليغا ، أديباً شاعرا ، حَسَنَ الخط ، يكتب خطوطا على أنواع ، كلِّما جليل الانطباع^(٣) ، خطيبا فصيح القلم ، زاكى الشيم ، مؤثرا لأهل العلم والأدب ، بَرًّا بأهل الفضل والحسب ، نَفَقَتْ في مدته للأفضائل أسواق ، وأشرقَت بإمداده للأفاضل آفاق .

رحلته مع ابن
رشيد
وشيوخهما

ورَحَلَ إلى المشرق ، وكانت إجازته البحر من العَرِيَّة ، ففَضَى فريضة الحج ،

(١) في م : « وكان » . (٢) في ط : « المؤمنين » .

(٣) في م : « على الأنواع كلها جميل الانطباع » .

وأخذ عن إبي هنالك من الشيوخ ، فشيخته متوافرة^(٢) . وكان رفيقه في هذه
الوجهة الخطيب أبو عبد الله بن رُشيد ، فتعاونوا على هذا الغرض ، وقصّيا منه [٤٦٧]
كل نفل ومفترض ، واشتركا فيمن أخذاه من الأعلام ، في كل مقام .
وكانت له عناية بالرواية ، ولوع بالأدب ، وصّابة باقتناء الكتب ، جمع من
أمّاتها العتيقة ، وأصولها الرائقة الأنيقة ، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد
سواه ، ولا ظفرت به يده .

تلاميذه

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي التَّنُوخي ، والخطيب
أبو عبد الله بن رُشيد تدبّج^(١) معه ، وابنه الوزير الكاتب الأديب الفاضل
أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم ، وغيرهم .

قصيدة ابن
الجبّاب في مدحه

ومدحه الكاتب العلامة أبو الحسن بن الجبّاب ، ومن بديع ما مدحه به
قصيدة رائية رائقة ، يهنئه فيها بعيد الفطر ، وهي قوله :

يا قَادِمًا عَمَّتِ الدُّنْيَا بِشَارِئِهِ	أَهْلًا بِقَدَمِكَ اليمِينِ طَائِرُهُ
ومرْحَبًا بِكَ مِنْ عِيدٍ تَحْفُفُ بِهِ	من السَّعَادَةِ أَجْنَادُ تَظَاوِرُهُ
قَدِمْتَ فَالْخُلُقُ فِي نَعْمَى وَفِي جَذَلٍ	أَبْدَى بِكَ الْبَشَرَ بِأَدْيِهِ وَحَاضِرُهُ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ أَثْوَابَ سُندُسِهَا	وَالرُّوضُ قَدْ بَسَمَتْ مِنْهُ أَزَاهِرُهُ
جَاكَتْ يَدُ الْغَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ حُلَلًا	لَمَّا سَقَاهَا دِرَاكًا مِنْهُ بَاكِرُهُ
فَلَاحَ فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ بَاهِرُهَا	وَفَاحَ فِيهَا مِنَ الثُّوَرِ عَاطِرُهُ
وَقَامَ فِيهَا خَطِيبُ الطَّيْرِ مَرْتَجِلًا	وَالزَّهْرُ قَدْ رُصِّعَتْ مِنْهُ مَنَابِرُهُ
مَوْشِيٌّ ثَوْبٍ طَوَاهِ الدَّهْرُ آوِنَهُ	فَهَا هُوَ الْيَوْمَ لِلْأَبْصَارِ نَاشِرُهُ

(١) كذا في ط ونجح الطيب طبعة الأزهرية . وفي م : « وافرة » .
(٢) معنى التدبّج : أن يروى كل واحد من القرينين عن صاحبه . وسيأتي شرح هذه
الكلمة قريباً في كلام المؤلف .

فَالْفُضْنُ مِنْ نَشْوَةِ يَثْنِي مَعَاظِفِهِ وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ تَشْدُو مَزَاهِرُهُ
وَاللَّكِيَامُ انْشِقَاقٍ عَنْ أَزَاهِرِهَا كَمَا بَدَتْ لَكَ مِنْ خِلِّ ضَمَائِرِهِ
لِلَّهِ يَوْمُكَ مَا أَزْكَى فُضَائِلِهِ قَامَتْ لِدِينِ الْهُدَى فِيهِ شَعَائِرُهُ
فَكَمْ سِرِّيَّةَ فَضْلٍ فِيكَ قَدْ خُبِئَتْ وَكَمْ جَمَالٍ بَدَا لِلنَّاسِ ظَاهِرُهُ
فَافْخَرْ بِحَقِّهِ عَلَى الْأَيَّامِ قَاطِبَةً فَمَا لِفُضْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ يُنَاطِرُهُ (١)
فَأَنْتَ فِي عَصْرِنَا كَابِنُ الْحَكِيمِ إِذَا قِيَسَتْ بِفَخْرٍ أَوْلَى الْعُلْيَا مَفَاخِرُهُ
يَلْتَأَحُّ مِنْهُ بِأَفْقِ الْمَلِكِ نُورُ هُدَى تَضَالُّ الشَّمْسُ مَعَهَا لَاحُ زَاهِرِهِ (٢)
مَجْدٌ صَمِيمٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ سَمَا طَالَتْ مَبَانِيهِ وَاسْتَعْلَتْ مَظَاهِرُهُ
وَزَارَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّتِي رُفِعَتْ أَعْلَامُهُ وَالنَّدَى الْفَيَاضُ زَاخِرُهُ
وَلَيْسَ هَذَا بِيَدِّ عَدُوٍّ مِنْ مَكَارِمِهِ سَاوَتْ أَوَائِلَهُ فِيهِ أَوَاخِرُهُ
يَلْتَقِي الْأُمُورَ بِصَدْرِ مَنْ مُنْشَرَحٍ بِحُرٍّ وَآرَاؤُهُ الْعَظْمَى جَوَاهِرُهُ
رَاعَى أُمُورَ الرِّعَايَا مُعْمِلًا نَظْرًا كَمَثَلِ عَلَيَّاهُ مَعْدُومًا نَظَائِرُهُ
وَالْمَلِكُ سَيَّرَ فِي تَدْبِيرِهِ حِكْمًا (٣) تَنَالُ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ عَسَاكِرُهُ
سِيَاسَةَ الْحِلْمِ لَا بَطْشٌ يَكْذَرُهَا قَهْوُ الْمُهَيْبِ وَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
لَا يَصْدُرُ الْمَلِكُ إِلَّا عَنْ إِشَارَتِهِ فَالْرُّشْدُ لَا تَعْدَاهُ مَصَابِرُهُ
تَجْرَى الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ كَأَنَّمَا دَهْرُهُ فِيهَا يَشَاوِرُهُ
وَكَمْ مَقَامٍ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ أَنْتَ مَوَارِدُهُ فِيهَا مَصَادِرُهُ
فَفَضْلُهَا طَبَقَ الْآفَاقَ أَجْمَعَهَا كَأَنَّهُ مَثَلٌ قَدْ سَارَ سَائِرُهُ
فَلَيْسَ يَجْمَعُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ يَرَى الصَّبَاحَ قِيَعَشَى مِنْهُ نَاطِرُهُ

[٤٦٨]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط وَالنَّفْعِ وَالْإِحَاطَةِ : « يَظَاهِرُهُ » .

(٢) فِي ط : « لَمَّا لَاحَ ظَاهِرُهُ » :

(٣) كَذَا فِي النَّفْعِ وَالْإِحَاطَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « كَلَامًا » .

٧ مُلْكٌ أَكْبَرُ مِنْ مُلْكٍ يُدَبِّرُهُ لَا مُلْكَ أَسْعَدُ مِنْ مُلْكٍ يُؤَاوِرُهُ
يَا عِزَّ أَمْرِ بِهِ اشْتَدَّتْ مَضَارِبُهُ يَا حُسْنَ مُلْكٍ بِهِ اِزْدَانَتْ مُحَاضِرُهُ
تُنْتَفِي الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا بِمَا عَرَفُوا وَيَشْهَدُ الدَّهْرُ آتِيَهُ وَغَابِرُهُ
بُشْرَى لَأَمِلَهُ الْمُوصُولِ مَأْمَلُهُ تَمَسَّا لِحَاسِدِهِ الْمَقْطُوعِ دَابِرُهُ
فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مَطَالَعُهُ وَالْجُودُ قَدْ أَسْبَلَتْ سَحَابًا مَوَاطِرُهُ
وَالنَّاسُ فِي يُسْرِ وَالْمُلْكُ فِي ظَفَرِهِ عَالٍ عَلَى كُلِّ عَالٍ الْقَدَرُ قَاهِرُهُ
وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ أَمْنًا جَوَانِبُهَا يُبَيِّنُ مِنْ خَلَصَتْ فِيهَا سِرَائِرُهُ
وَالْيَ أَيَادِيهِ مِنْ مَنَنِ وَمَوْحِدَةٍ تُسَاجِلُ الْبَحْرَ إِنْ فَاضَتْ زَوَاحِرُهُ
فَكُلُّ يَوْمٍ تَلَقَّانَا عَوَارِفُهُ كَسَاهُ أُمُودُ الْطُولَى دِفَاقِرُهُ
فَن يُوَدِّعُنِي لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمٍ شُكْرًا وَلَوْ أَنَّ سَحَابَانَا يُظَاهِرُهُ^(١)
يَأْيُهَا الْعِيدُ بَادِرُ أَثَمٍ رَاحَتِهِ فَلْتَمُهَا خَيْرُ مَأْمُولٍ تُبَادِرُهُ
وَإِغْرَبَانُ قَدْ لَقِيتَ ابْنَ الْحَكِيمِ عَلَى عَصْرِ^(٢) يَبَارِكُ أَوْ دَهْرُ تَقَاخِرُهُ
وَلَى الصِّيَامِ وَقَدْ عَظُمَتْ حُرْمَتُهُ فَأَجْرُهُ لَكَ وَافِيهِ وَوَافِرُهُ
وَأَقْبَلَ الْعِيدُ فَاسْتَقْبَلَ بِهِ جَدَلًا وَأَهْنَأُ^(٣) بِهِ قَادِمًا عَمَّتْ بِشَائِرُهُ

أبيات في رثائه ومن أحسن ما رثي به رحمه الله تعالى ، ثلاثة أبيات لبعض الأعلام من أهالي ذلك الزمان ، وهي :

قتلوكم ظلماً واعتدوا في فعلهم حدَّ الوجوب

(١) كذا في الإحاطة ، وفي الأصلين : « يناظره » .

(٢) كذا في النفع والإحاطة . وفي الأصلين : « عهد » .

(٣) كذا في م والإحاطة . وفي ط : وامتن ، وهو تحريف .

وَرَمَوْكَ أَشْـلَاءَ وَذَا أَمْرٌ قَضَتْهُ لَكَ الْغُيُوبُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ سَيِّدِي قَبْرٌ فَقَبْرُكَ فِي الْقُلُوبِ

قال ابن خاتمة : ومن شعره ما أنشدني ابنه الوزير أبو بكر ، مَقْدَمَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَعْرِهِ
الْمَرِيَّةِ ، غَازِيَا مَعَ الْجَيْشِ الْمَنْصُورِ ، قَالَ أَنشَدَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حُلًّا بِمَفْرِقِي نَذِيرًا بَتَرُوحَالِ الشَّبَابِ الْمَفَارِقِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ لَهَا انظُرِي إِلَى مَا أَرَى ، هَذَا ابْتِدَاءُ الْحَقَائِقِ
وَأَنشَدَنِي شَيْخُنَا الْخَطِيبُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي إِذْنَا ، قَالَ أَنشَدَنِي
الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا فَاجَازَةً :

فَقَدْتُ حَيَاتِي بِالْفِرَاقِ وَمِنْ غَدَا بِحَالِ نَوَى عَنِ يُحِبِّ فَقَدْ فَقَدَ
وَمِنْ أَجْلِ بُعْدِي عَنْ دِيَارِ أَلْقَتْهَا جَحِيمُ فَوَادِي قَدْ تَلَطَّيَ وَقَدْ وَقَدَ
وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْقَائِلُ :

أَوَارِي أَوَارِي بِالْدمُوعِ تَجَلَّدَا وَكَمْ رُمْتُ إِطْفَاءَ اللَّهِيبِ وَقَدْ وَقَدَ
فَلَا تَعْدُلُوا مَنْ غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ فَمَنْ فَقَدَ الْحُبُوبَ مِثْلِي فَقَدْ فَقَدَ
هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ خَاتِمَةَ ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ هَكَذَا :

أَوَارِي أَوَارِي وَالْدمُوعُ تُبَيِّنُهُ وَمَنْ لِي بِإِطْفَاءِ الْغَرَامِ وَقَدْ وَقَدَ
وَهُوَ الصَّوَابُ .

قال ابن خاتمة : وَأَنشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ الصَّدْرُ الْبَلِیْغُ الْفَاضِلُ ، أَبُو الْقَاسِمِ
عَبْدَ اللَّهِ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ رِضْوَانَ النَّجَّارِي ، قَالَ : أَنشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ
الْجَلِيلِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَضْرَمِي ، قَالَ : أَنشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ
ذُو الْوَزَارَتَيْنِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكِيمِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

سَحَّ الْكِتَابَ وَعَنَّهُ وَاخْتِمَ عَلَى مُكْتَنِّهِ^(١)
وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنْ مُخَا لَسَةِ الرِّقَبِ بِجَفَنِهِ
وَاجْعَلْ لِسَانَكَ سِجْنَهُ كَيْ لَا تُرَى فِي سِجْنِهِ

[٤٧٠]

قال ابن خاتمة : وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل . انتهى .
ومن بدیع نظم ذی الوزارتین ابن الحکیم قوله رحمه الله :

يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَطُولُ حَيَاتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الزَّمَانَ الْآتِيَّ ؟
يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَ لِي بِلُغَةٍ فَاجْعَلْهُ عَصْرًا بِالسُّرُورِ مُوَاتِيَّ
وَإِنْ انْقَضَتْ أَيَّامُ عَمْرِي قَبْلَهُ فَاجْعَلْ عَلَى مَا تَرْضِيهِ مَمَاتِي
لَا شَيْءَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَى مَعًا أَرْجُو إِذَا ضَاقتْ عَلَيَّ جِهَاتِي
إِلَّا يَقِينِي أَنْ جُودَكَ فَوْقَ مَا يُرْجَى وَأَنْكَ غَافِرُ الزَّلَّاتِ

ومن نثره

ومن نثره آخِرَ فَصَلٍ خَاطَبَ بِهِ الشَّيْخَ أَبَا عَلِيٍّ عَمْرَ الْجَرَاوِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ،
قوله :

وَهَإِنَّا أَجْرِي مَعَهُ عَلَى حُسْنِ مُعْتَقَدِهِ ، وَأَكِلُهُ فِي هَذَا الْفَرَضِ إِلَى مَا رَأَاهُ
بِمُقْتَضَى تَوَدُّدِهِ^(٢) ، وَأَجِيزُ لَهُ وَلَوْلَدِيهِ ، أَقَرَّ اللَّهُ بِهِمَا عَيْنَهُ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا
وَبَيْنَهُ ، رَوَايَةً جَمِيعَ مَا حَمَلْتَهُ وَنَقَلْتَهُ ، وَحُسْنَ اطِّلاَعِهِ يُفَصِّلُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَلْتَهُ ،
فَقَدْ أَطْلَقْتَ لَهُمُ الْإِذْنَ فِي جَمِيعِهِ ، وَأَبْجَحْتَ لَهُمُ الْحَمَلَ عَنِّي وَلَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي تَنْوِيْعِهِ ،
وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُخَلِّصُ أَعْمَالَنَا لِذَاتِهِ ، وَيَجْعَلُهَا فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الأنخمي بن

(١) سعى الكتاب : شدة إسحاية ، وهي قطعة من الورق تلف حول الرسالة ويحمى عليها ، وعنى الكتاب : كتب عنوانه .

(٢) كذا في ط والإحاطة ونفع الطيب ، وفي م : « تردده » .

الحكيم ، عفا الله عنه ، حامدا لله عز وجل ، ومصليا على رسوله المصطفى ،
ومسلما عليه وعلى آله ، في منتصف جمادى الآخرة ، عام ثلاث وسبع مئة .

بديته

وحكى غير واحد أن ذا الوزارتين ابن الحكيم المذكور لما اجتمع مع
الفقيه الجليل الكاتب ابن أبي مدين أنشده ابن أبي مدين ، رحمه الله تعالى :

عَشَقْتَكُمْ بِالْسَّمْعِ قَبْلَ لِقَاكُمْ وَسَمِعْتُ الْفَقِيَّ يَهْوَى لَعَمْرِي كَطَرَفِهِ
وَحَبَّبَنِي ذَكَرَ الْجَلِيسِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا التَّقِينَا كُنْتُمْ فَوْقَ وَصْفِهِ

فأنشده ذو الوزارتين :

[٤٧١]

ما زلت أسمع عن عليك كل سَنَى أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سَمِعْتُ أذننى فوقَ بين السَّمْعِ والبَصَرِ

وتذكرت هنا قول الحاج الكاتب ابن إسحاق الحسناوى رحمه الله تعالى :

سِحْرُ الْبَيَانِ بِنَانِي صَارَ يَعْقِدُهُ وَالتَّقْنُ فِي عَقْدِهِ مِنْ مَنَاطِقِي الْحَسَنِ
لَا أَتَشَدُّ الْمَرْءَ يَلْقَانِي وَيُبْصِرُونِي : أَنَا الْمُعَيَّدِيُّ فَاسْمَعْ بِي وَلَا تَرْنِي

وكان الوزير ابن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق ابن رُشيد الفهرى فى

رحلته الحجازية ، وقد اشتملت رحلة ابن رُشيد على ما رأى ورَوَى .

التعريف بابن
رشيد

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد^(١)

ابن مسعود بن حسن^(٢) بن محمد الفهرى ، من أهل سبته ، يُكنى أبا عبد الله ،

ويعرف بأبن رُشيد ، — وكأنه تصغير رُشد — الخطيب المحدث الشهير .

رحلته وما أفاد
مها

رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، وَلِقَاءِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ

(١) كذا فى بنية الوعاة للسيوطى ، وجذوة الاقتباس لابن الفاضى . وفى الأصلين :

« سعد » .

(٢) كذا فى الأصلين والبدر الطالع للشوكانى . وفى جذوة الاقتباس : « حسين » .

وَسِتِّ مَسَّةً ، وكانت إجازته البحر من المريّة ، فتلاقى بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور ، وكان قصدهما واحدا ، ومَسَعَاهُمَا مُتَعَاَصِدًا ؛ فترافقا في السفر ، كما ترافقا في الوَطَر . فدخل إفريقيا ومِصر والشام والحجاز ، وأخذ عن لِقَى من الأئمة الأعلام ، وأكثر من ^(١) هذا الشأن ، وأجاد فيه الضبط ^(٢) والاتقان ، وتوسّع في الرواية ، وذهب في ذلك إلى أبعد غاية . وكان له تَحَقُّقٌ بعلوم الحديث وبرجاله ، وبضبط أسانيده ، ومعرفة انقطاعه وأتصاله ، إمامًا في هذا الشأن ، مُشارًا إليه في هذا الفنّ ، معتمداً عليه ، مع كمال الثقة ^(٣) ، وشُهرة العدالة .

شمائله

قال القاضي أبو البركات ابن الحاجّ في حقه : ابن رُشَيْد ثقة عدل ، من أهل [٧٢] هذا الشأن المتحقيقين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلوم القراءات ، وصناعة العربية ، وعلم البيان ، والآداب ، والعروض والقوافي ، مشاركا في غير ذلك من الفنون ، من خُذَام الكِتَاب والسُنّة ، حسن العهد ، كريم العشرة ، بَرًّا بأصدقائه ، فاضلا في جميع أنحائه ، أديبا خطيبا بليغا ، ذا كرا ، متأدبا ^(٤) ، يَفْرِضُ الشعر على تكلف ، ويَجُودُ النثر ويُبَصِّرُ مواقعَ حسنه ، وأعظمُ عنايته بعلوم الحديث : متقنه وسننّه ومعرفة رجاله ، ولذلك كان جُلَّ أشغاله ، وفيه عَظُمُ احتفاله ، حتى حَصَلَ منه على غاية قصده ومنتهى آماله .

شيوخه

قرأ بسبّته بلده على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع القرآن ^(٥) العزيز بالقراءات السبع ، بمضمّن كتاب التيسير ، وتفقه عليه في العربية ، وقيد عنه ^(٦)

(١) كذا في ط وجذوة الاقتباس . وفي م : « في » .

(٢) كذا في ط . وفي م : « الحفظ » .

(٣) كذا في جذوة الاقتباس . وفي الأصلين : « الهيئة » .

(٤) هذه العبارة : « أديبا متأدبا » زائدة في م .

(٥) في م : « القرآن العظيم العزيز » .

(٦) كذا في جذوة الاقتباس . وفي م : « منه » . وفي ط : عليه .

تقييدا حسنا على كتاب سيبويه ، وأخذ عنه غير ذلك . وقرأ أيضا الكتاب
العزیز علی الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد الكتّامي ابن الخَضَّار ، بالمقارئ السبعة ،
وأخذ بالمریة ، في اجتيازه عليها ، عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن
الصائغ ، والوزير الأديب أبي جعفر أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيّد عنه [من] ^(١)
شمره . ورحل فأخذ ببجاية عن الحافظ ^(٢) أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن
كحيلة نزيلها . وبتونس عن قاضي الجماعة بها ، أبي القاسم بن أبي بكر بن زيتون .
وأخذ بإسكندرية عن العدل المبرّز ، سراج الدين أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل
ابن فارس التميمي ، والعدل الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرّخان
القرشي . وبالقاهرة عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المُنْذِرِي ،
والأديب الصوفي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف
ابن أحمد الأنصاري ، ابن الخيمي ، نزيل إيوان الحسين رضى الله عنه من [٤٧٣]
القاهرة . وبدمشق عن شيخ الشيوخ عن الدين أبي العزّ عبد الله بن عبد المنعم
ابن علي الحرّاني ^(٣) ، وبقية المسندين نحر الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن
عبد الواحد المقدسي ، والمسند أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسي .
وبالحرم الشريف عن المحدث الأديب مقيم الحرم الشريف أبي إسحاق
عبد الصّمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي ، وبقية المحدثين مقيم الحرمين
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم المكي . وبالمدينة المشرفة
المنورة عن الشيخ الإمام النحوي عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن محمد

(١) زيادة عن جذوة الاقتباس .

(٢) كذا في الأصلين ؛ وفي جذوة الاقتباس : « الخطيب » .

(٣) كذا في الأصلين وجذوة الاقتباس . وفي نفح الطيب والإحاطة : « أبي العز عبد العزيز

ابن عبد المنعم الحرّاني » .

ابن مزروع البصري وغيرهم . وفي أشياخه كثرة ، وقد أودعهم رحلته الحافلة التي سَمَّاها : « مَلءُ القَيْبَةِ ، فيما جُمِعَ بطول القَيْبَةِ ، في الوجهتين الكرِيمَتَيْنِ إلى مكة وطَيْبَةِ » . وهي أربعة أسفار ، وَقَفْتُ عليها بتِلْسان ، وقد جمع فيها من الفوائد الحديثية ، والفرائد الأدبية ، كلَّ غريبة وعجيبة .

ومن تأليفه « ترجمان التراجم » ، في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخارى لما تحتها ، مما تَرَجِمَتْ عليه . ومنها « السَّنَنُ الأَبْيَنُ ، في السَّنَدِ المَعْنَنِ » ، و « المقدمة المعروفة ، لعلو المسافة والصفة » ، و « المحاكاة بين البخارى ومسلم » ، و « إحكام التأسيس في أحكام التجنيس » ، و « الإضاءات والإنارات » في البديع ، السَّماة : « بإيراد المرتع المربع ، لرائد التسجيع والترصيع » ، و « وصل القوادم بالخوافي » ، شرح فيه كتاب القوافي لشيخه أبي الحسن حازم القَرطاجَني ، وجزء مختصر في العروض ، وتقييد على كتاب سيديويه .

تأليفه

وذكر بعضهم أن الإمام ابن رُشيد كان ظاهريَّ المذهب ، والمعروف أنه كان [٤٧٤] مالكيًا ، والله أعلم .

مذهبه

وكان يعتمد في شرح كلام البخارى على « المُجَبَّرِ الفَصِيح » ، في شرح البخارى الصحيح « لأبي عمرو ^(١) الصَّفَّاقُسيّ » ، المعروف بابن التَّيْنِ ، لأجل حضور التَّبَرُّر في مجلسه ، ومعمَّدُهم المدوَّنة ، وأبو عمرو في هذا الكتاب ينقل المدوَّنة وكلام شراحها عليها .

شرحه للبخارى

وتكلم يوما بعد فراغه من إسماع الشَّمال ، وكانت بالمغرب فتنة ، على قوله عليه الصلاة والسلام : « بِحَسْبِ أَصْحَابِي القَتْلُ » ، فقال : معنى الحديث أنه منجَّيهم ^(٢) من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه

اجتهاده في فهم الحديث

(١) كذا في م هنا وفيما سيأتي . وفي ط : « عمر » . (٢) في م : « ملجؤم » .

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِتْنَةً ، فَعَظَّمَ أَمْرَهَا ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَنُؤَدِّرْكَ هَذَا الزَّمَانَ لَنَهْلِكَنَّ^(١) ؛ فَقَالَ : كَلَّا ، إِنْ بِحَسْبِكُمُ الْقَتْلُ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا خَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُمْتِي [هَذِهِ]^(٢) أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنَةُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ » . وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ : « بَابُ مَا يُرْجَى فِي الْقَتْلِ » ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْحَدِيثَ تَحْتَ التَّرْجُمَةِ .

وَقَالَ تَلْمِيزُهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ يَحْيَى : إِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . فَقَالَ : رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ مِائَةِ نَفْسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَيَهْمُ الْعَشْرَةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَلَا يُعْرَفُ حَدِيثٌ مِثْلَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهُ تَخْتَلِفُ ، لَكِنْ هُوَ مُتَوَاتِرٌ الْمَعْنَى .

وَفِي رَسْمِهِ مِنْ حَرْفِ الْمِيمِ مِنْ إِحَاطَةِ ابْنِ الْخَطِيبِ مَا نَصَّه :

حَدَّثَنِي بَعْضُ شَيْوَخِنَا قَالَ : قَعَدَ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَظَنَّ أَنَّ الْمُؤَذِّنَ الثَّالِثَ قَدْ فَرَّغَ ، فَقَامَ يَخْطُبُ وَالْمُؤَذِّنُ قَدْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِأَذَانِهِ ، فَاسْتَفْظَعَ^(٣) ذَلِكَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، وَهُمْ آخِرُ بِأَشْعَارِهِ وَتَنْبِيهِهِ ، وَكَلِمَةُ آخِرَ ، فَلَمْ يَثْنِهِ ذَلِكَ عَمَّا شَرَعَ فِيهِ ، وَقَالَ بِدِيهَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، إِنْ الْوَاجِبُ لَا يُبْطِلُهُ الْمُنْدُوبُ ، وَإِنْ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعٍ الْوَجُوبُ ، فَتَأَهَّبُوا [لَطَلَبِ الْعِلْمِ]^(٤)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَالَّذِي فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، فِي كِتَابِ الْفِتَنِ : « لَنُؤَدِّرْكَ هَذَا الزَّمَانَ لَنَهْلِكَنَّ » .

(٢) زِيَادٌ عَنْ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، آخِرُ كِتَابِ الْفِتَنِ .

(٣) فِي مَوْضِعٍ مَخْتَصَرِ الْإِحَاطَةِ الْمَخْطُوطِ وَالْمَحْفُوظِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ بِرَقْمِ (٥٥١٨) تَارِيخُ : « فَاسْتَفْظَعَ » .

(٤) زِيَادَةٌ عَنْ مَخْتَصَرِ الْإِحَاطَةِ ، وَجُذُوءِ الْاِقْتِبَاسِ .

يرى أن الحديث مروي بالمعنى

قدرته على البيان والارجحال

[٤٧٥]

وتنبهوا^(١) ، وتذكروا قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لفاً ، ومن لفاً فلا جُمعة له »^(٢) . جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل ، وعمل فقبل ، وأخلص فتخلص .

تعليق للمؤلف
على موقف ابن
رشيده

فكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه ، وانقياد لسانه لبيانه . انتهى .
وتذكرت بهذه القضية من قام من اثنتين ولم يتذكر حتى استقل ، ومن نسي المضمضة والاستنشاق حتى شرع في غسل الوجه ، وراجع شرح ابن ناجي على المدونة ، فإنه ذكر أن بعض شيوخه لم يرجع من الخطبة كما^(٣) فعل ابن رشيده ، وبعض الأشياخ رجع لما سمع المؤذن ، وفعل الأول أصوب .
والله أعلم .

وكان رحمه الله تعالى (أعني ابن رشيده) يقول : ليس بالمغرب عالم إلا ابن البنا براكش ، وابن الشاط بسبته ، والقاضي أبا عبد الله محمد بن محمد اللخمي القرطبي . ومن المشاركة خلق كثير ، كابن دقيق العيد ، والشريف أبي الحسين العراقي ، وأخيه أبي إسحاق ، وجماعة .

شهادة ابن رشيده
لبعض العلماء

وفي تأليف ابن رشيده في التجنيس يقول صاحبه الفقيه الأديب البارع الفاضل أبو بكر محمد بن محمد القالونسي^(٤) من نظمه حين طالعه بفرناطة :

تقريب بعض
تأليفه

(١) في م : « وانتبهوا » .

(٢) لفظ حديث أبي هريرة في الموطأ وفي السنن إلا سنن ابن ماجه : « إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغوت » . وفي حديث آخر عن علي : « من دنا من الإمام فلما ولم يستمع ولم ينصت كان عليه كفل من الوزر » . ومن قال : سه فقد لفا ، ومن لفا فلا جمعة له » . وظاهر من هذا أن ابن رشيده قد لفق روايته من حديث أبي هريرة وعلي .

(٣) في ط : « حتى » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « أبو بكر محمد القالونسي » .

أَبْدَعَ فِي التَّجْنِيسِ إِنْشَاءً فليَحْوَ فَضْلَ السَّبْقِ إِنْ شَاءَ
إِذْ كُلُّ مَنْ أَلْفَ مِنْ قَبْلِهِ مَا جَاءَ فِيهِ بِالَّذِي جَاءَ

شيء من أشعاره

ومن شعر ابن رُشيد رحمه الله تعالى (ولنا فيه أسانيد) قوله :

صَيَامُ عَاشُورَا أَتَى نَدْبُهُ فِي سُنَّةِ مُحْكَمَةِ قَاضِيَةٍ
قَالَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى إِنَّهُ تَكْفِيرُ ذَنْبِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ
وَمَنْ يَوْسَعَ يَوْمَهُ لَمْ يَزَلْ فِي عَامِهِ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ

ومن ذلك قوله :

تَغْرَبُ وَلَا تَحْفَلُ بِفُرْقَةِ مَعَشَرِ^(١) تَفْزُ بِالْمَنَى فِي كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجٍ
فَلَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَسْكِ مَا حَلَّ مَفْرَقًا وَلَوْلَا اغْتِرَابُ الدَّرِّ لَمْ يَحْطَ بِالتَّاجِ

وقوله رحمه الله تعالى في البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر في ليلة البدر :

أَنْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مُدَّتْ أَشْعَتُهُ عَلَى خُضَارَةٍ^(٢) حَتَّى ابْيَضَّ أَزْرَقُهُ
وَالرَّيْحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِرُهَا حَبَابُ مَاءِ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْنَقُهُ

وذكر رحمه الله عن أبي الخير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن رَوَاحَةَ

الأنصاري الخزرجي أنه أَمَلَى عَلَيْهِ بِمَدِينَةِ بُلَيْسٍ بِمَصْرِ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى :

وَأَرْجُو إِنْ عَجَزْتُ عَنْ الْأَمَانِي أَمَانًا مِنْ ذِمَامِكَ يَا إِلَهِي
فَلِي ظَنٌّ أَحَقُّهُ يَقِينًا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي كُلُّ الْمُنَى هِيَ
وَأَسْأَلُ مِنْكَ عَوْنًا لِي عَلَى مَا أَمَرْتَ بِهِ ، وَتَرَكِي لِلْعَنَاهِي

(١) في جذوة الاقتباس : « موطن » .

(٢) خضارة : من أسماء البحر .

إشارته إلى بعض
الوضاعين في
الحديث

وقال رحمه الله : من عمّد إلى أحاديث خِراش^(١) ودينار^(٢) وأبي هُدبة^(٣) وشبههم ، الذين يسميهم أهل الرواية والنقل طيور أنس ، فمثل هؤلاء لا يُعْرَج عليهم ، ولا يُفرح بعلومهم^(٤) ، وروايتهم شبهُ الريح ، وإنما يُكتب حديثهم للتعريف به . وقد جمع الحافظ أبو الطاهر الأصهباني جماعة منهم في بيتين ، فأحسن ، أحسن الله إليه . أنشدني المكتسب الخير ، المقيّد ، أبو عبد الله محمد ابن أبي العباس أحمد بن حيّان الشاطبي ، صاحبنا بتونس ، قال أنشدنا الشيخ [٤٧٧] الخطيب أبو محمد بن بركات رحمه الله ، قال : قرأت على الحافظ أبي عمر بن عات ، قال : سمعت فيما قرئ على السلفي رحمه الله تعالى من نظمه :

حديث ابن نسطور^(٥) وقيس ويغم^(٦) وبعد أشج الغرب^(٧) ثم خِراش
ونسخته دينار ونسخة تريه أبي هُدبة القيسي شبه فراش
قال لي أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد ، قال لنا أبو عمر : كان الحافظ
السلفي رحمه الله إذا فرغ من إنشاده لها ينفخ في يديه . فمثل هؤلاء لا يُلتفت
إليه ، ولو بلغ أقصى الممكن في القرب . انتهى .

(١) خِراش بن عبد الله الذي يروي عن أنس رضي الله عنه : كذاب لا يجوز كتابة

حديثه . وحفيده خِراش بن محمد بن خِراش : متروك أيضا (انظر تاج العروس) .

(٢) دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك : منكر الحديث ضعيف ذاهب شبه المجبول .

وهو حبشي . (راجع تاريخ الخطيب ص ٣٨٢ ج ٨) .

(٣) أبو هُدبة : هو إبراهيم بن هُدبة أبو هُدبة الفارسي ، كان بالبصرة ، ثم خرج إلى

أصهبان والري ، ووافي بغداد ، وحدث بها عن أنس بن مالك بالأباطيل .

(٤) كذا في ط . وفي م : « بعلومهم » .

(٥) ابن نسطور : هو جعفر بن نسطور الرومي .

(٦) كذا في المتن في أسماء الرجال وتاج العروس . وهو يغم بن سنا بن قنبر ،

قال ابن حبان : يضع الحديث على أنس . وجده قنبر مولى على رضي الله عنه .

وفي الأصلين : « يتم » . وفي نفع الطيب « يغم » .

(٧) الأشج الغربي : كذاب طرقي ، كان بعد الثلاث مئة ، وادعى السماع عن علي بن

أبي طالب ؛ واسمه عثمان بن خطاب أبو عمرو ، وبهمضم صماه أبا الحسن علي بن

عثمان البلوي . (انظر لسان الميزان لابن حجر) .

وَوُجِدَ بِحِطِّ الْقَاضِي الْبِرْتَّاسِيِّ^(١) مَا نَصَهُ :

إجازته لبنت
عبد المهيم
ووفاته

الحمد لله . وقفت على إجازة أبي عبد الله بن رُشيد لست العرب بنت
عبد المهيم الحضرمي ، مؤرخة بغرة محرم عام إحدى وعشرين ، الذي توفي فيه ،
وقال أحسن الله افتتاحه واختتامه : ومن لم يكن يعرفني فإني :
أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عُرف العفو
اتمهي .

حاله بعد عوده
من المشرق

ولما قفل الشيخ ابن رُشيد من المشرق عاد إلى بلده سَبْتَةَ ، فلم يساعده
فيها المقدور ، ولم يُعرف له بها مقدار ، فكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم
يستدعيه إلى حضرة غرناطة ، ويَعِدُّه بنيل كل أمنّيه ، رعيًا لما سلف له معه
من الصداقة المرعّيه ، فأعمل الرحلة إليه ، حتى قدم الحضرة الغرناطية عليه ،
فألفاه من عناية السلطان تحت جاه واسع ، فأهله^(٢) من مواليه وقرّب إليه من
أمانيه كل شاسع ، وأكرم مثواه ، وجمّد لديه مَغَبَّة سُرّاه ، وتقدم حينئذ للصلاة
والخطبة بالجامع الأعظم بغرناطة ، وخوّل كل كرامة ومبَرَّة . ثم لما توفي الأستاذ
أبو جعفر بن الزبير عن قضاء المناكح خلفه عليها ، فاتصلت له الأثرة بالأثرة ،
ولم يزل مقبياً بحضرة غرناطة ، منتصباً للإقراء ، ومركزاً لدائرة القراء ، إلى
أن قُتِل^(٣) الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فرحل من غرناطة ، ولحق بحضرة
فاس ، فخل بها تحت عنايه ، وفي كنف رعايه ، وجعل له الأمر السلطاني
الاختيار حيث اختار ، أو الاستقرار^(٤) ، فاختر التحول إلى مراكش ، إذ كان
قبل قد سكنها ، واستحسنها ، فورد عليها ورود الإقامة ، ونزل بها نزول البر
والكرامة ، وقدم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ، وأقام بها سنين يبث بها

[٤٧٨]

(١) في الأصلين : « البرتاسي » ، وهو تحريف . (٢) كذا في ط . وفي م : « فأحله » .
(٣) في م : « اغتيل » . (٤) كذا في م . وفي ط : « حيث اختار الاستقرار » .

العلم ، ليس له شغل غير التدريس والتحقيق . ثم إن المقام السلطاني استدعاه منها بعد مدة إلى حضرة فاس ، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإيناس ، فلحق بمحاضرة السلطان ، والتحف من الوجاهة والنباهة^(١) برداء سابغ الأردن ، وصار في عداد خواصه وآل مجلسه من الخلفاء^(٢) ، إلى أن توفى رحمه الله بفاس ، في الثالث والعشرين من شهر الحرم ، سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقيل ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر الحرم . وأما قول من قال إنه توفى ثامن الحرم فغلط . ودُفِنَ خارج باب الفتوح ، بالروضة المباركة ، المعروفة بمَطْرَح الجنة^(٣) ، حيث تُدْفَنُ العلماء والصلحاء ، الواردون على فاس من الغرباء .

ومولده بسبّنة في شهر رمضان سنة سبع وقيل تسع وخسين وست مئة .

وروى عنه الحرم الغفير ، كأبي البركات بن الحاج ، والأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن أبي العاصي التَّنُوخِي ، وآخرين رحم الله جميعهم ، ونفعنا بهم . وقد قدمنا أن ابن الحكيم تدبَّج معه ، ومعنى التدبَّج : أن يَرَوِي كل واحد من القرينين^(٤) عن صاحبه .

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المقدم الذكر مَحَطَّ رحال الأفاضل ، وكَمَ للناس فيه من أمداح وتآليف ، وله ألف الشيخ الفقيه المحدث الحافظ ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله العَزَافِي ، كتاب « الإشادة ، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة »^(٥) . وكان أبو القاسم هذا سمع من

كتاب الإشادة
لعزافي

(١) في ط : « من الوجاهة والندامة والنباهة » . (٢) في ط : « الحضار » .

(٣) قال الكتاني في سلوة الأنفاس ، نقلا عن نصر الثاني : إنها تسمى : (مطرح الجنة) ،

باللام ، جمع جليل . ثم قال : ويقال فيه اليوم : الجنة بالنون ، وهو تفاؤل حسن .

(٤) في الأصلين : « الفريقين » ، ولعلها معرفة عما أثبتناه ؛ قال في شرح القاموس :

« التدبَّج : رواية الأقران ، كل واحد عن صاحبه » .

(٥) اسم هذا الكتاب في م : « الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإفادة » .

أبي جعفر بن الزبير ، وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب الفرد ، من عام سبعة عشر وسبع مئة ، قرب الزوال ، بالدرب الطويل من فاس المحروسة ، وتوفي أخوه الشاعر الجليل أبو العباس أحمد بفرناطة في ذى الحجة من عام ثمانية وسبع مئة^(١) .

لأبي العباس
الغزفي في مدح
ابن الحكيم

ومن إنشاداته في كتاب «الإشادة» ، من شعر أخيه أبي العباس المذكور ، رحمه الله تعالى :

مَلَّكَتَ^(٢) رِقِّي بِالْجَمَالِ فَانْجَلِ وَحَكَمْتَ فِي قَلْبِي بِمَجْوَركِ فَاعْدِلِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَلَّاحِ وَمَنْ يَجْرُ فِي حَكْمِهِ إِلَّا جُفُونُكَ يُعْزَلِ
إِنْ قِيلَ أَنْتَ الْبَدْرُ فَالْفُضْلُ الَّذِي لَكَ بِالْكَامِلِ وَنَقْصُهُ لَمْ يُجْهِلِ
لَوْلَا الْحُظُوظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ وَلَكِنْ دُونَكَ فِي الْحُضِيِّضِ الْأَسْفَلِ
عَيْنَاكَ نَازَلَتَا الْقُلُوبَ فَكَلَّهَا إِمَّا جَرِيحٌ أَوْ مُصَابُ الْمَقْتَلِ
هَزَّتْ ظُبَاهَا بَعْدَ كَمَرِ جُفُونِهَا فَأَصِيبُ قَلْبِي فِي الرَّعِيلِ^(٣) الْأَوَّلِ
مَا زِلْتَ أُعْذَلُ فِي هَوَاكِ وَلَمْ يَزَلْ سَمِعِي عَنِ الْعُدَّالِ فِيكَ بِعَمَلِ
أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِمَجْهِدٍ شَاغِلٍ عَنْ أَنْ أَصِيخَ إِلَى كَلَامِ الْعَدَلِ
لَمْ أَهْمِلِ الْكُتْمَانَ لَكِنْ أَدْمَعِي هَمَلْتُ وَلَوْ لَمْ تَعَصِيَنِي لَمْ تَهْمَلِ
جَمَعَ الصَّحِيحِينَ الْوَفَاءَ مَعَ الْهَوَى قَلْبِي وَأَمَلَى الدَّمْعُ كَشْفَ الْمَشْكِلِ
وهي طويلة ، مدح بها الوزير ابن الحكيم المذكور ، وأجاد .

(١) كذا في ط وجذوة الاقتباس . وفي الإحاطة : « سنة سبع وسبع مئة » .

وفي م : « ثمانية عشر وسبع مئة » .

(٢) كذا في م والإحاطة . وفي ط وجذوة الاقتباس : « حلت » .

(٣) كذا في الإحاطة وجذوة الاقتباس . وفي م : « وأصيب قلبي للرعي » . وفي

ط : « وأصيب قلبي بالرعي » .

ولف مدحه أيضا

وله من مطلع قصيدة فيه أيضا :

هذا الصباح ففادني بصبح
لا تكترث لخطوب دهرك واسقني
وامرّح سوام اللفظ بين حدائق
فتنت زهرة زهرها فتمايلت
شقت شقائقها جيوب كاتم
وعيون نرجسها تلوح^(٢) شواخصا
والورد تخجله أنامل سوسن
وأقوى الربيع ربوعها^(٣) بسواجم
سجعت نبشها بعود^(٤) شبابها
مالى وللأطلال أسأل صامتا
في الراح^(٥) والريحان شغل شاغل
وأهيم في وزد الحدود وآسها
وأصون سمعى عن مقالة عاذل
كم عرّضوا لى باللام وصرّحوا
ومنها أيضا :

عجبا لهم يلقوننى بلامهم في حب من يلقون بالتسبيح

(١) في م : « فأسام في تمثيلها بـريح » . ولعله محرف عما أثبتناه . ولم يرد من هذا

الشرط في ط غير : « في مثلنا بـديع » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « أسف على رق بخد جريح » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « تميل » .

(٤) في ط : « ريعها » . (٥) كذا في ط . وفي م : « بهمد » .

(٦) كذا في م . وفي ط : « في الروح » . (٧) في م : « في الحب » .

إِن صَوَّحَ الرُّوضُ النَّصِيرَ نَخْدَهُ أَزْهَارُهُ أَمِنَتْ مِنَ التَّصْوِيجِ
وَتَحَارَ أَعْيُنُ مُبْصِرِيهِ إِذَا بَدَأَ فِي ثِقَلِ أُرْدَافِ وَخْفَةِ رُوحِ
قَلْبِي بِمَذْمُومٍ يَزِيدُ تَوَقُّدًا لَا غَرَوَ فِي نَارِ تَشَبُّ بِرِيحِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ (١) .

كلام للقاضي
أبي حفص
في كتاب
الإشادة

ومما أورده في «الإشادة» لبعض الأعلام ، وأظنه قاضي الموحدين أبا حفص
ابن عمر رحمه الله تعالى ، في وصف الدنيا ، كلام بديع نصّه :

هذه الدنيا — حفظك الله — كما قد علمته ، فأعرض بملكك عن جعلها ،
وارغب بنفسك عن أهلها ، واذكر قبائح أنبيائها ، واضرم وصل أنبيائها ؛
لا ترع في رؤيهم ، ولا تكرر في حوضهم ، وقل الله ثم ذرم في خوضهم ،
وإذا مررت باللاغين (٢) بذكر محاسنها ، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبح باطنها ،
فأله عن لهموم ، ومزكريما بلفظهم ، مر المهتدي في سيره ، وأعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره ، فالسيادة والسعادة في نبذها ، لا في أخذها ، وفي
تركها ، لا في دزكها ، وإليك عن وصلها إليك ، وإليك بهجرها عليك ، وانل [٤٨١]
قوله تعالى : « وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ » ، وقوله تعالى : « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » ،
واحرص أن تكون منهم ؛ فزخرف الدنيا في نظر العين زين ، وفي نظر العقل
شين ؛ فغمض عينيك تبصر ، ولا تمدّها وأقصر ؛ جعلنا الله ممن نظر بقلبه ،
وأبصر بلبته ، فأولو الأبواب والفكر ، الخصوصون بالذكر ، والعلم أرفع المزاي ،
وأوسع العطايا ، هو غاية المنال والمذكر ، من ناله أي شيء فاته ، ومن فاته أي
شيء أدرك ؟ ولا علم إلا علم الكتاب والسنة ، هما أفضل العطايا والمِنَّة ، فمن

(١) إلى هنا ينتهي المجلد الثاني من النسخة التيمورية (رقم ٨٩٤ تاريخ) .

(٢) في ط : « بالمولين » .

عليهما ، ونظر فيهما ، وعمل بهما ، نال غاية السعادة ، وأدرك منتهى السيادة ؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » . هذه المزايا العاليه ، والمعطايا الواسعة الباقية ، لا مانهت عنه الآية الثانية^(١) ، جعلنا الله ممن أبصر رشده ، وذكر مراده ، ووجه إليه قصده ، ورأى في أول أمره آخره ، وابتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة ، بمنه وفضله . آمين .

(٢) يَا رَاكِضًا فِي طِلَابِ دُنْيَا لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِعَاشُ
تَنْحَ يَا عَرْضَةَ لَامٍ أَتُهُمُ بِالرَّدَى تُرَاشُ
تَحْشُ^(٣) نَارًا هَوَى لَظَاهَا بَعِنَ لَهُ حَوْلَهَا انْهِيَاشُ
أَعْذَرُ مِنْكَ الْفَرَّاشُ أَلَّا عَلِمْتَ مَا يَجْهَلُ الْفَرَّاشُ
تَطْلُبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنُ عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جَاشُ
مَنْ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابٍ يَشْتَدُّ مِنْ شُرْبِهِ الْعِطَاشُ^(٤)
دَعَا فَطَلَّابُهَا رَعَاعٍ طَاشَتْ بِالْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
وَاطْلُ لَتَرَوَى وَكُنْ كَقَوْمٍ مَاتُوا بِهَا عِفَّةً فَعَاشُوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمَّ رِوَاءُ وَوَارَدُوهَا هُمُ الْعِطَاشُ
كَأَنَّ آمَالَنَا ظِلَابًا وَنَحْنُ مِنْ حَيْثُ خِرَاشُ^(٥)
لَا نَأْمَنُ بِهَا انْبِسَاطًا بِهِ لِأَعْمَارِنَا انْكَشَاشُ^(٦)

- (١) يريد قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ... الخ » .
(٢) من هنا إلى قوله : « جواد مالك والمنصور مخدوم » ص ٣٦٢ ساقط من نسخة ط .
(٣) تحش : توقد . وفي م : « تحش » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٤) يريد بالعطاش : العطش ، مصدر عطش .
(٥) في الأصل : « خفاش » ، وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وهو يشير إلى البيت المشهور :
تَكَثَّرَتِ الظُّبَابُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَعْشِدُ
(٦) في م : « لا يأمننا » ، وهو محرف عما أثبتناه .

كَأَنَّ آجَالَنَا صُومُورٌ وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشٌ

انتهى .

التعريف بالقاضي
أبي حفص
عمر السلي

وأبو حفص بن عمر هذا ، هو القاضي الجليل أبو حفص عمر بن القاضي
الجليل أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي . وذكر الحافظ ابن
الأثير أن أصله من جزيرة شقر^(١) . قال : وولد بأغات ، وسكن مدينة فاس .

شيوخه

روى عن جده لأمه ، أبي محمد عبد الله بن علي اللخمي ، أجاز له في صغره ؛
وعن أبي مروان بن مسرة ، وأبي عبد الله بن الرامة ، وأخذ عن أبي بكر بن
طاهر كتاب سيبويه تفهما ؛ وكان من أهل المعرفة واليقين ، أدباً شاعراً ، مجيداً ،
غلب عليه الأدب ، حتى عُرف به وشهر ، مع جودة الخط ، وبراعة الأدوات .

ولايته القضاء

وولي قضاء تلمسان ، ثم نقل إلى قضاء فاس بعد أبيه بزمان ، وولي قضاء
إشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

مولده ووفاته

وحكى عن أبي الربيع بن سالم أنه توفى بإشبيلية فجأة ، في الخامس من
ربيع الأول سنة ثلاث وست مئة . ومولده في حدود الثلاثين وخمس مئة .
وقد غلط ابن فرقد ، فذكر أنه ولد سنة خمس وثلاثين ، وروايته عن جده
أبي محمد عبد الله بن علي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ، مع صحتها ، تقضى ببطلان
ذلك . قال ابن فرقد : وتوفى عام اثنين وست مئة بإشبيلية وهو يتولى قضاءها ،
بعد صرف محمد بن حوط الله ؛ وكان أبو حفص قد صرف بأبي محمد ، بعد ذلك
بعام أو يزيد .

من شعره في
مدح أبي يعقوب
يوسف

ومن مشهور نظمه رحمه الله تعالى يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف بن
عبد المؤمن بن علي [الموحدي]^(٢) رحمهم الله تعالى :

(١) في جذوة الاقتباس : « أشقورة » . (٢) زيادة عن جذوة الاقتباس .

اللهُ حُسْبُكَ والسَّبْعُ الحَوَامِيمُ
سَبْعُ اللَّثَانِي الَّتِي لِلَّهِ قَتَّ بِهَا
وَأَنْتَ بِالسُّورِ السَّبْعِ الطُّوَالِ عَلَى
وَالذَّهْرِ سَبْعَتُهُ وَسَبْعَةٌ جَعَلَتْ
وَسَبْعَةُ الشُّهْبِ لَمْ تَحْفَلْ بِهَا ثَقَّةً
تَسْمُو بِنَفْسٍ عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ سَمْتُ
أَنْوَارِ عَدْلِكَ فِي الْآفَاقِ دَاعِيَةً
أَعْلَى بِكَ اللَّهُ أَعْلَامًا هَدَيْتَ بِهَا
عَلَيْكَ أَهْلُ الْهُدَى وَالْحَقُّ مُتَّفَقٌ
وَمِنْهَا أَيْضًا .

فَوَادِهِ بَضِيَاءُ الْعِلْمِ مُنْشَرِحٌ
وَكَفُّهُ بَطْنُهَا بِالْخَيْرِ مِنْهُمْ
الْعِلْمُ قِيَمَتُهُ ^(٥) وَالْحِلْمُ شِيَمَتُهُ
لَطَالِبِي الْعِلْمِ مَا شَاءُوا بِخِدْمَتِهِ
سُحِبَ الْعُلُومُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاحَتِهِ ^(٦)
الْعَيْنُ مِنْ نَظَرٍ وَالْأُذُنُ مِنْ خَبَرٍ
يُغْفِضِي أُنَاةً وَحِلْمًا عَالِمًا وَلَهُ
وَوَجْهَهُ بِجَمَالِ النُّورِ مُوسَمٌ
وَوُظِّفَتْهَا لِعُهودِ اللَّهِ مَلْثُومٌ
طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَالنَّفْسُ وَالْحِلْمُ
غَنَى وَعِزٌّ وَإِرْشَادٌ وَتَعْلِيمٌ
تَهْمِي فِي بَحْرِهَا هُمْ شَرْعٌ هِيمٌ
لَا تَشْبَعَانِ وَبَاغِي الْعِلْمِ مِنْهُومٌ
فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ إِقْدَامٌ وَتَصْمِيمٌ

(١) رواية هذا النطر في جذوة الاقتباس : « عليك من سرها معنى وتقديم » .

(٢) في جذوة الاقتباس : « حاكم لله ... » .

(٣) كذا بالأصل . وفي جذوة الاقتباس « ... جعت * وجود » .

(٤) إلى هنا ينتهي الجزء الساقط من نسخة ط . (٥) كذا بالأصلين :

(٦) كذا في ط . وفي م : « سماوة » .

تشتد فيمن عصى أو خان وطأته
إرادة فوق إدراك العقول لها^(١)
حتى إذا ما بدا منها النجاح بدت
انظر خواتمها تفهم مبادئها
والحظ سماء^(٢) علاها عبرة وكفى
إن^(٣) الخليفة سرُّ الله ظاهرة
فسلموا واخلعوا الآراء واتبعوا
الشرق والغرب من غرب ومن عجم
والبحر والبر من سهل ومن جبل
ومنها أيضا .

وكل جَدٍ مفادٍ من علائك من
للمسلمين أمير المؤمنين حمى
الدهر في أنفه من حكمه برّة
العلم والدين والدنيا وساكنها
جزاء سعيك عند الله مدّخر
عطف على حسن أمداحي وإن عجزت
نسيمه نفسُ العلياء مسموم^(٤)
يُحلّه من صروف الدهر تحريم
بها الزمان على الأبرار مخزوم
في سلك رأيك يا وُسْطاه منظوم
هذا كتابك في الأبرار مرقوم
إنّ الجمال على العِلات مرحوم

(١) في ط : « آراؤه قوت آراء العقول بها » .

(٢) في ط : « تنسيم » وفي م : « تقسيم » ولعلهما محرفتان عما أبتناه .

(٣) في ط : « ساعا » . (٤) كذا في ط : وفي م : « إذ » .

(٥) في ط : « بالفيض » .

(٦) كذا في ط . ورواية هذا البيت في م :

وكل مجد مفاد من علامك من حية نفس العلياء مسموم

ما علقوا لورأوا هذا قفا وألا هُبِّي ولو جاءهم حُجْرٌ وكُثُومٌ^(١)
 إذا لقال لراويه غليقة : «هل ما علمت وما استودعت مكتوم» ؟
 يا سامعين أماديج الإمام ألا فاجثوا على الركب الأعظام أوقوموا
 خذ كأسَ لفظي دهاقا من مدائحها فيها الحقائق لا لَفَوْه وتأنيم
 ندعوه له بَدَلًا من مدحه اقصو رالمدح عنه وفيه العذر معلوم
 عز^(٢) الإمام فلا تضرب به مثالا من ذا يُقاسُ به والمثل معدوم
 أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقه عليه من ربِّه بُشْرَى وتسليم
 صل بالصلاة عليه صدق مدحته ذاك الرحيق بهذا المسك مختموم
 وحكى أنه لما قال :

هو وأبو العباس
 الجراوى

«يا سامعين أماديج الإمام ألا فاجثوا . . . » البيت

قام جميع من فى المجلس وكان فيهم الشاعر المفلح أبو العباس الجراوى ، فاحتاج
 إلى مشايعتهم لذلك ، وثقل عليه لضخامته ، فجعل وهو يحاول القيام يسب القاضى
 أبا حفص نحر ، ويشير إلى أنه انتصف منه .

وحكى أيضا أنه لما أنشد القاضى أبو حفص هذه القصيدة ، قال فيه الجراوى
 المذكور ، وكان شديد الحسد له والإذابة لعسفه ، وكان له تقدم فى تلك الدولة :

نَبَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ ابْنِ عُمَرَ هَذِهِ فَلْتَعَجِبُوا أُمَّ الْعَبْرِ
 قُلْ لَهَا عُنًى إِذَا لَا قِيَتَهَا قَوْلَةٌ تَتْرَكَ فِي الصَّخْرِ أَثَرُ

(١) رواية هذا البيت فى ط :

« ما علقوا لو رأى هذا قفا ... ولو جادهم حجر وكثوم »

وفى م :

« ما علقوا لو رأوا ... هبى ... »

وقد أصلحناه على النحو الذى أثبتناه ، ولله أقرب إلى ما يريد الشاعر .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « عنى » وهو تعريف .

هَبِكِ كَالْخَنَسَاءِ فِي أَشْعَارِهَا أَوْ كَلَيْلِي هَلْ تُجَارِينِ الذِّكْرَ
فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ حِينَئِذٍ :

نَهَانِي حَلَمِي فَلَا أُظْلِمُ وَعَزَّ مَكَانِي فَلَا أُظْلَمُ
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدِ قَلْبِهِ بَنُورِ مَا ثَرْنَا مَظْلَمُ
رَحِمْتُ حُسُودِي عَلَى أَنَّهُ يِقَاسِي الْعَذَابَ وَمَا يَرْحَمُ
بِقَانَا الْحُسُودَ وَلَسْنَا كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ كَمَا يَفْلَمُ

وكان أبو العباس الجعراوى المذكور هجاء حاضر البادرة ، سريع الجواب .
ومن أغرب ما صدر عنه في ذلك أنه هجا قبيلة بنى غفجوم^(١) ، استطرادا بهجو
أهل فاس وقاضيه ابن الملجوم ، الكبير البيت ، الشهير الأصالة ، فقال :

يَا بَنَ السَّبِيلِ إِذَا نَزَلْتَ بِتَادَلَا^(٢) لَا تَنْزِلَنَّ عَلَى بَنِي غَفْجُومٍ
أَرْضُ أَغَارَ بِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى إِلَّا مَجَاوِبَةَ الصَّدَى لِلْبُومِ
قَوْمٌ طَوَوْا ذَكَرَ السَّمَاحَةِ بَيْنَهُمْ لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لُؤَاءَ الْأُومِ
لَا يَمْلِكُونَ إِذَا اسْتُبِيحَ حَرِيمُهُمْ^(٣) إِلَّا الصَّيَاحُ بِدَعْوَةِ الظُّلُومِ
لَا حَظَّ فِي أُمُومِهِمْ وَنَوَالِهِمْ لِلْسَائِلِ الْمَافِي وَلَا الْمَحْرُومِ
يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أَرْضِ فَاسٍ مِنْ بَنِي الْمَلْجُومِ

[٤٨٤]

ومن نظم القاضي أبي حفص المذكور ، من مطلع قصيدة يمدح أبا يعقوب بن
عبد المؤمن ، ويهنئه ببيئته الثانية :

أَلَا هَكَذَا تُبْنَى الْعُلَا وَالْمَآثِرُ وَتَسْمُو إِلَى الْأَمْرِ الْكَبِيرِ الْأَكْبَرُ

(١) في ط : « بنى مقجوم » هنا وفيما سيأتي . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) كذا في ط . يريد : تادلة (بفتح الدال واللام) وهي من جبال البربر بالغرب قرب
تلمسان وفاس . (انظر معجم البلدان لياقوت) . وفي م : « ... إذا مررت منازل » .
(٣) في ط : « ... إذا استباح خديعهم » .

لجعراوى يهجو
بنى غفجوم

من شعر القاضي
أبي حفص يمدح
أمير الموحدين

وله في الغزل

نَوْمٌ لِبَيْعَاتِ الرِّضَا مَطْلَعُ الْمَدَى وَحَيْثُ الْمَهْدَايَا تَعْتَلِي وَالْأَوَامِرُ^(١)
وَمِنْ غَزَلِيَّاتِهِ قَوْلُهُ :

هُمْ نَظَرُوا لَوَاحِظَهَا فَهَامُوا وَتَشَرَّبُ عَقْلَ شَارِبِهَا الْمَدَامُ
يَخَافُ النَّاسُ مُقَلَّتَهَا سِوَاهَا أَيْذَعُرُ قَلْبَ حَامِلِهِ الْحُسَامُ
سَمَا طَرَفِي إِلَيْهَا وَهَوَاكَ وَتَحْتَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ الْغَمَامُ
وَأَذْكُرُ قَدْهَا فَأَنُوحُ شَوْقًا عَلَى الْأَغْصَانِ تَنْتَدِبُ الْحَمَامُ
وَأَعْقَبَ بَيْنَهَا فِي الصَّدْرِ غَمًّا إِذَا اغْتَرَبْتُ ذُكَاةَ أُنَى الظَّلَامِ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَهَا الْقَفْرِ لَا دُمِيَّةَ الْمَرَمَرِ وَفِي الْعُرْبِ لَا فِي بَنَى الْأَصْفَرِ
بِنَفْسِي يَعْافِيهِ تِلْكَ الْخِيَامِ وَمَسْرَحُهَا فِي النِّقَا الْأَعْفَرِ
مَلَاعِبُ يَصْبُو إِلَيْهَا الْحَكِيمُ وَيُسَلِّبُ فِيهَا فُؤَادُ الْجَرَى
وَفِيهَا الظُّبَاءُ بَنَاتُ الْأَسْوَدِ غِيَارِي مَتَى بَغِمَتْ تَزَارُ
رَخِيسُ الْهَزْبِ رُكْنَانُ الْغَزَالِ بِهِ الشَّبَلُ نَاشٍ مَعَ الْجُوذَرِ
تَخَالِفُهَا نَظَرًا تَحْتَهُ غَرَامٌ بِهِ الْحَيُّ لَمْ يَشْعُرْ
وَبِالْإِحْظِ يُقَدِّحُ زَنْدُ الْهَوَى فَطَرَفُ غَيْرِ وَفُؤَادُ بَرَى
وَكَفَرَهَا بِقَوْلِهِ :

بِقَلْبِكَ يَا غَافِلًا فَانْظُرْ وَعَيْنَيْكَ غَضَّضَهُمَا تُبْصِرْ
إِذَا أُرْسِلَ الطَّرْفُ هَامَ الْفُؤَادِ وَبَعْضُ الْمَرَاتِي عَمَى الْمَبْصِرِ
وَأَفَاقَةُ قَلْبِ الْفَتَى عَيْنُهُ فَإِنْ تَرَعَّ قَلْبُكَ لَا تَنْظُرْ
وَمِنْ قَوْلِهِ :

أَغَارَ عَلَى الصَّبِّ مِنْ أَنْبِهِ هُوَ الْحُبُّ مَنْ يُطْفِئُهُ الْهَبَةُ

(١) كذا ورد هذا المظهر في الأصلين .

نَأَى الْقَلْبُ عَنِّي وَشَوْقِي مَعِي فَلَلَّهْ أَمْرِي مَا أَعْجَبَهُ !
يَجْنُ فَوَادِي إِلَى قَاتِلِي كَذَاكَ الْهُوَى عِنْدَ مَنْ جَرَبَهُ
تَرَقُّ شِمَائِلُ مَنْ ذَاقَهُ وَتَلَطَّفُ شِمَائِلُ مَنْ هَذَبَهُ
يَجُودُ لِمُسْخِطِهِ بِالرِّضَا وَيَطْلُبُ رَاحَةً مِنْ أُنْعَمِهِ
إِذَا شَفَّ قَلْبِي غَرَامُ الْهُوَى دَعَا بِالنَّعِيمِ لِمَنْ عَزَبَهُ

لابن شكيل في
مدح القاضي
أبي حفص

وكان القاضي أبو حفص هذا كريماً مُدِّحاً ، ومن أجاد فيه الشيخ الأديب
الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي الحَكَمِ يعيش بن علي بن شكيل الصَّدِّيقِ ، من
أهل شَرِيش ، المتوفى سنة خمس وست مئة ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمس
مئة ، وأمداحه فيه كثيرة ، قدَّم قبلها كلاماً نصُّه :

فيه استفرغتُ مَجْهُودِي ، وإليه جلبتُ عُذَّتِي وَعِدِيدِي ، لأنه كان آدِبَ
أهل زمانه غير مُدَاوِعٍ ، وأولاهم بالفضل غيرَ مُنَازِعٍ ، لتَحْلِيهِ بالتواضع في الجلالة ،
والبشاشة في الجزالة ؛ ووردتُ عليه غلاماً ، أحسب زَنْدِي سُخَاماً ^(١) وَحَدَّثِي
كَهَاماً ، فتلقَى نَزْرِي بالاستكثار ، ونسب بحري إلى الاستبجار ^(٢) ، وأولى — نَصَّرَ
اللهُ وجهه — من البرِّ لجانبي ، والاستطراف لذهابي ، والثناء على في أُنْدِيته الآهله ،
ومجالسه الحافلة ، ماشهدتُ له بالتبريز ، وخلص معه فكري من تخوف النَّقْدَةِ
الحسدة خلوص الإبريز ، فقدحت فيه زَنْدُ فكري فوزِي ، وفجرت فيه يَنْبوع
شعري فجرِي ، وأطلت فيه إطالة المُفَتَّنِ المَغرِبِ ، وجملت أمداحه نُقْلَةً المشرق
والمغرب ، ومع ^(٣) ذلك لم أنهض إلى عزه أعزّه الله حياً وهابطاً إلى خُطَّةِ القضاء ،
فأتى مع ^(٣) سن الشَّيْبَةِ إلى رتبة مشيخة العلماء ، فِرَاسَةً منه وتَوْشِماً ، واسترواحاً

[٤٨٦]

(١) كذا في م . والسُخَامُ : الريش اللين تحت ريش الطير . وفي ط : « سجاما » .

(٢) كذا في ط . وفي م . « ونسب غدي إلى الاسجار » . وهو تحريف .

(٣-٣) في الأصلين تحريف ظاهر في هذه العبارة ، ولم نوفق إلى تصويبه .

للنجابة وتوتها ، إلا أن البلد التي استعمل^(١) فيها كانت خشنة المبارك ، فكننت
أَتَقَلَّى فيها على جر الفَصَى ، وأخاطبه بما لو أُلْقِيَ على الحجر لانفجر ، وكانت
الأناة غالبية على طِبَاعِه ، وجائلة على نظره وسماعه ، وكان مع ذلك مكدودا
بالشفاعات ، ومضيِّقا عليه في الجهاد والطاعات ، فخلعت عن عاتق نجاد تلك الخُطَّة ،
ودار فَلَكٌ أَمْرِي على غير تلك النُقْطة ، وهو — عفا الله عنه — يقابل تعوُّقِي^(٢)
بالانبساط ، وفترتي بتجديد الإنشاط ، انبساطا للأمكنة والأزمنة ، فقطع عليه
غرضه تأخُّرُه عن الخُطَّة ، فاقطعت عنه امتداحا ، ولا نسيت أيامه حينئذ
وارتياحا . ثم أُعيد إلى الولاية ، فعدت إليه ، وقد أتى الهرم والشفم عليه ،
فعاقت منيته عن بلوغ الآمال ، وسَلَبَتْنيهِ عِلْقًا نفيسًا لِمَا تُخَلِّفُهُ الأَيَّامُ واللَّيَالِ^(٣) :

يامن لصبح الشيب كيف تنفَّسَا	فِي لِمَتِي فَأَجَابَهُ لَيْلُ الأَسَى
لَا تَحْسَبَنَّ سَوَادَ شَعْرِي نِعْمَةً	لَكِنْ كَسْتَهُ هُمُومٌ قَلْبِي حِنْدَسَا
إِلَّا يَكُنْ شَابَ العِذَارِ وَلَا انْحَنِ	ظَهَرِي فَقَدْ شَابَ القَوَادِ وَقَوَّسَا
إِنِّي لَا غَضِي مُقَلَّتِي عَنْ لَأْمِي ^(٤)	وَأَرَى ابْتِسَامِي مِنْ ضَمِيرِي عَبَسَا
وَيَلِينْ قَلْبِي لِلخَلِيلِ مَوَدَّةً	فَإِذَا أَحْسَ هُزِيمَةً يَوْمًا قَسَا
وَأَجِيلْ لِحَظِي فِي المُنَى شَغْفًا بِهَا	وَأَجَلُّ شَوْقِي عَنْ لَعَلٍّ وَعَنْ عَسَى
مَالِي أَرَى المَالَاتِ عُدْنَ هَوَادِجَا	وَلِهَذِهِ الأَضْلَاعِ صَارَتْ مَكْنِسَا
طَوِيَّتْ عَلَى بَيْضِ الدُّمَى فَتَكَانَسَتْ	فِيهَا ظَبَايَا يَرْتَعِينَ الأَنْفُسَا
فَهِيَ الدَّرَارِي فِي المَوَاجِرِ خُنَّسَا	وَهِيَ الجَوَارِي فِي المَوَادِجِ كُنَّسَا
يَطْرُقَنَّ أَمْوَاةُ الفَلَاةِ تَعَرُّبًا	وَيَرْدَنَّ نِيرَانُ الضُّلُوعِ تَمَجُّسَا

(١) في العبارة غموض وتحريف كثير . (٢) التسوق : التثبط عن الأمور .

(٣) زادت ط بعد هذا : « فقال » ولعله يريد : « قلت » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « العدى » .

فبين جائلة الوشاح تنفست زارت كما زار الخيال تسترا
حذرت من الرقباء^(١) حول طرافها ملّت بطاريق الرجال وشاقها
زعمت فتاة الحى أنى مملوق باتت شهيجها وساوس حليها
بكرت تلومك فى الندى كندية يابنت عمى هل سمعت بما جد
لا تحسى أكل المرار عميدنا أذهلت عن غفبي الندى إن الندى
عقر الطيبة للعدارى ربها لم ينس^(٢) مبيتا بالكلاب وربما
ونسيت حجرا يوم هيج بالعصا هبطت كواهل ملسه من كاهل
فلئن أيرت مالك أو كاهل قد كان ملك فى كنودك والندى
كلوك جيش^(٣) كلما وطئوا الثرى واطودها السلمى قاضيه الرضا
فزهى النسيم أريجها فتنفسا زارت كما زار الخيال تسترا
عطت كما يعطو الغزال توجسا فانت تجر على الثراب السندسا
صغلوك حتى ليس يبقى منفسا أرايت إملاقى لجدى مر كسا
حتى إذا الصبح المنير تنفسا صدقية تنمى السكون وأشرسا
يئسكين أوتى الذم أطم أو كسا غرنا ولكن غرة وتغطرسا
ليرد وحشى المنى متانسا فأبيح ثغرا من عنيزة أو مس^(٤)
قد ضاق ذرعا أن يفوه فيلبسا أسدا ومن هاج الأسود تفرسا
أبدا أصابت منه يوما أنحسا فلقد أبارت منه قرما أحسا
فى ظبيقة فتفردا وتقيسا وأظن^(٥) أن لها الثرى والأشمسا
كرم وجود يُنطقان الآخرسا

[٤٨٧]

(١) فى الأصلين : « الوجناء » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) يقال أومس لمن يريد : إذا لان وسهل . وفى ط : « ألسا » . وفى م « أونس »

والروايتان محرفتان عما أثبتناه . (٣) فى ط : « لم يس » .

(٤) كذا فى ط . وفى م : « قيس » .

(٥) كذا فى م وفى ط يياض موضع : « وأظن » . وفى هذا البيت والذى قبله غموض .

شَهِدَتْ لَهُ أَصْحَابُهُ وَعِدَاتُهُ حَتَّى الْغَنَامُ إِذَا هَمَّى وَتَجَسَّأَ
قَسَمًا لَأَنْدَى بِالْنَدَى وَاعْتَادَهُ ^(١) فِينَا فَسَارَ مَعَ الرِّكَابِ وَعَرَّسَا
وَكَسَا الْوَرَى الْعَدْلَ الْمُبِينَ ^(٢) وَقَبْلَهُ سَلَبُوا بِمَجَورٍ وَلَاتَهُمْ تِلْكَ الْكُتَا
وَأَعَدَّ أَقْدَارَ الْأُمُورِ بِحَزْمِهِ ^(٣) وَرَمَى بِهِ غَرَضَ الْخُطُوبِ فَقَرَّطَسَا
وَاتَتْهُ ^(٤) اللَّبِيتُ الرَّفِيعُ عِمَادُهُ عَمَدٌ لَهُ مَجْدًا وَعِزًّا أَقْعَسَا
قَالُوا بَنُو ثُعَلٍ : نَفْسَتَ مَكَارِمًا تُعْزَى لِحَاتِمَهَا، قُلْتُ : وَمَا عَسَى ؟
جِيشُوا بِوَاحِدَةٍ لِحَاتِمِ طَيِّهِ مِنْ هَذِهِ وَطَلَّى أَلَّا أَنْفَسَا
أَوْ سَاتِلُونِي فِي الْأَنَامِ سِوَى أَبِي حَفْصٍ فَهَلْ تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْدِسَا ^(٥)
أَوْ فَاحِلُوا بَعْضَ الَّذِي هُوَ حَامِلُ لِيُرِدَّكُمْ مِنْهُ يَلْمَلُمُ قَدْ رَسَا
النَّاسِ أَشْبَاهُ وَلَكِنْ بَيْنَهُمْ فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الذَّوَابَةِ وَالنَّسَا
أَحْسِبْتُمْ كُلَّ امْرِئٍ غَمَرَ الثُّنْدَى مَا كُلُّ بَيْتٍ بِالشَّامِ الْمَقْدِسَا
يَا خَجَلَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَقَدْ رَأَى عُمَرَا بِأَنْوَاعِ الْجَلَالَةِ مُلْدَسَا
لَوْ يَسْتَطِيعُ لَجَاءَ مُقْتَبِسَا لَهَا مِنْ أَفْقِهِ وَإِذَا لَصَادَفَ مَتَبَسَا
خَابَ امْرُؤٌ يَرْجُو نَدَاهُ غَضَاضَةً إِلَّا الْكَفُورُ فَإِنَّهُ قَدْ أَبْلَسَا
طَيِّبَتْ أَفْوَاهَ الرُّوَاةِ بِمَذْحِهِ فَكَأَنَّ عَطَارًا يُضْمَخُ مُعْرِسَا
وَعَلَوْتُ قَدْرَ النَّاطِقِينَ بِشُكْرِهِ وَلَنْ تَمَادَى فِي نَدَاهُ لِأُخْرَسَا
يَا وَاحِدَ الْعُرْبِ ^(٦) الَّذِي لَوْ صُوِّرَتْ طِرْفَا عَتِيقًا كَانَ مِنْهُ الْقَوْنَسَا
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلْأَمَانِي الْعُرِّيِّ فِي ظَلَمِ الزَّمَانِ السَّوِّءِ أَخْشَى بُونَسَا

(١) في م : « قسم الأيدي » ولعله محرف عما أثبتناه . وليس في ط من هذا الشطر

غير كلمة « قسما » . (٢) كذا في ط . وفي م : « المتين » .

(٣) هذا الشطر في الأصلين : « وأعد أقران الأمور بخدمة » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٤) في م : « وأنه » ... البيت . ولعله محرف عما أثبتناه . وصدر البيت ساقط في ط .

(٥) يريد : مذهبا . وفي ط : « هدسا » . وهو تحريف . (٦) في م : « الغرب » .

إِنْ يَلْتَقِمَ نُونُ^(١) الْحَوَادِثِ مَطْلَبِي فَاْمُدُّ لَهُ يَظْطِيقَ جُودَكَ مَلْبَسًا
أَنْتَ الرَّوَاهُ^(٢) إِذَا تَعَذَّرَ مَوْرِدٌ وَالْمَاءُ إِنْ كَدَّرَ الرَّجَاءُ فَأَيَّامًا^(٣)
وَالْعَجْزُ أَنْ يُرْجَى سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَخْشَى نَبَاتَ الرِّوْضَةِ الْمُتَخَلِّسَا^(٤)
فَلَأَنْتَ أَنْفَسُ عُقْدَةٍ مَذْخُورَةٍ لَمْ لَا أَصُونُ عَنِ ابْتِدَالِي الْأَنْفَسَا
انتهى .

قال صاحبُ الإِشَادَةِ العَرَفِيُّ المَذْكُورُ :

ثناء العلماء على
القاضي أبي حفص

القاضي أبو حفص من مفاخر المغرب ، لم يذكره أحد من لِقِيَّهِ^(٥)
وتعرض لذكره ، إلا أطنب في الثناء عليه ، ووصفه بالعلم والفضل ، والعدل في
القضاء ، مع براعة النظم والنثر ؛ ويكفي من ذلك ثناء المحدث أبي عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن التَّجِيبِيَّ ، نزيل بِلْسَانَ عليه ، وقد ذكره في شيوخه فقال :
ونقلته من خط الشيخ الفقيه الأجل ، الكاتب المجيد ، الحبيب الأديب ،
الأرفع الأكل ، القاضي المُسَدِّد ، الموفق الأعَدَل ، أبي حفص . ثم قال :
لِقِيَّتُهُ بِبِلْسَانَ حَرَسَهَا اللَّهُ ، قَدِمَهَا عَلَيْنَا قَاضِيَا ، فَشَمَلَ أَهْلَ الْبِلَدِ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ
بِفَضْلِهِ^(٦) وَأَدَبِهِ وَعَدْلِهِ ، وَإِجْلَالِهِ وَإِكْبَارِهِ وَحَسَنَ خُلُقِهِ ، لَا سِيَّامَا مَعَ طَائِفَةِ
الطَّلَبِ ، وَأَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِسْبِ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْهُمْ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ،
فَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ إِلَّا فَاضِلٌ ، وَلَا يُكْرِمُ النَّاسَ إِلَّا كَرِيمٌ ، وَكُلُّهُ يَمِيلُ إِلَى
جَنَسِهِ ، وَمَا هُوَ مِنْ طَبْعِهِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ ، وَأَجَادَ فِي مَقَالَتِهِ ، وَأَحْسَنَ

(١) في م : « حوت » .

(٢) في ط يابض في موضع هذه الكلمة . والرواء : الماء الكثير .

(٣) في ط يابض في موضع هذا الشطر .

(٤) في القاموس : أخلى نبات إذا اختلط رطبه يابسه . تقول : ليله أراد تشبيه

أولاده بنبات جف بعضه وبعضه لا يزال غصنا .

(٥) في م : « لقيته » . (٦) في م : « فضله » .

القول : « ما عبّر الإنسان عن فضله ، بمثل ميله إلى أهله .

وذلك منظوم في قول الشاعر :

[٤٨٩] وما عبّر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وإن أخصّ النقص أن ينفي الفتي قذّي النقص عنه بانتقاص الأفاضل

وامتثل رضى الله عنه قول الآخر: « اصحبوا الناس صحبة إن عشمتم | معها ^(١) »

حنّوا عليكم ، وإن مُثّم بكّوا عليكم . واستعمل ما قاله الشاعر ^(٢) في كلمته ،

ونظّمه في قافيته :

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

فَقَعَلَ والله ذلك أيام كونه بتلمسان ، واستعمله بطبعه وطبيعته ، وخلقِه

وخلِيقته ، إلى أن نقله الخليفة إلى قضاء فاس ، فلا تسأل عما أصاب الناس

والإخوان من فقدته ، وفقد أدبه وعلمه ، فذِكرُه الطيّب ، والثناء الجليل ، باقيان

عليه إلى الآن بتلمسان ، وهو مستقرٌّ في غيرها من الأوطان .

وكان أبو حفص رحمه الله حسن الخلق والخلق ، مليح الخط ، فصيح الخطابة

والكتابة ، وكنتُ إذا رأيته تمثّلتُ عند رؤيته والنظر إليه ، بما أنشدنا شيخنا

الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني ، رضى الله عنه ، في مدح هادي بن إسماعيل :

لهادي بن إسماعيل خلّاتُ أرْبَعُ بهنّ غدا مستوجبا للإمامة

خطاب ابن عبّادٍ ، وخط ابن مقلّة وخلق ابن يعقوب ، وخلق ابن مامة ^(٣)

(١) زيادة تحتاج إليها الجملة الوصفية ، ولعلها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) البيت من مقصورة أبي بكر بن دريد . (٣) ابن عبّاد هو الصاحب إسماعيل

ابن عبّاد وزير آل بويه ، كان من رءوس البلاغة في عصره . وابن مقلّة من أشهر وزراء الدولة العباسية ، وبخطه يضرب المثل في الحسن . وابن يعقوب : سيدنا يوسف عليه السلام ، وهو مثل في جمال الصورة ، وكعب بن مامة : أحد أجواد العرب .

وأشده رضى الله عنه البيتين ، فاستخسهما وشكر لى ذلك ، وكان لى من برّه وتأنيسه وبشره حظّ جزيل ، وقسم كبير ، ورغب إلى أن أكتب له بخطى بعض ما عندى من أخبار الصالحين ، وأئمة المتقين ، وأولياء الله المطيعين ، فكتبت له من الأحاديث العظيمة العلمية ، والأشعار الحكمية ، ما أمكننى ، فسُرّ بذلك ، وشكر عليه ؛ ولما أتى مدينة فاس ، صار يُرى ذلك أوداءه وأحبابه ، ويشكر عليه ، ويُثنى خيرا ، بارك الله تعالى فيه . ثم قدّر الله تعالى بوصولى بعد انفصالي عن مدينة فاس ، وتوليته لقضاء أغمت ، إلى حضرة مرّاكش ، حرسها الله تعالى ، [٤٩٠] وكان بالحضرة المذكورة ، فسمع بذلك ، وكنت نزلت بفندقٍ من فنادقها ، يقال له فندق السكر ، فوصل إليه ، واجتمع بى ، فدعوت له وشكرت ، ثم أولانى من برّه وتأنيسه ما عهدتُ قبلُ منه ، وزاد عليه ، ورغب فى الوصول إليه إلى أغمت ، فوصلت إليه بعد ذلك ، فرحب ومهّل وأزّال ، وأثنى على عند الأصحاب والإخوان خيرا ، وقال ما يصدر عن مثله ، فالعنصر الطيب لا يخرج منه إلا طيب ، وكنت معه فى داره فى خصب وسعة ، وطلاقة وجه ، وحسن خلق ، وطيب حديث ، وكريم مُشاهدة ومناشدة ، لنفسه ولغيره .

انتهى ما قصدتُ جلبه من كلام صاحب الإشادة ، المنقول عن التّجيبىّ نزيل تلمسان ، رحم الله الجميع .

ولنجعل آخر نظم القاضى أبى حفص رحمه الله قوله :

العلم يكسو الحلل الفاخرة والعلم يُحمي الأعظم الناخرة
كم ذنب أصبح رأسا به ومذنب أبغره زاخرة^(١)

(١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط ، م : « ومذنب أبغره آخره » . وهو تحريف .

ما شَرَفُ النَّسَبِ إِلَّا التَّقَى أَيْنَ تَهِيمِ الْأَنْفُسِ الْفَاخِرَةِ
مَنْ يَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ التَّقَى تَرْجِعُ عَنْهُ نَفْسُهُ دَاخِرَهُ ^(١)
أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا تَكُنْ سَيِّدًا بَلْ مَلِكًا فِيهَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَبَيْتِ الْعَرْفَيْنِ ^(٢) ، الَّذِينَ مِنْهُمْ صَاحِبُ الْإِشَادَةِ بِسَبْتَةِ — أَعَادَهَا اللَّهُ ^(٣) —

بيت العرفين
أصحاب سبته

مشهور ، وكانت لهم الرياسة بها مدة ، ثم أعقب الدهرُ جدَّتَها بِالْبَلَى ، ثم كل شيء فان ، ولا يبقى إلا الواحد الذي ليس معه في ملكه ثان .

أبو القاسم العزفي

وأبو القاسم منهم هو الذي تأمَّرَ ورأس سَبْتَةِ . وهو أبو القاسم محمد بن القاضي المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسين ، بن الفقيه الإمام عليّ (المعاصر لابن أبي زيد) ، بن محمد بن سليمان بن محمد ، الشهير بابن أبي عَزَفَةِ اللَّحْمِيِّ . ينتهي نسبهم إلى قَابُوسَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ . وكان قيامه بِسَبْتَةِ ليلة سيع وعشرين من رمضان ، من عام سبعة وأربعين وست مئة ، في دولة المَرْتَضَى الْخَلِيفَةِ بِمَرَّأَشُ ، وقتل وإلى سَبْتَةِ أبا عثمان بن خالد تلك الليلة ، وملك طنججة ، ودخل أصيلاً ^(٤) ، وهدم [٤٩١] سورها ، وَوُفِّيَ بِسَبْتِهِ يوم الخميس الثالث عشر من ذى الحجة من عام سبعة سبعين ست مئة وله سبعون سنة . وكانت دولته ثلاثين سنة وشهرين وستة عشر يوما ، من شَهْدَةِ ^(٥) بين كتفيه ، مرض بها واحدا وعشرين يوما ، وكان مولده بسبته في منتصف شوال عام سبعة وست مئة .

(١) كذا في م . وفي ط وجذوة الاقتباس : « داحرة » .

(٢) ضبطنا لفظ « العزفي » في الجزء الأول بسكون الزاي ، والصواب بفتحها ، فليصحح .

(٣) يدعو المؤلف لمدينة سبته أن تمود إلى يد المسلمين ، لأنها كانت قد سقطت في يد الأسيبان عند تأليفه هذا الكتاب .

(٤) مدينة بالمغرب قرب طنججة ، ويقال فيها أيضا : أزيلا . وليس بمد الهززة ألف (انظر تاج العروس في مادة أصل) .

(٥) الشهدة بلسان المغاربة : دمل كبير ، ولطه ما يسمى الآن في مصر بحجرة السكر .

بعض تأليف أبي
القاسم العزقي

وهو الذي أكمل « الدر المنظم » ، في مولد النبي العظيم » ، من تأليف أبيه أبي العباس رحمه الله .

ورأيت على نسخة كتبت في حياته أول الكتاب المذكور ما نصه :

قال سالك سَنَنَ السُّنَّةِ ، القائم من أعمال البرِّ بما يضيق عنه وُسْعُ المِنَّةِ ، المعتصم بحبل الله القوي المتين ، العتمد على لطفه الشامل وفضله العيم المبين ، الشيخ الفقيه الأجل ، العلم الأكمل ، أبو القاسم بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العالم ، علم العلماء العاملين الْمُتَّقِينَ ^(١) ، ونُخْبَةُ الْفُضَلَاءِ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ ، أبي العباس أحمد بن الشيخ الفقيه القاضي العالم المحدث ، أبي عبد الله اللّخمي ، ثم العزقي ، من أهل سَبْتَةِ حَرَسَهَا اللهُ ، وأجزل قَسَمَهُ من عفوه ورضاه ، وأنجح عمله وقوله وقصده . وجعل في ذاته وسبيل مرضاته صُدُورَهُ وَوَرْدَهُ . انتهى .

وفي موضع آخر من هذه النسخة ما نصه :

السُّفَرُ الْأَوَّلُ من كتاب « الدر المنظم » ، في مولد النبي العظيم ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ .

لما شرع في تأليفه ، ومات ولم يكمله الشيخ الفقيه الصالح ، علم العلماء ، ونُخْبَةُ الصَّالِحِينَ الْفُضَلَاءِ ، أبو العباس أحمد ، بن الشيخ الإمام الفقيه ، الصالح القاضي ، العالم المحدث ، المُقَدَّسُ المرحوم ، أبي عبد الله اللّخمي ، ثم العزقي السبتي ، رحمه الله ، ورضي عنه ، ونُصِّرَ وجهه ، وأجزل ثوابه ، أكمله بعده ، وأوضح فيه قصده ، ابنه الشيخ الفقيه الأفاضل ، العلم الأوحد ، السني السبتي ، المبارك الأكمل ، أبو القاسم ، أدام الله عافيته ووفقه ، وشرح صدره ، وختم بالكتاب والسنة ديوان عمله [٤٩٢] الصالح وعمره ، يذكر فيه بعض ما خصَّ الله تعالى به نبيّه صلى الله عليه وسلم ،

وَفَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَأَخَّرَ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ تَقَدَّمَ ، وَمَا امْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ ، فِي أَنْ جَعَلَهُ أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَهُمْ أَفْضَلَ الْأُمَمِ ، مِنْ بَيْنِ وَلَدِ آدَمَ ، لِيَتَّخِذُوا مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ مُوسَى ، يَتْرُكُونَ ^(١) بِهِ مَا كَانُوا يَقِيمُونَهُ مِنْ أَعْيَادِ النَّصَارَى وَعَوَائِدِهِمْ ، الَّتِي يَجِبُ لِمَغَانِيهَا أَنْ تُعْطَلَ ، وَلِمَبَانِيهَا أَنْ تُهْدَمَ . اِنْتَهَى .

وَكَانَ الرَّئِيسُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَذْكُورُ كَتَبَ خَطَّهُ بِالْإِجَازَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلْخَطِيبِ أَبِي عَلِيٍّ ، بْنِ الْخَطِيبِ أَبِي فَارَسٍ بْنِ غَالِبِ الْجُمُحِيِّ ، مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ سَبْتَةِ وَأَعْيَانِهَا ، حِينَ قَرَّعُوهُ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَبْتَةِ ، فِي شَهْرِ ربيع الثاني ، مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، قَائِلًا :

أُجِزَتْ لَهُ بِحَقِّ رَوَاتِي لِمَا فِيهِ عَنْ أَبِي ، وَمَشَارَكْتِي لَهُ فِي تَأْلِيْقِهِ ، عَلَى حَكْمِ الْإِجَازَةِ وَشَرْطِهَا ، وَحِجَّةِ الرِّوَايَةِ ، عَاشَرَ الرَّبِيعِ الْمَذْكُورِ . اِنْتَهَى ، وَبَعْضُهُ بِالْمَعْنَى . وَنُسِبَتْهُمْ إِلَى لَخْمٍ لَا مَدْفَعَ فِيهَا عِنْدَ الثَّقَاتِ ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهُمُ الْأَكْبَارُ ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْخَطِيبِ فِي الْإِحَاطَةِ ، نَقَلَ عَنْ « الْكِتَابِ الْمُؤْتَمَنِ » ، فِي أَنْبَاءِ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ « مَا نَصَّهُ : وَتَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ سَبْتَةِ أَنَّ أَصْلَهُمْ مِنْ مَجَكْسَةِ مِنَ الْبَرَبَرِ ، فَيَقُولُونَ : مَا لِللَّخْمِ وَمَجَكْسَةٍ ؟ وَهَذَا مُوَكَّلٌ إِلَى قَائِلِهِ ، إِذْ لَا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِيهِ . نَعَمْ ، الْإِنْصَافُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ عُرِفَ بِالْأَصَالَةِ فِي الْمَغْرِبِ الْآخِصَى ، وَلَمْ يُعْلَمْ لآبَائِهِ قَدُومٌ مِنَ الْمَشْرِقِ ، حَيْثُ جَرَاثِمُ الْعَرَبِ ، وَلَا قَدُومٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، حَيْثُ أَبْنَاءُ الْعَرَبِ ، وَانْتَسَبَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى قَبِيلَةٍ ^(٢) ، فَلَا بَدَلَ مِنْ الْاسْتِظْهَارِ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِلَّا كَانَ مَا أَتَى بِهِ مَظَنَّةٌ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ : إِمَّا لِكَوْنِ سَلَفِهِ مِنَ الْمَوَالِي ، فَانْتَسَبُوا إِلَى سَادَاتِهِمْ ، إِذْ يَجُوزُ لِمَنْ كَانَ مَوْلى عَرَبِيٍّ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى قَبِيلَةِ سَيِّدِهِ ؛ وَإِمَّا لِلْكَذِبِ . وَهَذَا أَعْدَلُ مَا يُقَالُ . اِنْتَهَى .

نسبة الغزفيين
إلى لخم

(١) فِي ط : « يَتْرُكُونَ » . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « قَبِيلَةُ الْعَرَبِ » ، وَنَظَنُّ أَنْ كَلِمَةَ الْعَرَبِ هُنَا زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ، أَوْ أَنَّ الْأَصْلَ « قَبِيلَةُ مِنَ الْعَرَبِ » .

ونقله في الإحاطة في ترجمة الفقيه المشارك في الطلب والأدب ، أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي عزقة اللخمي^(١) . وإلى الله ترجع الأمور .

وكان الرئيس الفقيه أبو القاسم العزقي المذكور فقيها أصوليا ، نحويا ، لغويا ، محدثا ، عارفا بالرواية ، شاعرا ، مجيدا .

فمن نظمه في آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ذُرِّيَّةُ الْمُصْطَفَى إِنِّي أَحْبَبُّكُمْ وَحُبُّكُمْ وَاجِبٌ فِي الدِّينِ مُفْتَرَضٌ
فَلَيْسَ يُفْضَلُكُمْ ، لَا كَانَ بَاغِضُكُمْ ، إِلَّا أَمْرٌ مَارِقٌ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَحَسْبُكُمْ شَرْقًا فِي الدَّهْرِ أَنْكُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ هَذَا لَيْسَ يُعْتَرَضُ
وَلَسْتُ^(٢) أَطْلُبُ مِنْ حَبِي لَكُمْ ثَمْنَا إِلَّا الشَّفَاعَةَ فِيهِ السُّؤْلُ وَالْغَرَضُ

ولما توفى رحمه الله تعالى قام بعده بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ، ثم خُلع وتولى أخوه أبو طالب عبد الله ، في سنة ثمان وسبعين وست مئة ، وخُلع ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة خمس وسبع مئة ؛ فكانت دولته سبعة وعشرين سنة ، وتوفى بفاس مخلوعا عام ثلاثة عشر وسبع مئة ، وله خمس وسبعون سنة . والذي خلعه الأمير فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر^(٣) ، دخل عليه سبعة عتوة في الليلة المذكورة ، وقبض عليه .

ثم تولاها الأمير يحيى بن الأمير أبي طالب ابن أبي القاسم ، ويكنى أبا عمر ، وبويع بسبعة عام عشرة وسبع مئة ، وخُلع في سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكانت دولته الأولى هذه سنة وستة أشهر . وبويع ثانيا بسبعة في سنة أربع

(١) بحثنا عن هذه الترجمة في جزأى الإحاطة المطبوعين بمصر سنة ١٣١٩ فلم نجد بهما ترجمة لأبي إسحاق إبراهيم العزقي .

(٢) في الأصلين : « وليس » .

(٣) في ط : « أحمد » وهو تحريف (انظر الاستقصا للسلوى ص ٥٤ ج ٢) .

عشرة وسبع مئة ، وتُوُفِّيَ بها في ظهر يوم السبت السادس لشعبان سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وكانت ولادته بهافي رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة . وكان فقيها فاضلا ، جميل الوجه ، شجاعا ، بطلا ، عارفا بالأصول ، والفقه ، والمنطق ، والعربية ، واللغة ، والحديث ؛ وقيل أنه أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزقي ، [٤٩٤] وجند الجنود .

محمد بن يحيى
العزقي

ثم ولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى ، وبويع بعد أبيه في شعبان ، من عام تسعة عشر وسبع مئة ، وخلع في صفر سنة عشرين وسبع مئة ، فكانت دولته ستة أشهر ، وتُوُفِّيَ بفاس وهو كاتب الحضرة المرينية ، ليلة السبت حادي عشر صفر ، عام ثمانية وستين وسبع مئة ، وله ثمان وستون سنة . وولد بسبته في شوال ، عام تسعة وتسعين وست مئة . وكان فقيها شاعرا مكثرا ، مليح الفكاهات ، وشاحا ، وقد بَرَزَ أهل زمانه في الموشحات ؛ وقد حُكِيَ عنه أنه أراق الدواة في محفل جليل ، فقال بديهة :

ألا يا كرام الناس غَضُّوا جفونكم فإني من الفعل القبيح مُرِيبُ
هَرَقْتُ دَوَاةً وهي كالكَأْسِ بينكم وللأرض من كأس الكرام نصيبُ
وكان مُولعا في نظمه بالتورية .

وعزم السلطان أبو عنان لما أخذ قُسْطَنْطِينَةَ على استعماله بها ، فبكي لبعد الشقة عن ولده وبلده ، فتركه . وهو آخر المذكورين من هذا البيت . رحم الله الجميع .
وصاحب الإشادة المتقدم الذكر ، هو عم أبي القاسم محمد بن يحيى هذا ، لأن صاحب الإشادة كما أسلفنا ، هو عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد ، وهذا محمد بن يحيى بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد . وقد عَرَفَ في إشادته بابن خبازة ، ورأيت أن أذكر بعض ذلك ، فنقول :

صاحب الإشادة
من بني العزقي

تعريف الإشادة
باب خبازة الشاعر

هو أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطّابي ، نسبة إلى قبيل من صنهاجة ،
الذي بقطر فاس ، ويعرف بابن خبّازة ، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور نان خبّازة .
عرّف به أبو عبد الملك المرّاكشي فقال : كان بارع الخط ، وكان من أكبر
أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ، ناظما أو ناثرا ، مع الإجادة التي لا تجارى ،
والتفنن في أساليب الكلام ^(١) مغرّبه وهزله ^(٢) ، على اختلاف اللغات . تطوّر ^(٣)
كثيرا وتصف ، ونسك ووعظ ، وكان في آخر عمره جانحا إلى امتداح ملوك
عصره ، فكان يأتي في ذلك بما لم يُسمع بمثله ، ولا يُطمع في لحاقه ، بسرعة
ارتجال ، وحسن افتنان ، وسُرعة امتثال ، وله في ذلك ^(٤) أخبار غريبة عريقة . [٤٩٥]
وولي بأخرة حسبة ^(٥) الطّعام ممرا كُش .

وذكره أبو عبد الله بن الأثير ^(٦) في التُّحفة ، فيمن لم يجد له غير الهجاء ،
وظلمه ، كما أثبت أبو بكر بن رفاعة الشّريشي ، وقد شهد فيه في كتاب التكملة له ،
بما يخالف ذلك ، وكناه أبا سعيد ، وذكر أنه لقيه بإشبيلية ، وسمع منه بعض
كلامه في غير ذلك بمالقه ، وتوفّي برباط الفتح ، في أول سنة سبع وثلاثين
وست مئة .

وأنشد له من قصيدة :

وَجَدَ النُّبُوَّةَ حُلَّةً مَطْوِيَةً لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلْقُ نَسْجَ مِثَالِهَا
فَأَمَرَ حَسَنًا فِي ارْتِفَاءِ يَدْنِي بِمَحَالِهِ نَسْجًا عَلَى مِثْلِهَا
وَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَهَا بِمَرَاكُش . انتهى .

(١ - ١) كذا في ط . وفي م : « معربة وهزلية » ، وفي جذوة الاقتباس والنبوغ

المغربى : « هزله وجده » . (٢) في الأصلين « تطورا » .

(٣) في ط : « أمثاله في ذلك » . وفي م : « أمثاله في ذلك » ولعله محرف عما أثبتناه ،
يريد أنه سريع تصور المعاني .

(٤) كذا في جذوة الاقتباس والنبوغ . وفي م : « مشيخة » ، وفي ط يياض في
هذا الموضع . (٥) كذا في م ، وفي ط « أبى » ثم يياض بعدها يسم كلتين .

قال صاحب الإشادة : قال هذه القصيدة ^(١) في المأمون بن المنصور ، حين تبرأ من إمامهم المهدي ، وأبدى مساوئيه ^(٢) ، وأسقط اسمه من الخطبة ، وهو المعنى بقوله : « وَجَدَ النُّبُوَّةَ حُلَّةً مَطْوِيَةً » .

وقد كتبَ عن أبي عمرو هذا كثيرا من شعره أبو عمرو بن سالم بن صالح النهرواني الملقب ، الأديب المقيد الضابط ، وتاريخ إجازته إياه سنة أربع وست مئة . ومات ابن سالم قبله بست عشرة سنة .

ومن شعره ، أي أبي عمرو المذكور ، يرثي أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد الملك ، بن الحافظ أبي بكر بن الجَدِّ ، ويُعزى أباه عنه ، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها ، وكانت حينئذ حاضرة الأندلس :

قصيدته في رثاء
ابن الجَدِّ

أرجة الصَّعَقِ يوم النْفَخِ في الصُّورِ	أم دكة الطَّودِ يوم الصَّعَقِ في الطُّورِ
أم هُدَّتِ الأرضَ إظهارًا لما زَجَرَتْ	به الخليفةَ من إيقاعٍ محذورِ
أم السَّكواكُ في آفاقها انتثرتْ	وباتت الشمسُ في طَيِّ وتكويرِ
ما لانهار تعرَّى من ثياب سَنَى	وأشبهَ الليلَ في أثواب دَيجورِ
قد كان للصُّبْحِ طَرف زانه بَلَقَ	فقسم الخلق بين الدَّجَن والنورِ
فما المُلِمُّ الذي غَشَى بدْهته	أديمه عَنبرًا من بعد كافورِ
أصْحَحْ لتسمعَ من أنبائها نبأ	يطوى من الأنس فيها كل منشورِ
وانظر فإن بني عَدْنان ما حُشِرُوا	إلا لرُزْءٍ عظيم القدر مشهورِ
وَأَفَى مع العيد لا عادتْ مَضاضته	فشاب سَلْسالَه الأصفى بتكديرِ
واعتام دارًا لها في السبق جمهرة	من الفاخر أزلت بالجماهيرِ

(١ - ١) تكرر ذكر هذه العبارة في طهنا وقبل البيت مباشرة ، فأثبتنا العبارة مرة واحدة كما في م .

رمى قريشاً فأصمى منهمُ حادثه
 فخافها الجدُّ في ابن الجدِّ حين قضى
 لله والمجد ما أبقاء من أثر
 نُوَّارَةٌ عندما راقَتْ بدوحتها
 جار الذبول عليها بعدما ملأتْ
 وسيتُ بأس لكسر الخطب أغمدَه
 قضى فوافقَ شهرَ الصوم مرتحلاً
 واختاره خاطب الخطب الملمَّ به
 فسار للحين مسروراً وخلفنا
 نادته أنجشة الأحزان يوم حدا
 فالوجد والدمع من حُزن قد اقتسما
 فالقلب بالغىظ في تصعيد مستعير
 وسائق الخطب يشدو الحاملين به
 وللملائك في آفاقها زجل
 أثنى المصاب على شيخ الجزيرة في
 وهي طويلة جدا ، ومنها :

مُقدِّمات الليالى طالما فضحتْ
 جمعُ السَّلامة معدوم الوجود بها
 وعامل الموت قد أحصى مهندسُه
 والأرض طِرس وهذا الخلقُ أحرفه
 نتأجُّ الغدر منها كلٌّ مغرور
 وكَم بها للرَّدى من جمع تكسير
 منازل العمر عدداً دون تكسير^(١)
 والحرف ما بين محوٍ ومبتور

(١) لم نجد هذا البيت في جذوة الاقتباس ، مع أنه روى القصيدة كاملة .

والدهرُ يُعْرِبُ بالأفعال يُظهرها طَوْرًا وَيُعْجِمُ منها كل مسطور [٤٩٧]
وإنما الخلق أسماءُ تعاوَرَهَا إِعْرَابُهُ بين مرفوع ومجروح
وكلهم في مَدَى الأعمار تحسبهم كحَالهَا بين ممدود ومقصور
والموت مثلُ عَرَضٍ يَقْطَعُ من أَيْبَاتِهِمْ كلُّ موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد ^(١) نَفِضْتُ أَيْدَى القادير من إبرام تقدير
هَذِي الحَقِيقَةُ لَا مَا حَدَّثَكَ بِهِ آمَالُ نَفْسِكَ عن دنياك من زور
لَا تَخْدَعَنَّكَ اللَّيَالِي إِنْ فَتَنَتْهَا كَادَتْ فَكَادَتْ تَرِينَا كل محذور
كَمَا بَدَرْتُ ^(٢) بَغْيُوسِ الخُطْبِ من مَلِكٍ قَدْ ^(٣) بَاتَ بالبشر وَضَّاحَ الأسارِيرِ
سَائِلُ بِكسرى مَلِكِ الفُرسِ هل تَرَكْتُ لَهُ المُنَايَا جَنَاحًا غَيْرَ مَكْسُورٍ
وَأَنْزَلَ بَصْنَعَاءَ فِي قَصْرِ ابْنِ ذِي يَرْزَنِ نُتْلِمُ بِقَصْرِ عَلَى الْأَغْيَارِ مَقْصُورِ
وَأَعْبُرُ عَلَى حَيْرَةِ الثَّمَانِ مَعْتَبِرًا تَعْبُرُ بِأَطْلَالِ نُعْمَى ذَاتِ تَغْيِيرِ
وَأَيْنَ مِنْ كَانَ سَجَنَ الْجَنِّ فِي يَدِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي قَهْرٍ وَتَسْخِيرِ
وَأَيْنَ مَخْتَرِقُ الدُّنْيَا بِعَزَمَتِهِ يَطْوِي الْبِلَادَ بِهَا طَيَّ الْعَوَامِيرِ
بَادُوا فَلَيْسَ بِهَا بَادٍ يُحْسُ بِهِ مِنْهُمْ وَأَفْنَاهُمْ رَيْبَ الدَّهَارِيرِ
هُوَ الْقَضَاءُ أَبَا بَكْرٍ أُصِيبَتْ بِهِ فَاصْبِرْ وَسَلِّمْ لَهُ تَسْلِيمَ مَا جُورِ
وَاللَّهِ يَحْرُسُ دُنْيَاكُمْ وَيُدْفَعُ عَنْ سَامِي مَعَالِيكَ أَنْوَاعَ الْحَاذِيرِ

وَحِكِي أَنْ الْعَتَصِمَ يَحْيَى بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ الْمُوَحِّدِيِّ ، ضَرْبَ بَظَاهِرِ
مَرَاكُشِ قُبَّةِ حَمَاءَ ، فَبَادِرِ إِلَيْهَا الْعَرَبُ وَالنَّصَارَى مِنْ عَسْكَرِ عَمِ الْمَأْمُونِ ؛
فَقَطَعُوا أَطْنَابَهَا ، فَسَقَطَتْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو هَذَا مِنْ قَصِيدَةٍ :

وله قبة يحيى بن
الناصر الموحدى

(١) كَذَا فِي م وَجذوة الاقتباس . وفي ط : « وكم » .

(٢) فِي ط : « بَاكَرْتُ » . (٣) فِي ط : « كَمْ » .

أَنْظُرْ إِلَى الْقَبَّةِ الْهَرَاءِ سَاقِطَةً
 مِنْ كَانَ أَوْلَى بِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ
 وَإِنَّمَا سَجَدْتُ لِمَا سَمَّتْ وَغَدْتُ
 وَمَنْ رَأَيْتُكَ نَظُمَ أَبِي عَمْرٍو قَوْلَهُ :
 هَبِ النَّسِيمَ ضُحًى فِقَاحَ الْمُنْدَلُ
 أَمْرَى عَلِيلاً^(١) فَاسْتَحْثْ إِلَى الصَّبَا
 يَهْوَى الْعَذِيرَ^(٢) وَسَاكِنِيهِ وَمَنْ لَهُ
 بِأَشَامٍ بَرَقَا بِالْفَضَا إِلَّا أَنْبَرَى
 وَالْبَرْقُ فِي نَقْعِ السَّحَابِ سَيْفُهُ
 فَكَأَنَّ ذَاكَ الْبَرْقَ وَاشٍ قَدْ مَشَى
 وَأَنَا الْفِدَاءُ لَجِيرَةٍ نَزَلُوا الْحِمَى
 وَتَحَمَّلُوا يَوْمَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا
 قَبَسُوا وَمَنْ قَلْبُ الْمَعَذِّبِ مَوْقِدٌ
 مَا ضَرَّتْهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا لَوْ عَرَّضُوا
 تَحَمَّلُوا الْجَمَالَ عَلَى الْجَمَالِ كَأَنَّمَا
 أَبَدْتُ لَنَا حَلَى الطَّلَى وَتَبَسَّمْتُ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَهِيَمَ بِجَنَّةٍ
 وَيُهَانَ مُرْسَلٌ نَاطِرِي فِي حَبَا

لَمَّا رَأَتْ مُضَرَ الْهَرَاءِ عَنْ كَثَبِ
 الْعُجْمِ أَوْ مَعْدِنِ الْعَلْيَا مِنَ الْعَرَبِ
 فَوْقَ الضَّلَالِ وَكَانَتْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ
 وَتَأَزَّجَتْ مِنْهُ الصَّبَا وَالشَّمَالُ
 صَبَبًا بِأَنْفَاسِ الصَّصَا يَتَعَلَّلُ
 لَوْ كَانَ يَدْنُو مِنْهُ ذَاكَ الْمَنْزِلُ
 شَوْقًا عَلَى جَمْرِ النَّعْصَى يَتَمَلَّلُ
 سَيْفُ الْكَمَى إِذَا يَكُرَّرُ وَيَحْمِلُ
 بَنِيمَةَ وَالرَّعْدَ لَاحِرَ يَغْدِلُ
 وَحَمَى الْقُلُوبِ هُوَ الْحِمَى وَالْمَنْزِلُ
 بِقُلُوبِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ تَحَمَّلُوا
 وَرَدُّوا وَمَنْ جَفَنَ الْمَعْنَى مَنَهَلُ
 لِلْوَصْلِ أَوْ ذَكَرُوا الْعَهْدَ فَأَقْبَلُوا
 أَفْلَاكُهَا مِنْهَا الْأَهْلَةُ تَكْمُلُ
 زَهْرًا فِرَاقٍ مُقَلَّدٍ وَمُقَبَّلِ
 حَلَّتْ بِقَلْبِي وَهُوَ نَارٌ تُشْمَلُ
 وَمِنَ التَّنَاصُفِ أَنْ يَعْزَّزَ الْمَرْسَلُ

[٤٩٨]

وله في الحنين
 إلى أحبائه

ومن شعره رحمه الله تعالى هذه القصيدة الفريدة ، التي مدح بها المصطفى
 صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى جملة من مناقبه الربانية ، ومآثره العرفانية ، وآياته

(١) في جذوة الاقتباس : « أبرأ غليلاً » . (٢) مكان نزه .

الباهرة ، ومعجزاته الظاهرة ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرّم ، ومجّد وعظّم ، وبارك وأنعم ، وتحنّن وترحم ، وهى قوله :

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نَجِيبَ الْعَالِيَا ^(١) أَنْفَنِي فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا
وَنَجْمَعُ أَشْتَاتَ الْأَعَارِضِ حِسْبَةً وَنَحْشُدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ الْقَوَافِيَا
وَنَقْتَادَ لِلْأَشْعَارِ كُلِّ كَتِيبَةً لِنُصْرِ الْهُدَى وَالَّذِينَ تُرْدِي الْأَعَادِيَا
فَالسُّنْ أَرْبَابَ الْبِيَانِ صَوَارِمَ مَضَارِبُهَا تُنْسِي السِّیُوفَ الْمَوَاضِيَا
لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحَدٍ أَنْجَمًا تَلُوحُ فَتَجْلُو مِنْ سَنَاهُ الدِّيَاجِيَا
كَوَاكِبَ إِيْمَانٍ تُغَيِّرُ فَيَهْتَدِي بِأَضْوَائِهَا مِنْ بَاتٍ لِلْحَقِّ ^(٢) سَارِيَا
سَهْوَتُ بِمَدْحِ الْخَلْقِ دَهْرِي فَهَذِهِ سُجُودِي لَجَبْرِ كُلِّ مَا قَلْتَ سَاهِيَا
فَلَا مَدْحَ إِلَّا لِلَّذِي بِمَدِيحِهِ تُطِيعُ إِذَا مَا كُنْتَ بِالْمَدْحِ عَاصِيَا
رَسُولٍ بَرَاهَ اللَّهُ مِنْ صَفْوِ نَوْرِهِ وَأَلْبَسَهُ بُرْدًا مِنَ الثَّوَرِ ضَافِيَا
وَمَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ يُنِيرُ بِهِ اللَّهُ الْعُصُورَ الْخَوَالِيَا
تَوَيَّ فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ يَصُونُهُ وَدِيعَةً سَرَّ صَارَ بِالْبَعْثِ فَاشِيَا
وَحَصَّ بَطُونِ الطَّيِّبَاتِ بِحَمَلِهِ لِيَحْمِلْنَ فَرْعًا بِالسِّيَادَةِ زَاكِيًا
تَوَيَّ فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ يَصُونُهُ وَدِيعَةً سَرَّ صَارَ بِالْبَعْثِ فَاشِيَا
بِهِ وَزَنَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ فَالْقَاهُ فِيهِمْ رَاجِعَ الْوِزْنِ وَافِيَا
وَأَنقَ—دَنَا مِنْ نَارِهِ بِظَهْوَرِهِ وَلَوْلَاهُ كَانَ الْكَلُّ بِالشَّرْكَ صَالِيَا
وَأَدَمُ لَمَّا خَافَ يُجْزَى بِذَنْبِهِ تَوَسَّلَ بِالْخُتَارِ لِلَّهِ دَاعِيَا
فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ لَمَّا دَعَا بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ نَائِيَا
وَقَدْ يَهْجُرُ الْحُبُوبَ فِي حَالَةِ الرِّضَا وَيَأْبَى الْهَوَى أَلَا يُصَدِّقَ وَاشِيَا

(١ — ١) كَذَا فِي جَذْوَةِ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي ط : « لَنْفَنِي فِي حَقِّ » وَفِي م : « لَنْقُضِي مِنْ

حَقِّ » . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ . وَفِي جَذْوَةِ الْاِقْتِبَاسِ : « بِالْجِدِّ » .

«وعين الرضا عن كل عيب كليلة
وأدرك نوحا في السفينة رعيه
وما زال سامٌ وهو ناور بظهره
فخُصَّصَ حتى بالمكان كرامةً
وأُنزلَ حامٌ بالجَنُوبِ مجانياً^(١)
وأُنزلَ سامٌ للفضيلة^(٢) وحده
وبادَرَ جبريلُ الخليلَ لأجله
ويُخبِرُ في وقت البلاء يقيته
فقال له : هل تَسألُنِي كفايةً
فكانت عليه النارُ برداً كما أتى
وجازاه في الإسرائ عنها نبئنا
فلما انتهى جبريلُ عند مقامه
أشار على المختار أن سِرِّ فأنه
فناداه يا جبريلُ : هل لك حاجةٌ
فقال له : سألُه لأبسط رغبة
فدُلِّي في أفق المهامِ رَقَرَف
ومن أجله خَصَّ الذبيحَ فداؤه
فداه بذبح عَظَمَ الله شأنه
ولكن عين السُّخْطِ تبدى المساواة^(٣)
فخلصه إذ كان في الموجِ داعياً^(٤)
على أخويه بالفضائل سامياً
وأُسكنَ في أعلى البلاد مَراقياً
ويافُثُ في أقصى الشمالِ مُوازياً
بأوسط معمر البلاد الأعاليا
ليحميه إذ أبصر الجفَر حامياً
فصادف وِرْدَ الحُلَّة العَذْب صافياً
فجاوبه حسبي بربي كافياً
به وسلاماً وهي نارٌ كما هيا
وألهمها فوق السموات سارياً
بحيث تلقى الأمرَ ألا تَعادياً^(٥)
مَقَامِي لا أعدوه ما دمتُ باقياً
إلى الله فاسألها^(٦) لتُعْطِيَ الأمانيا
على النار مَنِّي للعصاة جناحياً
وزُجَّ بُرَاقُ العِزِّ في النور راقياً
وفي ظَهره المختارُ أصبح ثاوياً
لأن كان دهرها في الفَراديس راعياً

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، رواها البرد
في الجزء الأول من الكامل . (٢) في جذوة الاقتباس : « جانياً » .
(٣) في ط : « مجافياً » . (٤) كذا في الجذوة ، وفي الأصلين : « ذو الفضيلة » .
(٥) في جذوة الاقتباس : « بحيث يرى نورا وحجبا عالياً » .
(٦) كذا في جذوة الاقتباس : وفي الأصلين : « تسألها » .

وثقَّ بعبد الله حاملِ فضله
لذلك ما قال الرسول منها :
وعفَّ أبوه إذ دعتْه لنفسها
مضى ولذلك النور بين جبينه
فأعرض عنها ثم سار لشأنه
وعاد وقد أدَّى أمانة ربه
ومرَّ على حقِّ الفتاة فتوديت
فقلت لم قد كان ذلك مرة
أردت بأن أُعطى سناء وقد قضى
وكم طالب ما لا ينال وقاعد
وكم شاهدت من آية أتمَّ به
رأت في معاليه مرأى حجة
وقيل لها بشراكِ فزت بخير من
وحقت به الأملاك في حين وضعه
وبشر رضوان الجنان بخلقه
ونادى منادى العز طوفوا بأحمد
بدا واضعا كفيه بالأرض رافعا
وأعول إبليس اللعين وقال قد
وصار إلى صنعاء شيبه جذه

فكان بذاك الفرع للأصل راقيا^(١)
أنا ابن ذبيحها يعدُّ المعاليا
فتاة رأت نور النبوة غاديا^(٢)
شُاعُ سقى يُعشى العيون الروانيا
وكان له الرحمن بالحفظ واقيا
لأتمته وغدا من الله ماضيا
هلمَّ تصادفْ لذعة الحب راقيا
لأمر عصينا في هواه النواهيا
لنمري^(٣) به من كان بالحق قاضيا
سعادته تُبدى له السؤلَ دانيا
يصير بها جيدُ الديانة حاليا
فصدقت الآثارُ منه المرائيا
يُرى فوق أكناف البسيطة ماشيا
بليلة إفضال تزين اللياليا
ففتح^(٤) جنات النعيم الثمانيا
جهات الدنيا طرًا وعمَّوا النواحيا
بعينيه نحو الأفق بالطرف ساميا
يئست وقدما كنت للكفر راجيا
خلَّ محلا للوفادة قاضيا

(١) كنا في الجنوة . وفي ط : « واقيا » . وفي م : « باقيا » .

(٢) كنا في الجنوة ، وفي الأصلين : « عاديا » .

(٣) في جذوة الاقتباس : « لمري » . (٤) في ط : « يفتح » .

وَحَيًّا بَعْدَانِ ابْنَ ذِي يَزْنَ بِهَا وَهَنَاءُ بِالْمَلِكِ إِذْ عَادَ وَالِيَا
 فَقَرَّبَهُ دُونَ الْوُفُودِ وَخَصَّهُ لِيَسْمَعَ قَوْلَا فِي الرِّسَالَةِ شَافِيَا
 وَقَالَ لَهُ إِنَّا وَجَدْنَا بِكُتُبِنَا نَبِيًّا يُرَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ آتِيَا
 يَمُوتُ أَبُوهُ ثُمَّ تَهْلِكُ أُمُّهُ وَيَكْفُلُهُ بَعْضُ الْعُمُومَةِ حَانِيَا
 وَقَالَ لَهُ وَالْبَيْتِ ذِي الْحُجُبِ زَارُهُ وَوُفُودِ الْوَرَى جَابُوا إِلَيْهِ الْغِيَا
 لَأَنْتَ عَلَى مَا يَفْتَضِي الْوَعْدُ جَدُّهُ فَشَيْدُ بِهِ لِلْمَجْدِ مَا كُنْتَ بَانِيَا
 وَقَالَ لَهُ احْفَظْ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ سَيَمْلِكُ أَرْضِي إِذْ رَأَى الْمَلِكُ وَاهِيَا
 وَقَوْلِ هِرْقَلٍ إِذْ أَظَلَّ زَمَانُهُ فَقَالَ أَرَى مُلْكَ الْخِثَانِ مُدَانِيَا
 وَطَالَعَ فِيهِ مُضْحَفَ الْأَفْقِ نَاطِرَا كَمَا زَعَمُوهُ يَسْتَشِيرُ الدَّرَارِيَا
 فَلَمْ تَنْقُضِ الْأَيَّامَ حَتَّى أَتَى لَهُ ^(١) كَتَابُ رَسُولِ اللَّهِ لِلْحَقِّ دَاعِيَا
 فَبَاحَثَ عَنْهُ أَهْلَ مَكَّةَ سَائِلَا وَكَانَ بِأَوْصَافِ النَّبِيِّينَ دَارِيَا
 وَلَبَّى الْهُدَى لَمَّا دَعَاهُ جَمَالُهُ وَهَامَ قَلِيلًا ثُمَّ أَلْنِي سَالِيَا
 وَوَرَدَ الرِّضَا لَا يَهْتَدِي لِسَبِيلِهِ فَيُزَوَّى بِهِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ صَادِيَا
 وَإِيْوَانُ كَسْرَى ارْتَجَّ لَيْلَةً وَضَعَهُ وَبَاتَ عَلَيْهِ قَصْرُهُ مُتَدَاعِيَا
 وَزَادَ بَرُؤِيَا الْمَوْبَذَانَ ارْتِيَاعُهُ فَأَذْهَلَهُ أَنْ يَسْتَبِينَ الْمَسَاعِيَا
 وَفَسَّرَهَا شِقٌّ وَشَقٌّ غُبَارُهُ سَطِيحٌ بِسَجْعِ قَصٍّ ^(٢) مَا كَانَ رَائِيَا
 فَفَنَصَّا عَلَى إِسْرَافِ أَحَدِ مُثَبَّتَا لَدَيْنِ الْهُدَى بِالرَّغْمِ لِلْكَفْرِ مَاحِيَا
 وَأُنْخِذَتِ النَّيْرَانُ نَيْرَانُ فَارِسٍ وَكَانَتْ تَلْطِئُ أَلْفَ عَامٍ تَوَالِيَا
 وَحُمِّلَ ذَاكَ الْحِلْمَ حِجْرَ حَلِيمَةٍ لَتَرْضَمَهُ دَرُّ الْفَضَائِلِ صَافِيَا

[٥٠١]

(١) كَذَا فِي جَذْوَةِ الْاِقْتِبَاسِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « حَتَّى أَمَّه » .

(٢) كَذَا فِي جَذْوَةِ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي « فِيهِ » . وَالْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي ط .

أَبَى حَمَلَهُ النِّسْوَانُ لِلْيَتِيمِ وَانْبَرَتْ
فَعَاظَتْ بِهِ السَّبِقَ الْأَتَانَ كِرَامَةً
وَشَارِفَهَا إِذْ لَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ
وَفِي حَيْثُهَا وَافَاهُ جَبْرِيلُ قَاصِدًا
فَشَقَّ بِهِ صَدْرَ النَّبِيِّ لَشَرْحِهِ
وَرَدَّاهُ فِي الْحَيْنِ التَّثَامَا فَمَا تَرَى
وَجَاءَ بِمَنْدِيلٍ وَطَسَّتْ لِيَغْسِلَا
وَعَادَ أَخُوهُ جَازِعًا مَخْبِرًا بَمَا
قَسَّارَتْ بِهِ مِنْ حِينِهِ نَحْوَ أُمِّهِ
وَمَا زَالِ مُحْرَسًا أَمِينًا مُؤَمَّنًا
حَبِيبًا ^(٢) وَفِيَا خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا
وَفِي سَيْرِهِ لِلشَّامِ شَامٌ بِقَرْبِهِ
أَكْبَتْ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِ مَسِيرِهِ
وَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعَلَامَةَ لَمْ يَزَلْ
وَكَانَتْ بِهِ مِنْ غُلَّةِ الشُّوقِ عِلَّةٌ
وَقَصَّتْهُ فِي ذِي الْمَجَازِ وَعُمُّهُ
فَأَهْوَى وَلَا مَاءَ إِلَى الْأَرْضِ رَاكِضًا
وَكَمْ بَانَ مِنْ يُسْرِ لَمِيمَسَةٍ بِهِ
فَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْمَجِيرُ أَظْلَهُ

لَهُ فَرَأَتْ مِنْ حِينِهَا الرِّزْقَ تَامِيَا
وَأَخْصَبَ مَرَعَاهَا فِسَاقَ الْمَرَايَا
فَصَارَتْ بِهِ ثَجًّا تُرَوَّى الصَّوَادِيَا
وَأَقْبَلَ مِيكَائِيلُ بِالْأَمْرِ تَالِيَا
فَكَانَ لَمَّا يُبَلِّغِي لَهُ اللَّهُ وَاعِيَا
سِوَى أَثَرٍ مَا زَالَ لِلشَّرْحِ بَاقِيَا
بِمَاءِ الرِّضَا قَلْبًا عَنْ اللَّهِ رَاضِيَا
جَرَى مِنْ تَخَوُّفٍ كَانَ لِلْأَمْرِ جَارِيَا ^(١)
تَخَافَ عَلَيْهِ إِنْ أَقَامَ الْعَوَادِيَا
سَبُوقًا صَدُوقًا سَامِيَّ الْقَدْرِ عَالِيَا
كَرِيمًا حَلِيمًا يَسْتَفِزُّ الرُّوَاسِيَا
بُرُوقُ الْهُدَى مِنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ رَائِيَا
إِلَيْهَا بِحَيْرٍ لِلْهُدَى مَتْرَامِيَا
لَمَّا وَافَقَ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ بِأَكْيَا
فَسَاقَ لَهُ اللَّهُ الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا
بِهِ ظِلًّا قَدْ صَيَّرَ الصَّبْرَ فَانِيَا
فَفَجَّرَ يَنْبُوعًا مِنَ الْمَاءِ جَارِيَا
يَرُدُّ أَخَا سُكْرِ الْغَوَايَةِ صَاحِيَا
غَمَامٌ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ عَمَاشِيَا

(١) كَذَا فِي ط وَجُذُوءُ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي م : « رَاجِيَا » .

(٢) كَذَا فِي ط وَجُذُوءُ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي م : « حَيَا » .

وأخبره نَسْطُورُ بُضْرَى ببيعته فأظهر من غيب الرسالة خافيا
وبَغِضَتِ الأصنام للمصطفى فلم يزل هاجرًا فعلَ الضلالة قاليا
وكان يرى ضَوْءًا يلوح أعينه ويسمعُ تسليةً عليه مُحَاذِيًا^(١)
ويأتى حراءَ للتعبد^(٢) قاصدًا محبًّا لأسباب الوصال مراعيًا
ويخرج من بين البيوت لسله يحدث عنه النفس في السر خاليا^(٣)
وكان رآه^(٤) اللهُ أَكْرَمَ خَلْقِهِ فأرسله بالحقِّ للخلق هاديا
وأُسرَى به ليلا إلى حضرة العُلا فما زال فيها للحبيب مناجيا
وسار على ظهر البُرّاق كرامة له راكبًا إذ سار جبريل ماشيا
ولما أتاه الوحيُ وارتاع قلبه لشدة ما قد كان منه مُلَاقِيَا
فسارت به عمداً خديجة زوجه لتسأل حَبْرًا بالزَّمانَةِ فانيَا
وكان امرأً قد مارس الكُتُبَ قارئًا وبات لضيقات المعارف قاريا
فبشّره أن سوف يَطلُعُ صُبْحُهُ فيكشفُ من ليل الغواية داجيا
وقال له يا ليتني كنتُ حاضرا بها جَدْعًا أوليك تقسى وماليا
ووقتكَ إن يدرك زمانى يومه ومَن لى به أنصرَكَ نصرًا مُواليَا
وآيَتُهُ فى الغار إذ نَزَلَا به وكان له الصَّدِّيقُ بالصدق ثانيا
وقد أرسل الله الحَمَامَ لبابه وقارنه بالعنكبوت مضاهيا
ففاض على الفور الحامُ وَشَيَّدَتْ من النسيج أيدى العنكبوت مبانيا
فدافع عن صديقه ورسوله بأضعف أسباب الوجود مقاويا
وكم آيَةٌ خَصَّتْ سُرَاقَةً إذ مشى على أثرِ الخنثار للغار قافيا

(١) فى ط : « مجازيا » . (٢) فى م : « للتعبد » .

(٣) هذا البيت مأخوذ من قول مجنون ليلي :

وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدث عنه النفس فى السر خاليا

(٤) كذا فى م وجذوة الاقتباس . وفى ط : « براه » .

فشاهد آثاراً من الخسف كاد أن
ولما دعا بالمسماشمتى أجاره
وأصعبه منه ظهيرا مكرما
وأخبره أن سوف يفتح أمره
ويجعل في كفيه من بعد فتحها
فأنجزها القاروق في حين فتحها
وآيته في خيمتي^(١) أم معبد
وفي الذئب إذ ألقى وأخبر مفصحا
وفي الضب لما أن دعاه أجابه
وآيته إذ فارق الجذع فضله
وإن انشقاق البدر أعظم آية
وفي الحمل الآتي بحضرة محبه
وقصته في المحل لما دعا لم
وسال به وادى قناة^(٢) لأجله
وفي قصة الزوراء^(٣) للخلق آية
دعا بإناء ليس ينقع ماؤه
ففاض نمير الماء بين بنائه
وركوته يوم الحديبية التي

يكون لقاروب السفاه مؤاخيا
فأبصره في الحين من ذاك ناجيا
بخط أبي بكر يخيف الدواخيا
مدان كسرى والبلاد الأفاخيا
سواراه مما يحجز الدين ساميا
له عدة بالصدق فيها مباحيا
وفي الشاة إذ لم تبقى تصحب راعيا
عن المصطفى والذئب ما زال عاويا
وقال له كبيك لكبيك داعيا^(٤)
لخن إليه الجذع في الحال شاكيا
ترد على من كان للدين زاريا
ليشكو تكليف المشقة راغيا
فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وذكري لعبد كان للذكر ناسيا
لقلته بالوئى من كاف صاديا
وكان وضوءا للكتيبة كافيا
أفاض بها الله البنان سواقيا^(٥)

(١) في م : «جيتي» . (٢) هذا البيت والذي قبله ساقطان في ط .

(٣) وادى قناة : من أودية المدينة . وفي حديث أنس بن مالك (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استسقى سال وادى قناة شهرا ، ولم يأت أحد من ناحيته إلا حدث بالجلود) .

(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد ، استسقى النبي عنده .

(٥) في جذوة الاقتباس : «سوانيا» .

وإشباعه الجَمِّ الفَفيرَ بقبضة من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
 وإخباره بالشئ من قبل كونه فيأتى على النص الذى قال حاكيا
 فأخبر ذا النورين أن ستصيه على الأمر بلوى تُعقب الأجر وافيا
 وأخبر عمّارًا بأن حياته سيقطعها بالقتل من كان باغيا
 وقال لذي السبطين أشق الورى الذى سيخضها من هامة الرأس عاصيا
 يُصادف^(١) نور الشيب أبيض ناصعا فيسقيه صوب الخُتفِ أحمر قانيا
 ونص على السبط الشهيد بكر بلا فقام له الدين الحنيفي ناعيا
 وفى الحسن الزاكي أبان بأنه سيصلح بين الناس للأجر ناويا
 وقال لقوم إن آخركم بها مماتا سيصلى جاحم الجمر حاميا
 وقال إذا مات كسرى فأتري سميا له أخرى الليالى مُساميا
 وأخبر عن موت النجاشي حينه وبينهما بحر من الموج طاميا
 وقال على قرب الحمام لبنته تموتين بعدى فافرحى بلفائيا
 وآياته جلّت عن العد كثرة فأتبلغ الأقوال منها تناهيا
 وأعظمها الوسى الذى خضه به فبلغ عنه أمرًا فيه ناهيا
 تحدى به أهل البيان بأسرهم فكلهم ألفاء بالعجز وانيا
 وجاء به وحيًا صريحًا يزيد سرور الليالى جدّة وتاليا
 تضمن أحكام الوجود بأسرها وحكم القضاء^(٢) مثبّتا فيه نافيا
 وأخبر عما كان أو هو كأن برى ماضيا أو ما يُسمى بعد آتيا
 ووافق أخبار النبیین كلهم وتَمَّ بالغايات منها المباديا

[٥٠٤]

(١) كذا في جذوة الاقتباس . وفى الأصلين : « نصادف » .

(٢) فى جذوة الاقتباس : « وعم القضاء » .

وما كتبتُ يَمْنَاهُ قَطُّ صحيفَةً ولا رِىءَ يوماً للصحائفِ نالِيا
عليه سلامُ الله لا زال رائحاً عليه مَدَى الأيامِ مِنَّا وغاديا

ختم الجزء
الثاني

ولتكن هذه القصيدة الفريدة النبوية ، آخر ما أوردناه في روضة الورد ،
فقد طال الكلام واتسع وكثر السرد ، على أن ما تركناه أكثر مما جلبناه ، [وقد
انثالت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدهر ، والله يبلغنا من رضوانه ما طلبناه] .
ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القتام ، بجاه
سيدنا ومولانا محمد المصطفى خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم ، الذي جعلنا مديحه
مِسْك الختام .

انتهى الجزء الثاني من كتاب أزهار الرياض ، في أخبار عياض
ويتلوه الجزء الثالث وأوله :

روضة الأقحوان

في ذكر حاله في المفاسد والنقصان

أبواب الفهرس

٣٩٦ — ٣٩٥	١ — فهرس الشعراء
٤٠٦ — ٣٩٧	٢ — » الأعلام
٤٠٨ — ٤٠٧	٣ — » القبائل
٤١٣ — ٤٠٩	٤ — » الأماكن
٤١٥ — ٤١٤	٥ — » الكتب
٤١٦	٦ — » الأيام
٤١٦	٧ — » الأمثال
٤٢٠ — ٤١٧	٨ — » الفوائ
٤٢٤ — ٤٢١	٩ — » الموشحات والأزجال
٤٢٥	١٠ — » أنصاف الأبيات
٤٢٩ — ٤٢٦	١١ — » الموضوعات

فهرس الشعراء

(١)

إبراهيم التازي : ٣٠٩
 ابن أجروم = أبو المكارم منديل بن أجروم
 ابن باجة = الحكيم أبو بكر بن باجة
 ابن بقي = يحيى بن بقي
 ابن بهرودس = ابن هرودوس
 ابن جعندر = أبو الحسن بن جعندر الإشبيلي
 ابن حزمون : ٢١١
 ابن الحكيم : ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن خرز البجائي : ٢١٢
 ابن خلف الجزائري : ٢١٢
 ابن خيس التلمساني أبو عبد الله : ٣٠٣ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٦
 ابن رشيد : ٣٥٣
 ابن الرومي : ٣٠٣
 ابن زمر : ٣٥ ، ١٥٧
 ابن زهر = أبو بكر بن زهر
 ابن سناء الملك المصري : ٢١٥
 ابن سهل : ١٨٤ ، ٢١٣
 ابن شجاع : ٢٢١
 ابن الصابوني = أبو بكر بن الصابوني
 ابن صمير : ٢١٩
 ابن غنمة الضبي : ١٢
 ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
 ابن مرج الكحل : ٣١٥ ، ٣١٦
 ابن موهل : ٢١٠
 ابن هرودوس : ٢٠٩
 ابن هرز = ابن خرز البجائي
 ابن وكيع : ١٩٤

أبو إسحاق الحساوي : ٣٤٧
 أبو إسحاق الدويني : ٢١٠
 أبو بكر بن باجة : ٢٤٣
 أبو بكر بن زهر : ٢١٠
 أبو بكر بن الصابوني : ٢١٣
 أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦
 أبو تمام : ٤٨
 أبو الحسن بن جعندر الإشبيلي : ٢١٧
 أبو الحسن بن الجباب : ٣٤٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١١
 أبو الحسن بن الفضل = أبو الحسن سهل
 ابن مالك
 أبو حفص : ٣٦٥
 أبو العباس : ٣٥٧
 أبو عبد الله بن خيس = ابن خيس التلمساني
 أبو عبد الله
 أبو عبد الله اللوشي : ٢١٩
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ : ٢٣٠
 أبو عبد الله محمد بن يوسف الثفري : ٣٢٩
 أبو عمرو ميون بن علي : ٣٨٠ ، ٣٨٣
 أبو العلاء المعري : ٨١
 أبو القاسم محمد بن يحيى : ٣٧٨
 أبو مدين شعيب : ٣٠٨
 أبو المكارم منديل بن أجروم : ٣٣٢
 الأعمى التطيلي : ٢٠٨

(ب)

البيص : ٢٤٨
 بلال (رضي الله عنه) : ٩٨

عبد الملك بن سعيد المرادى : ٢٩٣
 على بن المؤذن : ٢٢٢
 عنترة العبسى : ٦٥
 عياض : ٢٢٧

(م)

محمد بن عبد العظيم : ٢١٨
 مدقليس : ٢١٨
 منيار : ٣٠٨

(ى)

يحيى بن بقى : ٢٠٩

(ح)

الحكيم أبو بكر بن باجة : ١٠٩

(ش)

الشترى : ٢١٨

(ع)

عبادة القزاز : ٢٠٧
 عبد الله بن الخطيب : ٢١٣
 عبد الله بن معاوية : ٣٨٥
 عبد الله بن المتز : ١٣

فهرس الاعلام

٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٤٨
 ابن حيون : ٢١١
 ابن خاتمة : ٣٠٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢ —
 ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٠٥
 ابن خبازة = أبو عمرو ميمون بن علي بن
 عبد الخالق ابن خبازة
 ابن الخطيب = أبو عبد الله بن الخطيب
 ابن خلدون : ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
 ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٨
 ابن خنيس = محمد بن عمر بن محمد بن عمر
 ابن محمد بن عمر بن محمد الحبري الرعي
 ابن دحون الفقيه : ٢٦٩
 ابن رشد : ٨٤
 ابن رشيد الفهرى محمد بن عمر : ٣٤٧ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٣٤٨
 ابن الزبير : ٢٢٤
 ابن زهر = أبو بكر بن زهر
 ابن زهر : ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ ،
 ابن زهر = أبو بكر بن زهر
 ابن سبعين : ٣٠٣
 ابن سعيد : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
 ابن السمعاني : ٢٠٧
 ابن سهل : ٢٣٠
 ابن الشاط : ٣٥٢
 ابن شجاع : ٢٢٢
 ابن شهيد = أحمد بن عبد الله بن شهيد
 ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك بن شهيد
 ابن طملىس : ٣٩٣

(١)

آدم (عليه السلام) : ٣٨٤ ، ١٥٥ ، ٥٣ ، ٤٥٠
 إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ٣٨٥
 إبراهيم بن أحمد الفافى : ٢٥٦
 إبراهيم التازى : ٣٠٩
 إبراهيم بن هبة : ٣٥٤
 ابن أبي الريس = أبو الحسن بن أبي الريس
 ابن أبي عزقة اللخمي = أبو القاسم محمد العزقي
 اللخمي
 ابن أبي عزقة اللخمي = أبو إسحاق إبراهيم
 ابن أحمد بن أبي عزقة اللخمي .
 ابن أبي مدين : ٣٤٧
 ابن الأحر : ٢٨ ، ١١ ، ٨ ، ٧ ، ٤٥ ،
 ١٥٨ ، ٨١ ، ٦٥ ، ٤٢ ، ٣٠ ،
 ٢١٩
 ابن أرفع رأسه = أبو بكر محمد بن أرفع رأسه
 ابن أصبغ الهمداني : ٢٧٧
 ابن برى : ٨١
 ابن بى = يحيى بن بى
 ابن بقة : ٢٦٤
 ابن البنا : ٣٥٢
 ابن تفلوت = أبو بكر بن تفلوت
 ابن التين أبو عمرو : ٣٥٠
 ابن حبان : ٣٥٤
 ابن حزمون : ٢١١
 ابن الحسن = النباهى على بن محمد
 ابن الحكم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن :
 ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٦
 ٣٤١ — ٣٣٩ ، ٣٣٥ ، ٣٠٤
 — ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣

أبو البركات بن الحاج : ٩ ، ١٥ ، ٣٠٢ ،

٣٤٨ ، ٣٥٦

أبو البركات محمد بن إبراهيم : ٢٥٦

أبو بكر = محمد بن عبادة القزاز

أبو بكر الأبيض = أبو بكر بن الأبيض

أبو بكر بن الأبيض : ٢٠٩

أبو بكر بن تفلويت : ٢٠٩

أبو بكر بن الجدة : ٣٨٢

أبو بكر بن الحكيم = أبو بكر محمد بن

محمد بن الحكيم

أبو بكر بن خطاب : ٣٠٥

أبو بكر بن رفاعة الشريشي : ٣٧٩

أبو بكر بن زهر : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠

أبو بكر الصديق : ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠

أبو بكر بن طاهر : ٣٦١

أبو بكر بن غازي بن الكاس : ٣٠

أبو بكر بن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان

أبو بكر محمد بن أرفع رأسه : ٢٠٧

أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦

أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم : ٣٤٥ ، ٣٤٢

أبو بكر محمد بن محمد بن عبد القلوني : ٣٥٢

أبو جعفر : ٢٥٤

أبو جعفر أحمد بن عبد الحق : ٦

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سبطور : ٣٤٩

أبو جعفر بن الزبير : ٣٥٥ ، ٣٥٧

أبو جعفر بن الزيات : ١٦

أبو جعفر الطنجالي : ٦

أبو جعفر بن عمر = أبو حفص عمر

أبو جعفر بن النحاس : ٢٩٥

أبو حاتم : ٣٢٧

أبو حاتم أحمد : ٣٧٧

أبو الحجاج = يوسف بن الفتي بالله

أبو الحجاج المنتشافي : ٦

ابن عاصم (الفيهي) : ١٩ ، ٢٦٤

ابن عباد : ٣٧٢

ابن عبد ربه = أحمد بن عبد ربه

ابن عمر : ٢٥٦ ، ٢٥٧

ابن القاسم : ٢٥٦

ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان

ابن اللوشى : ٩

ابن ماء السماء = عبادة بن عبد الله بن

محمد بن محمد بن عباد

ابن ماجة : ٣٥٢

ابن مامة : ٣٧٢

ابن مهران : ٢٢٥

ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق

ابن مزين : ٢٢٥

ابن مقلد : ٣٧٢

ابن نسطور = جعفر بن نسطور الروى

ابن نصر : ٤٦ ، ٨٢

ابن هدية = أبو هدية إبراهيم بن هدية

ابن دقيق العيد = تقي الدين بن دقيق العيد

ابن يعقوب = يوسف (عليه السلام)

أبو إبراهيم إسحاق : ٢٨٢ ، ٢٨٦

أبو أحمد جعفر بن إبراهيم بن الحاج المافرى :

٢٥٤

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي عرفة

اللخمي : ٣٧٧

أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة : ٩

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : ٣٥١

أبو إسحاق بن أبي الماصى التنوخى : ٣٤٢ ،

٣٤٥

أبو إسحاق التنسى : ٣٢٢

أبو إسحاق الشاطبي : ٧ ، ٢٩٧

أبو إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب : ٣٤٩

أبو إسحاق العراقي : ٣٥٢

أبو الأصغ عبد العزيز بن الناصر لدين الله :

٣٨٦

أبو الحسن = النباهي علي بن محمد
 أبو الحسن المريق : ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٨١
 أبو الحسن بن أبي الربيع : ٢٤٨ ، ٢٩٨
 أبو الحسن بن بسام : ٢٥٣
 أبو الحسن بن جعفر الأشبيلي : ٢١٦
 أبو الحسن حازم القرطاجي : ٣٥٠
 أبو الحسن الدياج : ٢١٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨
 أبو الحسن علي بن سعد الخير البلسي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن سعيد العنسي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن عثمان البلوي = الأشج المغربي
 أبو الحسن علي بن محمد الكتامي : ٣٤٩
 أبو الحسن بن كاشة : ٣٠٣
 أبو الحسن المحروق : ١٦
 أبو الحسن النباهي = علي بن محمد النباهي
 أبو الحسين بن التلساني : ٩
 أبو الحسين العراقي : ٣٥٢
 أبو حفص = عمر بن الخطاب
 أبو حفص بن عمر : ٣٦٤ ، ٣٦١ ، ٣٥٩
 ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 أبو حمزة موسى بن يوسف الزباني : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٩
 أبو الخير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله
 ابن رواحة الأنصاري الخزرجي : ٣٥٣
 أبو داود : ٣٥١
 أبو الربيع بن سالم : ٣٦١
 أبو زكريا بن أبي دلالة : ١٧٥
 أبو زكريا البرغوثي : ١٦
 أبو زكريا يحيى السراج : ٦ ، ٢٥٦
 أبو زيد بن عبد العزيز المريق : ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٨
 أبو زيد : ٣٧٤
 أبو زيد عبد الرحمن الهزميري : ٣٣٦
 أبو سالم بن أبي الحسن المريق : ١٥٨ ، ١٧٠
 أبو سعيد = أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق
 أبو سعيد بن عامر : ٣٠٥
 أبو سعيد بن لب : ٩
 أبو سفيان : ٣٣١
 أبو سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني : ٣٤١
 أبو سليمان داود بن علي الأصبهاني : ٢٩٥
 أبو طالب عبد الله : ٣٧٧
 أبو الطاهر السلفي الأصبهاني : ٣٧٢ ، ٣٥٤
 أبو العباس أحمد بن أبي الحكم يعيش بن علي بن شكيل الصدقي : ٣٦٧
 أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله اللخمي : ٣٧٥
 أبو العباس بن أبي سالم المريق = أحمد بن أبي سالم المريق
 أبو العباس أحمد بابا : ١٧٦
 أبو العباس الجراوي : ٣٦٤ ، ٣٦٥
 أبو العباس بن ولاد : ٢٩٥
 أبو عبد الله = ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله = ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله = ابن رشيد الفهري
 أبو عبد الله = ابن زمر بن محمد بن يوسف
 أبو عبد الله = محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن محمد الحبري
 الرعي
 أبو عبد الله بن الأبار : ٣٧٩
 أبو عبد الله الأبي = أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبي
 أبو عبد الله بن أبي العاصي التنوخي : ٣٥٦
 أبو عبد الله بن الأحمر = ابن الأحمر

أبو الحسن = النباهي علي بن محمد
 أبو الحسن المريق : ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٨١
 أبو الحسن بن أبي الربيع : ٢٤٨ ، ٢٩٨
 أبو الحسن بن بسام : ٢٥٣
 أبو الحسن بن جعفر الأشبيلي : ٢١٦
 أبو الحسن حازم القرطاجي : ٣٥٠
 أبو الحسن الدياج : ٢١٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨
 أبو الحسن علي بن سعد الخير البلسي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن سعيد العنسي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن عثمان البلوي = الأشج المغربي
 أبو الحسن علي بن محمد الكتامي : ٣٤٩
 أبو الحسن بن كاشة : ٣٠٣
 أبو الحسن المحروق : ١٦
 أبو الحسن النباهي = علي بن محمد النباهي
 أبو الحسين بن التلساني : ٩
 أبو الحسين العراقي : ٣٥٢
 أبو حفص = عمر بن الخطاب
 أبو حفص بن عمر : ٣٦٤ ، ٣٦١ ، ٣٥٩
 ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 أبو حمزة موسى بن يوسف الزباني : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٩
 أبو الخير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله
 ابن رواحة الأنصاري الخزرجي : ٣٥٣
 أبو داود : ٣٥١
 أبو الربيع بن سالم : ٣٦١
 أبو زكريا بن أبي دلالة : ١٧٥
 أبو زكريا البرغوثي : ١٦
 أبو زكريا يحيى السراج : ٦ ، ٢٥٦
 أبو زيد بن عبد العزيز المريق : ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٨
 أبو زيد : ٣٧٤
 أبو زيد عبد الرحمن الهزميري : ٣٣٦

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن محمد اللخمي : ٣٥٢ ،
 ٣٧٥
 أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى السراج :
 ٢٥٧ ، ٢٥٦
 أبو عبد الله محمد الخالوع : ٣٤١
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = ابن زمرك
 محمد بن يوسف
 أبو عبد الله بن مرزوق : ١٥ ، ٩ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠١
 أبو عبد الله المقرئ : ٩
 أبو عبد الملك المراكشي : ٣٧٩
 أبو عبيد : ١٨
 أبو عثمان بن خالد : ٣٧٤
 أبو عثمان بن ليون : ٣٠٣
 أبو علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي :
 ٢٧٣
 أبو علي بن خالد : ٢٥٦
 أبو علي بن الخطيب أبو فارس بن غالب
 الجلي : ٣٧٦
 أبو علي عمر الجداوي : ٣٤٦
 أبو علي منصور الزواوي : ١٥ ، ٩
 أبو عمر : ٣٥٤
 أبو عمر أحمد بن عبد ربه = أحمد بن
 عبد ربه
 أبو عمر بن عات : ٣٥٤
 أبو عمرو مزيقا = عاصم بن حارثة الأزدي
 أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق بن
 خبازة : ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
 أبو عمرو بن سالم بن صالح النهرواني المالقي :
 ٣٨٠
 أبو عمرو الصفاقسي = ابن التين أبو عمرو
 أبو عنان الميرني : ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٨

أبو عبد الله بن يبيش العبدي : ١٥ ، ٩
 أبو عبد الله التلساني : ١٥
 أبو عبد الله بن الحكيم = ابن الحكيم
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله بن الخطيب = لسان الدين بن
 الخطيب أبو عبد الله
 أبو عبد الله بن خنيس التلساني : ٢٩٧ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢
 أبو عبد الله بن رشيد : ٣٤٢ ، ٣٥٥
 أبو عبد الله بن الرمامة : ٣٦١
 أبو عبد الله الساحلي : ٦
 أبو عبد الله الشريشي : ١٥
 أبو عبد الله العلوي التلساني : ٩
 أبو عبد الله بن عياش الخزرجي : ٢٩٦
 أبو عبد الله بن الفخار : ٩ ، ١٤ ، ٢٩٧
 أبو عبد الله اللوشي : ١٥
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبطي : ٣٢٢
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي : ٣٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن
 عبد الرزاق : ٣١٦
 أبو عبيد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن
 حيان الشاطبي : ٣٥٤
 أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف : ٢٥٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن = ابن
 الحكيم محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى :
 ٢٦٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ : ٢٥٦
 أبو عبد الله محمد بن علي السكوني : ٦
 أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق : ١٥
 أبو عبد الله محمد بن عيسى : ٢٥٦

أبو مروان عبيد الله بن الناصر : ٢٨٦
 أبو مروان بن مسرة : ٣٦١
 أبو مهدى بن الزيات : ١٦
 أبو هدية إبراهيم بن هدية : ٣٥٤
 أبو هريرة : ٣٥٢
 أبو يحيى : ٢٢٥
 أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب : ٣٣٥
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : ٣٦١
 أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : ٣٣٦
 الحسن بن علي رضي الله عنه : ٣٩١
 أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 أحمد بن أبي سالم المربني أبو العباس : ٢٨
 ١٧٣، ١٣٣، ٨١، ٣٥، ٢٩
 ٣٥٧، ١٧٥
 أحمد بن عبد ربه : ٢٥٣، ٢٠٧
 أحمد بن عبد الله بن شهيد : ٢٦٥
 أحمد بن عبد الملك بن شهيد : ٢٦١
 أحمد بن قاسم أبو العباس الصنهاجي : ٢٥٦
 أحمد بن مطرف : ٢٧٩
 أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوشمريشي : ٢٩٧
 أحمد اليوناني : ٢٧٠
 أروشير بن بابل : ٣٢٤
 أردون بن أدفونش : ٢٨٩، ٢٨٨
 ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠
 الإسكندر : ٢٢٣
 إسماعيل (عليه السلام) : ٣٨٥
 إسماعيل = ابن عباد
 الأشج المغربي أبو الحسن علي بن عثمان
 البلوي : ٣٥٤
 الأصمغ بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 الأعلم البطليوسي : ٢٠٧، ٢٠٩
 الأعمى التطليبي : ٢٠٨
 (٢٦ - ج ٢ - أزهار الرياض)

أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد : ٣٤٩
 أبو الفضل بن يحيى : ٣٢١
 أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون : ٣٤٩
 أبو القاسم بن أحمد الحضرمي : ٦
 أبو القاسم بن سعيد الحمدي : ٦
 أبو القاسم الشريف : ١٤
 أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله
 العزقي : ٣٧٨، ٣٧٥، ٣٧١، ٣٥٦
 أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان
 البخاري : ٣٤٥
 أبو القاسم بن محمد = أبو القاسم بن أحمد
 الحضرمي
 أبو القاسم محمد بن أبي العباس : ٣٧٥، ٣٧٤
 ٣٧٦
 أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني : ١٦٠، ٩
 أبو القاسم محمد العزقي : ٣٧٤ - ٣٧٧
 أبو القاسم محمد بن يحيى = محمد بن يحيى
 ابن أبي طالب أبو القاسم
 أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج : ٢٨٤
 أبو القاسم بن المهني : ٦
 أبو محمد بن بركات : ٣٥٤
 أبو محمد عبد الحق بن أحمد بن نهر = ابن
 سبعين أبو محمد عبد العزيز بن عمر
 القيس : ٣٤٩
 أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذري :
 ٣٤٩
 أبو محمد عبد الله بن أحمد التجيبي : ٣٧٣، ٦
 أبو محمد عبد الله بن جزى : ١٥
 أبو محمد عبد الله بن علي اللخمي : ٣٦١
 أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي :
 ٣٤٥
 أبو مدين شعيب : ٣٠٨
 أبو مروان الأكبر عبيد الله : ٢٨٢
 أبو مروان بن حيان : ٢٦٨

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٢٩٥
حليمة (السعدية) : ٣٨٧

(خ)

خالد (الفائد) : ٤٠
خديجة (أم المؤمنين) : ٣٨٩
خراش بن عبد الله : ٣٥٤ ، ٣٦٠
الخطيب أبو عبد الله بن أبي العاصي التنوخي
أبو عبد الله بن أبي العاص التنوخي

(د)

دينار بن عبد الله : ٣٥٤

(ذ)

ذو الرمة : ٤٣

(ر)

ربيع الأسقف : ٢٧٠
ربيعة بن مكرم : ٦٢
الرحال = عمرو الرحال
الرسول = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
رومانس (ملك الروم) : ٢٦٠

(ز)

زياد ابن أبيه : ٣٣١
زياد بن أفلح الناصري : ٢٨٨

(س)

سام (بن نوح) : ٣٨٥
سبت بن سام بن نوح عليه السلام : ٢٥٦ ،
٢٥٧
ست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي :
٣٥٥

أنس : ٢١٣ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠
ياس : ٤٦

(ب)

بجيرا (الراهب) : ٣٨٨
البخاري : ٣٥٠
البراض بن قيس الضمري : ٣١٧ ، ٣١٨
بسطام بن قيس : ١٢
بوران : ٥٦

(ت)

التجبي = أبو محمد عبد الله بن أحمد التجبي
تقى الدين بن دقيق العيد : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
٣٥٢
تمام الحصى : ٢٥٩

(ج)

الجاحظ : ١١
جبريل عليه السلام : ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
الجرأوى = أبو المباس الحراوى
جسوس = النباهى على بن محمد
جعفر بن عثمان : ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
جعفر بن نسطور الروسى : ٣٥٤
جميل : ٩٧ ، ١٨٠

(ح)

حاتم طي : ٤٦ ، ٦٢ ، ٣٧٠
حام (بن نوح) : ٣٨٥
الحجاج : ١٤
الحجارى : ٢٥٣
الحسن البصرى : ١٤
حسن بن جعفر الإسكندراوى : ٢٧٠
حسين بن فتح : ٢٥٨
الحكم المستنصر بالله بن الناصر لدين الله :
٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

(ع)

العاقب = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
عاصر بن حارثة الأزدي : ٧٩
عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة : ٢٥٣
عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع : ٢٥٤
عبادة القزاز : ٣٠٧ ، ٢٥٣
العباس : ٢٥٧
عبد الجبار بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد الرحمن = أبو زيد عبد الرحمن الهزيمى
عبد الرحمن الناصر = الناصر لدين الله
عبد العزيز بن أبي الحسن المربى : ٣٠ ، ٧
عبد العزيز بن الناصر لدين الله = أبو الأصبع
عبد العزيز بن الناصر لدين الله
عبد الله بن أحمد بن محمد : ٣٨٠
عبد الله بن الحكيم : ٣٥٦
عبد الله بن علي اللخمي : ٣٦١
عبد الله بن قاسم : ٢٨٩
عبد الله بن محمد المرواني : ٢٠٧ ، ٢٥٣
عبد الله بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد الله بن يحيى بن يحيى : ٢٩٤
عبد الله بن يونس : ٢٧٠
عبد الملك بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد المهيم القواس : ٢٢٤
عبيد الله بن قاسم : ٢٩١
عتيق = أبو بكر الصديق
عثمان بن عفان : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١
عثمان بن خطاب أبو عمر = الأشج للمغربى
عروة الرحال : ٣١٧ ، ٣١٨
عروة بن عنة بن جعفر بن كلاب =
عروة الرحال
عز الدين أبو المز عبد الله بن عبد النعم :
٣٤٩

سعبان : ٤٦

سحنون : ٢٥٦

سراج الدين أبو بكر بن أحمد : ٣٤٩

سراقة (بن مالك) : ٣٨٩

سطيع : ٣٨٧ ، ٢٢٥

سعادة (مملوك السلطان يوسف) : ٣٣٦

سعد بن عبادة الأنصارى : ٣٣ ، ١٠٤ ،

١٣٧ ، ١٨٠

سعد بن الفخى بالله : ٦٠ ، ٧٣ ، ١٤٠ ،

١٤١

سعيد بن أحمد المقرئ : ٣٠٩

سيفرأط : ٣٢٠

السلقى : ٣٥٤

السلمى : ٣٦٩

سليمان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩

(ش)

شاذجة بن ردمير : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

شق : ٣٨٧ ، ٢٢٥

شهاب الدين : ٣٢١

الشهيد = عثمان بن عفان

(ص)

صاعد بن مخلد : ٢٦٢

الصاغاني : ٢٠٧

(ط)

الطيطلى = الأعمى التطيلي

طاه = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

(ظ)

الظاهرى = أبو سليمان بن علي الأصهباني

(ق)

الفزاز = محمد بن عبادة الفزاز
قس : ٨١
قسطنطين بن ليون : ٢٠٨ ، ٢٦٠
قتير : ٣٥٤
القياسي = أبوسليمان داود بن علي الأصماني
قيس بن الملوح : ٤٣ ، ٩٧ ، ٣٥٤

(ك)

الكثاني : ٣٥٦
كسرى : ٣٨٢
كعب بن مامة = ابن مامة

(ل)

لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله : ٥٠
٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٠ ، ٣٧ ،
١٦١ ، ١٦٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ،
٢٣٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ،
٣٧٦

(م)

ماء السماء = عامر بن حارثة الأزدي
ماء السماء : ٢١٣
الأمون بن ذنون : ٥٦ ، ٢٠٧
الأمون بن المنصور : ٣٨٠ ، ٣٨٢
الماسي = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
مالك : ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥
محمد = النبي بالله
محمد بن أبي الفضل بن شرف : ٢٠٩

العزقي = أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب
عبد الله العزقي

العزير بن المزمز الفاطمي : ١٢٦
عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد :
٣٤٩

علي بن أبي طالب : ٢٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤
علي بن جعفر الإسكندراني : ٢٧٠
علي بن عبد الله بن محمد = النباهي علي
بن محمد

عمار (بن ياسر) : ٣٩١
غمر بن الخطاب : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١
٣٧٠ ، ٣٩٠

عمرو : ٤٦
عنيزة : ٣٦٩
عيسى بن الحسن : ٢٢٥
عيسى بن فطيس : ٢٨٧
عيسى بن مريم : ٤٥ ، ١٤٧

(غ)

غالب الناصري : ٢٨٨
الغني بالله محمد : ١١ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٤٩ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٧ ،
١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩١ ،
١٩٥ ، ١٩٦

غيلان = ذوالرمة
غاراب : ٣٢٠

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد : ٣٤٩
فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر :
٣٧٧

(و)

وليد بن حيزون : ٢٨٩ ، ٢٩١
وهب بن ميسرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧

(ى)

ياسر الحصى : ٢٥٩
يافت (بن نوح) : ٣٨٥
يحيى بن بقرى : ٢٠٨
يحيى الخزرجى : ٢١١
يحيى بن ذى النون : ٢٠٨
يحيى بن محمد بن الليث : ٢٥٨
اليزناسى : ٣٥٥
يغتم بن سالم بن قنبر : ٣٥٤
يوسف (عليه السلام) : ٣٧٢
يوسف بن الفنى بالله أبو الهجاج : ١٥ ،
١٧ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٧
يوسف بن القاسم : ٢٣٥

النباهى على بن محمد (الفاضى) : ٦ ، ٥ ،

٢٩٦ ، ٢٨٠ ، ٧

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى
عليه وسلم

نسطور : ٣٥٤

نصر : ٨٥ ، ٧٣ ، ٦٠

النظار أبو إسحاق الشاطبي = أبو إسحاق
الشاطبي

النعمان بن المنذر : ٢١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨

النعمان بن امرئ القيس : ٣٢٦

نوح (عليه السلام) : ٢٢٠ ، ٣٨٥

(هـ)

هادى بن إسماعيل : ٣٧٢

هرقل : ٣٨٧

هرمس : ٣٢٠

الهزميرى = أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى

هشام بن محمد بن عثمان المصحقى : ٢٨٨

فهرس القبائل

(١)

أهل شريش : ٣٦٧
أهل طليطلة : ٢٨٨
أهل فارس : ٢٢١
أهل القاهرة : ٢٢٥
أهل مالقة : ٢٥٤ ، ٢٥٢
أهل المشرق : ٥٦
أهل مصر : ٢٢٥
أهل المغرب : ٥٦
أهل مكة : ٣٨٧
أهل نجد : ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٥٢
إياد : ٨١

(ب)

البربر : ٣٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠
البغداديون : ٢٢٦
بنو الأحمر : ١١ ، ٣٣
بنو الأصفر = الروم
بنو أمية : ٢٥٨
بنو ثعل : ٣٧٠
بنو ذى النون : ٥٦
بنو سعد = الخزرج
بنو عباد : ٣٤١
بنو العباس : ٢٥٨ ، ٢٦٢
بنو عبد الواد : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٣١
بنو عدنان : ٣٨٠
بنو العزقي : ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٢٨
بنو عمور : ٣٢٥
بنو غفجوم : ٣٦٥
بنو ماء السماء : ٧٩
بنو مرين : ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٢٢٢
٣٣١ ، ٣٢٥

آل بويه : ٣٧٢
آل خزرج = الخزرج
آل سعد بن عباد = الخزرج
آل عدنان : ٤٥ ، ٥٣
آل النبي (صلى الله عليه وسلم) = آل هاشم
آل نصر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ١٠٩ ،
١٦٥ ، ٢٠١
آل هاشم : ٤٥ ، ٩٢ ، ١٥٤
أبناء قيلة = آل نصر
أبناء نصر = آل نصر
أجواد العرب : ٣٧٢
الأحاش : ١٧٠
الأسبان : ٣٧٤
الأعاجم : ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
٣٨٣
أعراب إفريقيا : ٢٢٥
الإفرنجة : ٢٥٨
أملاك لحم = بنو العزقي
الأنصار : ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٦ ،
١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ،
١٥٤
أهل الأندلس : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٢٧ ،
٢٥٢
أهل تازا : ٢٢١
أهل تلسان : ٣٠١ ، ٣٣٦
أهل تهامة : ٣١٧ ، ٣١٨
أهل تونس : ٢٢٥
أهل سبجة : ٢٥٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧ ،
٣٧٦

(ق)	بنو نصر = آل نصر بنو هلال : ٥٩
قحطان : ١١٧ ، ٤٦ قريش : ٣١٧ ، ٣٨١ قيس : ٣١٨	(ج) الجلالفة : ٢٨٨
(ك)	(ح) حمير : ٣٢١
(م)	(خ) الخزرج : ٤٦ ، ٦٨ ، ٣٣ ، ١٠٤ ، ٢٠١ خندف : ٣١٨
مالك : ٣٦٩ المجوس : ٢٥٨ المرينيون = بنو صرين مضر : ٥٣ الثلثون : ٢١٦ ملوك الروم : ٢٥٨ ملوك الطوائف : ٥٦ ملوك العدوتين : ٢٥٧ ملوك الفساسنة = بنو ماء السماء ملوك اللخمين = بنو العزق ملوك المغرب الأقصى : ٣٧ ، ٤٢ الموحدون : ٢٠٩	(ر) الروم : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٦٦
(ن)	(ز) زناقة : ٥٨
النصارى : ١٧ ، ٢٩١	(ع) العباسيون = بنو العباس المعجم = الأعاجم عرب تهامة : ٢٢٩ عرب دياب : ٢٢٥ العرب : ٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣
(هـ)	(غ) غطفان : ٣١٨
هاشم : هوازن : ٣١٧	(ف) الفرس = الأعاجم
(ي)	
اليمن : ٣٠١	

فهرس الأماكن

باب الفتوح : ٣٣٣
باب قرطبة : ٢٨٨
باب قصر الزهراء = باب الأقباء
بارق : ٦٦
باريس : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ... الخ
بحانة : ٢٥٨
بحيرة السكوفة : ٣٢٦
البحرين : ٣٠٧ ، ٥٢
بر المدوة : ٢١٢
بزر هون : ٢٢٢
البصرة : ٣٥٤ ، ١٠٨ ، ٥٢
البطحاء : ٤٧
بغداد : ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣
٣٥٤
بلاق : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ... الخ
بلميس : ٣٥٣
بلاد الإنرج : ٢٧٠
بلاد المشرق : ٣٢٢
البيت العتيق : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٤٦ ، ٩٥٠
بيت المقدس : ٣٧٠
بيروت : ٢٢٦

(ت)

تادل : ٣٦٥
تازا : ٢٢١
تربة الخلفاء : ٢٨٨
تطيلة : ٢٠٨
تلمسان : ١١ ، ٢٢٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

(ا)

أجرع الفرد : ١٦٨
إسكندرية : ٣٤٩
إشبيلية : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣
٢١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠
أصيلا : ٣٧٤
أصبهان : ٣٥٤
أنمات : ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
أفريقية : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠
٣٤٨
آلال : ١١١
الأندلس : ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٠
٦٣ ، ١٥٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧
٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤
٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠
أوربة : ٢٦٢ ، ٢٨٩
أوارة : ٣١٨
أوال : ٣٠٧
إبلياء : ٢٧٠
إيوان الحسين : ٣٤٩
إيوان كسرى : ٣٨٧

(ب)

باب الأقباء : ٢٩٠
باب الجنان : ٢٨٩
باب جباد : ٣٢٩ ، ٣٣٣
باب السدة : ٢٩٠
باب الصناعة : ٢٨٥

دار السكة : ٢٦١
 دار السلام = بغداد
 دار الصناعة بقرطبة : ٢٧٠
 دار الفنى بالله : ٧٩
 دار الكتب المصرية : ١٦٤٥ ، ١٨٠٠... الخ
 دارين : ٢١٠ ، ٣٠٧
 درب مغيلة : ٣٣٩
 دمشق : ٣٤٩
 ديار الصناعات بالزهراء : ٢٦١

(ذ)

ذو الحجاز : ٣٨٨

(ر)

رامة : ١٠٨ ، ١١١ ، ٢٣٠
 ربا العباد : ٣٣٠
 الربض : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٥
 الرشاد : ١٧٩ ، ١٨٠
 الركن : ٦٣
 رندة : ٣٤٠ ، ٣٤١
 روض نعمان : ٤٢
 رومة : ٢٦٨
 الرى : ٣٥٤
 رية = مالقة

(ز)

زمزم : ١٤٦ ، ٦٣ ، ١٥٠
 الزهراء : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
 ٢٧٩ ، ٢٧٧
 الزوراء : ٣٩٠

(س)

سبقة : ٨١ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،

٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣
 تونس : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ،
 ٣٥٤

(ج)

جامع مالقة : ١٧
 الجامعة المصرية : ٢٥٣
 جبل الشوار : ١٣٩
 جبل الفتحة : ٤٠
 جبل قرطبة : ٢٦٦
 الجزع : ٢٤٢
 جيان : ٢٦٤

(ح)

حاجر : ١٠٤
 الحجاز : ٢٢ : ٧٣ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٤٨
 الحديبية : ٣٩٠
 حراء : ٣٨٩
 الحرم الشريف = قبر الرسول صلى الله
 عليه وسلم
 حصن لاستبه : ٢١٠
 الحضرة : ١٥٨
 الحيرة : ٣٢٧
 حيرة النعمان : ٣٨٢

(خ)

الخورتق : ٣٢٦
 الخيف : ٥٦

(د)

دار إبراهيم الفنى : ٢٦٠

(ع)

العدوتان : ١٧ ، ١٨٣
العذيب : ٦٦
المراق : ٩٢ ، ٢٧٣
عرفات : ١١١
العقيق : ٤٥ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٧

(غ)

غرناطة : ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
غمدان : ٣٨٧

(ف)

فاس : ٦ ، ٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢١ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ،
٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ،
٣١٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
فارس : ٣٨٧
فخص رية : ١٦
فدك : ٣١٨

(ق)

القاهرة : ٣٤٩
قبر أحمد = قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٤٨ ،
٩٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٤٩
قبرة : ٢٠٧

٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

٣٣٥

السدة : ٢٨٩

السدير : ٣٢٧

السرب : ١٦٨

سرقسطة : ٢٠٩

سلا : ٢٣٥

سلم : ٢٤٢

سهرورد : ٣٢٠

سوق عكاظ : ٣١٧

(ش)

الشام : ٢٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨
شامة : ٩٨
شرق الأندلس : ١٤
شقر : ٣٦١
شنيل : ١٢٢
شيرة : ٢٦٤

(ص)

الصفراء : ١٣٧
صنعاء : ٣٨٢ ، ٣٨٦
صنهاجة : ٣٧٩

(ط)

الطائف : ١٤
طليل : ٩٨
طليطلة : ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
طنجة : ٣٧٤
طيبة : ٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،
٢٥١
طيفور : ٣٣٤

٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٧٣

مرسية : ٢١١

المرية : ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٠٧ ، ٢٥٣ ،

٣٠٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ،

٣٤٩ ، ٣٤٨

مسجد أبي عثمان : ٢٨٤

المسجد الجامع : ٢٧٧

مسجد الحمراء : ١٧

مسجد الزهراء : ٢٦٧

مسجد السيدة الكبرى : ٢٩٥

مسجد الصابر = مسجد الصابرين

مسجد الصابرين : ٣٣٦

مسجد الصفارين = مسجد الصابرين

المشرق : ٣٤٧

مصر : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

مطرح الجلة = مطرح الجنة

مطرح الجنة : ٣٥٦

المغرب : ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ،

٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٣٣٥ ،

٣٦٥ ، ٢٥٢ ، ٣٥٠

المغرب الأوسط : ٣٧ ، ٤٢ ،

المغرب الأقصى : ٣٥ ، ٤٢ ،

مكناسة : ٢٢٢

مكة : ٢٧ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ٢٣٢ ،

المنحنى : ٢٣٠

منى : ١٠٤ ، ١٦٨ ،

منية الحكم = منية نصير

منية نصير : ٢٦٠

ميورقة : ٢١٧

(ن)

الناعورة : ٢٨٩

قرطاجنة : ٢٧٠

قرطبة : ٢٠٧ ، ٣٠٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٣٨٩ ،

٢٩٥ ، ٢٩١

القرتان : ١٠٨

السلطانية : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ،

٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٧٨ ،

قصر ابن ذى وزن : ٣٨٢

قصر الرصافة : ٢٩٣

قصر الزهراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ،

قصر شليل : ١٢٣

القصر الصادعى : ١٠٧

قصر قرطبة : ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ،

قصر كسرى : ٣٨٧

قصر مدينة الزهراء : ٢٨٦

قصر المصاراة : ٣١٦

قصر الناعورة : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

القيروان : ٢٢ ، ٢٢٤ ،

(ك)

كاظمة : ٥٢

كنيسة سفاقس : ٢٧٠

(م)

مالقة : ١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٧٠ ،

٢٩٩

مجنة : ٩٨

المدينة : ١٣٧ ، ٣٩٠

مدينة الزهراء : ٢٦٧

مدينة سالم : ٢٨٨

مراكش : ١٩١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ،

(و)	نجد : ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨
وادی آسن : ٢١٨	٢٤٥
وادی المقیق : ٢٢ ، ٢٥٠	نعمان : ٤٣
وادی قناة : ٣٩٠	نیسان : ٣٢٣
الولجة : ١٥٨	
(ی)	(هـ)
یثرب : ٢٣٨ ، ٢٣٩	
یلعلم : ٣٧٠	الهند : ١٣٦

فهرس الكتب

تكملة المعاجم العربية لدوزى : ٢٦٨ ، ٣٦ : ٢٩٠

التكملة : ٣٧٩
التيشير : ٣٤٨

(ج)

جذوة الاقتباس لابن القاضى : ٣٥١ ، ٣٤٧ : ٣٥٣ ... الخ

(د)

الدر النفيس من شعر ابن خيس : ٣٠٣
الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرون
ديوان أبي تمام : ٤٨
ديوان الصنى الحل : ٢٢٦
ديوان المبر = تاريخ ابن خلدون : ٢٢٧

(ذ)

الذخيرة لابن بسام : ٢٥٣ ، ٢٥٢

(س)

سلوة الأنفاس : ٣٥٦
سنن أبي داود : ٣٥١
السنن الأبين في السند الممنن : ٣٥٠
السنن لابن ماجة : ٣٥٢

(ش)

شرح ابن نجى على المدونة : ٣٥٢
شرح ألفية ابن مالك لابن مرزوق : ٢٩٩
شرح الحناسة للتريزى : ١٢
شرح الشفا : ٢٥٧

(١)

الإحاطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ... الخ
أحكام التأسيس في أحكام التجنيس : ٣٥٠
أحكام القرآن : ٢٩٥
الإحياء للغزالي : ٥٠
الاستقصا للسلوى : ٧ ، ٩ ، ٣٧ ... الخ
الإشادة : ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ... الخ
الأشراف لمحمد بن المنتذر النيسابورى : ٢٩٥
الإضاءة والإنارات : ٣٥٠
أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب : ٢٧١ ، ٢٨٢

ألفية ابن مالك : ٢٩٧
الأمالى والنوادر : ٢٧٣

(ب)

بداية المجتهد : ٨٤
البدر الطالع للشوكانى : ٣٤٧
بغية الملتبس : ٢٠٧
بغية الوعاة للسيوطى : ٣٤٧
البغية والمدرك من كلام ابن زمرك : ١١ ، ١٢

(ت)

تاج العروس : ١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٠٦ ، ٣٧٤
تاريخ الخطيب : ٣٥٤
تاريخ ابن خلدون : ٣٠ ، ٣٧ ، ٢٢٧ ... الخ
تاريخ ابن الفرضى : ٢٦٥
المتنفة : ٣٧٩
ترجمان التراجم : ٣٥٠
التسهيل البديع في اختصار التفريع : ٦
تطريز الديباج لأبى العباس أحمد بابا : ١٧٦

شرح القاموس = تاج العروس
الشفاء : ٦

(ع)

عائد الصلة : ٣٠١
العبوديان المبتدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون
الغزاري المسائلات في الأزجال والموشحات :
٢١٣
العقد الفريد : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٣١٨

(غ)

الغريب المصنف لابن سلام : ١٥١
الغنية لمياض : ٢٥٧

(ف)

الفقرية : ٣٠٣

(ق)

القاموس : ٣٧١
قوت القلوب لأبي طالب المكي : ٥٠

(ك)

الكامل للمبرد : ٣٨٥
الكتيبة : ١٨٦
كتاب سيويه : ٣٦١ ، ٣٦١
كتاب العين للخليل : ٢٩٥
الكتاب المؤتمن في أبناء أبناء الزمن : ٣٧٦
الكتيبة الكامنة : ٦ ، ١٨٦
لسان العرب : ٦ ، ١٩ ، ٨١
لسان المعبران لابن حجر : ٣٥٤

(م)

منلى الطريقة في ذم الوثيقة : ٢٩٧
الحكاكة بين البخاري ومسلم : ٣٥٠

المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح :
٣٥٠

محك الشعر للمعارفي : ٣٥٤
مختصر ابن الحاجب : ٦
مختصر الإحاطة : ٣٥١
المدارك لمياض : ٢٥٧
الدونة : ٣٥٠
المرقة العليا في مسائل القضا والفتيا : ٧
مزية المزية : ٢٥٢
المسهب في غرائب المغرب : ٢٥٣
المشتبه في أسماء الرجال : ٣٥٤
معجم البلدان لياقوت : ٢٠٨ ، ٣٦٥
معجم دوزي : ٦٠
معجم ما استعجم للبكري : ١٠٨
المقتطف من أزهار الطرف : ٢٥٣
مقدمة ابن خلدون : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢١٢ ... الخ
المقدمة المعرفة لعلو المسافة والصفة : ٣٥٠
ملء الصية فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين
الكرمتين إلى مكة وطيبة : ٣٥٠
الموطأ : ٦ ، ٣٥٢

(ن)

الناسخ والمنسوخ
النبوغ المغربي لعبد الله كنون : ٣٣٥
نثار الأزهار في الليل والنهار : ١٩٤
نزهة الأنفس وروضة التأمل في توشيح
أهل الأندلس : ٢٥٣
نصر المثنى : ٣٥٦
نفع الطيب : ٢٠ ، ٩٤ ، ٢٠ ... الخ
نيل الانتهاج بقطر الدياج لأحمد بابا التنبكي :
٣٣٦ ، ١٠

(و)

وصل القوادم بالخوافي : ٣٥٠

فهرس الأيام

(ف)	(ا)
فتح مكة : ٦٣ ، ٢٣	أحد : ٦٣ ، ٢٧
(ك)	(ب)
الكلاب : ٣٦٩	بدر : ١٢٤ ، ٦٣ ، ٢٧
(ى)	(ح)
يوم الفجار الآخر : ٣١٨ ، ٣١٧	حرب الفجار الآخر = يوم الفجار الآخر حنين : ٢٧

فهرس الأمثال

(ى)	(س)
يكنى من الفلادة ما أحاط بالفق : ٥١	سقط به العشاء على سرحان : ١٨

فهرس القوافي

(ح)		(ء)	
طويل	لك — صلحا : ١٣٥	طويل	سل — أبناء : ٣٣٦
د	تلسان — الواقع : ٣٢٩	د	لن — وساؤها : ١٤١
بسيط	هذا — ضحى : ٥١	د	أنا — السماء : ٧٩
كامل	طالقتها — صباحا : ١٦٧	د	زار — الظلاء : ٤٧
د	هذا — روسى : ٣٥٨	د	يامن — بقاء : ١٣٧
د	عجا — بالتسيح : ٣٥٨	د	يأيا — آلاءه : ١٣٢
خفيف	هكذا — المزاح : ٢٨٦	(ب)	
د	أياها — الفتوح : ٣٣٣		
(خ)			
طويل	تلسان — الكرخ : ٣٢٣	طويل	لعل — البان : ٤٢
(د)		د	وجحك — بالغروب : ١٦٩
طويل	ولائمة — مولدى : ١٠	د	خلالك — شرب : ١٧٤
د	هنيئاً — وعده : ١٣٦	د	أنت — شباني : ٣١٧
د	على — وعد : ١٣٩	د	ألا — سريب : ٣٧٨
د	أيا — يستعدى : ١٧٣	د	حيث — مقتصبه : ١٦٦
د	ألنسان — والسعد : ١٧٥	د	انظر — كتب : ٣٨٣
د	فقدت — فقهه : ٣٤٥	د	تاهت — جلبابها : ٣٣٢
د	أوارى — وقد : ٣٤٥	د	قتلوك — الوجوب : ٣٤٤
د	تكاثر — يسيد : ٣٦٠	د	لقد — القشيب : ١٠
د	أكتيبة — أحمد : ١٧٣	د	أغار — الهبة : ٣٢٦
د	هب — النادى : ٢٤٨	(ت)	
د	إن — أحدا : ١٣٣		
د	أى — السقاده : ١٤٠	كامل	كتب — موقوتا : ١٢٦
د	منزل — الوعود : ٢٥٨	د	جالت — الآتى : ٣٤٦
د	خفيف	(ج)	
(٢٧ — ٢ — أزهار الرياض)		طويل	تقرب — حاج : ٣٥٣

نظرت — جوهر : ٣١٤ كامل
 صرّج — السكوثر : ٣١٥ »
 نفسى — خطره : ١٢٢ »
 يابدر — قصره : ١٣٠ »
 العلم — الناخره : ٣٧٣ سريع
 رب — غررا : ٣٠٣ رمل
 ولد — افتقار : ١٦ خفيف
 عليك المطر : ١٩٥ مجزوء الرجز
 مها — الأصفر : ٣٦٦ متقاربه

(س)

أدرا — مجلس : ٤٠ طويل
 أيا — القفس : ١٥٩ »
 آوى — تنفسه : ٣٩ »
 يامن — الأسى : ٣٦٨ كامل
 أهدى — والباسى : ١٣٣ مجزوء الكامل
 غرد — خلّس : ١٩٤ رمل

(ش)

حديث — حراش : ٣٥٤ طويل
 يا — اتعاش : ٣٦٠ مخلع البسيط

(ض)

ذرية — مترض : ٣٧٧ بسيط

(ع)

لك — المطلع : ١٣٨ كامل
 من — البديعا : ١٣٩ مجزوء الرمل
 مولاي — مجتمعه : ١٢٩ مجزوء الرجز

أيا — الجياد : ٣٢٩ خليف
 انظر — تصعده : ١٤٠ بحث

(ذ)

والبيت — كهذه : ١٢٨ كامل
 يا — ملاذا : ١٣٥ مجزوء الكامل

(ر)

أرقت — جواهرها : ٨٢ طويل
 طمامك — أدرى : ١٢٩ »
 أمولاي — البحر : ١٣٤ »
 نعم — البدر : ١٣٦ »
 لك — والأمر : ١٦٤ »
 ذرونى — تسير : ١٦٧ »
 ألا — الأكابر : ٣٦٥ »
 نبغت — العبر : ٣٦٤ مديد
 هل — عور : ١٣ »
 أعلامك — قدر : ١٣٨ »
 مازلت — العتمد : ٣٤٧ »
 أرجه — الطور : ٣٨٠ »
 مقدمات — مغرور : ٣٨١ »
 يا قادما — طائرته : ٣٤٢ »
 رحلانة — ترهه : ١٨٦ مخلع البسيط
 هب — الزهر : ٣٥ كامل
 هي — الأمصار : ٢٨ »
 مولاي — المنشورا : ٣٩ »
 وجه — يبحار : ١١٢ »
 يا بها — منشورا : ١٢٨ »
 لولا — الدرار : ١٧٠ »
 يا بها — المنصور : ٢٥٥ »
 بكت — الأنهار : ٣٠٨ »

كامل	ما لعمول الخالى : ١٠٧
"	بشرى — يتأمل : ١١١
"	علم — ومهل : ١١٦
"	يامن — كالا : ١٢٧
"	ياوارث — المنزل : ١٢٩
"	ملك — بنوال : ٢٩٣
"	ملكك — فاعدل : ٣٥٧
"	حب — العمال : ٣٨٣
"	لك — كالحا : ١٥٩
"	وجد — مثاها : ٣٧٩
"	عجا — يياها : ٣١٩
مجزوء الرمل	أنا — جال : ١٣٩
سريع	أرق — ذبال : ٣٠٦
"	ما القياى : ٣٠٨
"	ما — الوصال : ٣٠٩
"	بدت — اعتدل : ٣٠٩
مجت	رفعت — الهلال : ١٤٠

(م)

طويل	هنا — يتنسم : ١٤٦
"	لك — دائما : ١٧٥
"	سأنظم — نظامها : ٢٤٩
"	دما — الكهائم : ٣٠٢
"	تجلى — أدعيه : ١٣٤
"	لهادى — للإمامه : ٣٧٢
بسيط	فؤاده — موسوم : ٣٦٢
"	الله — الأقاليم : ٣٦٢
"	وكل — مشوم : ٣٦٣
معلم البسيط	قد — الإمام : ١٩٤
"	في — الأيام : ١٩٩
وافر	مشوق — الشاما : ٣٥٥
"	رأوا — يناموا : ٣١٦
"	م — المدام : ٣٦٦

(ف)

طويل	كافى — شفى : ١٣٥
"	لفد — النفا : ١٦٩
"	عمقتكم — كطرفه : ٣٤٧

(ق)

طويل	ألا — مشوق : ٢٥٠
"	تركت — الوثوق : ٢٥٢
"	ولما — المفارق : ٣٤٥
بسيط	انظر — أزرقه : ٣٥٣
كامل	أغرى — الآفاق : ١٦٠

(ك)

طويل	أقول — وآلـكا : ١٣١
"	تراجع — فارك : ٣٠٥
كامل	ياخير — الأملاك : ١٢٥
مجزوء الكامل	ياخير — الملوك : ١٢٦

(ل)

طويل	نجوم — شامل : ٧٤
"	ألا — جليل : ٩٨
"	أبحر — الأنايل : ١٣١
"	أمولاي — أولا : ١٣٢
"	أزور — رسائل : ١٧٠
"	وما — فاضل : ٣٧٢
"	أمائل — جلالة : ١٣١
معلم البسيط	قد — بالرحيل : ١٨٩
وافر	غفر — صقيل : ١٢
"	بما — الجلال : ١٥٧
كامل	لو — رسولا : ٩٦

وأرجو — يا لملحى : ٣٥٣ وافر
ماترى — الباهى : ١٤١ خفيف
لن — صداها : ٣٠٤ كامل
الفنى — يصطفيه : ١٤٠ مجزوء الرمل

(و)

أنا — العفو : ٣٥٥ طويل

(ى)

معاذ — باليا : ٥٦ طويل
سل — حاليا : ٦٥ »
كبت — السواقيا : ١٣٤ »
أتمطش — والسقيا : ١٥٨ »
يكلفى — وماليا : ١٦٧ »
حقيق — المعانبا : ٣٨٤ »
يامن — بواديا : ٢١ بسيط
ولعنا — وعى : ٣٧٢ رجز
صيام — قاضيه : ٣٥٣ سريع

كامل
الفحة — بالدم : ٦٠
يابن — بنى غفجوم : ٣٦٥ »
وجه — ناسم : ٢٠٠ مجزوء الرمل
نهانى — أظلم : ٣٦٥ مقارب
توجتنى — الكرامه : ١٥ المجتث

(ن)

سحر — الحسين : ٣٤٧ بسيط
مالى — التدانى : ١٠ مجزوء البسيط
ياخير — الإيمانا : ١٢٧ كامل
يامن — تبتنى : ١٦٠ »
سح — مكنته : ٣٤٥ مجزوء الكامل
المجد — العنا : ١٣٥ سريع

(هـ)

سلام — فيها : ١٥٤ طويل
هنى — الله : ٩٣ بسيط
يبنى — تفشاء : ٩٥ »
الفقر — عناء : ٣٠٣ »

فهرس الموشحات والأزجال

البيت	صفحة
(أ)	
آه من فرط الوجيب	٢٤٦
أبكاني بشاطى النهر نوح الحمام	٢١٩
أبلغ لغرناطة سلامى	١٨١
أطلع الصبح راية الفجر	٢٤٢
ألف المضى الشجون	٢٣٠
أما ترى أحمد	٢٠٩
أمزج الأكواس وأملالى نجد	٢١٨
انظر إلى البدر الذى لاح لك	٢٥٥
إن سيل الصباح فى الشرق	٢١١
أيها الفاصد رفا	٢٦٥
أورثت قلبي خبلا	
على الفصن فى البستان قريب الصباح	
وصف لها عهدى السليم	
فتبدي المكتوم من سرى	
وارتضى الأحران دينا	
فى مجده العالى لا يلحق	
ما خلق المال إلا أن يبدد	
فى وسط الجنة تحت الملك	
عاد بحرا فى أجمع الأفق	
بأمر المؤمنين	
(ب)	
بأرض طيبة معهد	٢٣٥
بدرتم شمس ضحى	٢٠٧
البعد عنك يا بنى	٢١٨
البلبل فى الرياض لما نشدا	٢٢٨
بين طلوع وبين نزول	٢١٨
شوقى إليه مجدد	
غصن تقا مسك شم	
أعظم مصابى	
بالقول شدا	
اختلطت الغزول	
(ث)	
نفر الزمان موافق	٢١٢
حيالك منه بابتسام	
(ج)	
جادك الفيت إذا الفيت همى	٢١٣
يا زمان الوصل بالأندلس	

البيت	صفحة
(ح)	
حببي ارفع حجاب النور عن المذار	٢١٥
حل المجون يا هل الشطارا مذ حلت الشمس بالحمل	٢١٨
(ز)	
زهر شيب المفارق تفتحت عنه الكمام	٢٣٢
(س)	
سبحان مالك خواطر الأمرا بنواحيها في كل حين وزمان	٢٢٢
(ض)	
ضاحك عن جان سافر عن بدر	٢٠٨
(ط)	
طل الصباح قم يا نديم نصربو ونضحكو من بعد ما نظربو	٢١٩
(ع)	
المشى تعباً والنوايغ عن شكر أنعمك السوايغ	٣٠٣
العود قد ترم بأبدع تلحين	٢٠٨
عيني التي كنت أرها كم بها باتت ترمى النجوم وبالتسفيد القنات	٢٢٦
(ف)	
في كئوس الثغر من غمر اللبس راحة الأرواح	١٩٢
(ق)	
قد نظم الشمل أتم انتظام واغنم الأحباب قرب الحبيب	١٩٧

صفحة	البيت
٢٠١	قد نظم الشمل أتم انتظام
٢١٢	قسما بالهوى الذى حجر
٢٢٧	قل للأحبة والحديث شجون
٢٣٧	قم وناج الله فى داجى الغلس
	ولاحت الأقار بمد الغيب
	ما ليل الشوق من فجر
	ما ضر إن شاب الوقار مجون
	تنقى الأرواح
(ك)	
٢١٠	كل الديجى يجرى
٢٥٤	كم فى البودود البيان
٢٢٢	كن صرعى قل ولا تكن راعى
٢٠٨	كيف السبيل لى
	من مقلة الفجر على الصباح
	تحت اللهم
	فالراعى عن رعبته مسئول
	صبرى وفى العالم أشجان
(ل)	
٢٤٣	لأحمد بهجة
١٤٥	لأحمد تمنو الأقار
٢٤٠	لأحمد المصطفى مقام
٢٠٣	لله ما أجل روض الشباب
١٠٥	لو ترجع الأيام بمد الذهاب
	كالقمر الزاهر
	فى أبرج السعد
	فعدد غفاره
	من قبل أن يفتح زهر الشيب
	لم تقدح الأشواق ذكرى حبيب
(م)	
٢١٢	ما حال صب ذى حسن واكتئاب
٢١٠	ما العيد فى حلة وطاق
٢٢١	المال زينة الدنيا ومن النفوس
٢١٠	ما للوله من سكره لا يفيق
	أمرضه
	يا ويلناه الطيب
	وشم طيب
	يبهى وجوهاً ليس هى باهيا
	بلاه سكران
(ن)	
٢٣٨	نأت بى الأوطان
٢٢٦	ناديتها ومشيى قد طوانى طى
١٧٩	نسيم خمرانة عليل
١٧٤	نوامم الإسنان
	عن حضرة الإحسان
	ولا معين
	جودى على قبلة فى الهوى باى
	لكنه يبرى الطليل
	تنثر سلك الزهر

البيت	صفحة
(هـ)	
هل درى ظي الحمى أن قد حمى	٢١٣ قلب صب حله عن مكس
(و)	
واحسرتا لزمان مضى	٢١١ عشية بان الهوى وانقضى
وأخضر حمادى فى الورد لائح	٢٥٥ على صفح ورد حسنه متناهى
ورذاذ دق ينزل	٢١٧ وشعاع الشمس يضرب
ومرئش قد قام على دكان	١١٦ بحال رواق
(ى)	
يا حادى العيس ازجر بالمطايا زجر	٢٢٦ وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
يا حريب الحمى من حمى الحمى	١٢٩ أنتم عيذى وأنتم عرسى
يا ليتنى إن ريت حبيبي	٢١٨ أقتل اذنو بالرسىلا
يا ليلة الوصل والسعود	٢٠٩ بالله عودى
يا هاجرى هل إلى الوصال	٢١١ منك سبيل
يد الإصباح	٢١٢ قدحت زناد الأنوار

فهرس أنصاف الآيات

(ع)	(١)
عجبا لها أيدوق طعم وصالها : ٣٢٢ كامل	أغرى سرة الحى بالإطراق : ١٥ رجز

فهرس الموضوعات

صفحة	
٨١	في صنيع لبعض أمراء بني الأحمر
٩٣	من عيدياته
٩٦	عيدية أخرى
١١٦	ومن أناشيد في المواسم العقيقة
١٢٢	وله في بعض نزه مولاه في شفي
١٢٥	وله في الشكر على ضروب من التحف
١٢٦	في هدية من حب الملوك
١٢٦	في هدية أخرى منه
١٢٧	في صيد أهدي إليه
١٢٧	في أصناف من الفواكه أهديت إليه
١٢٨	وله في يوم عاشوراء
١٢٨	ومن بعض قطعه
١٢٩	في باكور أعداء إليه
١٢٩	في جفنة ثريد
١٢٩	في الفكر عن كتاب
١٣٠	في الشكر على خلعة
١٣١	وله في السؤال عن حاله وقد مرض { بعض أبنائه
١٣١	في مثل ذلك
١٣٢	في التورية باسم قائد
١٣٢	في ملابس أخذه
١٣٣	فيما يرسم على ثوب مهدى لسلطان { أبي العباس
١٣٣	في مثل ما تقدم
١٣٤	وله في الغنى بالله وهو على جواد آدم
١٣٤	وله مع هدية زهرية
١٣٤	وله مثبوقاً إلى الغنى بالله
١٣٥	ومما كتبه إليه وهو في حال تألم
١٣٥	في مثل ذلك أيضاً

صفحة	
	القاضي البهامي
٥	التعريف به
٥	من كلام لابن الخطيب عنه
٦	من كلام للسراج عنه
٧	من تأليفه
٧	نسبه
٧	بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه في الإحاطة
١٠	شعر له أورده ابن الخطيب
١١	حظوته عند ابن الأحمر بعد تنكحه { لابن الخطيب
١١	من كتاب لبعض بني الأحمر
٣٤	شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب { ابن الأحمر
٣٥	في مدح الغنى بالله وتجديد الدولة الأهدية
٣٨	في شكر السلطان لنعمة وصلته في { عاشوراء
٣٩	في وصف قرنفل بجبل الفتح
٤٠	في تهنئة مولاه بوصول القائد خالد { من تلمسان
٤٢	في مولد عام خمسة وستين
٤٦	في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة
٥١	ما أنشده في مولد عام ثمانية وستين
٥٥	ومن إعداياته سنة أربع وستين { وسبع مئة
٦٠	ومن شعره في الصنيع المختص بالأمرين { سعد ونصر
٦٥	ومنه في صنيع الأمير أبي عبد الله
٧٤	في صنيع لغنى بالله لإعذار بعض حفدته

صفحة	
١٧٣	وله يستنجز كتاب المغرب ميلادياتهم
١٧٣	وله لآلهم أيضا في المعنى المتقدم ...
١٧٥	وله في مراجعة الكاتب أبي زكريا { ابن أبي دلامة
١٧٥	وله في السلطان أبي العباس ...
١٧٦	للمؤلف في سبب إطالة الحديث عن { ابن زمرق
١٧٦	من موشحات ابن زمرق ...
١٧٧	موشحة له في الشوق إلى غرناطة
١٧٩	ومن موشحاته في وصف مبنى الرشاد
١٨١	ومن موشحاته إلى الفنى بالله ...
١٨٤	ومن موشحاته مامرضا ابن سهل
١٨٩	ومن موشحاته في الصبوحيات أيضا
١٩٢	ومن موشحاته في التهنته بالشفاء { من مرض
١٩٤	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء
١٩٥	موشحة له في وصف مالقة ومدح { الفنى بالله
١٩٧	موشحة له في وصف بناء المحدث { بمالقة
١٩٩	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء
٢٠٠	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء
٢٠١	ومن موشحاته في تهنته السلطان { موسى بن أبي عنان المريني ...
٢٠٣	ومن موشحاته في وصف غرناطة { والطرود وغير ذلك
٢٠٥	آخر موشحاته وهي في مدح الرسول { صلى الله عليه وسلم
٢٠٦	كلام ابن خلدون في الموشحات { والأزجال
٢٢٧	اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال
٢٢٨	موشحات غير منسوبة في مدح { الرسول

صفحة	
١٣٥	في ذلك أيضا
١٣٥	وله في التهنته بالشفاء
١٣٦	في هذا أيضا
١٣٦	في مثل ما سبق
١٣٧	وله يصف البازي ويشكر ما أهدى { إليه من صيده
١٣٨	وله يصف غربانا ويتفاءل ...
١٣٩	في التهنته بمودة الأمير من جبل الشوار
١٣٩	فما يرسم بطيخان الأبواب ...
١٣٩	في مثل هذا
١٤٠	في مغبى للأمير سعيد
١٤١	وله في الشكر عن هدية
١٤٢	وله في التذليل على بيتي ابن المعتز
١٤٢	وله في التذليل على بيت ابن وكيع
١٤٣	ومما يرسم للفنى بالله
١٤٣	من مقطوعة
١٤٣	في عبيدة
١٤٤	في وصف جيش
١٤٦	من قصيدة له ميمية
١٤٩	في رثاء الفنى بالله
١٥٢	وله على لحد الفنى بالله
١٥٤	وفي رثاء الفنى بالله أيضا ...
١٥٧	وله في استعطاف السلطان أبي الحجاج
١٥٨	وله في خطاب السلطان أبي عبد الله
١٥٨	ومن شعره في أبي عبد الله ...
١٥٩	وله في خطاب مولاه الوالد ...
١٦٠	حريته لأبي القاسم الحسنى ...
١٦٤	وله في مدح شيخه ابن الخطيب
١٦٦	وله مما يخاطب به ابن الخطيب أيضا
١٦٩	وله في وصف مصباح
١٧٠	وله في صدر رسالة إلى ابن الخطيب
١٧٠	وله يصف الزرافة ويمدح مدح { السلطان أبا سالم

صفحة	صفحة
٢٩٤	موشحات لابن الصباغ الجذامى فى {
٢٩٦	مدح الرسول أيضا ... }
٢٩٧	نظم للجذامى فى غير الموشحات ...
٢٩٧	ومن غميسه ...
٢٩٧	من نظمه فى مدح النبى ...
٣٠١	لابن خاتمة من الموشحات ...
٣٠٨	رجع
٣٠٩	بعض ما ورد من الأثر فى سبته ...
٣١٥	الحليفة الناصر وسبته ...
٣١٦	خلافة الناصر ...
٣٢٢	رسل ملك الروم إليه ...
٣٢٣	هدية ابن شهيد إلى الناصر ...
٣٢٩	الناصر وقد أراد القصد يوما ...
٣٢٩	بناء الناصر جامع الزهراء ...
٣٣٢	بناؤه القناة ...
٣٣٣	تشيد الناصر مدينة الزهراء ...
٣٣٥	شئ عن عمران قرطبة ...
٣٤٠	احتفال الناصر لمقدم ملك الروم {
٣٤١	وظهور البلوطى على سائر الخطباء {
٣٤١	من خطبة للبلوطى ...
٣٤١	بينه وبين الناصر فى التهديد فى {
٣٤١	تنميق القباء ...
٣٤١	خطبة لمنذرفى الاستسقاء ...
٣٤١	من خطبة له أخرى فى ذلك ...
٣٤١	بعض أنصاره مع الناصر وحديث {
٣٤١	القيبة ...
٣٤١	الناصر وأيام سروره ...
٣٤٢	اعتذار الناصر لأولاد ابنه وما كان {
٣٤٢	بينه وبين الفقيه أبى إبراهيم لتخلفه {
٣٤٤	بين الحكم والفقيه أبى إبراهيم ...
٣٤٥	بيعة الحكم المستنصر ...
٣٤٦	وفود أردون عليه وحديث ذلك ...
٣٤٧	شعر للراى فى هذا المقام ...
٢٩٤	شئ عن منذر ابن سعيد البلوطى
٢٩٦	بعض مأثور كلامه ...
٢٩٧	نقد للونصرى فى تشييع ابن {
٢٩٧	الخطيب على الموتقين ... }
٢٩٧	رجع إلى سبته وما كان بين ابن {
٢٩٧	خيس وبعض طلبتها ... }
٣٠١	التعريف بابن خيس ومقتله ...
٣٠٨	شعر صوفى لأبى مدين ...
٣٠٩	تحسيس على قصيدة لسيدى إبراهيم {
٣١٥	التازى ... }
٣١٦	قصيدة لابن مرج السكل تشبه {
٣٢٢	قصيدة لابن خيس ... }
٣٢٣	ولابن مرج السكل ...
٣٢٣	منزلة ابن جليس عند علماء المشرق
٣٢٣	شوق ابن خيس إلى بلدة تلمسان
٣٢٩	من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى {
٣٢٩	تلمسان ... }
٣٢٩	قصيدة للثغرى فى وصف تلمسان
٣٣٢	قصيدة أخرى للثغرى فى تلمسان ...
٣٣٣	قصيدة منديل ابن أجروم فى ذكر {
٣٣٣	فاس رجع إلى نظم ابن خيس {
٣٣٣	رحمه الله ... }
٣٣٥	ولابن خيس يصف تلمسان ويمدح {
٣٣٥	ابن الحكيم ... }
٣٤٠	التعريف بابن الحكيم ...
٣٤١	سافه ...
٣٤١	قدومه إلى غرناطة ...
٣٤١	شمالاه ...
٣٤١	رحلته مع ابن رشيد وشيوخها ...
٣٤٢	تلاميذه ...
٣٤٢	قصيدة ابن الجباب فى مدحه ...
٣٤٤	أبيات فى رثائه ...
٣٤٥	شئ من شعره ...
٣٤٦	ومن نثره ...
٣٤٧	بديته ...

صفحة	صفحة
٣٦١ ... مولده ووفاته	٣٤٧ ... التعريف بابن رشيد
٣٦١ { من شعره في مدح أبي يعقوب	٣٤٧ ... رحلته وما أقدمها
... يوسف ...	٣٤٨ ... شمائله
٣٦٤ ... هو وأبو العباس الجراوى	٣٤٨ ... شيوخه
٣٦٥ ... للجراوى يهجو بنى غفجوم	٣٥٠ ... تأليفه
٣٦٥ { من شعر القاضى أبي حفص يمدح	٣٥٠ ... مذهبه
... أمير الموحدين ...	٣٥٠ ... شرحه للبخارى
٣٦٦ ... وله في الغزل ...	٣٥٠ ... اجتهاده في فهم الحديث
٣٦٧ لابن شكيل في مدح القاضى أبي حفص	٣٥١ ... يروى أن الحديث مروى بالمعنى ...
٣٧١ ثناء العلماء على القاضى أبي حفص	٣٥١ ... قدرته على البيان والارتجال
٣٧٣ ... من نظم القاضى أبي حفص	٣٥٢ ... تعليق للمؤلف على موقف ابن رشيد
٣٧٤ ... بيت المراقين أصحاب نسبته	٣٥٢ ... شهادة ابن رشيد لبعض العلماء
٣٧٤ ... أبو القاسم العزفى ...	٣٥٢ ... تقرىظ لبعض تأليفه
٣٧٥ ... بعض تأليف أبي القاسم العزفى ...	٣٥٣ ... شيء من أشعاره ...
٣٧٦ ... نسبة العزفين إلى لحم	٣٥٤ ... إشارة إلى بعض الموضوعين في الحديث
٣٧٧ ... بعض فضائله وشعره	٣٤٥ ... إجازته لبنت المهين ووفاته
٣٧٧ ... ابناء : أبو حاتم وأبو طالب في سبته	٣٥٥ ... حاله بعد عودته من المشرق
٣٧٧ ... يحيى بن أبي طالب	٣٥٦ ... كتاب الإشادة للعزفى ...
٣٨٨ ... يحيى بن يحيى العزفى ...	٣٥٧ { لأبى العباس العزفى في مدح ابن
٣٧٨ ... صاحب الإرشاد من بنى العزفى ...	الحكيم ... }
٣٧٨ ... تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر	٣٥٨ ... وله في مدحه أيضا ...
٣٧٩ ... بعض أشعار ابن خبازة ...	٣٥٩ { كلام القاضى أبي حفص في كتاب
٣٨٨ ... قصيدته في رثاء ابن الجبر ...	الإشادة ... }
٣٨٢ ... وله في قبه ليحيى بن الناصر الموحدى	٣٦١ ... التعريف بالقاضى أبي حفص عمر السلى
٣٨٣ ... وله في الحنين إلى أحبائه ...	٣٦١ ... شيوخه
٣٨٣ ... وله في منح النبي ...	٣٦١ ... ولايته

نصوب أخطاء مطبعية

صواب	خطأ	ص	س
في الجوّ	في الجوّ	٧٠	٣
واسحب	واسحب	١٠٧	٦
ورامة	ورمة	١٠٨	٢٢
والله	والله	١٢٥	٩
قصي	قصي	١٣٨	١٥
ترجى	ترجى	١٦٠	١٧
القصة	القصة	١٦٦	٨
إذا ما طوى	ذا ما طوى	١٦٧	١٩
أكني	أكني	١٦٨	١٣
والشيب	والشيب	١٨١	٧
ما الزهر	ما الزهر	١٩١	٨
الثغر	الثغر	١٩٢	٣
مذهباً	مذهباً	١٩٢	٥
نوم	نوم	٢٠٥	٧
سر	سر	٢١٣	١٤
المجد	المجد	٣٣١	١٤
محمد بن	محمد ابن	٣٤٩	٤
غفجوم	غفجوم	٣٦٥	١٠